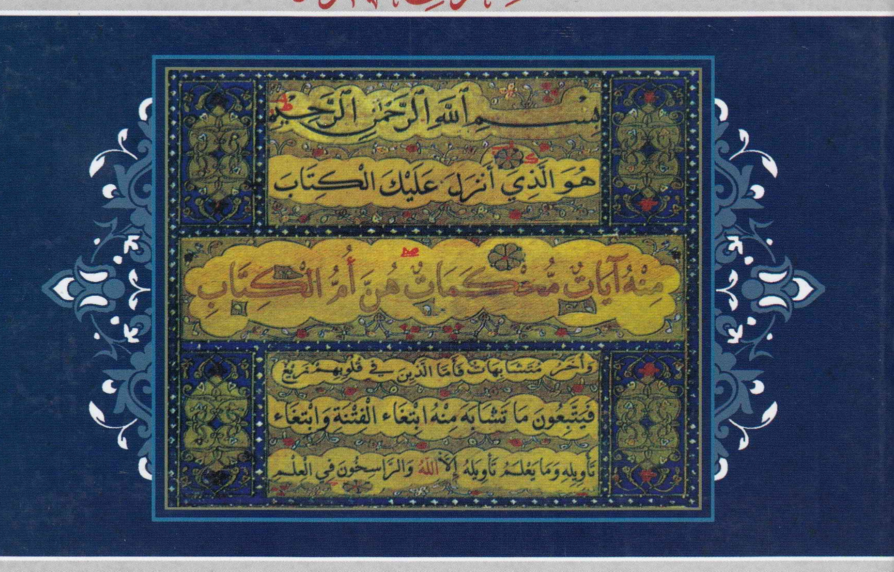
تقريرات سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند دام ظله

الموسوعة التفسيرية ٢

تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم



الشيخ محسن الحصاني



تفسير
أمومة الولاية والمحكمات
للقرآن الكريم

الولاية قطب القرآن عليها تستدير محكماته

تقريرات أبحاث
سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند دام ظله

بقلم:
الشيخ محسن الجصاني





الجزء الثاني

سرشناسه	سند ، محمد ، ۱۳۴۰
عنوان	تفسیر أمومه الولایه والمحکمات للقرآن الکریم، الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکماته الجزء الثانی
تکرار نام پدید آور	بحوث محمد السند؛ تالیف محسن الجصانی
مشخصات نشر	تهران : نشر صادق، ۱۴۳۷ هـ =۲۰۱۶ م = ۱۳۹۵ ش
مشخصات ظاهری	۵۵۲ ص .
بهاء	۱۵۰۰۰۰ ریال ISBN: ۹۷۸_۶۰۰_۵۲۱۵-۴۳-۴
وضعیت فهرست نویسی	فیپا
یادداشت	کتابنامه به صورت زیرنویس
موضوع	تفسیر ـ فن
موضوع	قرآن ـ علوم قرآنی
موضوع	قرآن ـ بررسی و شناخت
شناسه افزوده	جصانی ، محسن
رده کنگره	۱۳۹۵ ، ۵۲ الف ۹ س/ ۵/ ۹۱ BP
رده دیویی	۲۹۷/۱۵۱
شمارهٔ مدرک	۳۹۶۷۴۶۱

تفسير أمومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم

تقرير ابحاث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند (دام ظلّه)

تاليف : شيخ محسن الجصانى

الطبعة: الاولى- ١٣٩٥ هـ.ش- ٢٠١٦م - ١٤٣٧ هـ.ق

المطبعة: طاهر

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ٥٥٢ صفحة

قطع : وزيري

ردمك: ٤-٤٣-٥٢١٥-٦٠٠-٩٧٨

الناشر: مؤسسة الصادق

مراكز التوزيع:

١ . العراق ، النجف الاشرف، المعرض الدائم للعتبة العلوية المقدسة

٢ . العراق ، النجف الاشرف ، شارع الرسول صلى الله عليه وآله ، قرب مدرسة النضال مكتبة دارالبذرة

٣ . العراق ، النجف الاشرف ، شارع الرسول صلى الله عليه وآله ، سوق الحويش مكتبه سيد علي البصري

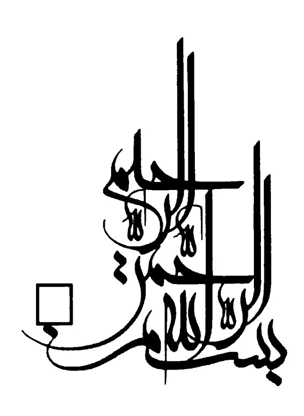
٤ . العراق ، كربلاء المقدسة ، المعرض الدائم للعتبة العباسية المقدسة

٥ . العراق ، بغداد ، الكاظمية المقدسة المعرض الدائم للعتبة الكاظمية المقدسة

٦ . ايران، طهران، شارع ناصرخسرو، زقاق حاج نايب ، سوق المجيدى، موسسة الصادق للطباعة و النشر
(+٩٨ ٢١) ٣٣٩٣٤٦٤٤

٧ . ايران، قم، شارع معلم، مجمع ناشران رقم B٤٠ ، موسسة الصادق
(+٩٨ ٢٥) ٣٧٨٤٢٥٧٤-٧٥ / ٠٩١٢٤١٠٢٠٩٦

٨ . ايران ، قم ، ابتداء شارع صفائيه ، سوق الامام المهدي عجل الله فرجه ، مكتبة فدك
(+٩٨ ٢٥) ٣٧٧٤٥٧٠٥



هوية الكتاب

عنوان الكتاب: .... تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم

.... الجزء الثاني

.... لسماحة المرجع الديني الشيخ الأستاذ محمد السند دام ظله

المؤلف........................... الشيخ محسن الجصاني

الطبعة .... الأولى لسنة ٢٠١٦

عدد الصفحات .... ٥٥٢ صفحة

الإخراج الفني .... السيد عبدالله الهاشمي

حقوق الطبع محفوظة

القاعدة الخامسة

الفهرس الإجمالي لقاعدة:

الجري في التعبير لا التطبيق:

* المقدمة.

* معنى القاعدة.

* مدرك القاعدة.

* تعريف الشيء بغايته أكمل التعاريف.

* القاعدة الثانية: هل اللغة ألفاظ وأصوات فَقَطْ أم نفس المعنى.

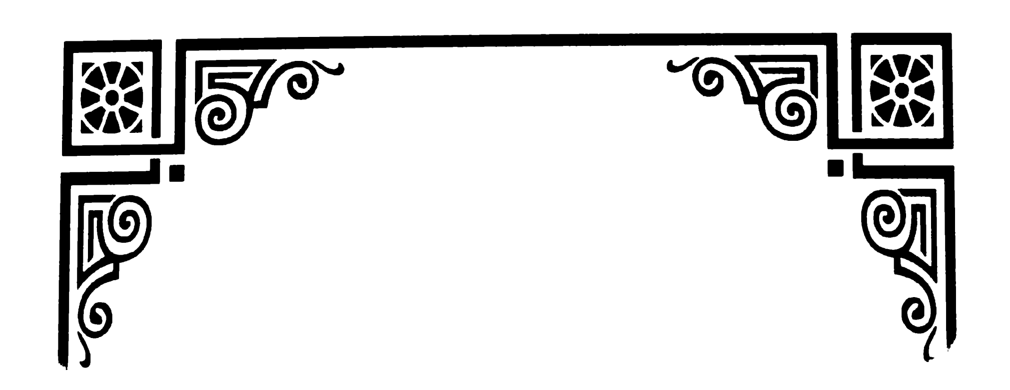
* النظرية الأولى فِي قاعدة الجري للسيد مُحَمَّد حسين الطباطبائي. وخواصها ومميزاتها.

* النظرية الثانية فِي قاعدة الجري عَلَى ضوء ومختار منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فِي القرآن.

* أوسعية تعدد المعاني عَلَى النظرية الثانية.

* هل التأويل حاكم عَلَى التنزيل (التفسير) أو العكس.

* الفوارق العملية بين النظريتين فِي قاعدة الجري.

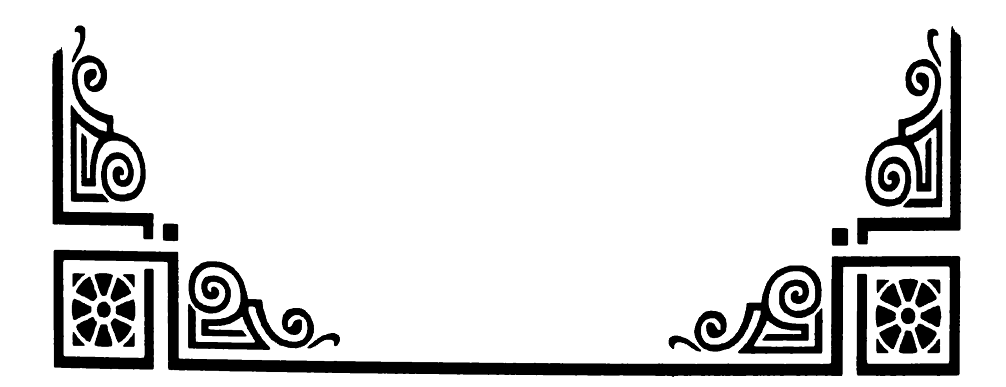


المنهج التفسيري لأمومة الولاية على المحكمات

فضلاً عن المتشابهات في القرآن

القاعدة الخامسة

قاعدة الجري في التعبير لا التطبيق



المقدمة

التعبير بقاعدة الجري بمعنى التطبيق عَلَى ما هُوَ المشهور المعاصر عندهم، والتعبير بقاعدة الجري بمعنى التعبير أيّ الجري فِي المعاني والحقائق عَلَى وفق المنهج التفسيري لأمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القرآن.

ونذكر فيها ما يلي:

أولاً: إنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير لها أصلٌ فِي بيانات القرآن الكريم كَما فِي قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1] وقوله تعالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾[2] و ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾[3] وغيرها كَما سوف يتّضح فِي محله إنْ شاء الله تَعَالَى.

وكذلك لقاعدة الجري أصل فِي روايات أهل البيت عليهم السلام، كَما فِي

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

(٣) سورة الرعد: الآية ١٧.

رواية مُحَمَّد بن الحسين عَنْ مُحَمَّد بن إسماعيل عَنْ منصور بن يونس عَنْ ابن أذينة عَنْ فُضيل بن يسار، قَالَ: سألتُ أبا جعفرعليه السلام عَنْ هَذِهِ الرواية: ـ ما مِنْ القرآن آية إلَّا ولها ظهر وبطن، قَالَ ظَهرُه (تنزيله) وبطنه تأويله وَمِنْهُ ما قَدْ مضى، وَمِنْهُ ما لَمْ يكن يجري كَمَا تجري الشمس والقمر، كُلّ ما جاء تأويل شيء يكون عَلَى الأموات، كَمَا يكون عَلَى الأحياء ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ نحن نعلمه[1].

وَقَدْ قُرِّر فِي مفاد هَذِهِ القاعدة المُستنبطة نظريّتان:

النظرية الأولى: فِي قاعدة الجري في التعبير لا التطبيق، وَهُوَ المشهور عِنْدَ مُتأخّري المفسرين[2].

وحاصلها: إنَّ الآيات القرآنية استعملت فِي معنى واحد كُلّي وما ذُكِرَ مِنْ تأويلات فِي الروايات هِيَ بمثابة المصاديق لذلك المعنى الكُلّي[3]، ولا ينحصر المعنى الكُلّي فِي مصداق بعينه وإرادة الموارد المختلفة لَيْسَ مِنْ باب إرادتها فِي مقام الاستعمال والمعنى لا عَلَى الصعيد الاستعمالي ولا التفهيمي ولا الجدّي، وإنَّما المعنى المُراد هُوَ صرف المعنى الكُلّي، وأمَّا الموارد فَهِيَ تطبيقات صرفة مِنْ دون أنْ يكون لا علاقة بالدلالة والمدلول بالآيات.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٧ ب١٣ ص١٩٦ ح٤٩.

(٢) كالسيد محمد حسين الطباطبائي والسيد الخوئي والسيد عبدالأعلى السبزواري قدست أسرارهم.

(٣) أي أنَّ المصداق خارج عن شؤون وقالب الدلالة.

وَعَلَيْهِ فالقاعدة لا صلة لها بعالم الدلالة وظهور الآيات إِلَّا لتجريد المعنى العام عَنْ خصوصيات المصاديق، وأَنَّ المعنى الكُلِّي هُوَ محطّ النظر أولاً وآخراً.

النظرية الثانية: [قاعدة الجري فِي الحقائق أولاً ثُمَّ فِي المعاني تبعاً] [والجري هُوَ جري فِي المداليل][١].

إِنَّ قاعدة الجري في التعبير لا التطبيق عَلَى مختارنا فِي المنهج التفسيري لأمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات، يكون معناها هُوَ جري الآيات فِي المعاني والحقائق العينية فضلاً عَنْ المصاديق، وفِي هَذِهِ النظرية يَتِمُّ تقريرها بما يلي:ـ

إِنَّ الموارد الخطيرة قَدْ استُعْمِل فيها معنى الآية فِي الأصل وتجري الآية استعمالاً فِي بقيّة الموارد، وأَنَّ الآيات قَدْ استعملت فِي الأصل وفي الحقائق الكبرى واستعمالها فِي المعنى ظل وتبع لاستعمالها فِي الحقائق، فالمعنى ظل الحقيقة لا أَنَّ المعنى العام هُوَ الأصل وإرادة الحقائق بالتبع كمصداق، فالآية يجري استعمالها فِي الحقائق جرياً سيّالاً ودوّاراً، وبتبعه يجري استعماله فِي المعاني الخاصة والعامة أيضاً، وَهَذَا ما نصطلح عَلَيْهِ بحسب منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القرآن بقاعدة الجري والتعبير أيّ العبور مِنْ حقيقة إلى

---

(١) سواء كان المدلول على صعيد التطبيق أو التعبير على مختارنا في المنهج التفسيري ـ أمومة ولاية المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن.

أخرى، وَمِنْ حقيقة إلى معنى، وَمِنْ معنى إلى معنى فضلاً عَنْ العبور مِنْ المصداق إلى المصداق، والمراد مِنْ عنوان التعبير نظير ما يُقال فِي تعبير الرؤيا وتعبير الأحاديث وترجمان الوحي، فَلَيْسَ المراد التعبير اللفظي بَلْ تعبير وعبور الحقائق العلويّة إلى الرقائق والحقائق السفلية ما دونها، وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُ التعبير يوازي معنى التأويل والترجمان.

والمهم فِي النظرية الثانية فِي قاعدة الجري أنها تجعل الحقائق الخارجية هِيَ الأصل فِي المراد الاستعمالي والتفهيمي والجدي والمعاني الذهنية والمفهوميّة تبعٌ للحقائق وظلّ لها. والآية كَمَا تجري فِي المعاني كَذَلِكَ تجري فِي المصاديق ولكن كَمَعْنَى وكمراد لا شيءٌ أجنبي عَنْ المُراد.

وَهَذَا عكس النظرية الأولى حَيْثُ تجعل المعاني هِيَ الأصل الكُلِّي والوجودات العينية الخارجية مجرد تطبيقات ليست مُراده بالأصالة بَلْ بالتبع تطبيقاً، وأنَّ هَذَا المعنى هُوَ الساري والجاري فِي الجامع بين المصاديق.

بينما فِي النظرية الثانية تجعل مقصد المقاصد فِي المراد والمدول مِنْ الكلام هُوَ الحقيقة الخارجية والواقعة خارجاً، والمعنى إنما هُوَ انعكاس للحقيقة الخارجية وَعَلَى ضوء ذَلِكَ فالجري إنما هُوَ مِنْ حقيقة عينية عليا إلى مراتب متنزّلة أخرى للحقيقة العينية كرقائق للحقيقة الأصلية وَمِنْ ثَمَّ تنعكس المعاني والمفاهيم عَنْ مراتب الحقائق، فالجري فِي هَذِهِ القاعدة أولاً وبالذات فِي مراتب الحقيقة وبالتبع فِي المعاني عكس النظرية الأولى فَإِنَّ الجري

والسريان للمعنى الكُلّي فِي المصاديق مِنْ دون لحاظ حقائق المصاديق.

ثانياً: إنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير ـ كَمَا ذُكِرَ فِي المورد الأوَّل ـ نوّهت بها الآيات والروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام كَمَا سوف يتّضح كُلّ ذَلِكَ مُفصلاً فِي محله المُنَاسِب ـ أنَّ الآيات الكريمة إذَا نزلت فِي مورد لا تحُبس تلك الآية عَلَى ذَلِكَ المورد، بَلْ إنَّ كُلّ آية آية مِنْ كتاب الله العزيز حيَّةٌ بحياة القرآن الكريم وتجري لإعطاء النور والهداية للبشر بكُلّ موردٍ مِنْ الموارد الَّتِي تنتاب البشر ولكل مِنْ الحقب الزمنية.

ثالثاً: إن هذه القاعدة تقع في نظام الاستعمال اللفظي للقرآن الكريم، ويختلف المعنى باختلاف المناهج التفسيرية فَتُفَسَّر بتفاسير مُتعددة وتعطي معاني مُتعدّدة، ولكنّها قاعدة متفق عليها ومُستلّة من القرآن الكريم ـ كَمَا مَرَّ ـ وَمِنْ بيانات وحي بيت النبوة عليهم السلام.

وتدلُّ عَلَى أنْ حجيّة آيات القرآن وحياته مرتبطة بهذه القاعدة المُهِمَّة والخطيرة وَعَلَى ضوء الاختلاف فِي المناهج التفسيرية يَتِمُّ تبيين وتفسير ماهيّة هَذِهِ القاعدة ويتبع هَذَا الاختلاف تداعيات عديدة فِي استثمار وتوظيف هَذِهِ القاعدة.

رابعاً: مِنْ الجدير التنبيه عَلَى أنَّ الوارد فِي الآيات والروايات هُوَ كلمة الجري فَقَدْ، وكلمة التطبيق مِنْ إضافات الأعلام مَعَ أنَّ المصداق

والتطبيق هُوَ أحد موارد الجري لا كُلّ موارد وأقسام الجري، ولكن الأعلام حصروه بالتطبيق، هَذَا بحسب ما هُوَ المشهور عندهم.

والصحيح الذي تتبناه النظرية الثانية فِي قاعدة الجري حسب منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القرآن هُوَ عدم حصر الجري ـ كَمَا فعل المشهور بحصره ـ وإنَّما التطبيق هُوَ أحد ميادين الجري، بَلْ وَحَتّى ترسيم الدلالة فِي الآيات القرآنية لَهُ علاقة وطيدة الصلة بقاعدة الجري.

ولذا يمكننا أنْ نجري ترميماً لاسم القاعدة وفق منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المحكمات ونقول: «**الجري فِي كُلّ مِنْ المعاني وكذلك الحقائق وكذلك المصاديق**» وَهَذَا الاسم ـ كَمَا ذكرنا ـ لَيْسَ بعيداً عَنْ ترجمان القرآن وَهُمْ أئمة أهل البيت عليهم السلام الَّذِيْنَ هُمْ منبع ومعدن آخر مِنْ القرآن الكريم الَّذِيْنَ ذكروا لنا فِي بياناتهم مناهج تفسيرية عديدة فِي القرآن الكريم نذكر بعضها: ـ

منها: علم تعبير القرآن الذي هُوَ مِنْ علوم القرآن وَهُوَ حقائق لا تعبير أحلام، فالله تَعَالَى يأمر بالعبور مِنْ معنى جدّي إلى معنى جدّي آخر وآخر وَإلى ما وراء الجدّ جدٌّ، وهكذا لا خلود إلى الأرض وَعَلَيْهِ فيمكن التعدي والعبور مِنْ قوله تَعَالَى: ﴿**فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي**

ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] وقوله تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾[2] وغيرهما إلى مَنْ لَمْ يكن موجوداً فِي عصر النصّ، وَلَمْ يكن منشأ للنزول، إِلَّا أَنَّهُ مُتوفّر عَلَى نفس تداعيات وخصوصيات الأمر الذي نزلت فيه الآية فيمكن حينئذٍ التعددي والعبور، فمثلاً البيانات النبوية فِي القرآن، كَمَا فِي بيان مريم بنت عمرانعليها السلام لَيْسَ المراد الجدي للآية المباركة فَقَطْ وَفقَطْ شخص وَذَاتَ مريم بنت عمرانعليها السلام؛ لِأنَّ القرآن دائماً، وأبداً يُؤكِّد عَلَى العبور مِنْ مورد الآية إلى كُلّ موردٍ تتوفر فيه نفس الخصائص، وأنَّ كُلّ ما ذُكِر مِنْ الآيات مِنْ مصاديق هُوَ مِنْ باب المثال، ويمكن العبور إلى غيره، ولكن وللأسف لو لاحظنا جميعاً كتب المتكلمين وبقيّة المذاهب الإسّلاميَّة و ... الخ، نجدهم لَمْ يعبروا مِنْ المثال الذي ذكره القرآن الكريم كَمَا فِي مثل قصّة مريمعليها السلام ويوسفعليه السلام وموسىعليه السلام وعيسىعليه السلام و ... الخ فِي بعده العقائدي إلى قاعدة عقائدية فِي الإسلام إِلَّا فِي مدرسة أهل البيتعليهم السلام، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير لها فضاء ومساحة أخرى مِنْ نظام عالم الاستعمال وَعَلَيْهِ فبحسب النظرية الثانية يمكن العبور والتعدي إلى المصداق الأعظم الذي تتعدى إليه الآية المباركة بالمُراد الجدي الثَّانِي والثالث و ... الخ ولا تنافي ويمكن العبور

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧.

مثلاً مِنْ قوله تَعَالَى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ إلى الجمال المحمدي والعلوي والفاطمي والحسني والحسيني و ... والمهدوي ـ صلوات الله علهيم أجمعين ـ كَمَا سوف تتّضح كيفية ذَلِكَ العبور فِي محله المُنَاسِب. وَمِنْ خلال هَذَا يُعلَم أَنَّ ما ذهب إليه المشهور مِنْ اختصاص الجري بمعنى التطبيق فِي موارد لَيْسَ فِي محله لِأَنَّ الجري أعمّ مِنْ التطبيق.

ومنها: علم تأويل القرآن: وَهُوَ عَلَى أنواع مختلفة فِي المشارب والمدارس، فَمِنْهُ تأويل المعنى إلى معنى، بَلْ وَإلى معاني مترامية، وَمِنْهُ ما هُوَ تأويلٌ وأوْلُ معاني إلى حوادث ووقائع خارجيّة، وَمِنْهُ ما هُوَ تأويل وقائع وحوادث لوقائع وحوادث وراءها أخرى وهكذا ثالثة ورابعة ... الخ متداعية، وَقَدْ يتّسع هَذَا التداعي والتمادي مِنْ عالم إلى آخر وَإلى نشأة أخرى، وَمِنْهُ ما يكون أوَّل مِنْ الحقائق إلى المعاني وإنْ كَانَ الأخير قَدْ يُسمّى بالتنزيل أو الترجمان أو علم التعبير أيضاًن وَمِنْ جملة ما مضى مِنْ أقسام التأويل ما قَدْ يُسمّى بعلم تأويل الأحاديث.

ومنها: علم تنزيل القرآن: ـ وَهُوَ يختلف عَنْ تفسيره وتعبيره وتأويله وترجمانه، وعلم التنزيل بالدرجة الأولى يبحث عَنْ موارد وأسباب النزول والواقع الَّتِي نزلت فِي شأنها الآيات والسور، وما اكتنف تلك الوقائع والأحداث مِنْ ملابسات كَمَا يبحث عَنْ الحيثية الَّتِي

نزلت بلحاظها الآية أو بَعْض الآية، كَمَا يبحث علم التنزيل عَنْ تكرّر نزول الآية وتعداد تلك المواطن وجهة الارتباط بينها، وَقَدْ يلحق بعلم التنزيل علم تلاوة القرآن أيّ علم تلاوة الآية فِي حاق مواطنها المستجدّة كُلّ عام، بَلْ كُلّ يَوْم وَكُلّ حين مما يشير إليه لفظ الزيارة فِي وصف الإمام عليه السلام «**وتلوت الكتاب حق تلاوته**» أيّ حق المواطن الحقيقية أيّ المستحقة بتطبيق الآية عَلَيْهَا.

خامساً: هُنَاك حقيقة لا بأس بالإشارة إليها وَهِيَ أَنَّ أهل البيت عليهم السلام ليسوا فَقَطْ تراجمة القرآن، بَلْ تراجمة الكتب السماويّة كُلُّها، بَلْ تراجمة كُلّ وحي أُوحي للأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وَذَلِكَ لِأَنَّ القرآن مُهيمنٌ عَلَى كُلّ الكتب السماوية مِنْ قبله، فَعِلْمُ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله يفوق علم جميع الأنبياء وَلَمْ يَرِثْ هَذَا العلم الوحياني لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله بكامله إلَّا أهل البيت عليهم السلام بنصّ القرآن الكريم فِي سور وآيات عديدة، ونصّ حديث الثقلين.

وَهَذَا معناه أَنَّ الأنبياء إِذَا أرادوا أَنْ يقتنصوا لُبَّ ما أوحيَ إليهم المفروض يتلقوا ذَلِكَ مِنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام وَهَذَا هُوَ معنى حديث مسعدة بن صدقة عَنْ الإمام الصادق عليه السلام «**إِنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستدير محكم القرآن وبها**

نَوَّهت (يوهب) الكُتب ويستبين الإيمان»(١).

سادساً: دلَّت الآيات والروايات عَلَى أنَّ القرآن الكريم فيه تأويل، وفيه تنزيل ولا تنحصر آياته المباركة فِي أحدهما دون الآخر، وَكُلّ مِنْ التأويلات والتنزلات متعدّدة كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾(٢). بتقريب: أنَّ للقرآن تأويلات تمتدّ إلى يَوُم القيامة وَكَمَا سيتضح مِنْ خلال البحث أنَّ بَعْض موارد الآية ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ أشير به إلى عالم يَوُم القيامة أو عالم الجنة أو عالم النار أو ... الخ، وَهَذَا يدلل عَلَى أنَّ للقرآن تطبيقات لا تقتصر عَلَى حقيقة زمان عالم الدُّنْيَا ولا تنحصر به، بَلْ تمتدّ وتشمل عالم البرزخ والجنَّة والنَّار، وكيف لا والقرآن يعالج المَعْرِفة حول أكبر حقيقة ـ أيّ أكبر مِنْ الدُّنْيَا ـ والآخرة والعوالم الأخرى ـ ألا وَهِيَ حقيقة التوحيد والرَّب الواحد الأحد الذي يحيط بكُلِّ العوالم إحاطة وجودية حقيقية لا إحاطة جسمانيّة، وَعَلَيْهِ فشمولية القُرآن هِيَ كَذَلِكَ مِنْ هَذَا القبيل عظيمةٌ. وَهَذَا لا محالة له صلة وطيدة بقاعدة الجري كَمَا سيأتي وَمِنْ دعامات هَذِهِ القاعدة.

سابعاً: إنَّ البحث فِي قاعدة الجري في التعبيرلا التطبيق تلك القاعدة القرآنية هِيَ وجهٌ آخر لبحث التأويل والتنزيل أو الظهور والتأويل الَّتِي هِيَ إحدى القواعد المتفرِّعة والمُتشعبة عنه قاعدة الجري

(١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٨ ح٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

والتطبيق، وكذلك قاعدة الجري والتطبيق متفرِّعة عَنْ القواعد المتقدِّمة مثل قاعدة التعريض والالتفات وإيّاك أعني واسمعي يا جارة و ... الخ؛ لِإنَّهُ تَقَدَّمَ فِي بحث القاعدة الأولى قاعدة التعريض أنَّ التعريض لَيْسَ مجرد قاعدة وإنما هُوَ فِي الواقع نظام يتشعب مِنْهُ قواعد أحد أهم تلك القواعد هُوَ قاعدة الظهور والتأويل وقاعدة الجري والتطبيق و ... الخ.

إذَنْ القرآن كَمَا لَهُ تأويل كَذَلِكَ لَهُ تنزيل ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾[1].

وَعَلَيْهِ فقاعدة الجري والتطبيق (والتعبير) مرتبطة بأصل حجيّة القرآن الكريم وَأَنَّهُ حُجَّة مُفَعَّلَة لا مُعَطَّلة، وَمِنْ خلال هَذَا تبيَّن أنَّ البحث فِي قاعدة الجري لَيْسَ باختيار المفسر والباحث الكريم كلا، وإنما لزاماً عَلَى المُفَسِّر أنْ يختارها؛ لِأنَّ الالتزام والتمسُّك بقاعدة الجري والتطبيق هِيَ أحد أسباب ونوافذ إحياء القُرآن وتركها تعطيل له، كَمَا نَبَّهت عَلَيْهِ روايات أهل البيت عليهم السلام، وَهَذِهِ القاعدة فِي الحقيقة هِيَ مِنْ المعاجز العلميّة الَّتِي أسس تعليمها وتبيانها أهل البيت عليهم السلام فِي دين الإسلام، وإنْ كَانَ تفعيل القُرآن وأثماره للنور والهداية لدرب البشر لا ينحصر بباب ونافذة واحدة وإنما هُنَاك أبواب ونوافذ عديدة لذلك، وأحد تلك الأبواب المُهِمَّة جداً فِي آيات وسور القرآن هِيَ هَذِهِ القاعدة الشريفة والخطيرة الَّتِي نحن بصددها، وَهِيَ قاعدة الجري والتطبيق.

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٠.

لا يُقَال: إنَّ ما قصّه لنا القرآن فِي سورة يوسفعليه السلام وغيرها مِنْ القصص القرآنية فِي الأمم السابقة، وهكذا ما ذكره أئمة أهل البيتعليهم السلام فِي التفسير المأثور لآيات القرآن إنَّهُ قَدْ مضى وتصرَّم ولا صلة لنا به.

فَإِنَّهُ يُقَال: إنَّ كُلّ ما ذكره القُرآن فِي سورة يوسفعليه السلام وغيرها وكذا بيانات اهل البيتعليهم السلام يمكن استثمارها الآن وفي المستقبل وأنّها غَيْر مُختصّة بِمَنْ كَانَ حاضراً وقت نزول الآية وإنَّما يمكن العبور والتعدّي إلى كُلّ مورد واحد لنفس خصائص ساعة نزولها ولا ينحصر التطبيق بذلك. فمثلاً ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ هِيَ غَيْر مختصّة بيوسفعليه السلام وأخوته، وإنَّما يمكن استثمارها الآن وتطبيقها بما يتلائم ومقامها، وَهَذَا دليل ساطع البرهان لقاعدة الجري والتطبيق.

وهكذا قوله تَعالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾[1]. فالآية عَبَّرت (العبرة) أيّ عبور حقيقي وَلَيْسَ مجاز عقلي ـ لغيرها مِنْ الموارد الأخرى ولا تجمد عَلَى موردها ولا تتجاوزه إلى غيره، فَإنَّ هَذَا لَيْسَ نسج خيال أو دراما وإنَّما هِيَ حقائق وقعت بَلْ تجاوزه وتحرَّك عَلَى وفق رؤية وبصيص نور هَذِهِ الآيات أو القصص خذها واعبر إلى موارد متجددة. وَهَذِهِ الآيات فِي سورة يوسف وغيرها هِيَ أحد أدلّة القَاعِدَة.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

قاعدة الجري بمعنى تطبيق أو تعيين

لها مساس بصميم مغزى آيات القرآن الكريم

ومرتبطة بعظمة القرآن

لا يخفى عَلَى المُفسِّر والباحث المتتبع أهمية وخطورة قاعدة الجري والتطبيق وما لها مِنْ أثر مسيس وصميمي بحياة ومغزى آيات وسور القُرآن الكريم، فالأمويون وتبعهم العباسيّون، أرادوا الجمود عَلَى قصص القُرآن وَلَمْ يتعدّوا إلى غيرها ويستثمروها وأرادوها محطّة استقرار وركود وجمود، بينما الواقع النظري والعملي لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير يقول لأمثال هؤلاء إنَّ آيات القُرآن جوّها جوّ محطّة عبور واستراحة لا محطة استقرار، ويمكننا أنَّ نستفيد منها فِي غير موردها، وَعَلَيْهِ فَإنَّ قاعدة الجري والتطبيق مرتبطة بعظمة القُرآن الكريم أكثر مِنْ ارتباطها بعلم التفسير وبقيّة علوم القُرآن سواء علوم التأويل أو علم التعبير أو علم لطائف القُرآن أو علم إشارات القُرآن أو حقائق القُرآن أو علوم ترجمان القُرآن و ... الخ، وإنْ كَانَ جُلُّ هَذِهِ العلوم لَمْ يُحطّ بتمامها وغورها إلَّا سيد الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَمِنْ بعده عترته الطاهرين.

وَلَمْ يخض بها بقيّة علماء الأُمَّة مِنْ المسلمين لأنَّها علوم تتكأد كاهل الإنسان الباحث والمفسر وتحتاج إلى قدرة ربانيّة ومدد إلهي، ويكون بالتالي الجري والتطبيق عبارة عَنْ جري مدلول الآيات فِي آفاق وسيعة تطبيقية بَلْ تنظيرية لا تقف عِنْدَ حَدٍّ.

وَبَعْدَ هَذِهِ المقدمة يقع الكلام فِي ضمن أُمُور:

الأمر الأول: معنى القاعدة:

مِنْ خلال ما ذكرناه فِي المقدمة تبيّن معنى القاعدة وملخّصه وَلابُدَّ مِنْ معرفة ضابط التنظير وضابط الجري والتطبيق، وإنْ كُنّا ذكرنا فِي المقدمة أنَّ الجري أعم مِنْ التطبيق ـ وَهُوَ أنْ يُقَال: ـ

التنظير هُوَ ذَلِكَ المعنى الذي لَمْ يؤخذ به النظر إلى نسبة شخصانية المصاديق أو أفراده فِي مقام الاستعمال، وَعَلَيْهِ فالتنظير مجرد إرادة استعمال كليّة أو تفهيمية كليّة أو جديّة كليّة مِنْ دون نظر إلى المصاديق وشخصها فِي مقام الاستعمال، وَهُوَ بمثابة عالم الجعل والتشريع فِي علم الأصول إنْ صحَّ التنظير.

وبعبارة أُخرى: يكون التنظير عَلَى صعيد الدلالة والمدلول والمعاني فِي مرحلة المعنى التصوري أو المعنى التفهيمي أو الاستعمالي أو الجدّي، فالمعنى الجدّي هُوَ أيضاً معنى تنظيري ورواية كليّة للآية والمسترشد بنور القُرآن فِي مقام التطبيق يطبقها تطبيقات عديدة.

وَمِنْ خلال هَذَا يُعرف أنَّ مقام الرؤية النظرية لآيات القُرآن

الكريم وتنظير المعنى دائماً كُلياً، هَذَا كله بحسب النظرية الأولى المشهورة وسيأتي تقرير ضابط التنظير حسب النظرية الثانية.

التطبيق: وَهُوَ بمثابة عالم الامتثال فِي تنجيز الأحكام ـ كَمَا فِي المصطلح الأصولي وبمثابة التنفيذ والإجراء فِي عالم القانون وسببه ما يُقَال فِي علم القانون إنَّ المُقنن حين التقنين لَيْسَ غرضه استعمال مصداق خاص لتطبيق هَذِهِ المعادلة الكليّة الَّتِي قنّنها وتطبيقها عَلَى مصاديقها فذاك أمرٌ بيد الأخصائيين، وأهل الخبرة فِي ذَلِكَ المجال يطبقونها ـ المصاديق ـ وفق ضوابط معينة، هَذَا بحسب النظرية الأولى وَكَمَا سيأتي فَإِنَّ التنظير والتطبيق لهما معنيان آخران، مغايران لهذا المعنى المعهود، وإنما سوف يتّضح معناهما بَعْدَ الخوض فِي تفسير النظرية الثانية.

الأمر الثانِي: مدرك القاعدة:

هُنَاك جملة مِنْ الآيات والروايات نذكرها كمدرك لهذه القاعدة.

أمَّا الآيات وَهيَ عَلَى طوائف[1] كَمَا يلي:

الطائفة الأولى: ما دلَّت عَلَى أنَّ للقرآن تأويل وحقائق لذلك التأويل:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[2].

---

(١) وإنْ كان قد تقدم جملة من الآيات الدالة على مفاد القاعدة وتبيان ذلك وستأتي تتمة من الآيات على ذلك في تضاعيف الأبحاث.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾[1] وغيرها.

بتقريب: إن التأويل ومراتبه المترامية تعاقباً تعتبر ـ كما سياتي في مباحث قواعد عديدة ـ من مراتب مدلولات الكلام طبق موازين وضوابط، فيكون الكلام دالّاً عليها بضميمة تلك الموازين، وبذلك تكون الآية جارية في معاني عديدة، هذا فضلاً عن التأويل الذي هو بلحاظ الوقائع والحقائق العينية المتجدّدة وقوعاً فإنه جري في الوقائع.

الطائفة الثانية: ما دلَّت على أن القرآن عِبَرٌ وأمثال وأن آياته آيات للسائلين أي أجوبة شافية، كما في الآيات التالية: ـ

١ ـ قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾[2].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾[3].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[4].

بتقريب: فَإنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير وإنْ كَانَ تختلف عَنْ قاعدة الأمثال ـ الَّتِي سيأتي بحثها ـ إِلَّا أنَّ مادّة وعنوان العِبْرَة واحدٌ أيّ بالعبور مِنْ معنى كصورة ممثلة إلى معنى أو إلى حقيقة وراءها

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧.

(٣) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٤) سورة يوسف: الآية ١١١.

فالعبور بخلاف الوقوف، والعِبْرَة بخلاف الوقفة وكذلك الأمثال للانتقال إلى الممثل لَهُ ولا يخفى أنَّ الأمثال أيضاً تترامى.

الطائفة الثالثة: الدَّالَّة عَلَى تلاوة القُرآن حقّ تلاوته، كقوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾[1].

بتقريب: أيّ حَقُّ المَواطِنِ الحقيقية المستحقّة بتطبيق الآية عَلَيْهَا، والمراد مِنْ التلاوة هُنَا ليست التلاوة اللفظية وتجويد الصوت بَلْ المراد هُوَ قراءة معنى وحقيقة الآية فِي المورد والمصداق والتطبيق الحقيقي بأن تتنزل فيه الآية فكأنه قرآن نازل فِي ذَلِكَ المورد ابتداءاً كمورد النزول الأوَّل.

وَهَذَا نحو جري لتكرّر نزول الآية لِكُلِّ ما يُستجد مِنْ حوادث ووقائع، وَهَذَا ما أكّدته رواية المعلى بن خنيس، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السلام فِي رسالة: «**فَأمَّا ما سألت عَنْ القُرآن، فَذَلِكَ أيضاً مِنْ خطراتك المتفاوتة المختلفة؛ لِأنَّ القُرآن لَيْسَ عَلَى ما ذكرت ... وإنّما القُرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حقّ تلاوته وَهُمْ الَّذِيْنَ يؤمنون به ويعرفونه ... الخ**»[2].

وأمَّا الروايات: نذكر جملةً منها مَعَ الإشارة إلى دلالتها عَلَى قاعدة

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢١.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١٩٠، ب١٣ من أبواب صفات القاضي: ح٣٨.

الجري بمعنى التطبيق أو التعبير إجمالاً وأمّا تفصيلاً فسيتّضح مِنْ خلال تضاعيف الكتاب.

الرواية الأولى: ... مُحمَّد بن الحسين عَنْ مُحمَّد بن إسماعيل عَنْ منصور بن يونس عَنْ ابن أُذينة عَنْ فُضيل بن يسار، قَالَ: سألت أبا جعفرعليه السلام عَنْ هَذِهِ الرواية: ـ ما مِنْ القُرآن آية، إلّا ولها ظهر وبطن، قَالَ: **«ظهره (تنزيله) وبطنه (تأويله)، وَمِنْهُ ما قَدْ مضى وَمِنْهُ ما لَمْ يكن، يجري كَما تجري الشمس والقمر كُلّ ما[1] جاء تأويل شيء[2] يكون عَلَى الأموات، كَما يكون عَلَى الأحياء، قَالَ الله تَعالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ نحن نعلمه»**[3].

بتقريب: إنَّ الإمام الباقرعليه السلام بيَّن فِي هَذِهِ الرواية عِدَّة أُمُور:

الأمر الأوّل: إنَّ آيات القُرآن تجري بأنْ تتجدّد وتتناسب مَعَ ما يناسب المخلوقين فِي كُلّ زمان إلى يَوْم الدين كجريان الشمس والقمر، فَكَما أنَّ الشمس والقمر يجريان ويتناسبان مَعَ كُلّ زمان ومكان بتبدّل أبراجهما مِنْ المشارق والمغارب ومنازل القمر وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تتناسب مَعَ المخلوقين فِي كُلّ زمان ومكان.

الأمر الثَّانِي: إنَّ آيات القُرآن كُلّما جاء فيها تأويل يكون عَلَى

---

(١) في المصدر (كما).

(٢) في المصدر زيادة: منه.

(٣) الوسائل: ج٢٧ ب١٣ من أبواب صفات القاضي ص١٩٦ ح٤٩.

الأموات فَهُوَ يكون كَذَلِكَ عَلَى الأحياء، وَعَلَيْهِ فتأويل آيات القُرآن شاملٌ للأموات مثلما هُوَ شامل للأحياء.

الأمر الثَّالِث: إنَّ آيات القُرآن فيها مِنْ التجدّد والتناسب والتناغم مَعَ كُلّ متطلبات المخلوقين فِي كُلّ زمان ومكان تجري الشمس والقمر والليل والنهار، فإنَّها تتناسب مَعَ كُلّ ذَلِكَ كَمَا يتناسب تجدّد الشمس والقمر كآيتين تكوينيتين نيّرتين بضيائهما ونورهما وتجدّد حاجة البشر إليهما فِي كُلّ يَوْم، بَلْ فِي كُلّ حين ولا يبلوان كَذَلِكَ آيات القُرآن، وَكُلّ ذَلِكَ يجري بعلم الإمامعليه السلام؛ لِإِنَّهُ قَالَ فِي تفسير قوله تَعَالَى ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ**﴾[1] نَحْنُ نعلمه.

الرواية الثانية: عَنْ أحمد بن مُحَمَّد البرقي عَنْ المرزبان بن عمران عَنْ إسحاق بن عمّار، قَالَ: ـ سمعتُ أبا عبداللهعليه السلام يقول: «**إنَّ للقُرآن تأويلاً، فَمِنْهُ ما قَدْ جاء، وَمِنْهُ ما لَمْ يجيء فإذا وقع التأويل فِي زمان إمام مِنْ الأئمة عرفه إمام ذَلِكَ الزمان**»[2].

بتقريب: ـ أنَّ صفة التجدّد والجريان وعدم الوقوف والتوقّف لمدّة ثانية واحدة للقُرآن ولا تبلى آياته وأنَّ القُرآن دائماً فِي صفة تجدّد، وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ فَإنَّ الهداية والإنذار مستمرة لِكُلِّ المخلوقين وَغَيْر متوقّفة ولا تتوقف إلى قيام الساعة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١٩٦، ب١٣ من أبواب صفات القاضي: ح٤٧.

الرواية الثالثة: عَنْ عبدالرحيم القصير، قَالَ: ـ كُنْت يوماً مِنْ الأيام عِنْدَ أبي جعفر عليه السلام فَقَالَ: «**يا عبدالرحيم قلتُ لبيك قَالَ: ـ قول الله ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ إذْ قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا المنذر وعلي الهادي وَمَنْ الهادي اليوم؟ قَالَ فمكثتُ طويلاً ثمَّ رفعتُ رأسي فقلت: جعلتُ فداك هِيَ فيكم توارثوها رجل فرجل حَتّى انتهت إليك، فَأَنْتَ جعلت فداك الهادي، قَالَ: صدقت يا عبدالرحيم: إنَّ القُرآن حيٌّ لا يموت والآية حيَّةً لا تموت فلو كانت الآية إذَا نزلت فِي الأقوام ماتوا فمات القُرآن ولكن هِيَ جارية فِي الباقين كَما جرت فِي الماضين، وَقَالَ عبدالرحيم، قَالَ أبو عبدالله عليه السلام إنَّ القُرآن حيٌّ لَمْ يَمُت، وَأَنَّهُ يجري كَما يجري الليل والنهار، وَكَما تجري الشمس والقمر ويجري عَلَى آخرنا كَما يجري عَلَى أوّلنا**»[١].

بتقريب: إنَّ الرواية صريحة فِي جري آيات القُرآن لكنَّ الكلام هل المراد جري المعنى الكُلِّي فِي المصاديق كَما هُوَ مقتضى النظرية الأولى، أو أنَّ المراد جري الاستعمال فِي حقائق متتاليّة وجري التفهيم والدلالة فِي معاني متعاقبة كَما هُوَ مقتضى النظرية الثانية بنحو تكون الإرادة الجديّة فِي الأصل منطبقة عَلَى الموارد كمعاني لا كمصاديق.

الرواية الرابعة: علي بن إبراهيم عَنْ مُحَمَّد بن أبي عمير عَنْ ابن أُذينة عَنْ بُريد العجلي عَنْ أبي جعفر عليه السلام فِي قول الله عز وَجَلَّ **﴿إِنَّمَآ أَنتَ**

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٧٩، ح٦؛ بحار الأنوار: ج٣٥، ص٤٠٣، ح٢٠.

مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله: «المنذر وَلِكُلِّ زمان مِنّا هاد يهديهم إلى ما جاء به النَّبِيّ صلى الله عليه وآله ثمَّ الهداة مِنْ بعده عليٌّ ثمَّ الأوصياء واحداً بَعْدَ واحد»[(١)].

الرواية الخامسة: الحسين بن مُحَمَّد الأشعري عَنْ المعلى بن مُحَمَّد عَنْ مُحَمَّد بن جمهور عَنْ مُحَمَّد بن إسماعيل عَنْ معدان عَنْ أبي بصير قَالَ: ـ قلت لأبي عبدالله عليه السلام ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المنذر وعلي الهادي، يا أبا مُحَمَّد هل مِنْ هاد اليوم؟ فقلت بلى جعلت فداك ما زال منكم هادٍ مِنْ بَعْدَ هاد حَتّى دُفِعَتْ إليك فَقَالَ رحمك الله يا أبا مُحَمَّد لو كانت إذَا نزلت آية عَلَى رجل ثمَّ مات ذَلِكَ الرجل ماتت الآية مات الكتاب، ولكنّه حيٌّ يجري فيمن بقي كَمَا يجري فيمن مضى»[(٢)].

الرواية السادسة: ما وَرَدَ فِي تفسير العيّاشي بإسناده عَنْ أبي جعفر عليه السلام «... ولو أنَّ الآية إذَا نزلت فِي قوم ثمَّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي مِنْ القُرآن شيء ولكن القُرآن يجري أوّله عَلَى آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية يتلونها هُمْ منها مِنْ خير أو شر»[(٣)].

الرواية السابعة: بإسناد العياشي عَنْ الفضيل بن يسار، قَالَ:

---

(١) أصول الكافي: ج١، ص١٩١، ح١؛ تفسير نور الثقلين للعروسي: ج٣، ص٤١٧، ح٢١.

(٢) أصول الكافي: ج١، ص١٩٢؛ تفسير نور الثقلين للعروسي: ج٣، ص٤١٧، ح٢٢.

(٣) تفسير العيّاشي: ج١، ص٨٥، ح٧.

سألتُ أبا جعفر عليه السلام **عَنْ هَذِهِ الرواية ما فِي القُرآن آية إلَّا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلَّا وَلَهُ حدّ ولكل حدّ مطلع ما يعني بقوله: لها ظهر وبطن؟ قَالَ ظهره تنزيله وبطنه تأويله مِنْهُ ما مضى وَمِنْهُ ما لَمْ يكن بعدُ يجري كَمَا يجري الشمس والقمر كُلّما جاء مِنْهُ شيء وقع، قَالَ الله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ نَحْنُ نعلمه»**[1].

الرواية الثامنة: أحمد بن مُحَمَّد بن خالد البرقي فِي (المحاسن) عَنْ الحسن بن علي بن فَضَّال، عَنْ ثعلبة بن ميمون، عمن حدثه عَنْ المعلى بن خنيس قَالَ: ـ قَالَ أبو عبدالله عليه السلام: ـ فِي رسالة: ـ **«فَأَمَّا ما سالت عَنْ القُرآن، فَذَلِكَ أيضاً مِنْ خطراتك المتفاوتة المختلفة؛ لِأَنَّ القُرآن لَيْسَ عَلَى ما ذكرت وَكُلّ ما سمعت فمعناه (عَلَى) غَيْر ما ذهبت إليه، وإنّما القُرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حقّ تلاوته، وَهُمْ الَّذِيْنَ يؤمنون به ويعرفونه ... الخ»**[2].

هَذِهِ الروايات المستفيضة وغيرها الَّتِي اشتملت عَلَى تفسير الآيات المباركة تُؤَكِّد عَلَى أَنَّ أحد دعائم حياة القُرآن الكريم هِيَ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير، وَهِيَ القاعدة الأساسية البنيوية فِي بيانات أهل البيت عليهم السلام والمجدّدة لحياة القُرآن الكريم لتجدّد تغطية القُرآن الكريم لك لحقب ومراحل حياة البشر وأطرافها، إلَّا أَنْ يُجعل

---

(١) تفسير الصافي: ج١، ص١٩، المقدمة الرابعة.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص١٩٠ ب١٣، من أبواب صفات القاضي: ح٣٨.

مِنْ القُرآن كتاباً مُعطّلاً ـ ـ والعياذ بالله ـ لو لَمْ يتّصف الكتاب العظيم بهذه المواصفات، وإنَّ أعظم شيء فِي القُرآن هُوَ أَنَّهُ كتاب حيٌّ مِنْ الحيّ القيّوم العظيم بهذه المواصفات، وإنَّ أعظم شيء فِي القُرآن هُوَ أَنَّهُ كتاب حيٌّ مِنْ الحيّ القيّوم إلى الحياة، وَهَذَا معناه أمَّا القُرآن يُبدي حياةً لدى الكائنات والمخلوقات مِنْ الحي الذي لا يموت.

الرواية التاسعة: مُحَمَّد بن علي بن بابويه قَالَ حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي، قَالَ: حدّثني مُحَمَّد بن يحيى الصولي، قَالَ حدّثني القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان قَالَ: سمعت إبراهيم بن العباس يُحدِّث عَنْ الرضاعليه السلام عَنْ أبيه موسى بن جعفرعليه السلام **«أنَّ رجلاً سأل أبا عبداللهعليه السلام ما بال القُرآن لا يزداد عِنْدَ النشر والدرس إلَّا غضاضة[١] ؟ فَقَالَ لِأنَّ الله تَعَالَى لَمْ يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فَهُوَ فِي كُلّ زمان جديد وَعِنْدَ كُلّ قوم غضّ إلى يَوُم القيامة»**[٢].

تنبيه: سيأتي إنْ شاء الله تَعَالَى فِي نظام قواعد وأصول التفسير فِي النظام المعنوي ـ نظام عالم المعنى ـ فِي القُرآن الكريم أنَّ أعظم مدار فِي حُجّية القُرآن أَنَّهُ كتابٌ حيٌّ وحيوي لا يعطل أبداً وَأَنَّهُ مُفَعَّل وبه يعطي الله ويأخذ، وبه يُثيب وبه يعقاب، وأنَّ القُرآن كَانَ ولا زال إلى يَوُم الدين

---

(١) وشيء غضّ: أي طري .. مجمع البحرين مادّة غضض.

(٢) عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢، ص٩٣ ح٣٢؛ والبرهان في تفسير القرآن ـ هاشم البحراني: ج١، ص٧١، م/ ١٣ ح٣.

هُوَ الميزان بين الخالق والمخلوقين وتتفرع عِدَّة بحوث مُهمّة عَنْ بحث أنَّ القُرآن حجة حيّة لا يعطل وَأَنَّهُ مِنْ ضروريات الدين وضروريات منهاج أئمة أهل البيتعليهم السلام وأحد أهم تلك البحوث هُوَ بحث: ـ

نفي التحريف عَنْ القُرآن: ـ وَهَذَا مِنْ المباحث الَّتِي كثر فيها اللغط العلمي ودعاوى التحريف، وَعَلَيْهِ فالميزان الطارد لبحث التحريف وغيره هُوَ أنَّ القُرآن حجة حيَّة لا يُعطّل وَأَنَّهُ دائماً مفعلٌ، وأنّه حبل ممدود مِنْ السماء طرفٌ بيد الناس، وَأيّ ناس يعنون بذلك؟ هُمْ أهل كُلّ جيل مِنْ البشر، وطرف مِنْ عِنْدَ الله، وَعَلَيْهِ فَمِنْ يُنكر أنَّ القُرآن حجة حيّة فَقَدْ خرج مِنْ ربقة الدين الإسلامي الحنيف، هَذَا مِنْ جانب.

وَمِنْ جانب آخر فرض الأئمة الأطهارعليهم السلام عَلَى ربط النظام الاستعمالي اللفظي فِي القُرآن بمبحث عالم المعنى أيّ النظام المعنوي، وَهُوَ بحثٌ مرتبط بالحجّية وأنَّ حجيّة القُرآن حيّة وَغَيْر معطلة، وليست حجّية القُرآن مختصّة بزمان دون غيره، وبمكان دون آخر.

تفسير لقاعدة الجري والتطبيق أو التغيير

لدى أعلام المفسرين من الفريقين

توطئة:

لو تتبعنا آراء جملة من أعلام المفسرين من الفريقين لقاعدة الجري والتطبيق لوجدناها عندهم تمثّل معنىً كلّي وله عدة تطبيقات ليست مرادة بالأصل وهذه التطبيقات ليست معاني استعمالية وإنَّما صرف مصاديق المراد الاستعمالي للآيات.

إذَنْ المراد الاستعمالي للآيات هُوَ فَقَطْ المعنى الكُلِّي ولا يُراد مِنْ المعنى الكُلي شخصانيّة المصاديق، وتطبيق الآية أو الرواية عَلَى أئمة أهل البيت عليهم السلام هُوَ تطبيق مصداقي لا أنَّ أهل البيت عليهم السلام مرادون مثلاً فِي الآية بشخصهم، وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧﴾[1] فَهَذِهِ الآية قضية كلية وعامة وإرادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مِنْ باب التطبيق لا أنَّ الشخص الشريف لسيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام مراد مِنْ الآية، وإنما هُوَ معنى كلي ويجري تطبيقه عَلَى مواضع

---

(١) سورة الرعد: الآية ٧.

عديدة.

وهكذا نجد أغلب الآيات القرآنية تُستعمل فِي المعاني الكليّة، إلَّا بَعْض الآيات فَإنَّهُ يراد منها الشخص الموجّه إليه الخطاب مثل:

١ ـ قوله تَعَالَى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ...﴾[١].

٢ ـ قوله تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ...﴾[٢].

٣ ـ قوله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾[٣].

٤ ـ قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾[٤].

٥ ـ قوله تَعَالَى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ...﴾[٥].

٦ ـ قوله تَعَالَى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾[٦].

٧ ـ قوله تَعَالَى: ﴿يَٰعِيسَى﴾[٧].

٨ ـ قوله تَعَالَى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[٨].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.
(٢) سورة الإنسان: الآية ٨.
(٣) سورة الحاقة: الآية ٤٤.
(٤) سورة التحريم: الآية ١.
(٥) سورة التوبة: الآية ٤٣.
(٦) سورة القصص: الآية ٣١.
(٧) سورة المائدة: الآية ١١٦.
(٨) سورة مريم: الآية ١٢.

٩ ـ قوله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1] وغيرها.

فَإِنَّ الآيات الَّتِي صَرَّحت بإرادة شخص المخاطب مِنْ نبي أو وصيّ نبي أو أولاد الأنبياء أو مؤمن أو كافر أو ... الخ صَحَّ حينئذٍ التعبير الأصولي فِي المقام مِنْ أنَّ شخص المخاطب مأخوذ عَلَى نحو الموضوعيّة وَأَنَّهُ جزء مِنْ الموضوع وَعَلَيْهِ إذَا لَمْ يتحقق ذَلِكَ الفرد لَمْ يَتِمُّ معنى الآية.

هَذَا بلحاظ بَعْض الآيات.

وأمَّا بلحاظ أغلب الآيات فإنَّها ناظرة إلى كليّة وعموميّة المعنى، وأمَّا المخاطب فَقَدْ ذُكِرَ مِنْ باب المثال وَعَلَى نحو الكشف والطريقية لا الموضوعيّة وَعَلَيْهِ فيمكن التعدّي إلى غيره.

وهكذا الأصل فِي بيانات أهل البيت عليهم السلام وأنها استعملت فِي معنى كُلِّي، هَذَا بحسب النظرية الأولى.

وأمَّا بحسب النظرية الثانية فيمكن أنْ تقول: ـ إنَّ الآيات والروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام، وَالَّتِي فيها خطاب خاص بالنبي صلى الله عليه وآله أو بالوصي أو بفرد خاص، حسب قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب منهج أمومة الولاية شاملة لذلك ولا تقتصر عَلَى موردها،

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٨.

بَلْ تتعداه إلى غيره، فِي حين أنَّ الخصوصية مُرادة كَمَا أنَّ العمومية مُرادة وَذَلِكَ لما سيأتي مِنْ عموم قاعدة الجري عَلَى وفق النظرية الثانية فِي المداليل والمعاني والمصاديق مَعَ أنّها كُلّها مُراده. إلَّا أنَّ جملةً مِنْ مفسرينا أمثال السيد مُحَمَّد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان الذي بنى صرح تفسيره ـ الميزان فِي تفسير القُرآن ـ عَلَى شخصانيّة المصاديق، وملا صدرا والفيض الكاشاني و ... الخ فضلاً عَنْ مفسري العامّة ذهبوا إلى أنَّ الآيات الَّتِي فيها الخطاب موجّه إلى شخص فِي بعضها فَإنَّ مثل السيد العلامةرحمه الله يحصر الخطاب بِهَذَا الفرد ولا يتعدّى إلى غيره، بخلاف ما تذهب إليه النظرية الثانية المختارة حسب منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير.

والخلاصة أنَّ المنهج التفسيري الذي اعتمده السيد العلّامة الطباطبائي وبنى عَلَيْهِ صرح تفسيره الميزان فِي تفسير القُرآن هُوَ أنَّ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير منحصرة بشخصانية الأفراد والمصاديق الموجّه إليها الخطاب، وهكذا مَنْ كَانَ قبل السيد العلامة الطباطبائي مِنْ المفسرين كالفيض الكاشانيرحمه الله صاحب الوافي وغيرهم، وإنْ كَانَ هُنَاك اختلاف بين مناهجهم التفسيرية خاصّة بين الفيض الكاشاني مِنْ جهة، وبين السيد العلامة الطباطبائي وملا صدرا مِنْ جهة أُخْرى، ورغم ذَلِكَ الاختلاف فيما بين مناهجهم التفسيرية إلَّا أنَّ قاعدة الجري والتطبيق عندهم فيها نوع مِنْ التقنية والضبط، إلَّا أَنَّهُ وللأسف مَنْعَهم عَنْ شمول

قاعدة الجري لنمط مِنْ آيات القُرآن الكريم غَيْر مقبول فالآيات الكريمة المتقدمة ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ...﴾. ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا...﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ و ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ و ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ و ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ و ... الخ.

مِنْ أنَّ المنظور فِي هَذِهِ الآيات المباركات وغيرها هُوَ شخص المخاطب، وَهَذَا يمكن تسجيله كتأمل أوّل عَلَى أصحاب المسلك الَّذِيْنَ يقصرون النظر عَلَى شخص المخاطب فِي الآية ولا يتعدّى عَنْ غيره، وسيأتي تفصيله بَعْدَ قليل.

وَبَعْدَ هَذِهِ التوطئة نذكر قاعدتين ذات صلة بقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير.

القاعدة الأولى: الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ.

القاعدة الثانية: هل اللغة ألفاظٌ وأصوات فَقَطْ، أم هِيَ نفس المعنى.

القاعدة الأولى: الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ

معنى القاعدة: يُعبَّر عَنْ هَذِهِ القاعدة فِي كتب الأدب القديمة باسم: خُذ الغايات واترك المبادئ وَهُوَ ما يُعبَّر عنه: بأنَّ الألفاظ وضعت لأرواح المعاني السابحة الكليّة لا لأجسام وأبدان المعاني وقشورها، إذْ الغايات هِيَ الأرواح، واترك المبادئ أيّ اترك الأجسام والأبدان وقشورها وسطوحها وثقلها المادّي.

توضيح ذَلِكَ: إنَّ الله تَعَالَى لَمْ يخلق الأشياء إلَّا لأجل غاية وهدف وراءه وَإلَّا يكون لغواً وعبثاً والباري تَعَالَى منزّه عَنْ اللغوية والعبثية وَكُلّ صفة نقص يُجلُّ عنها.

فمثلاً خلق الإنسان وَهُوَ أعظم مخلوق وراءه غاية وهدف فمثلاً جوارح الإنسان كاليد الغاية منها أمورٌ عِدَّة تؤدى باليد منها البطش أو البسط أو القبض أو ... الخ فَهَذِهِ وغيرها كمال الغاية لليد، وآلة هَذِهِ الغاية الذي يتوصّل باليد إليها هُوَ الجسم، واليد لَمْ توضع للجارحة وإنما هَذِهِ الجارحة هِيَ المبدأ والمنطلق والآلة الَّتِي ينتهي بها البسط أو البطش أو القبض أو ... الخ وَعَلَيْهِ وضعت لنفس قدرة التصرف ونفس حقيقة القبض والبسط وَهَذَا المعنى يكشف اشتباه بَعْض اللغويين عِنْدَمَا قالوا

بأنّ اليد وضعت للجارحة كَمَا فِي أقرب الموارد: ـ بأن [اليَدّ] الكفّ مِنْ أطراف الأصابع إلى الكتف ... وَقَالَ أبو إسحاق اليد مِنْ أطراف الأصابع إلى الكف والصواب إلى الكتف، وَهَذَا قول الزجّاج ... الخ[(١)].

فِي حين قَالَ ابن الهيثم: والعرب تقول: ـ ما لي يَدٌ: أيّ ما لي به مِنْ قوّة ... أيّ ﴿وَهُم أُوْلِي ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾[(٢)] أُولوا القوةّ والعقول، وَقَالَ ثعلب عَنْ ابن الإعرابي: ـ اليدُ: النعمة، واليد ـ القوّة، واليدُ: القدرة، واليد: المِلْك، واليد: السُّلطان، واليد: الطاعة ... الخ[(٣)] وَمِنْ الواضح أنَّ قول أبو الهيثم وقول ثعلب عَنْ ابن الإعرابي محمولٌ عَلَى المجاز أيّ تحمل اليد عَلَى المجازية فيما إذَا استعملت فِي القوّة والأبصار والقدرة والملك والسلطان والطاعة و ... الخ.

وهكذا لفظ [العين] فإنها لَمْ توضع لهذه الجارحة الكريمة والكُرَة الجسمانية، وإنما وضعت للإبصار وما يُبْصَر به أو ما يُدْرَك به المُبْصِرات.

وهكذا [الأذن] فإنَّها ليست موضوعة لهذه الشحمة الجارحة وإنَّما موضوعة للمعنى وَهُوَ مبدأ الاستيفاء الغاية منها وَهُوَ إدراك المسموعات، وَإلَّا لو كانت هَذِهِ الأذن لا يُسمعُ بها فَهِيَ ليست أُذُناً وإنَّما شكل وصورة أذن، وهكذا اليد لو كانت شلّاء، والعين لا يُبصر بها فإنَّها

---

(١) أقرب الموارد: ج٥، مادّة يدي: ص٨٧٩.
(٢) سورة ص: الآية ٤٥.
(٣) معجم تهذيب اللغة للأزهري: ج٤، ص٣٩٧٥.

صورة عين ويد، ولذا اشتبه الحال عَلَى المجسّمة عِنْدَمَا اشتبه اللغويّون فِي أنَّ استعمال اليد مثلاً فِي القوّة والسلطان والمِلك إنَّهُ لَيْسَ بمجاز، ولذا وقع المجسِّمة بمحذور التجسيم الباطل، فِي أنَّ لله تَعَالَى حقيقة يدٌ جارحة يبطش بها ـ والعياذ بالله ـ وعينٌ جارحة يُبْصِرُ بها، وشحمة إذَنْ يسمع بها و... الخ، واستدلَّ المجسِّمة عَلَى ذَلِكَ الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾[1] بتقريب: إنَّ لله تَعَالَى مخلوقات وتلك المخلوقات الكريمة والعظيمة يتصرّف بها الله وَهِيَ مظهر قدرة تصرف الله فيها ويحيط بها تَعَالَى إحاطة تامّة وأجرى تَعَالَى عَلَى يدي تلك المخلوقات قدرة تصرفه بها. لا أنَّ المراد ـ والعياذ بالله ـ كَمَا ذهبت إليه المجسّمة أنَّ لله عينٌ جارحة وجسم كروي يُبصِر بها الأشياء.

وهكذا قوله تَعَالَى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[2] فَإنَّهُ لَيْسَ المقصود ما ذهبت إليه المجسّمة مِنْ أنَّ لله عيناً جارحة يُبْصر بها الأشياء ـ والعياذ بالله ـ كلا وإنَّما المقصود الصحيح هُوَ أنَّ الله تَعَالَى علم يُدْرِك به المبصرات سواء كَانَ علم فِي مقام الفعل أيّ فعل الله أيّ مخلوقاته الَّتِي تكون شاهدة والله مِنْ ورائها محيط بعلم ما تعلم.

---

(١) سورة يس: الآية ٧١.

(٢) سورة طه: الآية ٢٩.

وهكذا قوله تَعَالَى ﴿مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1].

بتقريب: هل أنَّ الله تَعَالَى لَهُ جسم مادّي وهيكل عظمي وقفص صدري و ... حَتّى تكون لَهُ تَعَالَى جنبة طرف مِنْ هَذَا الجسم أو ... الخ؟.

الجواب: كلا، وإنَّما المُراد مِنْ جنب الله أيّ قُرْب الله تَعَالَى لا القرب المكاني ولا القرب الزماني والله خالق لهما ـ للزمان والمكان ـ ولكنّه تَعَالَى فوق الزمان وفوق المكان.

والمُراد: إنَّ هُنَاك مِنْ المخلوقات العظيمة والشريفة عبادٌ مكرمون أودعهم الله أسراره منهم عَلَى قرب مِنْ مشيئة الله وإرادته والعلم برضا الله وسخطه و ... يُقَال عنهم جنب الله لا أنَّهم جزء مِنْ الله ـ والعياذ بالله ـ كَمَا توهمه المجسِّمة فَلَيْسَ لله جسم حَتّى يكونوا جزءاً مِنْه تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علواً كبيراً.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٥٦.

تعريف الشيء بغايته من أكمل تعاريف الشيء

وَمِنْ المؤيدات عَلَى أَنَّ الألفاظ موضوعة لروح المعاني: هُوَ ما ذكره ولاحظه المناطقة مِنْ:ـ[إِنَّ تعريف الشيء بغايته هُوَ مِنْ أكمل تعاريف الشيء].

بتقريب: إِنَّ الشيء تارة يُعرَّف بصورته، وَأُخْرَى بمادته وكلاهما ليسا الصورة الغائية والنهائية مِنْهُ.

بخلاف روح الشيء فَهُوَ شيء آخر، فَإِنَّ حقيقة كُلّ شيء بكماله الأخير يعني غايته؛ ولذا امتاز الإنسان عَنْ الحيوان بكماله الأخير وَهُوَ العقل والروح الإنسانية وَإِلَّا إِذَا عرَّفنا الإنسان بإنَّه جسم مركّب الأعضاء، فَإِنَّ هَذَا تعريف لا يميّز الإنسان عَنْ غيره كالحيوان مثلاً، فَإِنَّ الحيوان أيضاً جسمٌ مركب مِنْ أعضاء نامية وحسّاسة وَلَهُ مقدار مِنْ الإدراك.

وإنّما المائز هُوَ تعريف الشيء ـ كالإنسان ـ بغايته الكمالية الأخيرة الَّتِي يصل إليها ولا يصل إليها غيره كالحيوان وباقي المخلوقات الأُخْرَى.

وهكذا تعريف نبي مِنْ أنبياء الله تَعَالَى كالخاتم مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فإذا عرّفناه بإنه بشر فَقَطْ فَهَذَا تعريف ناقص للنبي ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ

إِلَيَّ ﴾[1] فَهُوَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مبدأ الغاية ودوام فيض الوحي إليه لَمْ ينقطع وَلَمْ يُعبّر القُرآن بـ [أوحي إليَّ] أو [سيوحى إليه] أو .. إنّما عبّر بصيغة المضارع [يوحى] الصالح للاشتراك بين زماني الحال والاستقبال وَلَمْ ينقطع وما انقطع عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الوحي إلى الآن وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي البرزخ وَإلى عالم الآخرة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ خصوصية وميزة يوحى إليه هِيَ أعظم كمال يمكن أنْ يناله المخلوق؛ ولذى عَرَّف الباري تَعَالَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بأنه يوحى إليه، وَهَذَا الوحي دائمٌ ومستمرٌ وَهُوَ تعريف بالغاية النهائية.

والخلاصة: إذَنْ حقائق الأشياء بغاياتها لا بمبادئها المصداقية والتعريف بالمبادئي فَقَطْ تعريف ابتدائي لا نهائي وغايتي، والتعريف الأسدّ والناضج هُوَ التعريف بالنهاية والعاقبة والغاية.

تنبيه: مسألة حقائق الأشياء بغاياتها ليست مختصّة بعلم مِنْ العلوم وَإنّما سارية فِي جميع العلوم سواء الفقه والأصول والحديث والتفسير والمنطق والكيمياء والفيزياء والاجتماع والسياسة والاقتصاد و ... الخ ففي الكل لا تستطيع أنْ تحكم عَلَى الحدث إلّا بعاقبته ومآله ونهاية نتائجه.

وَعَلَيْهِ فحقيقة المعاني بالنهايات والغايات، والألفاظ وضعت لها أيّ لغايات المعاني.

---

(١) سورة فصّلت: الآية ٦.

تأكيد القرآن وأهل البيت عليهم السلام

على قاعدة الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ

أَكَّدَ القُرآن وأهل البيت عليهم السلام وبإصرار عَلَى هَذِهِ النظرية.

أمَّا القُرآن فَقَدْ أَكَّدَ عَلَى ذَلِكَ فِي موارد عِدَّة:

منها: قوله تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[1].

وقوله تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[2].

بتقريب: لَيْسَ المراد مِنْ عمى العيون أيّ عمى العيون الجارحة والمادّية، وهكذا السماع لَيْسَ المراد مِنْهُ السماع بالجارحة أو البطش باليد ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ وهكذا حقيقة الحياة ليست حياة هَذَا البدن المادي للبشر وَإِنَّمَا حقيقة الحياة بحياة الروح، بدليل قوله تَعَالَى: ﴿... وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[3] لَيْسَ المُراد مِنْ إحياء النفس هُوَ

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣٢.

إحياء بدن النفس اللطيف أو بشرة بدن النفس أو هندامها أو إناقتها أو ... الخ وَإِنَّما المراد مِنْ إحياء النفس هُوَ بإحيائها المعنوي والروحي وبغايتها لا بمبادئها أيّ بغايتها مِنْ كَمالها العقلي والقلبي لا البدني والجسماني الغليظ.

العلاقة بين القاعدتين

خذ الغايات واترك المبادئ والجري والتطبيق أو التعبير

هُنَاك علاقة وطيدة بين نظرية خذ الغايات واترك المبادئ وبين قاعدة الجري والتطبيق والتعبير، وَهُمَا اثنان وَلَيْسَ واحداً كَمَا تخيّله البعض مِنْ أنَّهما واحدة، أو بعضهم ذهب إلى جعلها وجهان لعملة وحقيقة واحدة، وَهَذَا التعبير قَدْ يُسلِّم به البعض.

إلَّا أَنَّهُ بالحقيقة شيئان وَذَلِكَ ببيان ـ وَهَذَا البيان استدلَّ به السيد العلامة الطباطبائي لنظريته الَّتِي سوف تأتي ـ

إنَّ الألفاظ وضعت لأرواح المعاني السابحة الكليّة ـ كَمَا مَرَّ ـ وَلَمْ توضع لقشورها وسطوحها وثقلها المادّي، وتقدم ذكر بَعْض المؤيدات مِنْ الكتاب والسنة عَلَى أنَّ الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ، وَعَلَيْهِ: ـ

فَإنَّ هَذَا التفسير لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير وَأَنَّهُ مِنْ الأصل استعمل اللفظ فِي المعنى العام الكلّي وَلَمْ يستعمل فِي حبوسات المصاديق، وما هَذِهِ المصاديق والأمثلة إلَّا تطبيقات، وأنَّ تلك المصاديق هِيَ مِنْ أبرز مصاديق ذَلِكَ المعنى الكُلِّي العام الذي وضعت لَهُ الألفاظ، وأمَّا التمايز بين هاتين القاعدتين فسيأتي بناءاً عَلَى النظرية الثانية فِي تفسير قاعدة الجري.

القاعدة الثانية: هل اللغة ألفاظ وأصوات فقط أم نفس المعنى

إذَا كانت اللغة بمعنى الشيء الدالّ عَلَى شيء آخر فالمعنى أحرى أنْ يكون بياناً ولساناً ولغةً وَلَيْسَ المقصود مِنْ اللسان هَذِهِ العضلة اللحميّة، وَإنّما تبين مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ أَنَّهُ توجد عندنا لغات متعددة، وأنَّ أحد معاني اللغة ما تَقَدَّمَ ـ وَهُوَ دلالة الشيء الدال عَلَى شيء آخر ـ وَهَذَا الشيء يَدُلّ عَلَى المعنى أسرع وأبين مِنْ دلالة الصوت اللفظي بَلْ وَحَتّى اللفظ بمعنى الملفوظ.

إذَنْ المعنى هُوَ قوّة مِنْ قِوى الفكر فِي الإنسان وَهُوَ الذي يُعنى مِنْ الصوت والكلمة الَّتِي يلفظها اللسان الذي هُوَ فَقَطْ لفظ لأنفاسه، وَهَذَا نحو مِنْ أنحاء اللفظ، بينما العقل يلفظ أفكاره وَقَدْ يلفظ قوّة الخيال للشاعر صور ومعاني تنبع منها ـ المخيلة .

بَلْ حَتّى تعبير علماء القانون ما يُعبَر عنه (لغة القانون) وَلَيْسَ المُراد مِنْ القانون أصوات خاصّة وَإنّما المراد مِنْهُ معاني معيّنة. وهكذا لغة الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء و ... الخ وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ المعاني وَهَذَا الحاسوب بأيّ لغة تبرمج فلها نظامها الخاص.

وَهَذَا معناه أنَّ هُنَاك نظاماً يسمى بنظام الدلالة المعينة ونظام بيانات يضعها الباحث بالحاسوب ويُعبّر عنه لغة وبالحقيقة هُوَ لَيْسَ بـ (لغة) صوتية.

والمحصل مِنْ كُلّ هَذَا أنَّ اللُّغَة أو اللَّفْظ أو القول أو اللِّسان أصبح معنى، وَحَتّى نفس لغة وقول ولسان هِيَ أيضاً الأُخْرَى لَمْ توضع للأصوات، وَإنَّما وضعت للمعاني.

عالم المعاني لغة مِن اللغات:

إنَّ عالم المعاني لغة مِنْ اللغات فالمعنى وطبقات المعاني نمط مِنْ اللُّغَة واللغات؛ ولذا سيأتي فِي قواعد التفسير فِي نظام المعاني فِي تفسير القُرآن الكريم تفصيل ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ فَإنَّ هَذِهِ الأقسام المختلفة ـ مِنْ العوالم ليست اللُّغَة اللِّسانية البشرية المشتركة بينها هِيَ اللُّغَة البشرية كلا، إذْ لو كَانَتْ اللُّغَة اللسانية البشريّة فَقَطْ هِيَ اللُّغَة فأين لغة التخاطب بين البشر والحور العين، إلَّا بتقدير لطافة الأصوات فقط إحساس الحواس الدنيوية ليشمل الحواس الجسمانية الأخروية.

وكذا لغة التخاطب بين البشر والملائكة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾[1]. و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٧.

ﭐسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ﴾[1].

إذَنْ مدرسة السَّماء تُؤكِّد عَلَى وجود لغة مشتركة بين الخلائق أجمع مِنْ خلال نظرية الألفاظ وضعت إلى روح المعاني، وخُذ الغايات واترك المبادئ، وأنَّ هُنَاك عناصر ولغة تفاهم وتخاطب بين العالم الربوبي وعالم المخلوقات ـ وَإلَّا نكون معطّلة ـ والعياذ بالله تَعَالَى فِي التوحيد والإيمان وتترتب عَلَى القول بأنّا معطّلون لوازم باطلة وبالتالي لا يقدر البشر عَلَى الإدراك والوصول إلى معنى التوحيد ومعنى العالم الربوبي ولو بأدنى درجات الإدراك، وَعَلَى هَذَا يكون التوحيد مُعطَّل ـ والعياذ بالله تَعَالَى ـ

وببركة نظرية الألفاظ موضوعة لروح المعاني نستطيع التوصّل والإدراك ونملك حظاً مِنْ الوصول والإدراك ولو لأدنى عوالم التوحيد، والحاجة إلى لغة التخاطب لَيْسَ فَقَطْ بين بني البشر وبين كائنات فضائية ـ كَمَا يعبِّرون عنها ـ كعالم الجن والشياطين والملائكة، بَلْ نريد التوصُّل إلى إدراك أعلى وَهُوَ أننا بحاجة إلى لغة التفاهم بين بني البشر وبين العالم الربوبي، بين عالم الخالق وعالم المخلوقين.

إنَّ قُلْت: إنَّ الألفاظ موضوعة لصور جسمانية أرضية فَهِيَ لا تصلح لأنْ تكون لغة تفاهم وتخاطب بين البشر وبين عوالم أُخْرَى سواء العالم الربوبي أو المثالي أو عالم المجرّات أو ... الخ.

---

(١) سورة فصّلت: الآية ٣٠.

قُلْتُ: تَقَدَّمَ إنَّ الألفاظ تستعمل فِي المعاني الكلية وَهَذِهِ المعاني تكون جسر تخاطب وتفاهم بين عوالم ونشآت عظيمة وكبيرة، وَهَذَا مما يدعم نظر السيد العلامة فِي الجري والتطبيق، فإنَّها استعملت بِهَذَا الأفق الواسع والرحب بأنْ يتسع المعنى إلى الأفق، فإنَّها استعملت بِهَذَا الأفق الواسع والرحب بأنْ يتسع المعنى إلى الأفق المبين ولا يُحَدُّ بحدِّ الألفاظ كَمَا وَرَدَ[1] «**يا مِنْ هُوَ بالمنظر الأعلى وبالأفق المبين**» بتقريب أنَّ الأُفق المبين يعني الذي يستبين فيه كُلّ شيء.

وَعَلَى هَذَا يكون معنى قاعدة الجري والتطبيق: إنَّ استعمال الألفاظ يرقى إلى معنى الأفق المبين ويطبّق عَلَى مصاديق فِي عالم الأرض والبرزخ والآخرة وعالم الملائكة وعالم النور وعالم الروح و ... الخ.

فِي حين أنَّ هُنَاك جهة اختلاف بين قاعدة الجري وبين قاعدة وضع الألفاظ لأرواح المعاني والغايات، حَيْثُ أنَّ قاعدة الجري أوسع مِنْ هَذِهِ القاعدة ولا يَتِمُّ تقرير الفرق إلَّا عَلَى النظرية الثانية فِي قاعدة الجري وَهِيَ مختار منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات.

تنبيه: يجب الالتفات إلى أنْ لا يخلط الباحث والمفسِّر الحاذق بين خصوصيات المصاديق والنشآت مِنْ جهة وبين شفافيّة المعنى الذي هُوَ بالأفق الأعلى والمبين مِنْ جهة أُخْرَى، وأنْ لا ينقطع حينئذٍ لغة التفاهم

---

(١) المزار للمشهدي: ص٣١٢؛ وجامع أحاديث السيد للسيد حسين البروجردي: ج٧، ص١٦٠.

والتخاطب بين العوالم العلوية والدنيوية ونصبح معطلّة ويكون كُلّ عالم معزول عَنْ العوالم الأُخْرَى وَهَذَا أو غيره لوازم باطلة فِي حين أنَّ عَلَى النظيرة الثانية فِي الجري كُلّ منهما مُراد مِنْ دون لزوم تدافع ولا تناقض كَمَا توهمه أصحاب النظرية الأولى.

مطلب هام ذي صلة بالمقام

تَعَرَّض عُلماء الأصول لا سيما صاحب الكفاية الشَّيْخ مُحَمَّد كاظم الخراسانيﷺ فِي مباحث الألفاظ فِي بحث المشتق، بَلْ وَحَتّى علماء البلاغة كَذَلِكَ تعرّضوا لمطلب حاصله:

هُنَاك بَعْض الأوصاف المشتركة بين الباري تَعَالَى وغيره، فمثلاً نصف الباري تَعَالَى بأنّه عالم سميع بصير قدير و ... الخ وكذلك نصف المخلوق بأنّه عالم وسميعٌ وبصير وقدير و ... الخ فهل نقصد مِنْ هَذِهِ الألفاظ معاني هِيَ عين المعاني الَّتِي نصف بها مخلوق مِنْ المخلوقات أو لا؟

والشاهد عَلَى ذَلِكَ ما سأل به هشام بن الحكم الإمام الصادقعليه السلام فَقَالَ لَهُ: كيف تصف الله، قَالَعليه السلام: **«أصفه بكذا بكذا، قَالَ عَلَى حدّ ما نصف به المخلوقين قَالَ: نعم، قَالَ هشام إِذَنْ تلك صفته صفة مخلوقين فأين صفة الخالق. فتبلبل هشام[1] ... إلى أنْ بَيَّن لَهُ الإمامعليه السلام، وَقَالَ: عِنْدَمَا تقول الله عالم أيّ علمه تَعَالَى لا جهل معه بخلاف علم المخلوقين فَإِنَّ المخلوق العالِم لَيْسَ علمه مطلق وَإِنَّما فيه جهلٌ، وهكذا عِنْدَمَا نقول: الله قادر أيّ قدرة لا عجز فيها، بخلاف وصف المخلوق بالقادر فَإِنَّ**

(١) وبلبلة الصدر: وسوسته، مجمع البحرين مادة بلبل.

قدرته ممزوجة ومصحوبة بالعجز، وهكذا وصف الخالق بالحي والحياة فَإِنَّهُ تَعَالَى حيٌّ وحياته لا موت فيها بخلاف حياة المخلوق، فأين هَذَا الحي وأين ذاك الحي وشتان بينهما».

وبالتالي هَذِهِ الأوصاف ألفاظٌ فِي ضمن الألفاظ، ولكن السؤال يقع فِي أنَّ هَذِهِ الألفاظ هل تستعمل فِي معنى مباين أو لا؟ أيّ هَذِهِ الأوصاف معانيها واحدة بين الباري وا لمخلوقات أم شيء مباين؟.

الجواب: إنْ كانت تستعمل فِي معنى مباين، فهل يكون ذكر هَذِهِ الأذكار نفهم ونعي منها شيء أم أنَّها لقلقة لسان؟

فإذا كُنّا نعي ونعني منها شيءً وَهُوَ أنْ نذكر الله بها ونمجّده ونُثْني عَلَيْهِ ونقدّسه فبهذا اللحاظ والمعنى يكون وصفنا لبقية الكائنات والمخلوقات بإنَّها عالم أو سميع أو بصير أو قدير ... الخ أجنبي مما نَحْنُ فيه وَإِلَّا لا يكون أجنبياً فمعرفة الصفات الإلهية عَلَى وزان أصل المعرفة الإلهية لا تعطيل ولا تشبيه فليست الألفاظ متباينة ولا المعاني بحدود المعاني الجارية فِي الخلق؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ التشبيه حينئذٍ والتباين المطلق مِنْ التعطيل، بَلْ هُوَ أمرٌ بين أمرين، فأصل الكمال والمعنى الكمالي مُتقرِّر لكنَّ بلا أنْ تقرر الجهات السلبية مِنْ الحدود الإمكانية، وكذا تنفي كُلّ حيثية لها ربط بالحدوث الإمكاني.

وبالتالي البيان لغةً يجب أنْ يكون مشتركاً بين الكائنات الأرضية

والسماوية والدنيوية والملكوتية، وبين عالم المثال وعالم العقل والعالم الربوبي و ... الخ.

وملخص هَذَا: هل يحتاج إلى لغة مشتركة بين الخالق ومخلوقاته أو بلا لغة تفاهم؟ فإذا كُنّا لا نحتاج إلى لغة تفاهم فصرنا نُغرِّد فِي سرب بعيد عَنْ فَهْمْ العالم الربوبي، وَلَيْسَ عندنا معرفة بالذات الإلهية لا اقل فِي أدنى درجات المعرفة بالعالم الربوبي.

الأقوال أو النظريات في تفسير قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير

هُنَاك أقوال وآراء ونظريات مُتعدِّدة فِي بيان وتفسير قاعدة الجري والتطبيق، إِلَّا أَنَّهُ نقتصر عَلَى ذكر أهم قولين أو نظريتين، والبحث حول قاعدة الجري والتطبيق تارةً عَلَى وفق منهج تفسير القُرآن بالقرُآن، أو التفسير الموضوعي الذي انتهجه السيّد العلّامة الطباطبائي﵀ وبنى عَلَيْهِ صرح منهجه التفسير فِي كتاب تفسير الميزان، أو التفسير الإشاري أو التحليلي أو اللطائفي وغيرها، ولهذا سنقتصر عَلَى ذكر منهج السيّد العلّامة المبني عَلَى منهج التفسير الموضوعي ونجمله فِي النظرية الأولى، وَأُخْرَى نبحث القاعدة عَلَى ضوء ما اخترناه فِي منهجنا التفسيري أمومة الولاية عَلَى المحكمات، وَهَذَا ما نُفصِّله فِي النظرية الثانية، وَهُمَا:

النظرية الأُولى: للسيّد العلّامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي﵀ فِي كتاب الميزان فِي تفسير القُرآن. وَمِنْ قبله ملا محسن المعروف بالفيض الكاشاني﵀ صاحب الوافي﵀ وملا صدرا﵀ وجملة مِنْ أعلام مفسري أهل السنة وغيرهم ممّن تبنّى هَذِهِ النظرية.

النظرية الثانية: ما سنرسمهُ عَلَى ضوء منهجنا التفسيري المختار وَهُوَ أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن.

النظرية الأولى

اعتمدت نظرية السيد العلّامة﵀ وَمَنْ تبعه وَمَنْ قبله فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى جملة مِنْ المباني عِنْدَ علماء البلاغة وأصول الفقه فِي قسم مباحث الألفاظ وحاصلها:

أولاً: إنَّ المعنى الذي يُستعمل فيه اللَّفْظ هُوَ مدلول أوَّل، أيّ المدلول الاستعمالي كَمَا فِي زيد كثير الرماد فَإِنَّهُ قَدْ استعمل المعنى فِي كثرة الرماد فَقَطْ، ثمَّ قَدْ يُراد معنى ثانٍ يُسمّى بالمعنى أو المدلول التفهيمي بأنْ يُفْهِم المقابل أنَّ زيداً كثير الرماد، ثمَّ قَدْ يُراد مِنْ كلا المعنيين الاستعمالي والتفهيمي يُراد معنى جدّي، ولكل واحد مِنْ هَذِهِ المدلولات الثلاثة طبقات وإرادات ومُرادات.

ثانياً: كَذَلِكَ اعتمدت نظرية السيد العلّامة الطباطبائي﵀ عَلَى أنَّ اللَّفْظ القُرآني استُعْمِلَ فِي معنى عام ولا علاقة لَهُ بمورد الاستعمال وَهُوَ التطبيق، وما يُذكر مِنْ تأويلات فِي الآيات والروايات عبارة عَنْ مصاديق وتأويل لا تفسير، ولا صلة لَهُ بعالم الدلالة.

وبعبارة أوضح:

إن موارد النزول والتأويل كلها موارد مِنْ شؤون مقام التطبيق لا

مقام الاستعمال، والآثار المترتبة عَلَى هَذَا هُوَ: أنَّ الألفاظ بالأصل لَمْ توضع إلى المصاديق وَإنَّما وضعت للمعاني الكليّة المشتركة بين المصاديق.

وَهَذَا معناه أنَّ المعاني لَمْ توضع إلى خصوص المصاديق المادّيّة ولا المصاديق البرزخية فِي عالم المثال، ولا خصوص مصاديق عالم الآخرة ولا عالم العقل ولا ... الخ بَلْ تشمل الكمالات الموجودة فِي الحضرة الإلهية بحسب نظرية [خذ الغايات واترك المبادئ].

وَعَلَى هَذَا فَإنَّ الألفاظ ليست فَقَطْ موضوعة للمعاني، بَلْ موضوعة إلى روح المعاني وَإلى ما هُوَ أبطن وأعمق مِنْ المعاني.

ثالثاً: إنَّ نظرية السيد العلّامة رحمه الله تختصّ بنظام الاستعمال اللفظي، ولا تَعُمُّ عالم المعاني وعالم الحقائق.

رابعاً: إنَّ التطبيق عالمٌ ومرحلة منقطعة وفي منأى عَنْ عالم الدلالات والمدلولات ولا صلة لها بها، فَإنَّهُ بَعْدَ انتهاء مرحلة الدلالة والمدلول إلى نتيجة معنى معيّن، فيأتي بَعْدَ ذَلِكَ دور مرحلة التطبيق بأنْ يطبّق ذَلِكَ المعنى المعين عَلَى المصاديق، فَإنَّ الصِّلة بين التطبيق وبين مرحلة الدلالات والمدلولات بِهَذَا المقدار: ـ

إنَّ المعنى النهائي المتحصِّل مِنْ عالم الدلالات عِنْدَمَا يطبق عَلَى المصداق الخارجي فذاك المعنى يطبق، وَعَلَيْهِ فالمعنى هُوَ الرابط والصِّلة، وَإلَّا فخصوصيّات التطبيق ليست لها أيّة صلة ورابط ولا أيّ تضمُّن

بمرحلة الدلالات والمدلولات، وَعَلَى وفق هَذَا المنهج التفسيري لهذه القاعدة، فَإِنَّ أصحابه يلتزمون بضمان حياة القُرآن وحيويّته وفاعليته وعصريته وخلوده وأبديته مِنْ أَنَّ المعنى للآية كلّي وأدوار العصور تطبيقات مصداقية.

خامساً: إنَّ الآيات الَّتِي فيها الخطاب موجّهٌ إلى شخص أو أشخاص عَلَى مبنى السيد العلّامة الطباطبائي لا تجري فيها قاعدة الجري والتطبيق، فَإِنَّ كُلّ مِنْ المعنى الاستعمالي والتفهيمي والجدّي للآية لَيْسَ كلياًّ، إِلَّا أَنَّهم فسَّروا وفصَلوا مرحلة التطبيق مقابل التنظير، والحال إِذَا كَانَ التنظير يتضمَّن خصوصية فلا يغاير التطبيق كي يجري المعنى بكليّة وسيعة، فَمِنْ ثَمَّ لا تجري عندهم قاعدة الجري والتطبيق فِي مثل هَذَا النمط مِنْ الآيات.

وفصلوا بينهما ـ مرحلة التطبيق ومرحلة التنظير ـ وأَنَّ مقام التنظير عَلَى صعيد المعنى التصوري أو التفهيمي أو الجدّي سواءٌ.

فَهُوَ ليست إرادة استعمالية وَإِنَّما هُوَ مقام استثمار.

إِذَنْ لا صلة للمصاديق بالتنظير بالخطاب القُرآني إرادةً واستعمالاً، حَسْبَ النظرية الأولى، وَلَيْسَ المقصود أَنَّهُ لا خطاب موجّه للمصاديق، وَإِنَّما الخطاب دائماً فِي التنظير ويلحظ فيه جانب المدلول الدلالي ورؤية التنظير.

وَهَذَا كُلَّه عَلَى خلاف ما سيأتي فِي النظرية الثانية مِنْ قاعدة الجري

والتعبير وأنَّ مقام التطبيق هُوَ بمنزلة مرحلة الامتثال وتنجيز الأحكام كعمدة الغاية، ونظير المُقنن للقانون وإنْ لَمْ يكن غرضه مصداق خاص، لكنَّ غرضه قائم بوقوع وتحقق المعادلة الكُلّية، نعم فِي التقنين هُوَ التطبيق عَلَى المصاديق بخصوصياتها وشخصنتها فإنَّها المصاديق بخصوصيّاتها لَمْ تؤخذ فِي التقنين كغاية وَإنَّما الخصوصيات فيها ـ المصاديق ـ فِي عالم التقنين عَلَى نحو الطريقية.

نعم هَذَا فِي عالم التقنين.

وأمَّا بحسب النظرية الثانية ـ مختار منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات ـ فِي قاعدة الجري فَإنَّ الخصوصيات كُلَّها مُرادَة بنحو الجري لا سيّما خصوصيات أهم وأعظم وأخطر المصاديق.

وَهَذِهِ جهة اختلاف بين علم القانون والنظرية الثانية وإنْ اشتركا فِي أنَّ التطبيق هُوَ الغاية العُمدة.

نعم، التطبيق عَلَى المصاديق ولكن لا بشخصنتها وخصوصيّتها، فَإنَّ المصاديق لَمْ تؤخذ عَلَى نحو الموضوعية وَإنَّما عَلَى نحو الطريقية، ويمكن التعدّي إلى غيرها أفراداً وزماناً ومكاناً، فذاك متروك للمتخصّصين ولها ضوابط أُخْرَى.

وَهَذَا المقدار مِنْ الفرق تنجم عنه تداعيات كثيرة سوف تتّضح وتتبيّن بَعْدَ ذَلِكَ.

وأمَّا المصاديق حسب النظرية الأولى فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، لَمْ تؤخذ فِي بصيص عالم التنظير، وَإِنَّما عالم التنظير هُوَ تمام محض إرادة استعمالية أو تفهيمية أو جدّيّة، وأمَّا المصاديق والأفراد فليست منظورة.

تميز حقيقة المدلول الاستعمالي عن الجدي:

تنبيه هام: لَعَلَّهُ يحصل خلطاً واشتباهاً عِنْدَ البعض فِي التطبيق بين المدلول الاستعمالي والمدلول الجِدّي وحاصله:

كيف يُراد المعنى بإرادة استعمالية وَهُوَ لَيْسَ مُراداً بإرادة جدّية، وَهَذَا خلطٌ واضحٌ، إذْ مِنْ الواضح أنَّ الإنسان عنده عِدَّة إرادات، فمثلاً لا يخلو الإنسان مِنْ إحدى حالتين: إمَّا مُتكلِّم أو غَيْر مُتكلِّم، فَهُوَ عَلَى الفرضين لَهُ إرادات مُتعاقبة فمثلاً: ـ يذهب زيد إلى السوق وعنده إرادات عِدَّة:

١ ـ إرادة شراء اللحم مِنْ القصّاب مثلاً. إرادة أولى.

٢ ـ العودة إلى البيت. إرادة ثانية.

٣ ـ وضع اللحم فِي مكان بارد لأجل الحفاظ عَلَيْهِ مِنْ التفسّخ ـ إرادة ثالثة.

٤ ـ ليطبخه فِي اليوم التالي للضيوف ـ إرادة رابعة.

إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الإرادات المختلفة وَعَلَى طبقات، وَهَذِهِ الإرادات

المُتعاقبة هِيَ إعدادية وتمهيدية ومُتوسّطة لأجل أنْ تصل إلى الإرادة النهائية، وَهِيَ تقديم خدمة الضيافة للضيوف، وَهَذِهِ الإرادة النهائية هِيَ إرادةٌ جدّيةٌ، وينبغي الالتفات إلى أَنَّهُ مِنْ الواضح: ـ أَنَّهُ لَيْسَ كُلّ إرادة ولو كانت إعدادية ومتوسّطة للإرادة النهائية هِيَ إرادة إحكام وجدٍّ كالإرادة النهائيّة؛ لِأَنَّ طبيعة الإنسان فيها إرادات مُتعاقبة يتلو بعضها البعض ويقوّي بعضها البعض، مثلما الإرادات الإعداديّة عَلَى طبقات كَذَلِكَ الجدّيّة عَلَى طبقات.

٥ ـ لماذا تريد تقديم الخدمة للضيوف؟ إرادة خامسة مثلاً، جزاءاً لضيافتهم سابقاً.

٦ ـ ولماذا تريد جزاء الإحسان بالإحسان؟ إرادة سادسة كي لا أُذَمُّ.

٧ ـ ولماذا تريد أنْ لا تُذَمُّ؟ إرادة سابعة، كي أكون حسن السمعة وطيّب الأخلاق.

٨ ـ ولماذا تريد أنْ تكون حسن السمعة وطيّب الأخلاق؟ إرادة ثامنة. كي أُثاب فِي الآخرة.

وهكذا إرادات مختلفة ومتفاوتة فِي الشِّدّة والضعف، ولا يعني هَذَا أَنَّ الإرادة الضعيفة ليست بإرادة، وأَنَّ هُنَاك إرادةٌ أقوى منها، وضعف الإرادة لا يزلزل سبق الإرادة عَلَى الإرادة.

وهكذا الكلام فِي الإرادات الاستعمالية المُتعدِّدة، فمثلاً عِنْدَمَا يُطعن بشخص زيد وَيُقَال إِنَّهُ بخيل وَهُوَ كاذب فِي طعنه، فَعِنْدَما يُقَال لَهُ زيدٌ كثيرُ الرماد، وكثرة الرماد كناية عَنْ كرمه، ولا تنحصر بكثرة الطبخ المستلزمة لكثرة الضيوف، وَإِنَّما كثرة الرماد كناية عَنْ الكرم حَتَّى فِي مثل الشخص عِنْدَمَا يهب أغنامه أو أمواله إلى شخص آخر أيضاً يُقَال عنه إِنَّهُ كثير الرماد، وَهَذَا المتكلم أراد أَنْ يُفهم الشخص الآخر أَنَّ زيداً لَيْسَ ببخيل فَهُنَا اختلف المراد الاستعمالي عَنْ المراد التفهيمي عَنْ المراد الجدي إرادات تتلو بعضها البعض، وَعَلَيْهِ فَقَدْ تكون فِي البين إرادات استعماليّة متعددة تختلف عَنْ بعضها البعض.

ومثال ثالث عَلَى اختلاف وتعدّد الدلالات، الاستعمالية والتفهيمية والجدّية ـ ما حكاه لنا القُرآن فِي قصة يوسف عليه السلام عِنْدَمَا أَمَرَ يوسف عليه السلام مَنْ يخاطب أخوته ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾[1] فالدلالة الاستعمالية فِي الآية أَنَّهُ عليه السلام استعمل كلمة (سارقون) ـ وسارق: ـ اسم فاعل واسم الفاعل يجري عَلَى حركات وسكنات وزمان المضارع ـ فكأنّما الآن سرقوا وانصرف الاستعمال إليه، والإرادة التفهيمية هِيَ إرادة يوسف عليه السلام ولو بواسطة جواب مَنْ يأمره يوسفه عليه السلام بذلك، عِنْدَمَا قالوا: أخوة يوسف عليه السلام ماذا تفقد قَالَ يوسف عليه السلام نفقد صواع الملك ـ وَهُنَا أخوة يوسف عِنْدَمَا عبّروا بـ (تفقدون) عَنْ السرقة ـ بينما الجواب الذي

---

(١) سورة يوسف: الآية ٧٠.

صدر مِنْ يوسفعليه السلام ـ ولو بتوسّط مَنْ يأمره ـ أَفْهم يوسفعليه السلام إخوتَه أنَّ الفعل (فُقِدَ) هُوَ سرقة لاصواع هَذَا عَلَى مستوى الإرادة التفهيمية لا الجديّة.

وأمَّا المراد الجدّي ليوسفعليه السلام مِنْ كلمة (فُقِدَ) لَيْسَ السرقة وَإِنَّما هُوَ عدم وجود الصواع فِي مكانه ووجوده فِي مكان آخر الله أعلم به.

وَمِنْ هَذَا تحصّل أنَّ المراد الاستعمالي شيء، والتفهيمي شيء آخر، والجدّي شيء ثالث وَكُلّ واحد مِنْ هَذِهِ الدلالات الثلاث لها طبقات.

والخلاصة: وَعَلَيْهِ فتعدُّد وتعاقب الإرادات باب وسيع؛ لِإِنَّهُ فِي الكلام توجد مُرادات مُتعدّدة مُتعاقبة يتلوّ بعضها البعض، ولا يُتوَّهم أنَّ الإرادات الإعدادية والتمهيدية مِنْ الاستعمالية بطبقاتها والتفهيمية كَذَلِكَ إِذَا لَمْ تطابق وتوافق الدلالة الجديّة النهائية أنّها ليست إرادات، وَإِنَّما هُوَ إراداتٌ تمهيدية موجودة.

تنبيه: هُنَاكَ أمران ينبغي التنبيه عليهما فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير وأخذهما بنظر الاعتبار وَهُمَا:

الأمرُ الأوَّل: إنَّ أوَّل مَنْ كشف عَنْ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير هُوَ القُرآن الكريم والروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيتعليهم السلام، والذي نُريد التنبيه عَلَيْهِ هُوَ أنَّ جميع الآيات وإنْ كَانَ الخطاب فيها موجّهاً لشخص المُخاطب ومُصَرَّحٌ باسم المُخاطب كَمَا فِي قوله تَعَالَى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ أو ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ أو ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ ﴿يَا عِيسَىٰ﴾ أو ... الخ، وهكذا الروايات الخاصّ عليهم السلام المُصَرَّح بها اسم المخاطب وشخصه مثلاً: ـ يا هشام أو يا زرارة يا أبا بصير أو ... الخ، فَإِنَّهُ يمكن أنْ يعبّر بالخطاب مِنْ شخص المخاطب المصرَّح به فِي الآية القرآنية أو الرواية إلى موارد أُخْرَى، وكذلك الموارد الأُخْرَى الَّتِي يُميّز عُبِرَ إليها هِيَ الأُخْرَى ليست مُراداً نهائياً وَإِنَّما يوجد مُراد بعدها وما وراءها؛ لِإِنَّهُ تَقَدَّمَ إِذَا نزلت بَعْض آيات القُرآن فِي شخص أو واقعة معيّنة واقتصر عَلَيْهَا ثُمَّ انقضى أو مات مَنْ نزل فيه أو ... فتموت الآية بموته أو تنقضي الآية بانقضائه إِذَنْ لمات القُرآن، كَمَا فِي الرواية المُتقدِّمة ... الحسين بن مُحَمَّد الأشعري عَنْ المعلّى بن مُحَمَّد عَنْ مُحَمَّد بن جمهور عَنْ ... عَنْ أبي بصير قَالَ: ـ قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام ... لو كانت إِذَا نزلت آية عَلَى رجل ثُمَّ مات ذَلِكَ الرجل ماتت الآية مات الكتاب، ولكنّه حيٌّ يجري فيمن بقي كَمَا يجري فيمن مضى[1].

الفرق بين المعنى التنزيلي والمعنى التأويلي والاستعمالي:

الأمر الثَّانِي: هُنَاك فرق بين أنْ تكون ألفاظ الآية مِنْ أَوَّل الأمر مستعملة فِي تشخّصات مصداقية خاصّة ثُمَّ نريد التعدّي مِنْ ذَلِكَ المعنى

---

(١) أصول الكافي: ج١، ص١٩٢ ح٣؛ تفسير الثقلين للعروسي: ج٣، ص٤١٧ ح٢٢.

المشخّص الاستعمالي إلى معاني أُخْرَى.

وبين أنْ يُقَال:ـ أنَّ المعنى الاستعمالي مِنْ أوَّل الأمر استعمل فِي معنى عام، وتكون موارد النزول تطبيقات لذلك المعنى فيكون التأويل فِي المعنى والنمط الأوَّل ـ مِنْ عالم الدلالة ولو الالتزامية وَمِنْ شؤون المعنى ولو تبعاً. بينما التأويل فِي النمط الثَّانِي ـ العام ـ وفقاً للنظرية الأولى فِي قاعدة الجري لا صلة لَهُ بعالم الدلالة بَلْ مِنْ الشؤون المتمحّضة بالتطبيق، وَهَذَا ما يُفسِّره البعض بتأويلات القُرآن، ويلتزم به حَتّى مثل السيد العلّامة الطَبَاطبائي رحمه الله بأنَّ تأويلات القُرآن عبارة عَنْ انطباقات ومصاديق انطباقية تتعاقب للمعنى العام للآية، هَذَا هُوَ معنى التأويل الذي يكون عبارة عَنْ تطبيقات مُتعاقبة مصداقية للآية.

وَعَلَى هَذَا فيكون المعنى المُراد بالتأويل: شيء خارج نطاق مراحل الدلالة عَلَى ما يُصَرَّح به السيد العلّامة الطباطبائي رحمه الله وأنَّ تفسير مثل قوله تَعَالَى ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾(١) بأن تأويل القُرآن هُوَ وقوع خارجي وشيء حادث لا صلة لَهُ بعالم الدلالة والمدلول وما شابه ذَلِكَ.

إنَّما المدلول العام للآيات والسور ينطبق عَلَيْهِ لا أنَّهُ مِنْ أصل اللَّفْظ والدلالة استعملت فِي تلك الماهيّات أو مفاهيم تلك المصاديق وغيرها، وَعَلَى هَذَا فَإنَّ التأويل لا صلة لَهُ بمعاني القُرآن، ولا أقل لا

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

صلة لَهُ بعالم الاستعمال اللفظي فِي القُرآن، ويكون التأويل مقابل التنزيل، وتكون صلة التأويل فَقَطْ بعالَم الحقائق للقُرآن، وَعَلَى هَذَا يكون النزول مورداً تطبيقياً للمعنى الاستعمالي الذي استعمل فِي معنى عام مِنْ أوَّل الأمر، ويكون المعنى التنزيلي لَيْسَ معنى استعمالياً للآيات، وَإِنَّما يكون ـ المعنى التنزيلي ـ معنى المصداق تنزيلاً، والمعنى التأويلي يكون معنى المصداق وتطبيق آخر خفيٍّ آتٍ مستقبلاً.

وَهُنَاك فرق بين التعبير بـ [هَذَا اللَّفْظ هكذا تنزيله] وفق النظرية الأولى الَّتِي يتبناها السيد العلّامة الطباطبائي رحمه الله وبين التعبير [هَذَا اللَّفْظ تنزيله هكذا].

أمَّا معنى التعبير الأوَّل: هكذا تنزيله: ـ أيّ المعنى الذي نزلت فيه الآية المباركة، فمثلاً قوله تَعَالَى ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1] بتقريب: ـ أنَّ المعنى الذي نزلت فيه الآية المباركة هُوَ بيان مظلوميّة آل مُحَمَّد وأنَّ الظالم لآل مُحَمَّد سيعلم كيف تنقلب عاقبته، وَلَيْسَ المراد المعنى الذي استعملت فيه الآية المباركة بَلْ المُرَاد هكذا تنزيله.

وبعبارة أُخْرَى: أنَّ المصداق التنزيلي الذي طُبِّقت عَلَيْهِ الآية المُباركة فِي بدء نزولها هُوَ هَذَا المعنى، وَلَيْسَ المُراد لفظ الآية أيّ لفظ التنزيل، فَإِنَّ هَذَا المعنى لَيْسَ داخلاً فِي شأن اللَّفْظ وشأن المعنى.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

وَهَذِهِ ثمرةٌ لطيفةٌ وجيّدَة عَلَى مبنى السيد العلّامة الطباطبائي رحمه الله حسب النظرية الأولى القائمة عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ التطبيق، مَعَ غضّ النظر عَنْ الانتقادات الموجّهة إلى هَذِهِ النظرية.

إذَنْ اللَّفْظ فِي الآيات والسور استُعْمِلَ فِي معنى كُلّي أُريدَ مِنْهُ استعمالاً تفهيمياً جدّاً، وَهَذِهِ أحد الثمرات المُهمّة لتفسير قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، الَّتِي ذكرها الأعلام السابقون مِنْ المتقدّمين، أمثال الشَّيْخ المفيد وغيره، وَمِنْ المُتأخّرين أمثال الشَّيْخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله وغيره، وحاصل ما ذكروه:

إنَّ المعنى المصداقيّ الذي نزلت فيه الآية أوَّل التنزيل والتطبيق، وأنَّ الآية لها معنى كُلِّي وألفاظ كُليّة طُبقت فِي هَذَا المصداق، فَهَذَا هُوَ مُرادهم مِنْ التعبير [هكذا تنزيله]، وَلَهُ ثمرات كثيرة تظهر فِي الروايات الموجودة فِي المصادر الحديثية القديمة والمُتأخّرة الَّتِي يظنّ بها غيرالمتضلع فِي العلم أنَّ هَذِهِ روايات تحريفٍ، وَهِيَ ليست كَذَلِكَ وَكَما يظنّ.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا: ـ يكون معنى [هكذا تأويله] عَلَى حسب النظرية الاولى هُوَ: إنَّ المعنى المصداقي الذي ستؤول إليه الآية الشريفة، والآية لها معنى عام تجري عَلَيْهِ انطباقاً كالقالب الذي تخرج مِنْهُ قوالب متعدّدة ـ وَلَيْسَ هَذَا تصرّف فِي نطاق الدلالة والمدلول ـ وَعَلَيْهِ فالتشنيع الذي يحصل مِنْ غَيْر المتضلّعين فِي العلم مِنْ الموافقين والمخالفين بأنّه كيف تكون الرواية الواحِدة فيها أكثر مِنْ معنى، ويظهر لهم أنَّ هَذِهِ

الرواية فيها تحريف، ولكنَّ الصحيح هُوَ أنَّ هَذِهِ الروايات ليست فِي صدد بيان ألفاظ المصحف الشريف، وَإِنَّما هِيَ فِي صدد تبيان المصاديق المُهِمَّة الَّتِي هِيَ مورد نزول الآيات أو مورد الانطباق المستقبلي للآيات.

وأما معنى التعبير بـ [اللفظ تنزيله هكذا]:

فيُراد منها: أنَّ ألفاظ التنزيل هِيَ مُشتملةٌ عَلَى اللَّفْظ الكذائي أو العنوان الكذائي، فَهِيَ مُرتبطة بقالب اللَّفْظ النازل.

وَعَلَى هَذَا فما قَدْ يُقَال مِنْ التحريف اللفظي فيكون فِي النمط الثَّانِي ـ تنزيله هكذا ـ لا النمط الأوَّل ـ هكذا تنزيله. وبذلك يظهر أنَّ ما تُوِّهِمَ مِنْ كون كثير مِنْ الروايات هِيَ مِنْ روايات التحريف تَوَّهُماً فاسداً، إذْ لَيْسَ هِيَ فِي صدد ألفاظ التنزيل، وَإِنَّما هِيَ فِي صدد مورد التنزيل، وَهَذَا ما نبّه عَلَيْهِ الشَّيْخ المفيد[1] والشَّيْخ جعفر كاشف الغطاء رحمهما الله، وَمِنْ ثَمَّ يتّضحُ أنَّ ما جعمه الميرزا النوري مِنْ روايات فِي كتابه فصل الخطاب، جلُّهُ مِنْ النمط الأوَّل ـ هكذا تنزيله ـ عدا رواية واحدة مقطوعة النسب والمصدر وَهِيَ رواية كتاب بُستان.

بيان موقف:

النتيجة الثمينة الَّتِي توَّصلنا إليها هُوَ: ـ أنَّ النظرية الأولى الَّتِي تبنّاها السيد العلّامة الطباطبائي رحمه الله فِي منهجه التفسيري الموضوعي

---

(١) الشيخ المفيد في أوائل المقالات.

للقرآن الكريم، لا نرفضها تماماً ولا نقبلها تماماً، وَإنَّما نُفَصِّلُ فيها، ولا نقول أنها نتيجةٌ سيّالة، وَإنَّما هِيَ تنفع فِي موارد كثيرة: ـ منها رفع الالتباس عَنْ كثير مِنْ الروايات الَّتِي توِّهَمَ أنَّ مفادَها تحريف القُرآن مَعَ أنَّها فِي صدد بيان مورد التنزيل لا اللَّفْظ النازل.

خواص ومميزات النظرية الأولى

التي تبناها السيد العلامة الطباطبائي

أحد أهم خواص هَذِهِ النظرية: ـ إنَّ المصاديق الَّتِي تُذْكر كتطبيقات لمعاني كليّة للكلام تتّصف بوصفين أو أنَّ المُراد التطبيقي لَهُ تفسيران: ـ

التفسير الأوَّل: أنَّها أيّ المصاديق مُرادَة جدّاً.

التفسير الثَّانِي: ليست مُرادَة جدّداً.

فما معنى ذَلِكَ؟

أمَّا التفسير الأوَّل: أنها مُرادة جداً ـ أيّ أنَّ المصاديق مُرادَة بمعنى أنَّ الجهة العامّة المُتكرِّرة أو المشتركة بين المصاديق هِيَ مُرادة، فمثلاً قوله تَعَالَى ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

بتقريب: إنَّ ظُلم لأيِّ مظلوم هُوَ بيان لجهة عامّة ومُرادة أيّ جنبة (أيّ منقلب ينقلبون) باتّجاه أيّ ظالم فيما صنعه واتّجاه أيّ مظلوم كطبيعة عامّة وكمغزى عام، فَإِنَّ هَذَا مُرادٌ فِي كُلّ المصاديق، بخلاف الخصوصيات فَهِيَ غَيْر مُرَادة.

وأمَّا التفسير الثَّانِي: المصاديق ليست مُرادة جدّاً، أيّ أنَّ المتكلم لَمْ

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

يلحظ الخصوصيات فِي ألفاظ كلامه، ولا فِي المعنى الاستعمالي ولا التفهيمي ولا الذهني ولا الجدّي، كَمَا يُدَّعى فِي هَذِهِ النظرية ـ الأولى ـ أنَّ قوله تَعَالَى ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] أنَّ أهل البيت عليهم السلام ليسوا معنيين فِي هَذِهِ الآية بنحو الإرادة الجدّية والاستعماليّة، وَإنَّما هُمْ مصاديق لما هُوَ مُرادٌ، فكون الرسول هُوَ الذكر فِي قوله تَعَالَى ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا يَتْلُواْ﴾[2] لا يعني كون هَذِهِ مِنْ خصوصيات الاستعمال، ولا مِنْ خصوصيات المعنى التفهيمي، ولا المُراد الجدّي، بَلْ هِيَ محض مصداق تطبيقي وإنْ كَانَ هُوَ مِنْ أعظم المصاديق.

الخلاصة: مِنْ هَذَا أنَّ الجهة العامّة فِي المصاديق مُرادة، وأمَّا الخصوصيات للمصاديق أيّ الجهة الخاصّة فَهِيَ غَيْر مُرادة.

التفسير الثَّانِي: الإرادة والتطبيق.

هُنَاك تفسير آخر للمصاديق المُرادة وَغَيْر المُرادة، وَذَلِكَ:

المصاديق المُرادة: ـ غاية الكلام المعتبرة هِيَ التطبيق، أو التنظير فَقَطْ، وليست الغاية غاية استعماليّة أو تفهيمية، أو جديّة أو دلالية أو ... الخ وَإنَّما الغاية المقصودة: ـ هُوَ أنَّ غرض المُتكلّم وما شابهه هُوَ الذي يدفع المخاطب للتطبيق، فَإنَّ التطبيق غاية وغرض للمُتكلّم حَتّى التطبيق عَلَى الخصوصيات، وإنْ لَمْ تكن غاية مِنْ الغايات قَدْ دخلت فِي

(١) سورة النحل: الآية ٤٣.
(٢) سورة الطلاق: الآية ١٠ ـ ١١.

نطاق الكلام لكنّها بالتالي غاية ما وراء الكلام سواء افترضنا أنَّ هَذِهِ الغاية وقعت بجملة خبرية أو إنشائية.

وسواء افترضناها فِي آيات الأحكام ـ فقه الفروع ـ أو آيات المعارف الَّتِي هِيَ أخبار عَنْ حقائق أو فِي الأمثال أو المواعظ أو فِي أيّ باب مِنْ الأبواب الغائية لأبواب استعمالات الفاظ القُرآن، فمثلاً: ـ باب الإنشاء فِي مثل الآية المباركة ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1] فَإِنَّ التعبير بفعل الأمر (قُوا) دالٌّ عَلَى الإنشاء لَهُ غايةٌ، وغرض الباري تَعَالَى فِي المقام هُوَ توجيه الخطاب للناس والتحذير مِنْهُ.

أو جملة خبرية كَمَا فِي الآية المباركة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2].

بتقريب: عَلَى ضوء ـ النظرية الأُولى ـ للسيد العلّامة الطباطبائي رحمه الله فَإِنَّ أقرب مصداق لقربى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأوصى بهم جميع البشر ليراعوا حرمة قربى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وإنْ كَانَ هُنَاكَ آيات كثيرة حول الترحم والقربى فِي القُرآن، ولكن الترحم الذي يتأكّد الإيصاء بها هِيَ رحم الوالدين ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[3] فَهُنَاكَ مصاديق كثيرة للوالد: ـ والدٌ وَلَدَ بدنك ووالد ربّاك ورعاك ووالد هداك ووالدٌ ولد نور جوهر روحك الذي يعلمك ويوجد لديك

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٣.

العلم الذي يحييك ولكن بأي حياة؟ وإنْ كَانَ العلم حياة والجهل مماتٌ، هل بحياة الروح يحييك أم بشيء آخر، وحياة الروح أعظم ووالد الروح أولى بالوالديّة مِنْ والد حياة البدن، فَإنَّ حياة البدن شيء وحياة الروح شيء آخر ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(1) بتقريب: ـ إنَّ التأويل الأعظم لإحياء الروح هُوَ هداها، ولماذا الهداية أعظم؟ لِإنَّهُ ببركة العلوم تحيى الأرواح والعقول والنفوس. كَمَا فِي رواية الشَّيْخ الطوسي بإسناده عَنْ علي بن الحكم، عَنْ أبان بن عثمان عَنْ فُضيل بن يسار، قَالَ: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام قول الله عز وَجَلَّ فِي كتابه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ قَالَ: مِنْ حَرْق أو غَرْق: قلت: فَمَنْ أخرجها مِنْ ضَلال إلى هُدَى؟ قَالَ ذَلِكَ تأويلها الأعظم(2).

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ الآيات وغيرها تكون لها تطبيقات وليست داخلاً فِي المعنى.

---

(1) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(2) الكافي: ج٢، ص١٦٨ ح٢.

النظريـة الثانيـة في قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير

ذكرنا النظرية الأولى فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير وَقَدْ تقدّمت وَهَذِهِ هِيَ النظرية الثانية فِي القاعدة المبحوثة وَالَّتِي فهمناها ونتبناها عَلَى ضوء منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن، مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السلام.

وقبل الخوض بتفاصيل النظريّة الثَّانية نذكر مُقدِّمة تحت هَذَا العنوان:

قاعدة الجري والتطبيق (أو التعبير)

لا تختص بنظام الاستعمال اللفظي:

نبطلق فِي بحث قاعدة الجري مِنْ نفس تحدث القُرآن عَنْ نفسه ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[1] وقوله تعالَى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[2].

تبيّن مِنْ خلال الأبحاث السابقة أنَّ قاعدة الجري كيف لها سعة وبيان سعي لا تقتصر عَلَى علم التفسير بَلْ تتجاوزه إلى جملة علوم القُرآن، وكذلك

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

لَيْسَ مختصّة بنظام الاستعمال اللفظي فِي القُرآن ولا يمكن حصرها به، بَلْ تشمل نظام المعاني فِي القُرآن أيضاً، سواء بدرجة الإشارات لمعاني القُرآن، أو بدرجة لطائف معاني القُرآن أو تعبير القُرآن بَلْ يمكن أنْ نقول أنَّ قاعدة الجري والتطبيق تشمل نظام حقائق القُرآن، وَهَذَا بخلاف القول المعروف الآن فِي قاعدة الجري وأنّها مختصّة فَقَطْ بقواعد نظام الاستعمال اللفظي فِي القُرآن.

إلفات نظر: تَقَدَّمَ فِي بحث القاعدة الأولى فِي نظام الاستعمال اللفظي فِي القُرآن وَهِيَ قاعدة التعريض، وأنَّها ليست مختصّة بنظام الاستعمال اللفظي وَإِنَّما تعم نظام المعاني ونظام الحقائق وأنَّ قاعدة التعريض تتشعب منها قواعد أُخْرَى لقاعدة الالتفات، وقاعدة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى، وقاعدة إيّاك أعني واسمعي يا جارة وقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير ... الخ.

والذي نُريد إلفات النظر إليه هُوَ أَنَّهُ هُنَاك جملة مِنْ قواعد نظام الاستعمال اللفظي فِي القُرآن الكريم لها سريان فِي نظام الاستعمال المعنوي فِي القُرآن، ونظام حقائق القُرآن.

وَعَلَيْهِ يمكن تَسْرية قواعد الاستعمال اللفظي إلى قواعد نظام المعاني بشيء مِنْ التشفيف واللطافة وقلع القشور طبق موازين وضوابط بحسب ما نشاهده فِي الآيات والروايات، بما يتعَدّى ويشمل علم التأويل واللطائف والإشارات والتعبير وترجمان القُرآن، بَلْ وتسري إلى

علم حقائق القُرآن ولكن بدرجة مِنْ الشفافية واللطافة أكثر فأكثر بحسب ضوابط وموازين تنضبط بها هَذِهِ العلوم الكبيرة مَعَ التعدّي إليها بحسب ما وقفنا عَلَيْهِ فِي الآيات والروايات.

وَهَذِهِ أيضاً مزيّة أُخْرَى يتّصف بها منهجنا التفسيري فِي أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الكريم، كمنظومة ذَاتَ طبقات ونُظُم عَنْ باقي المناهج التفسيرية، وإنْ كَانَ لها دورٌ فِي تفسير علوم القُرآن.

والمهم الذي ننتهي إليه، أَنَّهُ عُلِمَ مما تَقَدَّمَ ذكره مِنْ قواعد فِي النظام الأوَّل ـ نظام الاستعمال اللفظي ـ لا يختصّ به ويتعداه إلى غيره، وكذلك هِيَ غَيْر مختصّة بعلم التفسير، بَلْ يتعدّاه إلى غيره مِنْ سائر العلوم الدينية، ولكن كُلّ ذَلِكَ التعدّي يحتاج إلى تشفيف وتلطيف فحينئذٍ لا مانع مِنْ أنْ تكون هَذِهِ القواعد قواعداً وموازيناً لعلوم أُخْرَى.

ولذا نجد كثيراً مِنْ العُلَماء والباحثين فِي علم التفسير مثلاً يخشون الولوج فِي علم التأويل لأنَّهم لا يحيطون خُبْراً بقواعِده وموازينه.

وكذلك تَقَدَّمَ أنَّ علوم القُرآن مِنْ التفسير و التأويل والإشارة واللطائف والتعبير والترجمان وغيرها هِيَ ليست فِي عَرَضٍ واحدٍ، بَلْ هِيَ علوم بعضها فوق بَعْض ببركة قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، ولكن حسب النظرية الثانية فِي الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى

ضوء أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن بشرط عدم التصادم بينها، لا عَلَى ضوء النظرية الأولى القائلة باختصاص هَذِهِ العلوم والقواعد بعلم التفسير فَقَطْ.

وَعَلَى أيّ حال فَإنَّ سريان قواعد العلوم مِنْ علم لآخر يحتاج إلى شيء مِنْ التلطيف والشفافية وَهُوَ أمرٌ فِي غاية الأهميّة، وأنَّ قواعد الأنظمة الثلاثة عَلَى وفق منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الكريم هِيَ دائماً فِي حركة وجريان لا الجمود عَلَى نظام مُعيّن.

وَهَذَا ما يُشير إليه الإمام الرضاعليه السلام «**إنَّما يُعْلَم بما ها هُنَا بما ها هُنَاك**».

بتقريب: ـ إنَّ الإمامعليه السلام يريد الإشارة إلى أنَّ ما بين الظاهر والباطن دائماً حالة توافق وتطابق، وأنَّ حالة التطابق هَذِهِ بين كُلّ طبقات الظاهر مَعَ كُلّ طبقات الباطن، ولكن هَذَا التطابق إنَّما يُفطن إليه باللطائف تطابقاً حقيقياً بُرهانياً، وَهَذَا هُوَ الذي استعرضته سورة الكهف والحوار الذي دار بين العبد الصالح الخضرعليه السلام وبين النَّبيّ موسىعليه السلام فَإنَّ ما قام به الخضرعليه السلام عَلَى وفق العلم الباطن، وربما يترائى فِي الوهلة الأولى أنَّهُ مُخالف لظاهر الشريعة، ولكن بَعْدَ تبيان الخضرعليه السلام لحقيقة الأفعال الَّتِي ارتكبها أنَّها طبق موازين الظاهر بالدِّقة تماماً، إلَّا أنَّ التطبيق لتلك الموازين خفيٌّ جدّاً، وَقَدْ كشفه الخضرعليه السلام للنبي موسىعليه السلام بنحو لا

يتصادم مَعَ موازين الظاهر، وبَيّنَ لَهُ أنَّ المدار والمعيار عَلَى تلك الموازين لا غَيْر، غاية الامر سعة تطبيقها أوسع مِنْ آليات وموازين الظاهر.

إلَّا أنَّ معرفة حالة التطابق بين الظاهر والباطن ليست بقدرة الجميع، إلَّا مَنْ استطاع أنْ يضبط موازين انضباط الظاهر بالباطن، فَإنَّ الأمر خطير وحسّاس وصعبٌ؛ لِإنَّهُ قابل للانفلات والتخوّف والتلاعب وغيره، يمكن أنْ يقع فِي البين، وَهَذَا ما حصل فعلاً بين النَّبِيّ موسى عليه السلام والسيد الصالح الخضر عليه السلام لو نلاحظ الحوار الذي دار بينهما فِي سورة الكهف ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾﴾[1].

وهكذا الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام كَمَا فِي رواية ابن بابويه قَالَ: ـ أخبرنا أحمد بن الحسن القطّان، قَالَ: ـ حدثنا الحسن بن علي السُكري، قَالَ: ـ حدّثني مُحَمَّد بن زكريا الجوهري البَصْري قَالَ

(١) سورة الكهف: الآية ٦٠ ـ ٨٢.

حدّثنا جعفر بن عمارة عَنْ أبيه عَنْ جعفر بن مُحَمَّدعليهما السلام أَنَّهُ قَالَ: ـ **إنَّ الخِضر كَانَ نبياً مُرْسَلاً بعثه الله تَبارَكَ وَتَعَالَى إلى قومه فدعاهم إلى توحيده، والإقرار بأنبيائه ورُسله وكتبه، وكانت آيته إنَّهُ كَانَ لا يجلس عَلَى خشبةٍ يابسة ولا أرض بيضاء إلَّا أزهرت خضراء وَإنَّما سُمي خضراً لذلك** ... ثمَّ قَالَ جعفر بن مُحَمَّدعليه السلام: ـ **إنَّ أمرَ الله تَعَالَى ذكره لا يُحْمَل عَلَى المقاييس، وَمَنْ حَمَل أمرُ الله عَلَى المقاييس هَلَكَ وأهلك، إنَّ أوَّل معصية ظهرت الإبانة مِنْ إبليس اللعين حَيْثُ أمر الله تَعَالَى ذكر ملائكته بالسجود لآدم فسجدوا وأبى إبليس اللعين أنْ يَسْجُدَ، فَقَالَ عز وَجَلّ** ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[1] **... الخ**[2].

بتقريب: إنَّ موسىعليه السلام أوتي علم الظاهر والشريعة، بينما الخضرعليه السلام أوتي علم الباطن وَمِنْ المعلوم أنَّ موسىعليه السلام نبي مِنْ أنبياء أولوا العزم بنصّ القُرآن الكريم وصريحه، إلَّا أَنَّهُ فِي بداية الأمر عِنْدَ مرافقته للخضر حصل لَهُ مِنْ إبداء الإنكار و ... وَقَالَ الخضر لموسىعليه السلام هَذِهِ إرادة إلهية وَهَذَا تأويل ما لَمْ تستطع عَلَيْهِ صَبْرَاً، وَهُوَ فِي الحقيقة نفس التطابق بين الباطن والظاهر والتفسير والتأويل، وبالتالي سَلَّم موسىعليه السلام للأمر واقتنع به لما رأى تطابقاً ما بين موازين الظاهر والباطن.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٢) الفقيه للصدوق، البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج٥، ص٤٦ ـ ٤٩.

بينما الإمام الصادقعليه السلام بَيَّن للمفضل بن عمر فِي جواب ما كتبه المفضل للإمامعليه السلام يسأله عَنْ أحوال كثير مِنْ الفرق الباطنية وَلَعَلَّهُ مقصود المفضل بَعْض مَنْ انتسب إلى الخطابية كأبن أبي زينب المقلاص، وَكَانَ المفضل يُعْجب نحوهم وشأنهم وأنَّ المفضل أبلغ عنهم أموراً تروى عنهم كرهها المفضل لهم، مَعَ أنَّ المفضل لَمْ يَرَ بهم إلَّا هدياً حسناً وورعاً وتخشعاً، وبدأ الإمامعليه السلام بجواب المفضل عَنْ أسئلته ويُفسِّر لَهُ ما التبس عليهم مِنْ أمر هَذِهِ الجماعة ومقالاتهم، مَعَ أنَّ مقالاتهم فِي بدو النظر ينطبع منها فِي الأذهان غَيْر حدود الحقيقة، أيّ ينطبع منها الغلو والإفراط مِنْ التأليه ونحوه واستحلال المحرّمات والتهتك للدين مَعَ أنَّ حقائقها هِيَ عَلَى غَيْر هَذَا الوجه.

فَقَالَعليه السلام: ـ **كتبت تذكر أنَّ قوماً أنا أعرفهم كَانَ أعجبك نحوهم وشأنهم وَأَنَّكَ أبلغت عنهم أموراً تروى عنهم كرهتها لهم ... ،ذكرت أَنَّك قَدْ عرفت أنَّ أصل الدين معرفة الرجال فوفقك الله، وذكرت أنهم يزعمون أنَّ الصَّلاة والزكاة وصوم شهر رمضان، والحج والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام هُمْ رجال (هُوَ رجل) وإنَّ الطهر والاغتسال مِنْ الجنابة هُوَ رجل، وَكُلُّ فريضةٍ افترض الله عَلَى عباده هُوَ رجلٌ، وأنَّهم ذكروا ذَلِكَ بزعمهم أنَّ مَنْ عرف ذَلِكَ الرجل فَقَدْ اكتفى بعلمه به مِنْ غَيْر عملٍ ... ويشهدون بعضهم لبعض بالزُّور، ويزعمون أنَّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه فالظاهر ما يتناهون**

عنه يأخذون به مدافعة عنهم والباطن هُوَ الذي يطلبون وبه أمروا بزعمهم ... الخ[١].

بتقريب: إنَّ سبب انحراف أمثال هَذِهِ الفرق الباطنية كالخطابية وغيرهم هُوَ أنَّهم ظنّوا أنَّ هُنَاكَ تخالف بين الظاهر والباطن ـ أيّ باطن الدين وظاهره ـ وَهَذَا ناجم عَنْ سوء فهمهم وخطأ تفسيرهم واشتباه تأويلهم لغوامض المعارف وأسرارهم وأنَّ جملة مِنْ رواة أسرار المعارف وغوامض المعاني عندما وقفوا عَلَى بواطن المعاني وخفايا التأويل، لَمْ يُدركوا وَلَمْ يتفطنوا لكيفية الجمع بينها وبين حدود المعاني الظاهرة، وَإِلى هَذَا المنشأ كَانَ الإمام الصادقعليه السلام يشير إليه فِي جملة مِنْ الروايات كَمَا فِي بصائر الدرجات فِي صحيح هشام عَنْ الهيثم التميمي، قَالَ: قَالَ أبو عبداللهعليه السلام: **يا هيثم التميمي أنَّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فَلَمْ ينفعهم شيء، وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلَّا بباطن ولا بباطن إلَّا بظاهر]**[٢].

بتقريب: إنَّ الصحيح هُوَ التمسُّك بهما معاً ـ بالظاهر والباطن ـ فَإِنَّ الذي يتمسَّك بأحدهما دون الآخر يظن أنَّ بينهما تضارب وتخالف وَهَذَا أوَّل الغفلة والجهل.

---

(١) بحوث علم الرجال للشيخ محمد السند، ج٣، ص٢١٣ ـ ٢١٥؛ عن بحار الأنوار: ج٢٤/ ٢٨٦ عن بصائر الدرجات.

(٢) بحوث في علم الرجال، للشيخ محمد السند: ج٣، ص٢٢١ ـ ٢٢٢؛ بصائر الدرجات: ص٥٥٦ ح٥.

كَذَلِكَ ما نَحْنُ فيه ـ وَكَمَا مَرَّ مِنْ أَنَّ علم التفسير والتنزيل لا ينضبط إِلَّا بعلم التأويل وكذا العكس ـ فَإِنَّ علم التأويل أيضاً لا ينضبط إِلَّا بعلم التفسير والتنزيل، وكذلك علم التفسير لا ينضبط إِلَّا بعلم تعبير القُرآن، وعلم تعبير القُرآن، والعكس.

وَعَلَيْهِ فيوجد تشابك وترابط وحبل ممدود بين مختلف المناهج التفسيرية للقُرآن الكريم، بَلْ هُنَاكَ مواطن جدل لَمْ تنقشع فتنة سحائب تلك المتشابهات وزيفها عِنْدَ المُفَسِّرين إِلَّا بعلم التأويل؛ ولذا عَبَّرَ القُرآن الكريم عَنْ اندفاع زيغ وظلمة تلك المتشابهات وانقلاعها بالمحكمات وابتغاء تأويله.

التعبير والترجمان جري ولغة تفاهم

بين العالم الربوبي وعالم المخلوقات:

إلفات نظر: بيّنا فِي قاعدة الجري والتطبيق (والتعبير) كَمَا مَرَّ لزوم العبور وعدم الإنحباس فِي الدائرة الضيّقة بأن الألفاظ موضوعة لمعاني، بَلْ قلنا أَنَّ الألفاظ الموضوعة لروح المعاني، بَلْ اعتمدنا مبدأ خذ الغايات واترك المبادئ وَلابُدَّ مِنْ وجود لغة تفاهم، وَلَيْسَ المقصود مِنْ اللُّغَة الأصوات وَإِنَّما أعم بين العالم الربوبي والمربوبي تلك أنواعه مِنْ البشر والجن والملائكة وجميع الكائنات المخلوقة، وَإِلَّا كُنّا مُعطّلة فِي أعظم معتقد وَهُوَ التوحيد ـ والعياذ بالله ـ وَهَذِهِ المعاني العالية والأفق المبين

تحتاج إلى ذهنية وقّادة تتوسع لها وليست حبيسه عالم الألفاظ، وَبَعْدَ توفيق الله تَعَالَى تعبر قناطر متعدّدة ولها شفافية حَتّى يستطيع إلى حدٍّ ما تحديد ولو مِنْ بَعْدَ هَذَا بحسب الجانب النظري، وأمّا الجانب العملي فيحتاج إلى توفيق خاص وعناية خاصة مِنْ الباري عَزَّ اسمه.

أوسعيّة تعدد المعاني بمقتضى النظرية الثانية

هل تستوعب نظرية السيد العلامة الطباطبائي بيانات أهل البيت عليهم السلام فِي خصوص قاعدة الجري والتطبيق أو لا؟

نذكر جملة مِنْ المؤاخذات والإشكالات عَلَى نظرية السيد العلّامة الطباطبائي، وَمِنْ قبله الفيلسوف الشيعي ملا صدرا ـ صدر المتألهين قدس سره والملا محسن الكاشاني صاحب الوافي رحمه الله وغيرهم فِي تفسيرهم لقاعدة الجري والتطبيق[1].

الإشكال الأوّل: أوسعية تعدد المعاني بمقتضى النظرية الثانية دون النظرية الأولى، يمكن أنْ يُقَال بالنفي وأنَّ نظرية السيد العلّامة فِي قاعدة الجري وا لتطبيق لا تستوعب بيانات أهل البيت عليهم السلام، فَهِيَ لا تستوعب خاصيّة: ولكل قوم اية يتلونها وهم منها من خير اوشر[2] بتقريب: إنَّ

(١) بذكرنا لهذه المؤاخذات والإشكالات على نظرية السيد العلّامة رحمه الله في قاعدة الجري والتطبيق لا يعني أننا لا نُقَيِّم ونثمن إيجابيات هؤلاء الأعلام (قدس الله أسرارهم) من المفسرين ولكن نقول هذا المقدار من تفاسيرهم لقاعدة الجري والتطبيق لا يعكس الحقيقة بهذه القاعدة الشريفة والعظيمة.

(٢) اعتقادات الامامية للصدوق : ٨٦

بيانات أهل البيت عليهم السلام تفيد: ـ أنَّ كُلّ آية مِنْ آيات القُرآن الكريم مهما كَانَ موضوعها فَهِيَ ذا صلة بكُلِّ إنسان إنسان وبِكُلِّ فرد فرد فِي كُلّ حالة مِنْ حالاته وفي كُلّ يَوُم أو آن مِنْ أيامه وآناته الزمانيّة، وَهَذَا معناه أنَّ القُرآن بمعنى القِران ـ بكسر القاف ـ والجامعية للقُرآن هِيَ أمر عظيم ومهول وَلَيْسَ فَقَطْ لأهل الدُّنْيَا فِي دار الدُّنْيَا بَلْ ولأهل البرزخ فِي عالم البرزخ ولأهل الآخرة فِي الآخرة، وَعَلَيْهِ حيويّة وحياة القُرآن لا تختصّ بعصر دون عصر أو لفرد دون فرد.

وَهَذَا كله مبني عَلَى توسعة التطبيق لقاعدة الجري، وَهَذَا لا يجري عَلَى تفسير السيد العلّامة رحمه الله ومنهجه لقاعدة الجري والتطبيق وأنّها لا تسع لهذه المصاديق الكلية وأنَّ معنى الجري والتطبيق لَيْسَ معنىً كُلياًّ وأنَّ كُلّ آية لَيْسَ لها معنى كُلّي ينطبق عَلَى الكُل وَإِنَّما لها مصاديق مُعيّنة وخاصّة صُرِّح بها ولا يُتعدّى إلى غيرها فيما إذَا كَانَ الخطاب خاصة، وَعَلَيْهِ تكون بَعْض الآيات القرآنية لا تجري فيها قاعدة الجري والتطبيق، وأنَّ السيد العلّامة رحمه الله أراد أنْ يقول أنَّ المعنى الاستعمالي والتفهيمي والجدّي معنى كُلّي أو لا أقل فِي المعنى الجدّي يكون معنىً كُلياًّ، أمَّا إذَا لَمْ يمكن المعنى الكُلّي فِي المعنى الجدّي فلا تكون الآية مورداً لقاعدة الجري سبب عدم كليّة وعمومية المعنى الجدّي.

إنْ قُلت: ما ذكرتموه مِنْ الإيراد عَلَى السيد العلّامة رحمه الله قبل قليل وإنَّ القاعدة عامّة وآيات القُرآن عامّة بحسب بيانات أهل البيت عليهم السلام وتشمل كُلّ فرد مِنْ أفراد الإنسان، فهل مثل الآيات الخاصّة بالنساء كآية الحيض أو الحمل أو

قذف المحصنة أو شهادة المرأة نصف شهادة الرجل أو ... الخ مثل ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾(١) و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾(٢) و... الخ.

فهل هِيَ مختصّةٌ بهُنَّ أم تشمل حَتّى مثل الرجال إِذَا قرأوا تلك الآيات، وهكذا آية قذف المحصنة هل تشمل المعصوم أو لا؟

قلتُ: نعم آيات الحيض تشمل حَتّى الرجال إِذَا قرؤها ولها صلة بهم ويأزواجهم أو أبنائهم أو حفدتهم أو أقاربهم، وشمول الآية لكلٍ حسب ما تقتضيه أصل خلقته وبالنسبة فضلاً عما إذَا أوِّلَ الحيض بمعانٍ أُخرَى، بَلْ وَحَتّى آية قذف المحصنات فإنها ببركة قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير بَعْدَ البناء عَلَى توسعتها بحسب النظرية الثانية عَلَى ضوء منهاج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن، كَما فِي قوله تَعالَى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾(٣).

بتقريب: إِنَّهُ وَرَدَ عنهم عليهم السلام أَنَّها نزلت فِي علي عليه السلام وأَنَّها فِي مقام التعظيم مِنْ شأنه، بينما قَدْ تفسر بمعنى آخر، ويقرِّر معناها أَنَّها فِي مقام الذمّ بتأويل آخر فِي أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وأعداء علي عليه السلام، إِذَنْ هِيَ تشمل حَتّى المعصوم عليه السلام ببيان مُفَصَّل يأتي فِي محله المُناسِب لَهُ.

وكذا قوله تَعالَى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٤.
(٢) سورة النور: الآية ٢٣.
(٣) سورة عبس: الآية ١٧.

فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾[1].

بتقريب: إِنَّهُ قُرِّرَ للآية المباركة معنيان متباينان ـ معنى ذمّ ومعنى مدح ـ ولا تناقض ولا تدافع بينهما عَلَى ضوء النظرية الثانية فِي قاعدة الجري، بخلافه عَلَى النظرية الأولى فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير فَإِنَّهُ يستعصي الجمع بين الذَّم والمدح.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير تُؤَمِن وتنتج حيويّة كُلَّ آية آية فِي الكتاب، ولا توجد آية مِنْ آيات الكتاب ـ والعياذ بالله ـ معنى زمانها وولّى غابراً، فالقُرآن دائماً فِي حالة تجديد وتجدد، وإِنْ كَانَ بعضُ مَنْ لا وعي لَهُ بحقيقة مرام ومعاني الآية ومفرداتها لا يتفاعل مَعَ بَعْض آيات الذكر الحكيم ولسان حاله: ـ أنَّ هَذِهِ الآية لا تعنيني، دعني اسمع آيات أُخْرَى لَعَلِّي أتفاعل معها، بخلاف أهل البصيرة واليقين الَّذِيْنَ هُمْ عَلَى اتصال بآيات القُرآن وتفاعلهم معها.

وَهُنَاكَ رواية عَنْ الإمام عليه السلام: **[ما مِنْ آية يتلوها تالٍ إِلّا وَهُوَ منها إمَّا مِنْ أخيارها أو أشرارها]**[2].

تنبيهان

التنبيه الأوَّل: قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير ظاهراً لها معانٍ ثاقبة أعظم ممّا رسم لها هؤلاء الأعلام مِنْ المفسرين ـ جزاهم الله

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

(٢)

خيراً عَنْ القُرآن والتفسير ـ ولكن نقول:

إنَّ كُلّ آية آية، بَلْ كُلّ مفردة مفردة، بَلْ كُلّ حرفٍ حرفٍ أُفُقُهُ أبعد، فَعِنْدَمَا تقرأ آيةَ مِنْ كتاب الله تجدها تطرق مسامع ذاتك وتعالج إصلاح شيء مِنْ ذاتك.

وَهَذَا هُوَ مفاد الروايات المتقدمة لاتّساع الآيات لِكُلِّ إنسان وَأَنَّهُ يكون إمَّا مِنْ فريق أخيارها أو أشرارها، وَهَذَا مفادُ تربوي أخلاقي عظيم لِكُلِّ آية آية مِنْ القُرآن العظيم تتفاعل مَعَ كُلّ شخص، فكم هِيَ عظيمة هَذِهِ الدرجة مِنْ الإحياء للقُرآن الذي يَتِمُّ عَلَى ضوء النظرية الثانية دون الأولى.

التنبيه الثَّانِي: غرضنا مِنْ ذكر بَعْض الملحوظات عَلَى أيّ منهج تفسيري يتّخذه أيّ مفسر مِنْ مُفسِّري العامّة أو الخاصّة، هُوَ لأجل تَلّمُس الحقيقة أكثر فأكثر، ولا ننحبس فِي دائرة ضيّقة إذَا استوسعت لهذه الحقيقة، وَلَيْسَ الغرض مِنْ ذكر بَعْض الملحوظات أو المؤاخذات لأجل تسجيل نقاط ضعف عَلَى الآخرين كلا ثمَّ كلا، وإنْ كَانَ مضمون ما روي هُوَ [حياة العلم بالنقد] وتكامل البحث العلمي بالنقد، كُلّ ذَلِكَ لأجل أنْ نتواصل مَعَ المسيرة العلمية ونواكب تطوّرها بالتقدم العلمي البنّاء.

انقطاع الصلة بين التفسير والتأويل

بمقتضى النظرية الأولى دون الثانية:

الإشكال الثَّانِي: وَهَذَا الإشكال يُبيِّن نوع العلاقة بين قاعدة الجري بمعى التطبيق وبين قاعدة التأويل ولقد التفت السيد العلّامة الطباطبائي رحمه الله

وباقي أعلام المُفسرين مِنْ قَبْلَهِ ـ ونعم ما التفتوا إليه ـ مِنْ وجود علاقة وطيدة بينهما، وأنَّ التأويل ـ عبارة عَنْ حيويّة تطبيق مصاديق إلَّا أنَّ هَذَا الالتفات للعلاقة بين قاعدة الجري والتطبيق والتأويل مِنْ قبل السيد العلّامة بِهَذَا المقدار لا تستوعب كُلّ حقيقة العلّامة بين قاعدة الجري وقاعدة التأويل، فَهِيَ ليست مستوفية الحقيقة الصلة بين التأويل والقاعدة فلقد ذكر السيد الطباطبائي فِي الميزان ما نصّه: [... أمّا إجمالاً فلأنّك عرفت: ـ أنَّ المراد بتأويل الآية لَيْسَ مفهوماً مِنْ المفاهيم تدلُّ عَلَيْهِ الآية سواء كَانَ مُخالفاً لظاهرها أو موافقاً، بَلْ هُوَ مِنْ الأُمُور الخارجيّة ... الخ][(١)].

والسبب فِي عدم استيفاء ما ذكره السيد العلّامة وغيره لحقيقة الصلة بين قاعدة الجري والتأويل ـ ولا نقول فِي كُلّ كلامهم وَإنَّما فِي جُلّ كلامهم ـ هُوَ أنَّهم حصروا التأويل بالمصداق الخارجي والتحقق العيني، بينما عالم التأويل كَمَا هُوَ الصحيح عَلَى أقسام وأنواع وَلَيْسَ منحصراً فِي هَذَا القسم الذي ذكروه وَإنَّما التأويل عَلَى أقسام وأنواع التأويل لها صلة مطردة بقاعدة الجري بمعى التطبيق، وَمِنْ تلك الأنواع للتأويل هُوَ عالم الاستعمال اللفظي للدلالة وَلَيْسَ فَقَطْ عالم التطبيق، بخلاف ما ذهب إليه أتباع النظرية الأولى مِنْ قولبة قاعدة الجري بمعنى التطبيق بمعنى كُلّي يطبق عَلَى مصاديقه وَعَلَى هَذَا فالتأويل فيه شؤونٌ وألوان فِي نفس عالم الدلالة وعالم التنظير، وَهَذِهِ صلة أُخْرَى بين التأويل وعالم الدلالة

---

(١) الميزان في تفسير القرآن العلّامة الطباطبائي: ج٣، ص٥٤.

والتنظير، وَهَذِهِ غَيْر العلاقة بين التأويل ومقام التطبيق، وَغَيْر العلاقة بين الجري والتطبيق وعالم نفس الدلالة، والأخيران ـ عالم التطبيق وعالم نفس الدلالة ـ متباينان ـ وَمِنْ خلال هَذَا وغيره كيف يمكن حصر قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير فِي مقام التطبيق والمصاديق؟

والخلاصة: إنَّ صِلَةَ عالم التأويل بعالم الدلالة فِي الجملة يُعَدُّ بالبديهة ولا يَتِمُّ رسم تلك العلاقة وَأَنَّهُ مِنْ شؤون الدلالة الأعلى نفي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير، لا عَلَى تفسير قاعدة الجري بالتطبيق فَقَطْ.

الإشكال الثَّالِث: مُبتنٍ عَلَى بيان مقدمة وَهِيَ: [**أجنبية التطبيق وانقطاعه عَنْ إرادة المُتكلِّم تماماً بمقتضى النَّظَرِيَّة الأولى دون الثَّانية**] بناءاً عَلَى ما تَقَدَّمَ نستطيع أنْ نُعَبِّرَ عَنْ طبقات استعمال اللَّفْظ فِي المعنى أنَّها عبارة عَنْ أربع طبقات:

١ ـ طبقة المعاني التصورية.

٢ ـ طبقة الإرادة الاستعمالية.

٣ ـ طبقة الإرادة التفهيمية.

٤ ـ طبقة الإرادة الجدّية.

والثلاث الأخيرة هِيَ تصديقية، وَكُلّ طبقة منها هِيَ عَلَى طبقات، وَمِنْ الواضح أنَّ عالم التطبيق هُوَ عالم تكوين ووجود خارجي لا صلة لَهُ

بالألفاظ ولا صلة لَهُ بالمعاني الذهنية، وأنَّ عالم التنظير المفهومي الفكري الذهني لا صلة لَهُ وشأن التطبيق، ورُبّما يُعَبّر عَنْ علم التشريع أو التنظير بعلم الشريعة.

ربما يعبر عن علم التشريع والتنظير بعلم الشريعة:

أمَّا العلم الذي يتكفل التطبيق فيعبر عنه بقلم التأويل وعلم الباطن(١) وَبَعْدَ هَذِهِ المقدمة فَإنَّ حاصل الإشكال هُوَ: إنَّ كُليّة المعاني الوسيعة فِي الآيات والسور القُرآنيّة لا صلة لها بشؤون تشخصيات منطقة التطبيق ولا نُحَمِّلَ التنظير المفهوم الفكري ألوان وعوارض ومشخّصات المصداق التطبيقي وَهَذَا يستلزم الفصل بين مقام التنظير ومقام التطبيق، وبالتالي فَإنَّ أصحاب النظرية الأولى فِي تفسير قاعدة الجري بمعنى التطبيق، يقولون: إنَّ ما وَرَدَ فِي بيان الآيات عَنْ أهل البيتعليهم السلام إنَّما لَهُ صلة بعالم التطبيق ولا صلة لَهُ فِي الغالب بعالم التفسير، وَعَلَى هَذَا يلزم أصحاب هَذِهِ النظرية أنَّ يشففوا المعاني الكلية الواردة فِي القُرآن مَعَ إعطائها صفة العموميّة عَنْ ألوان المصاديق، ولا نجعل المعنى التنظيري العام للآية يتأثر أو يتلون بالمصداق والتطبيق، وَبِهَذَا نفصل مقام التنظير عَنْ مقام التطبيق وان هَذَا الفصل بينهما يُعطي الحيوية واللوبيّة فِي الانطباق على الأجيال

---

(١) وهذا الى حَدّ ما يشبه الفرق بين علم النبي موسىعليه السلام وعلم العبد الصالح الخضرعليه السلام فإن علم النبي موسىعليه السلام علم شريعة يعني علم هذه الطبقات أي التفسير الظاهر بخلاف علم الخضر فإنه علم التطبيق والتأويل.

والعصور المختلفة.

إذَنْ حاصل هَذَا الإشكال هُوَ الفصل بين مقام التنظير والتطبيق، وَمِنْ الواضح أنَّ التطبيق إرادة غائية أبعدُ غوراً فِي الغائية والنهائية مِنْ التنظير، وَإنَّما أُعِّد التنظير تمهيداً للتطبيق، ويعتبر التطبيق ميداناً للتنظير، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ التطبيق إرادة غائية أبعدُ غوراً فِي الغائية والنهائية مِنْ التنظر فكيف يُعزل التنظير عَنْ التطبيق بَعْدَ ملاحظة المراد الجدي وراء الجدّي، وَهُوَ ـ مقام التطبيق ـ أوغل فِي الجدّية والغائية مِنْ المُراد التنظيري.

وَهَذَا بخلاف ما تتبناه النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية الآتية، فَإنَّ المعنى الكُلِّي والتنظير الكُلِّي يُراد مِنْهُ التطبيق وإعداد لما وراء التطبيق وإذا كَانَ مقام التطبيق يحصل بمصاديق بارزة وَأُخْرَى غَيْر بارزة أيّ مصاديق شديدة الأهميّة وَأُخْرَى قليلة الأهميّة وثالثة متوسّطة الأهمية، فنلاحظ الإرادة التطبيقية فِي المصاديق الاعتيادية أشدُّ جدّيّةً مِنْ التنظير، وَعَلَيْهِ فكيف بالإرادة التطبيقية فِي المصاديق الَّتِي هِيَ أهم، وستكون تلك المصاديق أشدّ مِنْ الإرادة الجدّية المتعلقة بالتنظير وأوغل وأهم، وكأنَّما هَذَا يُخيل لك عدم إرادة وعدم أهمية المصاديق المتوسِّطة الأهميّة والأقل أهميّة وأنَّ إرادتها تبعاً لإرادة المصداق الأعظم والاهم والأكبر، وَهُنَا درجة الأهميّة تتبع درجة الإرادة، وَعَلَيْهِ فَإنَّ الإرادة: فِي مقام التطبيق هِيَ أكثر جدّية مِنْ الإرادة فِي مقام التنظير، وهكذا الإرادة التفهيمية أهم مِنْ الإرادة

الاستعمالية والإرادة الجدّيّة التنظيرية أهم مِنْ الإرادية التفهيمية وهكذا، وعموماً فَإِنَّ الإرادة الجدّيّة التطبيقية أهم مِنْ التنظيرية؛ لِأَنَّ التنظيرية مُعَدَّة ومُهَيّأة للتطبيق.

إذَنْ إذَا كانت إرادة أهم المصاديق هِيَ أهم إرادات التطبيق، فَهَذَا معناه أَنَّ الكلام مِنْ أوَّل الأمر سيق للإرادة ذَاتَ المصداق الأهم والأبلغ، وَمِنْ هَذَا يتّضح أَنَّ سوق الكلام دائماً للإرادة النهائية، وإنْ كانت الإرادة التنظيرية جدّيّة إِلَّا أَنَّ جدّيتها متوسِّطة الإرادة وَإِنَّما المهم هُوَ إرادة المصداق الأعظم والكلام سيق لَهُ بكُلِّ رمّته مِنْ أَوَّل الأمر وما عداه تابع لَهُ ـ أيّ لإرادة المصداق الأعظم ـ.

عزل التطبيق عن التنظير يعدمِ التصنيف الموضوعي للآيات حسب النظرية الأولى:

الإشكال الرَّابِع: إنَّ لازم عزل عالم التنظير عَنْ عالم التطبيق حسب النظرية الأُولى يستلزم لازماً باطلاً ألا وَهُوَ:ـ

كيف يمكن أنْ نُميِّز ونفرز موضوع الآيات بعضها عَنْ البعض، وأنَّ الآية الواحدة هل هِيَ مِنْ آيات الأحكام الفقهية أو العقائدية، أو مِنْ آيات المنظومة الأخلاقية أو الاجتماعية، أو مِنْ آيات العالم النفساني وغيره، ولا يتسنى معرفة وتميّز ذَلِكَ إِلَّا أنْ نقول بمقالة النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية

عَلَى المعطيات، وَالَّتِي مِنْ مبادئها المستقاة مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السلام عدم حصر الآية فِي أُفُقٍ ضيّقٍ وَإِنَّما الآية بمثابة الكنز أو المَعْدِن مهما أخذت مِنْهُ لا ينضب، وَكُلّ مَنْ يستطيع أَنْ يأخذ فَلَهُ أَنْ يأخذ بما أُوتي مِنْ سعة ورحابة أفق عظيم وفكر وعقل واسع ونيّر.

أصناف الآيات حسب النظرية الأولى

فِي موضوع أصناف أخرى مِن الآيات:

الإشكال الخامس: ولا يختص تسجيل هَذَا الإشكال عَلَى أصحاب النظرية الأولى، بَلْ يعم بَعْض المناهج والمسالك الفقهية القائلين بعزل آيات الأحكام عَنْ آيات العقائد.

وحاصل الإشكال: ـ إنَّ الآيات وإنْ انطبع عَلَيْهَا تصنيف بلحاظ موضوعها إِلَّا أنَّ ذَلِكَ لا يمانع عبور مفادها وجرية فِي موضوع أصناف أُخرى مِنْ الآيات، فالآيات العقائدية تجري بضوابط وموازين لقاعدة الجري فِي المسائل الفقهية والعكس كَذَلِكَ، وكذا فِي آيات العلوم الأُخرى مِنْ دون لزوم الخلط والتخليط، وَإِنَّما عَلَى وفق معايير وأُسس منهجية ترتبط معنىً فيما بينها لتوَلِّد معاني مِنْ بعضها البعض بصناعة التحليل والتركيب.

قَدْ يُثار تساؤل؛ حاصله: إنَّ هَذَا الإشكال مُتناقض مَعَ سابقه الَّذِي ذكر فِي الإشكال الرَّابع: ـ إنَّ الاعتراض عَلَى النظرية الأولى كَانَ

يلزم محذور عدم تصنيف الآيات حسب مقتضاها، بخلاف النظرية الثَّانية الَّتِي توجب تصنيف الآيات.

بينما فِي هَذَا الإشكال ـ أيّ الخامس ـ يُدّعى أَنَّهُ مُقْتَضَى النظرية الثَّانية يلزم جريان الآية الواحِدَة فِي عِدَّة أصناف، وبالتالي لا تصنف الآية عَلَى موضوع واحد، بينما عَلَى النظرية الأُولى تنحصر الآية فِي موضوع صنف واحِدٍ وَعَلَيْهِ فالإشكال الخامس مُتدافع مَعَ سابقه ـ الرَّابع ـ.

الجواب: إِنَّهُ لا يوجد تدافع بين الإشكالين فَإِنَّ الإشكال السابق الُمقرّر بمفاد النظرية الأُولى مِنْ عدم تصنيف الآية موضوعياً فِي ما لو كَانَ لون الموضوع آتٍ مِنْ التطبيق لا مِنْ اللَّفْظ، بخلافه عَلَى النظرية الثَّانية فَإِنَّ الآية تتصنَّف موضوعياً لارتباط التطبيق بالدلالة.

وأمَّا بحسب الإشكال الخامس: ـ فَإِنَّهُ فِي المورد الذي يكون فيه تصنيف الآية آتٍ موضوعياً مِنْ حاق اللَّفْظ والدلالة، فَإِنَّ الآية لا محالة مُصَنَّفَة موضوعياً لفظاً ولا تجري لصنف آخر لموضوع مغاير عَلَى النظرية الأولى، وتجري عَلَى النظرية الثَّانية؛ لِأَنَّ تصنيف الآية فِي صنف لا يمانع إمكانية تأويلها بموازين إلى صنف آخر بقاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى النظرية الثَّانية.

وحاصل الفرق بين الإشكالين الرَّابع والخامس هُوَ بحسب

المورد، بينما حاصل المحمول ومفاده فِي الإشكالين واحدٌ ومشترك وَهُوَ: ـ أنَّ قاعدة الجري عَلَى النظرية الثَّانية فِي حَيْثُ تحدّد الآية وتصنفها فِي موضوع تطبيقي، إلَّا أنَّ ذَلِكَ لا يعني عدم سريان قاعدة الجري مَرَّة أُخْرَى لجري الآية فِي صنف آخر وموضوع مباين لما تقرَّر فِي النظرية الثَّانية مِنْ ترامي إجراء قاعدة الجري مُتعاقباً بخلافه عَلَى النظرية الأولى، وَهَذَا أحد الفوارق العظيمة بين النظريتين.

وأمَّا دعوى انعزال أصناف الآيات عَنْ بعضها البعض فممنوعةٌ ويؤيِّد ذَلِكَ ما روي عَنْ عبدالله بن سنان[١] بسؤاله الإمام الصادقعليه السلام، قَالَ: أتيت أبا عبداللهعليه السلام، فقلت لَهُ جُعِلتُ فداك، ما معنى قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾[٢]؟ قَالَ: «**أخذ الشارب وقص الأظافر وما أشبه ذَلِكَ**» قَالَ: قلتُ: جُعِلْتَ فداك، فَإنَّ ذريحاً المحاربي[٣] حدّثني عنك بحديث، أنَّك قلتَ ﴿لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ هُوَ لقاء الإمامعليه السلام تلك المناسبة»؟ قَالَ صدق ذُريح وصدقت، إنَّ القُرآن لَهُ ظاهر وباطن وَمَنْ يحتمل ما يحتمل يا ذُريح؟[٤].

(١) وهو أخو محمد بن سنان ابنا طريف وهو فقيه جزلٌ وورعٌ وسديد ومتين وثقة تتلمذ على يدي الإمام الصادقعليه السلام.

(٢) سورة الحج: الآية ٢٩.

(٣) ذريح بن محمد بن يزيد أبو الوليد المحاربي من أصحاب الإمام الصادقعليه السلام ثقةٌ.

(٤) مَنْ لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٩٠، ح١٤٣٧؛ البرهان في تفسير القرآن، للبحراني: ج٥، ص٢٨٦، ح١٣.

بتقريب: ـ إِنَّهُ يمكن أنْ تكون الآية الواحِدَة آية معرفيه وفقهية وقانونيةً وأخلاقيةً وغيرها.

بَلْ هَذَا الإشكال يتسجّل أيضاً عَلَى علماء الأخلاق الذين حصروا آيات الأخلاق فِي آياتٍ معدودة، وَمَنْ قَالَ لك: ـ إنَّ النظام الأخلاقي فِي القُرآن يقتصر وينحصر عَلَى مئين أو ألوف مِنْ الآيات؟!

وَعَلَيْهِ فعظمة منهج أهل البيت عليهم السلام تبين أَنَّ القُرآن برمّته هُوَ عقائد وأنَّ كُلّ آيةٍ آية فبها نظام أخلاقي، آية فيها نظام أخلاقي اجتماعي أو علوم شتّى، أمَّا أَنَّهُ لَيْسَ لدينا القدرة عَلَى استظهار واستخراج ذَلِكَ فَهَذا بحثٌ آخر.

وهكذا ما استفاده الشَّيْخ الطوسي مِنْ قوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[1].

بتقريب: ـ إِنَّ الشَّيْخ الطوسي استفاد حكماً فقهياً إِنَّ الغايات التكوينية متطابقة مَعَ الغايات التشريعية فَهَذِهِ الآية حَيْثُ تحدِّد الغاية التكوينية فتدل بالالتزام عَلَى أَنَّها غاية تشريعية إِذْ لا يتدافع الغرض التشريعي مَعَ الغرض التكويني، واستدلَّ الشَّيْخ بالآية المباركة، أمَّا استفادة الناس مِنْ الثروات العامّة شرع سواء.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٩.

علماً أنَّ الظهور الأوّلي للآية هُوَ فِي أمر معرفي عقائدي أو تكويني أو ما شابه ذَلِكَ كَمَا فِي رواية مُحَمَّد بن زياد وعلي بن مُحَمَّد بن سيّار عَنْ أبويهما عَنْ الحسن بن علي عَنْ ... عَنْ الحسين بن علي، قَالَ: ـ قَالَ أمير المؤمنين عليه السلام فِي قوله الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ قَالَ: «**هُوَ الذي خلق لكم ما فِي الأرض جميعاً لتعتبروا به ولتتوصلوا به إلى رضوان وتتقوا به مِنْ عذاب نيرانه** ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ **أخذ فِي خلقها واتّقانها .** ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ **ولعلمه بكُلِّ شيء علم المصالح فخلق لكم ما فِي الأرض لمصالحكم يا بني آدم**»[1]. وهكذا قوله تَعَالَى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[2]، بتقريب: إنَّ الفقهاء تمسّكوا بها فِي استفادة الحكم الفقهي منها مَعَ أنَّ الآية هِيَ عقائدية بحسب ظهورها الأوّلي، فَإنَّ الشَّيْخ الطوسي ذكر فِي التهذيب بإسناده عَنْ علي بن الحسن بن فضّال عَنْ جعفر ابن مُحَمَّد بن حكيم، وجعفر بن مُحَمَّد بن أبي الصباح جميعاً عَنْ إبراهيم بن عبدالحميد، عَنْ أبي الحسن عليه السلام قَالَ: **المصحف لا تمسّه عَلَى غَيْر طُهر ولا جُنباً، ولا تَمَسَّ خيطه ولا تعلقه إنَّ الله يقول:** ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[3]. وذكر الشَّيْخ الطبرسي فِي الاحتجاج فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، قول أمير المؤمنين

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص١٥، ح٢٩؛ تفسير البرهان للبحراني: ج١، ص١٦٢.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

(٣) التهذيب: ج١، ص١٢٧.

علي بن أبي طالب عليه السلام لعمر بن الخطّاب ... **فَإِنَّ القُرآن الذي عندي لا يمسّه إِلَّا المطهرون، والأوصياء مِنْ ولدي**، فَقَالَ عمر: **فهل وقتٌ** لإظهاره معلوم؟ قَالَ علي: **نعم إِذَا قام القائم مِنْ ولدي يُظهره ويحمل الناس عَلَيْهِ فتجري السنّة به**[(١)].

وَهَذَا معناه أَنَّ الظهور قابل لأنْ ينفتح عَلَى مؤديات ومفادات كثيرة، وَهَذَا أحد بركات قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير طبق القواعد.

والخلاصة: هُنَاكَ فرقاً واسعاً بين المنهج المُتّبع فِي نظام الظهور والاستظهار وبين منهج أمومة الولاية والمحكمات أيّ منهج أهل البيت عليهم السلام فَإِنَّ الأخير أوسع رحابة.

تماهي حدود الآيات بمقتضى النظرية الأولى

وانضباطها على النظرية الثانية:

الإشكال السَّادِس: أحد أهم المؤاخذات الَّتِي تُسجّل عَلَى أصحاب النظرية الأولى الَّتِي تبتني عَلَى عزل التنظير عَنْ التطبيق لزوم تمييع حدود مفاد الآيات الكريمة إِذَا كَانَ النظر فِي المعاني إلى جانب التنظير فَقَدْ دون التطبيق، فلو نظرنا إلى معنى الاصطفاء واستحبابه ومعنى الاصطفاء هُوَ انتقاء الله تَعَالَى لشخص أو قبيلة أو زمان أو مكان أو لغة أو قوميّة أو ...

(١) الاحتجاج: ج١، ٣٦٠، محاجّة ٥٧؛ ونور الثقلين: ج٧، ص٩٤، ح٩٥.

الخ، كَمَا فِي اصطفاء الباري تَعَالَى للعرب مِنْ بين البشر بنصّ الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١) واصطفى الباري تَعَالَى مِنْ العرب قريشاً واصطفى مِنْ قريش بني هاشم واصطفى مِنْ بني هاشم بني عبدالمطلب واصطفى مِنْ بني عبدالمطلب مُحَمَّد صلى الله عليه وآله. ويُؤيِّد ذَلِكَ ما رواه العيّاشي بسنده عَنْ مُحَمَّد بن حمران عَنْ أبي عبدالله عليه السلام، قَالَ: «**إنَّ الله لما خلق الخلق فجعله فرقتين، فجعل خيرته فِي إحدى الفرقتين، ثمَّ جعلها أثلاثاً، فجعل خيرتَهُ فِي إحدى الأثلاث، ثمَّ لَمْ يزل يختار حَتّى اختار عبد مناف، ثمَّ اختار مِنْ عبد مناف هاشماً، ثمَّ اختار مِنْ هاشم عبدالمطلب، ثمَّ اختار مِنْ عبدالمطلب عبدالله، واختار مِنْ عبدالله محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله فكَانَ أطيب الناس ولادةً وأطهرها، فبعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً وأنزل عَلَيْهِ الكتاب، فَلَيْسَ مِنْ شيء إلّا فِي الكتاب تبيانه**»(٢).

ومعنى هَذَا أنَّ الاصطفاء عَلَى درجات، فَعَلَى ضوء النظرية الأولى: ـ إنَّ هَذَا الاصطفاء كُلَّه لَيْسَ حجّة، وَعَلَيْهِ فَإنَّ الاصطفاء سوف يتميّع ويذوب عَنْ ماهيته ويصير تماهي فِي معنى الاصطفاء أيّ انتقاء عام وَعَلَيْهِ يكون اصطفاء الله لآدم ونوح وآل إبراهيم عليه السلام وآل عمران على العالمين لأجل خلقة البشرية ويكون لمثل نوح عليه السلام دورٌ فِي البشرية وآل إبراهيم عليه السلام وآل عمران شكراً عَلَى أدوارهم وَلِمَنْ يماثلهم مِنْ البشر، فَهَذِهِ كُلّها مفادات عامة ولا تختصّ ببحث بيوت الأنبياء وَغَيْر

---

(١) سورة آل عمران: لاآية ١١٠.

(٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٩، ح١١، عنه البحار: ج٩٢/ ٢٧/ ٣٠.

بيوت الأنبياء، وهكذا ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١] أيّ استخلاف كُلّ البشر صالح لِأنْ يكون خليفة بما فيهم الصالح والطالح، وهكذا عَلَّمَ آدم الأسماء كُلَّهَا لَيْسَ المُرَاد علم لاهوتي وعلم لَدُني ونبوّة ورسالة وَإِنَّما المُرَاد مِنْ عَلَّمَ آدم الأسماء كُلَّهَا يعني البشرية كُلَّهَا مفطورة عَلَى العلم بجميع الأُمُور، وهكذا معنى قولهﷺ: «**مَنْ كُنتُ مولاه فعليّ مولاه**» أيّ تكمن المودَّة والمحبة لعليّ باعتباره كمسلم مِنْ المسلمين. وبالتالي هَذِهِ الأُمَّة الإسْلاميَّة الَّتِي اختارها الله فيها الصالح كالنبيﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومينعليهم السلام مِنْ ذرية الحسينعليه السلام ومقداد وسلمان وأبو ذرّ والمؤمنين والصالحين وغيرهم، وفيها الطالح أمثال يزيد بن معاوية والحجّاج بن يوسف الثقفي وشمر بن ذي الجوش، وعبدالرحمن ابن ملجم وغيرهم، فهل يعني أنَّ أمثال هؤلاء داخلون فِي تلك الأُمَّة الَّتِي هِيَ خير أُمَّةٍ أُخرجت للناس أو لا؟

فَإِنَّ مثل هَذَا وغيره مِنْ اللوازم السلبية الَّتِي تلزم إِذَا بنينا عَلَى عزل التنظير عَنْ التطبيق، ولا يبقى حدٌّ مِنْ حدود الآيات وبالتالي يشكِّل خطراً كبيراً تتميع فيه حدود معاني الآيات، هَذَا بحسب النظرية الأولى.

بخلاف النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات، فَإنَّ لها توسّع ورحابة أفق ولكن بضوابط وموازين علميّة لا بهدد وتميّع، وَإنَّما مَعَ حفظ الطبقات والمراتب ففي الاصطفاء لا مانع مِنْ تكرّره إلى أنْ يصل إلى اصطفاء معصومي بمعنى أنَّ الطهارة ذَاتَ مراتب إلى أنْ تتصاعد وتصل الطهارة إلى عصمة الاستخلاف الذي يُعْزيه الله تَعَالَى إلى فرد واحد مِنْ البشر مقابل الملكوت والممكن الذي تكون كُلّ الملائكة تحت طاعته وقيد أمرته، فَإنَّ أمَّ المراتب وأُسسها محفوظة، ولكن هَذَا لا يتنافى مَعَ وجود مراتب أنزل فأنزل إلى ما لا نهاية كَمَا تتصاعد فِي مراتب أعلى فأعلى ولا تصل إلى حدٍّ.

فإذا كَانَ الأمر هكذا فلماذا تأخذون وتميلون إلى جانب الدنو والخلود إلى الأرض؟

ولتكُن نظرتكم نظرة «**يتدبرون فِي خلق السماوات والأرض**» أيّ نظرة سموٍّ.

وَهَذَا البحث مرتبط وَلَهُ صلة بنظرية أدبيّة تتبنى أنَّ التطبيق لَهُ دور فِي بيان التنظير، كَمَا هُوَ المعروف مِنْ أنَّ التنظير مبيّنٌ للتطبيق وكذلك الحال فِي الفعل يَكُون فِي جملة مِنْ موارد القرينة الحاليّة المبيِّنة للكلام وإنْ كَانَ الكلام فِي أكثر الموارد مبيِّنٌ للفعل، وَعَلَى ذَلِكَ يكون التطبيق والمصداق مِنْ شؤون الدلالة والكلام ، إذَنْ عزل مقام التطبيق

والموارد تماماً عَنْ عالم دلالة الكلام بالمرَّة مُخِلٌّ بضبط الدلالة والبيان.

قَدْ يتساءل: إنَّهُ مُقْتَضَى النظرية الثَّانية هُوَ سعة الجري وتكرّره كَمَا مَرَّ، ولازم ذَلِكَ ذوبان المعاني وتماهي حدودَها وَذَلِكَ عكس النظرية الأولى فإنَّها تُعَيِّن المعنى مُتّحداً ومعيَّناًوالسعة والسريان فِي المصاديق وكثرتها لا توجب إنمحاء تعيّن المعنى التنظيري.

والجواب: إنَّ النظرية الأولى حصرت التوسّع بتلطيف المعنى وتقشيره عَنْ الخصوصيات فكلّما أرادوا سِعة وشمولية ابتعدوا عَنْ الخصوصيات، وأزالوها وترقّوا إلى سعة المعاني الكُلِّية الفوقية، وَهَذِهِ السعة وإنْ كانت فِي الوهلة الأولى مُعْزية لعموميّة المعنى وكليته إلَّا أنَّ لازمها بالدقّة ذهاب خصوصية طبقات مِنْ الأنواع، وَمِنْ ثمَّ يتماهى المعنى عَنْ حدود النوعيّة وحدود الجنسية المتوسّطة إلى أنْ ينتهي إلى الجنس العام المبهم الفوقي.

بينما فِي النظرية الثَّانية: ـ فَإِنَّ خصوصيات التطبيق والتعيّنات ملحوظة فتحفظ الحدود، وإنْ كَانَ ذَلِكَ لا يمانع عَنْ جري الآية فِي المعاني كَمَا تجري فِي المصاديق، والعُمْدَة أنَّ فِي النظرية الثَّانية فَإِنَّ كُلّ تعدّد للمعاني مُراد، فالكثرة فِي المعنى مُرادة ولكثرة فِي المصاديق مُرادة كَذَلِكَ، فتحفظ الحدود والخصوصيات، فِي حين تَعْبر الآية مِنْ حدٍّ إلى آخر، وَهَذَا بخلاف النظرية الأولى فَإِنَّ المعنى متّحد غيرمتعدّد لكنَّه لا تحفظ فيه خصوصيات الكثرة بَعْدَ فرض تقرير سعة المعنى لمرتبةٍ فوقية.

عموم التخاطب والمشافهة في قاعدة

الجري بمعنى التطبيق أو التعبير

تعمق إشكال حجية الظهور بالمخاطبين والمشافهين:

الإشكال: السَّابِع: يلزم على النظرية الأُولى إبعاد عالم التطبيق عن عالم الدلالة ويترتّب عَلَى هَذَا لوازم لا يمكن الالتزام بها، فمثلاً صاحب القوانين.

ادّعى دعوةً حاصلها:

إن حُجّية الظهور مخصوصةٌ بالمخاطب، وآخر ذهب الى اختصاصها بالمشافهة، وأما غير المخاطب فيتأمَّل في حجيّة ظهوره واستظهاره، اي معنى حجّية الظهور هل يختص بالاستظهار بالمشافهين، بأنْ يستظهر ويستنطق المُشافِه للقرآن الكريم أو الأعم من المشافهين والغائبين أو الأعم منهما ومن المعدومين، وإنْ كان تعيين المخاطب أمرٌ مهم وأن حجّية الظهور مخصوصة بالمخاطب.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُ حسب النظرية الأولى يلزم أنْ تكون الآية القُرآنيّة مخاطبٌ بها شخصٌ أو أشخاص، أو جماعةٌ أو جيل معيّن يكون هَذَا مورداً للتطبيق والحصر.

إِلَّا أَنَّهُ وحسب النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية أنَّ القاعِدَة لا تُحصَر ولا تُعْصَر، بَلْ توسّع المفاد القُرآني فِي الآية أو السورة إلى غَيْر زمان ومكان المخاطب، وإنْ اشتملت الآية عَلَى

كلمات مخاطب بها أشخاص بأعيانهم ولا يخفى اشتمال الآيات القُرآنية وألفاظها عَلَى ألفاظ الخطاب وأسماء المخاطبين العدد الكبير فِي القُرآن، كَمَا فِي الخطاب الموجّه للأنبياء وللأُمم والأصناف ولأصناف المخلوقات، وَهَذَا كمٌّ كبيرٌ مِنْ آلاف الجمل فِي الآيات والسور قَدْ عُيِّن المخاطب فِي اللَّفْظ مما يوجب منع قاعِدة الجري فِي غَيْر المخاطب، ويلزم جملة مِنْ الإشكالات السابقة عَلَى النظرية الأولى المبنية عَلَى تعيّن الخطاب فِي حاقّ اللَّفْظ.

هل التأويل حاكم على التنزيل (التفسير) أو العكس

على ضوء المنهج التفسيري للسيد العلامة الطباطبائي

لو ألقينا نظرة فاحصة عَلَى منهج السيد العلّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي رحمه الله صاحب تفسير الميزان فِي تفسير القُرآن الذي انتهج التفسير الموضوع فِي تفسيره، لوجدنا حاكمية التفسير عَلَى التأويل، حَيْثُ دأب العلّامة فِي كُلّ تفسيره عَلَى عزل المفاد الروائي للروايات الواردة فِي ذيل الآيات عَنْ تقرير مفاد الآيات المسمّى بالتفسير، فَلَمْ يجعل لمفاد الروايات أيّ دور ولا صلة بتقرير المفاد الأولي للآيات.

وَحَتّى أنَّ السَّيِّد العلَّامة فِي أواخر حياته الشريفة سُئِل عَنْ ذَلِكَ ـ وَهُوَ ذو ريادة وباع طويل فِي التفسير ـ وَلَمْ يُرَجِّح ما ذكره فِي تفسيره الميزان عَلَى تفسير علي بن إبراهيم القُمِّي وتفسير العيّاشي، والبُرهان للحويزاوي ونور الثقلين لِلْسَّيِّد هاشم البحراني و ... الخ وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ التفاسير الروائية الَّتِي تعتني بترجيح جانب التأويل عَلَى التنزيل والتفسير، علماً لو أردنا إجراء مقايسة بين التأويل والتفسير لوجدنا التفسير قطرة فِي بحر التأويل، وَالسَّيِّد العَلّامَة فِي الميزان وإنْ لَمْ يرجح التفسير عَلَى التأويل وَمَعَ ذَلِكَ جعل البحوث التأويلية عَلَى نحو البحوث

الهامشية والمقتضيه والمختزلة، ولا يفهم مِنْ هَذَا إننا نريد أنْ نُنْكِر دور التفسير والتنزيل، كلّا فَإنَّ التفسير علم لَهُ مؤونته وأعباؤه ويحتاج إلى بذل جهود جبّارَة فِي إنجاز ذَلِكَ.

إلَّا أنَّ التنزيل هُوَ نزول مقدّس وعظيم ولكن بدرجة مخفّفة ونازلة مِنْ حقيقة القُرآن وَهُوَ حبلٌ ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ الناس وطرفٌ مِنْهُ عِنْدَ الله، ولكن وما يعلم تأويله إلَّا الله والراسخون فِي العلم.

والمهم مِنْ كُلّ هَذَا إنّنا عَلَى منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات وبحسب النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق (أو التعبير) لا نرتضي ما انتهى إليه السَّيِّد العلّامةؒ وجماعة فِي أهميّة علم التأويل وانتهوا إلى أنَّ علم التأويل هُوَ علم تطبيقي بخلاف علم التفسير فَإنَّهُ علم تنظيري، وأنَّ علم التأويل هُوَ المدار الذي تدور عَلَيْهِ طبيعة رحى التطبيق، وأنَّ التطبيق تابع إلى التنظير لا العكس، وَعَلَى ضوء هَذِهِ النتيجة بناءً عَلَى النظرية الأُولى يكون الفارق بين علمَيّ التأويل والتفسير للقُرآن بسيطاً.

بخلاف النظرية الثَّانية عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات مِنْ أنَّ علم التفسير إنْ كَانَ يُعَبَّر عنه بعلم التنظير فَهُوَ الذي يدور مداره التأويل، وَعَلَيْهِ فيكون التأويل هُوَ المحور، وَإنَّهُ يوجد فرقٌ كبيرٌ وواسعٌ بين علمي التفسير والتأويل لآيات القُرآن وسوره.

وَعَلَيْهِ فالنتيجة الَّتِي انتهى إليها السَّيِّد العلّامةؒ وجماعة مِنْ

جعل التأويل تبعيٌّ للتفسير معناه إضفاء أهمّيّة لعلم التفسير فوق أهمّيّة علم التأويل، وَهَذَا بخلاف مختارنا وَهُوَ النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات، مِنْ أنَّ علم التأويل هُوَ الفائق عَلَى علم التفسير، وسيتّضح أنَّ كَمال وأوج علم التفسير لا ينتظم ولا يستقيم إلَّا بتحرير علم التأويل ومتوقّف عَلَيْهِ، وَهَذَا لا يتنافى مَعَ الابتداء بعلم التفسير، واستدراكات علم التفسير مراجعاته لا يَتِمُّ كَمالاً إلَّا بالرجوع إلى ضوابط مِنْ علم التأويل.

وَهَذَا نظير ما وَرَدَ عَنْ الصادق عليه السلام ما مضمونه أنَّ الدين لَهُ ظاهر وَلَهُ باطن[1] وَأَنَّهُ لا ظاهر إلَّا بباطن ولا باطن إلَّا بظاهر.

(١) بحوث في مباني علم الرِّجال للشيخ محمد السند حفظه الله: ج٣.

علم التأويل المتأخر رتبة

يضبط علم التفسير المتقدم رتبة

لا منافاة فِي أنْ يتلقّى الإنسان الباحث والمتعلِّم فِي أيّ علم مِنْ العلوم فَهُمْ معانيه وتقريرها مِنْ علم متأخّر رتبة، كَمَا هُوَ الحال فِي تلقّي المُفَسِّر فِي علم التفسير تفهمه مِنْ علم التأويل الذي هُوَ متأخِّر رتبةً عنه، ولا مانع مِنْ ضبط المتأخّر للمتقدم ولا محذور فيه كَمَا هُوَ الحال فِي الدراسات الأكاديمية فَإنَّ المرحلة الاعلى وَهِيَ المتأخِّرة تضبط المرحلة الأدون وَهِيَ السابقة عَلَى أنْ يتخرّج مِنْ الجامعة حاملاً لشهادة عُليا أرقى مما سبق، ولكن الضبط والميزان هُوَ بالعلم الأرقى وإنْ كَانَ فيما بعدُ ومتأخِّر رتبةً، وَهَذَا لا محذور فيه.

وَعَلَيْهِ فالمراحل السابقة لا يمكن إهمالها وأنَّها هِيَ المدارية ولكن ضبطها لابُدَّ وأنْ يكون بعلم ومرتبة أعلى.

كَذَلِكَ الحال بالنسبة لعلمي التفسير (التنزيل) والتأويل فَإنَّهُ لا يمكن أنْ ينضبط التفسير وإنْ كَانَ مُتقدِّماً إلَّا بعلم التأويل وإنْ كَانَ مُتأخِّراً وكذا العكس، وَبَعْدَ أنَّ اتّضحت العلاقة الوطيدة بين علميّ التفسير والتأويل نقول: ـ

فإنْ كُنّا نعطي عذراً وتبريراً للمفسرين فِي تركيزهم وعكوفهم عَلَى علوم التفسير فهذا المبرر يصلح للابتداء ولا مانع مِنْهُ، لا أَنَّهُ مبرر للبقاء والاستمرار فِي التركيز عَلَى علم التفسير وترك وإهمال التأويل فَإِنَّ مثل هَذَا غَيْر مقبول، والمفروض عَلَى كُلّ مفسر ابتداء تفسيره بعلم التفسير عَلَيْهِ أنْ يراجع ويضبط ويصحّح بحوثه ونتائجه التفسيرية بالولوج والتوغّل فِي علم التأويل، وَهَذِهِ مفارقة واضحة بينهما ـ التفسير والتأويل ـ وسيأتي المزيد فِي محلّه إنَّ شاء الله تَعَالَى.

تعدد علم التأويل ومفارقته عن التفسير:

تنبيه هام: لا شكَّ ولا ريبَ إنَّ القُرآن الكريم يحتوي عَلَى علوم متعدّدة وخطيرة ومحورية إلَّا أَنَّهُ وللأسف توجد فِي بَعْض علوم القُرآن مهجورة مِنْ قبل الباحثين والمفسرين مثل التفسير الإشاري أيّ تفسير الإشارات القُرآنية وغيره، فَإِنَّ المروي عَنْ أمير المؤمنين عليه السلام فِي بيان المراحل المعرفية للقُرآن أَنَّهُ عليه السلام قَالَ: «**كتاب الله عَلَى أربعة أشياء: عَلَى العبارَة، وَعَلَى الإشارة، واللطائِفِ، والحقائِقِ؛ فالعبارَةُ لِلعَوامّ، والإشارة للخواصّ، واللّطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء**»[١].

وإنْ كانت هُنَاك بَعْض المناهج التفسيرية لبعض الأعلام كالسَّيِّد الطباطبائي فِي تفسيره الميزان فيها نوع مِنْ الاستقراب لمثل بحث التفسير

---

(١) عوالي اللئالي: ج٤، ص١٠٥ ح١٥٥؛ والبحار للمجلسي: ج٩٢، ص١٠٣ ح٨١.

الإشاري أيّ تعبير إشاري وعبور بتوسّط الإشارة إلَّا أنَّها نتف قليلة متناثرة ولكنَّها ثمينة وخطيرة، وسيأتي فِي بحث نظام المعاني التعرُّض إلى بحث نظام الإشارات ونظام اللّطائف ونظام الحقائق.

وَلابُدَّ مِنْ الالتفات إلى أنَّ علم الإشارة فِي القُرآن غَيْر علم التأويل، وإنْ كَانَ علم التأويل يطلق عَلَى معنى أعم ومعنى أخصّ، فَإِنَّهُ علم تأويل يُطلق عَلَى ما وراء علم التفسير فَكُلِّ ذَلِكَ يطلق عَلَى علم التأويل.

وهكذا علم لطائف القُرآن وعلم حَقائق القُرآن وغيرهما غَيْر علم التأويل، وَهَذِهِ العلوم وغيرها وللأسف لَمْ يَتِمُّ التركيز عَلَيْهَا مِنْ قبل مُفسِّريّ المسلمين وإنْ كانوا لا يستطيعون أنْ يدّعو هَذِهِ المقامات غاية ما عنده علم التفسير، أمَّا علم التأويل أو علم تعبير القُرآن وإشاراته وحقائقه وترجمان القُرآن ولطائفه وغيرها مِنْ علوم القُرآن فإنَّها مِنْ نصيب العترة الطاهرة أئمة أهل البيت عليهم السلام فَقَطْ.

منهج أمومة الولاية على المحكمات فضلا عن المتشابهات

هو الناظم لعلم التفسير والتأويل

(هيكلة منهجية)

لو لاحظنا تفاسير المأثور عَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام نجد فيها كأنّما أوكل التعليم الابتدائي لهذه العلوم القُرآنية والمناهج التفسيرية المختلفة سواء التفسير الإشاري أو اللطائفي أو الحقائقي أو ... الخ إلى علماء الأُمَّة لكنَّ بضوابط بيّنها أئمة اهل البيت عليهم السلام وتعليمهم إلى الإشارات القُرآنية واللطائف وترجمان وتأويل القُرآن؛ لِأنَّ تلك العلوم بعيدة المنال والسيطرة عَنْ قدرة علماء الأُمَّة، ولذا نرى ندرة كتب علوم القُرآن الَّتِي تتطرق إلى هَذِهِ العلوم وا لتفسيرات فِي المكتبة القرآنية عِنْدَ المسلمين.

وَهَذِهِ العلوم فِي الحقيقة هِيَ مهيمنة ولها أمومة وقطبية ومركزية لسائر علوم القُرآن، وَهَذِهِ الأمومة للكتاب بينها نفس القُرآن الكريم أمومة لا للمراتب النازلة وَإِنَّما أمومة للمراتب العُليا مِنْهُ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨﴾[1] و ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٧ ـ ٧٨.

﴿٢٢﴾[(١)] أيّ محفوظ ومكنون ومذخور عَنْ أنْ تناله عامّة البشر، وَهَذِهِ العلوم هِيَ بتدرّجها هَذَا هِيَ علوم فوق علم التفسير.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ العلوم القُرآنية أبداً لا تقتصر ولا تنحصر فِي علم التفسير بَلْ علوم القُرآن حجّة وبعضها فوق بَعْض، ومهيمن بعضها عَلَى بَعْض، وَكُلّ علم يُعتبر محكَمٌ يزيل المتشابه لما دونه، فالرتبة الأعلى تضبط المرتبة الَّتِي دونها، فالأمومة تضبط شتات لما هُوَ فوق لا لما هُوَ دون، وما فوق مثل علم الإشارات وعلم اللطائف وعلم الحقائق ثمَّ أم الكتاب ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾[(٢)].

ولو رجعنا إلى آيات القُرآن وبيانات أئمة أهل البيت عليهم السلام الخاصّة فِي المقام فَإنَّهُ سوف ترتسم لنا خريطة منهج تفسير أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي القُرآن فضلاً عَنْ المتشابهات سواء فِي تفسير القُرآن أو فِي علم بتأويل القُرآن، وخريطة فِي انتظام منظومات القُرآن ضمن هَذِهِ الشاكلة فِي علوم قُرآنية شتّى. وَلَيْسَ التفسير الموضوعي لَهُ القدرة أنْ يرسم لنا تلك الخريطة بَلْ ولا يصل إلى هَذَا الدور وإنْ كَانَ للتفسير الموضوعي دورٌ، وكذلك لَيْسَ بقدرة وإمكان تفسير القُرآن بالقُرآن، ولا بقدرة التفسير النحوي أو الصرفي أو الأدبي أو أسباب النزول أو ...

وإنْ كَانَ لِكُلِّ واحد منهما دورٌ مستقل، ولكن لا يصل إلى دور

---

(١) سورة البروج: الآية ٢٢.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٤.

الهيمنة كَمَا هُوَ لمنهاج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن.

وَعَلَيْهِ إِذَا أردنا أَنْ نرسم مُخططاً لقواعد علوم القُرآن فَإِنَّهُ يجب أَنْ نرسمه عَلَى شكل نظام مخروطي أو دائري مركز المهيمن هُوَ أمومة الولاية عَلَى المحكمات فِي القُرآن الذي يَصِرُّ عَلَيْهَا القُرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام.

إِذَنْ إِذَا كَانَ لعلم التفسير أهمية فِي القرين فلعلم تعبير القُرآن وترجمانه ولطائفه وإشاراته وحقائقه خطورة أكبر فأكبر، فإذا لَمْ نستطع الوصول إلى جملة مِنْ هَذِهِ العلوم الأُخْرَى فِي القُرآن فإنّنا سوف نتمسّك بما هُوَ دون المتشابه، ولذا نلاحظ الاختلاف والاضطراب قديماً وحديثاً بين المفسرين وسببه هُوَ التشابه، وَهَذَا الاشتباه والتشابه لا يرفعه إِلَّا العلم الذي فوقه إلى أَنْ يصل بالفوقيّة إلى أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الَّتِي هِيَ أُسّ الأساس فِي ذَلِكَ، وفي الحديث النبوي المتواتر إشارة إلى ترسيم هَذِهِ الطبقات وهيمنة بعضها عَلَى بَعْض حَيْثُ قَدْ صَوَّر هَذِهِ الولاية ودورها فِي بناء الصرح العظيم للقُرآن والعترة وأنَّهما حبلٌ واحدٌ، وَلَمْ يعبِّر النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بالحبلين وَإِنَّما عَبَّر بالحبل الواحد والحقيقة والصراط الواحد فِي الوجه النازل ثقلين لكنَّهما حقيقة واحدة وحبل ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ الناس وطرف مِنْهُ عِنْدَ الله، ولا يمكن الوصول إلى ما عِنْدَ الله إِلَّا عَنْ طريق العتبرة الطاهرة والتمسّك

بها.

ولذا عِنْدَمَا جاءت الروايات المبيّنة لفضل قراءة الآيات وتفسيرها وفهمها (اقرأ وارقَ) أيّ اقرأ علماً بَعْدَ علم ولا تقف عِنْدَ علم واحد وبتوسّط هَذِهِ العلوم سوف يصبح لديك منظومة قُرآنية.

هَذَا أيضاً ببركة قاعدة الجري والتطبيق وأنَّ لها سِعة وبيان سِعِّي ولا تقتصر عَلَى علم التفسير بَلْ تتجاوز إلى جملة علوم القُرآن.

المحور الأساسي فِي قاعدة الجري

تَقَدَّمَ أنْ مدرك قاعدة الجري هُوَ الآيات والروايات، والمعنى الذي نُريد أنْ نستظهره ونستنبطه مِنْ هَذِهِ الآيات والروايات لقاعدة الجري هُوَ أنْ لا نضيّق المعنى فِي التطبيق فَقَطْ، وَإِنَّمَا قاعدة الجري لا تنحصر بالتطبيق وَإِنَّمَا تتعدّاه إلى غيره - كَمَا مَرَّ - وقبل الدخول فِي ذكر المحور الأساسي لقاعدة الجري لابُدَّ مِنْ ذكر أمرين هامّين لهما صلة بالمقام: -

الأمر الأوّل: ينبغي للمُحَصِّل فِي أيّ علم مِنْ العلوم أنْ لا يبني عَلَى أنَّ كُلّ ما أنجز فِي أيّ علم مِنْ العلوم سواء فِي علم الأصول أو الفقه أو البلاغة أ، النحو أو المنطق أو الفلسفة أو التفسير أو ... الخ ولا يُسلِّم بما أُنْجِزَ ويأخذه أخذ المُسَلَّمات ويكتفي بما حقّقه الآخرون فِي أيّ علم مِنْ العلوم، هَذَا مرفوض، وَإِنَّمَا الصحيح والواجب عَلَيْهِ لبناء ذاتيته العلمية بأنْ يتحرّى ويتحقّق ويتفحّص بنفسه فِي تحقيق المسألة المذكورة والمبحوثة، وأنْ لا يتّكل فِي ترتيب الآثار واستحصال النتائج مِنْ تحقيق ونتاج الآخرين، فَإِنَّهُ يصل إلى بَعْض النتائج، ولكن فِي الأغلب لعلَّها ليست نتائج سديدة، وربما تكون عكسيّة. والذي نُريد التأكيد عَلَيْهِ فِي هَذَا الأمر

الهام هُوَ التأكيد عَلَى بذل قصارى الوسع ونبذ التواكل ونبذ إهمال التحرّي والفحص.

الأمر الثَّانِي: كُلّما تتركز وتتكاثر وتتظاهر جهود البشر حول عالم البيان والدلالة كُلّما يزداد انكشاف أبعاد جديدة فيه يوماً بَعْدَ يَوْم بما يشمل علوم اللُّغَة والأدب والفلسفات الحديثة مِنْ الفلسفات الألسنيّة أو بحوث الفلسفة الإسّلاميَّة بلحاظ الدلالة أو بحوث أصول الفقه وغيرها. فَهَذَا الرُقي والتقدُّم الفلسفي فِي مختلف العلوم هُوَ مبتنٍ عَلَى ما بحثته بَعْض المعاهد العلميّة مِنْ اكتشاف العلاقة والصلة الوطيدة والعظيمة بين الإدراك البشري والعقل والتعقّل والمخ البشري مَعَ أصل علم الدلالة والبيان، وَهَذَا ما كشف عنه القُرآن الكريم والوحي الإلهي، إلَّا أنَّ المسلمين غافلون عَنْ مدرسة أهل البيت عليهم السلام مدرسة الوحي الَّتِي أكَّدت ولا زالت تؤكِّد عَلَى خطورة وعظمة هَذِهِ العلاقة، فَإنَّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام بَيَّنت كيف يصنع اللسان والبيان إنساناً ومعتقداً ورؤيةً مِنْ قبيل: ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ فِي بداية ومستهل عالم الخلقة بِهَذَا الترتيب الطولي الخالق ثمَّ القُرآن ثمَّ تعليم القُرآن ثمَّ خِلقة الإنسان ثمَّ البيان الذي هُوَ أوَّل كمال للإنسان وعِلْمُ البيان فيه مِنْ كنوز المعارف ما لا يُحْصَى.

* **وأمَّا المحور الأساس فِي قاعدة الجري هُوَ**: حسب نظرية السَّيِّد العلّامة وملا صدرا والفيض الكاشاني وَبَعْض علماء ومفسري العامّة و ... الخ هُوَ أبعاد عالم التطبيق وإخراجه عَنْ عالم الدلالة تماماً وَعَنْ

مرحلة الاستعمال مفروغ عنه، إلَّا أنْ نتساءل عَنْ أصحاب النظرية الثَّانية وفق منهج أمومة الولاية هل يمكن إخراج عالم التطبيق عَنْ عالم الدلالة أو لا يمكن؟ فربَّما هُنَاك بَعْض المسلّمات العلميّة لا اصل لها أو لها أصل إلَّا أنَّهُ غَيْر صحيح ومناقش.

الجواب: هُنَا إجابتان: ـ إجابة إجماليّ ﷺ وَأُخْرَى تفصيليّة.

أمَّا الإجابة الإجماليّة: وَهِيَ بالنفي ولا يمكن إخراج وإبعاد عالم التطبيق عَنْ عالم الدلالة والبيان لوجود الصلة الوطيدة بينهما، وتقدم سابقاً إنَّ عالم الدلالة وَاللَّفْظ والمعنى الاستعمالي فِي المرتبة الأولى ثمَّ المعنى التفهيمي فِي المرتبة الثَّانية، ثمَّ الجدّي فِي المرتبة الثالثة ثمَّ التطبيقي وإنها ليست خارجة عَنْ عالم الدلالة والبيان، بَلْ هِيَ مِنْ أدوات ومواد الدلالة وَمِنْ الموازين الَّتِي تقولب وتُقَرِّرَ وَتُؤطِّر عَلَى ضوءها الدلالة مَعَ حفظ المراتب فِي القرائن والدلالة والمدلول.

وأمَّا الجواب التفصيلي: ـ فَقَدْ ذكر الميرزا القُمّي صاحب القوانين المُحْكمة فِي الأصول[١] مطلباً حاصله:

هل خطاب القُرآن مخصوص بالمشافهين أو المخاطبين أو الأعم منهما، وَالمُراد بالمشافهين (أيّ الَّذِيْنَ كانوا حاضري مجلس المكالمة والخطاب كحاضريّ مجلس رسول الله ﷺ عِنْدَمَا وجه إليهم الرسول

(١) هو الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمد حسن، أو يُقال له ابن الحسن الكيلاني الشفتي الرشتي الأصل الجابلاني المولد والنشيء، والقمي الجوار والمدفن، ولد في (جابلاق) أحد نواحي مدينة بروجرد الإيرانية سنة (١١٥٢)هـ وتوفي (١٢٣١)هـ وهو محقّق نحرير فقيه شهير أصولي كبير.

الخطاب مثلاً دون باقي الموجودين، وَهَذَا معنى أضيق) أو يعم الغائبين (وَالْمُرَاد بالغائبين أيّ لَمْ يكونوا حاضرين فِي مجلس المشافهة والمخاطبة) أو يعم المعدومين وَهُمْ غَيْر المخلوقين أصلاً فِي تلك الفترة وَإِنَّما سيتأتون فِي المستقبل والأجيال اللاحقة لزمان الخطاب والمخاطبين.

إِذَنْ عندنا دوائر ثلاث: ـ دائرة المشافهين ودائرة الغائبين ودائرة المعدومين، والميرزا القمي هُنَا ادّعى: ـ أَنَّ حُجِّيَة الظهور مخصوصة بالمخاطب، وأمَّا غَيْر الْمُخاطب فيتأمَّل فِي حُجِّيَة ظهوره واستظهاره، ويتركَّز مطلبه (صاحب القوانين) حول: ـ إنَّ معنى حُجِّيَة الظهور هل يختص الاستظهار بالمشافهين بأنْ يستظهر ويستنطق المشافِه للقُرآن الكريم أو الأعم مِنْ المشافَهين والغائبين أو الأعم مِنْ الْمُشَافَهين والغائبين والمعدومين؟ وإنْ كَانَ تعيين المخاطب أمر مهم وتقدّم أنَّ حُجِّيَة الظهور مخصوصة بالمخاطب، ولكن لنفترض أنَّ المخاطب بالقرآن هُمْ المشافهون أو الغائبون أو جيلٌ مُعيّن[1].

وخلاصة مبناه: إنَّ الْمُتكلِّم إنَّما يعتني فِي تركيب كلامه بقرائن ودوال تبلغ المخاطب ولا يُعنيه عدم وصول تلك القُرآن وما يحتف بتركيب الكلام إلى غَيْر المقصود بالخطاب أو غَيْر المقصود بالإفهام.

ويرد عَلَيْهِ:

---

(١) وسنعقد مبحثاً تحت عنوان [مَن المخاطب في القرآن] فهل المخاطب بكل القرآن هو كل البشر؟ أو المخاطب بعض طبقات القرآن لبعض البشر؟ ورد في كلمات الإمام الباقر عليه السلام [ويحك يا قتادة إنّما يَعْرِف القرآن مَن خُوطِب به] الكافي للكليني: ج٨، ص٣٢١، ح٤٨٥؛ والمجلسي في البحار: ج٤٩، ص٣٥٠، ح٢.

أوَّلاً: منع اختصاص حُجِّيَة ظهور القُرآن وأنَّها مخصوصة بالمخاطبين؟ لا سيما وكلامنا فِي مبحث قاعدة الجري بمعنى التطبيق (أو التعبير)؛ لِإنَّهُ تَقَدَّمَ: ـ أنَّ مُؤدّى قاعدة الجري والتطبيق أنَّهُ لو خوطب بالآية مخاطب فلا تظنّنَّ الآية مخصوصة بِهَذَا المُخاطب الذي خاطبته، كَمَا فِي رواية الفضيل بن يسار عَنْ الإمام الباقر عليه السلام «... **يجري كَمَا تجري الشمس والقمر** ...»[١] ثمَّ أنَّ معرفة مَنْ المخاطب بالقرآن أمرٌ فِي غاية الأهميّة ويؤثِّر عى مصادر معرفة الدين وَهُوَ مِنْ المباحث الأصوليّة الفقهيّة القانونية والكلاميّة والشائكة والخطيرة والحسّاسة.

ثانياً: لو سلَّمنا وتنزَّلنا وتعيّن المخاطب بالقُرآن، ولكن نسأل هل أنَّ قاعدة الجري توسّع لنا حُجِّيَة ظهور القُرآن بأنْ توسع لنا قدرة المعرفة عَلَى مرام الآيات فِي مَنْ قصد إفهامه وخطابه، وصلة الآيات إفهاماً وخطاباً فِي طبقات مِنْ المعاني لا العليا منها المختصة بأهل البيت عليهم السلام، وَإنَّما المخاطب بها كُلّ البشر. حَتّى الَّذِيْنَ لَمْ يخاطبوا وقت نزول الآية وتبليغها مِنْ قبل النَّبِيّ صلى الله عليه وآله للناس، وَعَلَيْهِ فالمخاطب فِي أيّ مرحلة يقع؟ هل يقع فِي مرحلة التطبيق فِي الخطاب القرُآني أو فِي غَيْرها؟

فمثلاً عَلَى ضوء النظرية الأولى فِي قاعدة الجري لِلْسَّيِّد العلّامة الطباطبائي وجماعة: أنَّ الآية القُرآنية مخاطب بها شخص أو أشخاص أو جماعة أو أُمَّة أو جيل مُعيّن يكون هَذَا مورداً حصرياً به ولا تجري قاعدة

---

(١) الوسائل: ج٢٧، ب١٣، ص١٩٦، ح٤٩.

الجري والتطبيق.

إِلَّا أَنَّهُ حسب النظرية الثَّانية فِي القاعدة المبحوث عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات أنَّ القاعدة لا تُحْصَر ولا تُقْصَر، بَلْ تجري القاعدة وتوسّع المفاد القرآني فِي الآية والسورة إلى غَيْر المخاطب وَإلى غَيْر زمانه ومكانه.

إذَنْ حصيلة الجواب التفصيلي هُوَ: ـ أنَّ تحديد المخاطب فِي القُرآن مَنْ هُوَ؟ هل هُوَ شخص المشافَه أو يعم الغائبون أو المعدومين؟ مهمةٌ حسّاسة فِي نفس عالم الدلالة والمدلول وَحُجِّيَة ظهور واستحصال معنى الآيات، وكذلك تحديد المخاطب فِي مرحلة التطبيق لَهُ دور ودخل فِي نفس عالم التكوين، وَعَلَيْهِ فَهُنَاك علاقة وطيدة بين عالم الدلالة فِي توسيع دائرة بناء الظهور وبين عالم التطبيق.

فالحاصل أنَّ قاعدة الجري بتفسير التعبير دافعةٌ لإماتة القُرآن وحصره فِي مورد الماضي بَلْ تجده حيّاً فِي كُلّ زمان وإنْ اختصَّ الخطاب فِي متن اللَّفْظ بمخاطب فضلاً عَنْ الخطابات العامّة الأُخْرَى وَهَذَا بخلاف النظرية الأولى فِي قاعدة الجري فَإِنَّهُ يلزم منها عدم جري القُرآن فِي عِدَّة مِنْ الآيات فِي جملة مِنْ السور.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هَذَا الإشكال لا يرد فَقَطْ عَلَى صاحب القوانين وَإِنَّما حَتّى عَلَى مبنى ونظرية السَّيِّد العلّامة الطباطبائي رحمه الله ـ كَمَا مَرَّ ـ.

الفوارق العملية بين النظريتين

فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير ومميزات كل واحد منهما

بعدما تَقَدَّمَ ذكر النظرية الأُولى فِي قاعدة الجري والتطبيق وَالَّتِي تبنّاها السَّيِّد العلّامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي‌ﷺ وجماعة مِنْ الخاصّة وكذا عِدَّة مِنْ العامّة، وتقدّمت النظرية الثَّانية فِي هَذِهِ القاعدة وَالَّتِي هِيَ مختارنا عَلَى ضوء منهجنا التفسيري للقرآن الكريم أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الكريم، وتقدم كَذَلِكَ المحور الأساسي فِي كُلّ منهما، وسنذكر الآن جملة مِنْ الفوارق بين النظريتين: ـ

الفارق الأوَّل: تتميّز النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير أنَّها عامّة فِي كُلّ الآيات القُرآنية ولا يختصّ تطبيقها ببعض الآيات دون الأُخْرَى، بخلاف النظرية الأولى الَّتِي تبناها السَّيِّد العلّامة الطباطبائي‌ﷺ ـ كَمَا مَرَّ ـ فإنَّها ليست عامّة لِكُلِّ الآيات.

الفارق الثَّانِي: امتازت النظرية الثَّانية بأنَّ قاعدة الجري والتطبيق غَيْر مخصّصة بنظام الاستعمال اللفظي بَلْ تتعدّى إلى نظام عالم المعاني واعالم الحقائق، سواء فِي القُرآن أو الروايات وغيرهما، بخلافه فِي النظرية الأولى فإنَّها تختصّ بنظام الاستعمال اللفظي، وَقَدْ سبق بيان أنَّ القاعدة تجري فِي الحقائق بالأصالة، وفي المعاني بالتبع حسب النظرية الثَّانية.

الفارق الثَّالِث: إنَّ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى النظرية الثَّانية تشمل علم التأويل وعلم التعبير فِي القُرآن وعلم الإشارات وعلم اللطائف وعلم الترجمان وعلم حقائق القُرآن فضلاً عَنْ علم التفسير، بخلاف النظرية الأولى فَإنَّ قاعدة الجري والتطبيق عَلَى ضوئها تختصّ بعلم التفسير فَقَطْ.

الفارق الرَّابع: إنَّ كُلِّيّة المعاني الوسيعة فِي الآيات والسور لا صلة لها بشؤون تشخّصات منطقة التطبيق، ولا نُحَمِّلَ التنظير المفهومي الفكري ألوان وعوارض ومشخّصات المصداق التطبيقي ـ هَذَا حسب النظرية الأولى ـ وَعَلَيْهِ فما وَرَدَ فِي بيان الآيات عَنْ أهل البيت عليهم السلام إنَّما هُوَ لَهُ صلة بعالم التطبيق ولا صلة لَهُ فِي الغالب بعالم التفسير وجري القُرآن، وَعَلَيْهِ فأصحاب النظرية الأولى يفسرون قاعدة الجري بَعْدَ تشفيف وتلطيف المعاني الكُلِّيّة وعموميتها عَنْ ألوان المصاديق فَهِيَ لا تجعل المعنى التنظيري العام للآية يتأثّر أو يتلوّن بالمصداق أو بالتطبيق.

وأمَّا بحسب النظرية الثَّانية فَإنَّ مدلول الكلام يجري إلى مواطن عديدة سواء كانت الموارد مِنْ موارد تنظير المعنى إلى معاني جدّيّة متعدّدة، أو موارد هِيَ مقام تطبيق، فَإنَّ كُلّ هَذَا يحتويه عالم مدلولات الكلام، وَمِنْ ثَمَّ يكون التطبيق جزءاً مِنْ مداليل الكلام، وَمِنْ الواضح أنَّ المصداق التطبيقي أيضاً لَهُ مصاديق بدرجات متفاوتة فِي الأهمّيّة والعناية، والذي يُنَظِّر كلاماً كُلّياً دائماً يلاحظ أهم وأعظم وأخطر

التطبيقات المصداقية، فمثلاً فِي قوله تَعَالَى ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[١].

بتقريب: ـ إنَّ إحياء النفس وكذا قتلها مِنْ الأُمُور البالغة الأهميّة لدى الشارع وَأَكَّدَ عَلَى ضرورة إحياء النفس والمحيي لنفس كأنّما أحيا الناس جميعاً، وغَلَّظَ وشدَّد عَلَى قاتل النفس فكأنّما قتل الناس جميعاً، وإحياؤها إخراجها مِنْ ضلال إلى هُدَى كَمَا فِي رواية الفضيل بن يسار، قَالَ: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله عز وَجَلَّ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فِي كتابه قَالَ: «مِنْ حرقٍ أو غرقٍ»، قلتُ: فَمَنْ أخرجها مِنْ ضلال إلى هُدَى؟ قَالَ: ذَلِكَ تأويلها الأعظم[٢].

ولكن النفوس متفاوتة، فَهُنَاك مثلاً نفوس الأنبياء ونفوس الأولياء ونفوس العظماء ونفوس المُتّقين والصالحين فَإنَّ هَذِهِ النفوس الخيّرة والصالحة لها أهمية أكثر فِي إصلاح نفوس الآخرين الَّذِيْنَ هُمْ فِي درجة أقلّ، بخلاف نفوس الأشرار والعياذ بالله.

وإنْ كَانَ عموم حقن الدماء والمحافظة عَلَى النفوس حكماً عامّاً للكُل ـ النفوس الخيّرة والشريرة ـ إلَّا أنَّ القتل لَهُ مراتب تشديد أشبه ما

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.
(٢) الكافي للكليني: ج٢، ص١٦١، ح٢؛ البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج٢، ص٤٣٨، ح٤.

يكون بحرمة القتل فِي الشهر الحرام آكد مِنْ غيرها فِي باقي الشهور، وهكذا التأكيد عَلَى حرمة المكان فَإِنَّ قتل النفس فِي البلد الحرام وفي الشهر الحرام آكد، وهكذا تختلف المرتبة باختلاف الخصوصية والمزيّة، وَمِنْ الواضح أَنَّ حرمة القتل عِنْدَ الشارع المقدّس انطلقت مِنْ أصول التشريع وما قَدْ يسمّى بمقاصد الشريعة، وَهَذِهِ المقاصد إمَّا مصالح أو مفاسد أو ما شابه ذَلِكَ. فَإِنَّ الشارع يُراعي هَذِهِ الأُمُور فالأهميّة عِنْدَ الشارع تختلف، وَإِذْ كانت الأهميّة تختلف عِنْدَ الشارع إِذَنْ تشريع الشارع المقدّس لحرمة القتل انطلقت مِنْ بَعْض المصاديق الهامّة.

إِلَّا أَنَّ الشيء المهم الذي نريد تسليط الأضواء عَلَيْهِ هُوَ: ـ صحيح إِنَّ الشارع المقدّس لَهُ مقصد فِي الشريعة وتقنين قانون عام، وَهُنَاكَ عموم أفراد ومصاديق للطبيعة، وصحيح طبيعة المصاديق متفاوتة مثلاً نفوس الأنبياء ذَاتَ مرتبة تختلف عَنْ مرتبة نفوس الأوصياء، والأوصياء لهم مرتبة تختلف عَنْ الأولياء و ... الخ وصحيح أَنَّ بَعْض مصاديق الطبيعة لو وضعناها فِي كفّ وَكُلّ مصاديق الطبيعة فِي كفّة أُخْرَى فَإِنَّ الكفّة الأولى ترجح عَلَى الثَّانية، وصحيح أَنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه قَالَ: إِنَّ ضربة علي عليه السلام يَوُم الخندق تَعْدِل عبادة الثقلين، وَهَذَا لَيْسَ اعتباطاً، وصحيح أَنَّ إبراهيم عليه السلام كَانَ أُمَّةً بنصّ القُرآن كُلّ هَذَا صحيح، ولكن الشيء المهم الذي نُريد التأكيد عَلَيْهِ هُوَ انه: لا يمكن أَنْ نقول لا يُكترث بالمصاديق

وأنَّ هَذَا مجرد فِي عالم التنظير وأنَّ عالم التنظير فِي مَعْزل عَنْ عالم التطبيق، وَهَذَا يتماشى مَعَ مبادي النَّظَرِيَّة الأولى وترفضه النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات، والصحيح ما تتبناه النظرية الثَّانية، وأنَّ المصداق جزء مِنْ مدلول الكلام التنظيري، وأنَّ المصداق الأعظم والأخطر فِي التطبيق هُوَ منشأ تكلَّم المتكلِّم وأنَّ المصاديق المُهِمَّة هِيَ منشأ تقنين المقنن، وأنَّه لا يمكن للمقنن والمُنظِّر أنْ يقنن ويُنَظِّر بمعزل عَنْ المصاديق، هَذَا بالنسبة إلى القوانين والأحكام العملية فِي فقه الفروع، ونفس الكلام فيما إذَا كَانَ المُنظِّر فِي علم الكلام وَبَقيَّة العلوم والمعارف الأُخْرَى.

الشاهد عَلَى ذَلِكَ ما يقوله الإمام الصادق عليه السلام فِي بَعْض الروايات ما مضمونه: «**أتحسب أنَّ ما يقوله الله تَعَالَى مِنْ لفظة سماء وأرض ونجم وقمر وفلك وجبال ـ**».

بتقريب: ـ إنَّهُ تَعَالَى لا يُريد مِنْ لفظ سماء وأرض ونجم وقمر وفلك وجبال و ... هَذِهِ السَّماء وَهَذِهِ الأرض وَهَذَا النجم وَهَذَا القمر و ... المشخّصة المعروفة؛ لِإنَّهُ مِنْ الواضح إنَّ المذكورات لها مصاديق أُخْرَى كثيرة بناءاً عَلَى مبنى أنَّ الألفاظ موضوعة لروح المعاني وللغايات ولها مصاديق عديدة، ومثل هَذَا يرتضيه حَتّى مثل السَّيِّد العلّامة صاحب النظرية الأولى.

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾[1]، **بتقريب**: ـ أوَتحسب أنَّ الله تَعَالَى يريد أنْ يكترث بطعام الأبدان فَقَطْ وَفقَطْ دون الاكتراث بطعام الأرواح والعقول والأفكار والذي هُوَ قطعاً أهم مِنْ طعام البدن، وَعَلَيْهِ فهل يحقّ لنا أنْ نقول أنَّ هَذِهِ مُجرَّد تطبيقات بمعزل عَنْ المُراد، وليست معنيّةً بها عِنْدَ تكلم المتكلم؟!

والجواب: بالنفي وَأنَّهُ وَرَدَ فِي بَعْض الروايات فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾[2] كَمَا فِي تفسير العيّاشي عَنْ زيد الشحّام عَنْ أبي جعفر عليه السلام فِي قوله تَعَالَى ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ قَالَ إلى علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه[3]. ولنعم ما عَبَّر به الفيض الكاشاني بما نصّه: «**وينبغي لَهُ أنْ يأخذ علمه مِنْ أهل بيت النبوة الَّذِيْنَ هُمْ مهابط الوحي وينابيع الحكمة الآخذون علومهم مِنْ الله سُبْحَانَهُ حَتّى يصلح لِأنْ يصير غذاء لروحه دون غيرهم ممّن لا رابطة بينه وبين الله مِنْ حَيْثُ الوحي والإلهام فَإنَّ علومهم إمّا حفظ أقاويل رجال لَيْسَ فِي أقوالهم حُجَّة، وأمّا آلة جدال لا مدخل لها فِي المحجّة**»[4].

وَعَلَيْهِ فالباري تَعَالَى أكرم مِنْ أنْ يحاسب الإنسان عَلَى رزقه فِي هَذِهِ الدار الدُّنْيَا مِنْ طعام وشراب، وَإنَّما عَنى الباري تَعَالَى علم الإنسان

---

(١) سورة عبس: الآية ٢٤.
(٢) سورة عبس: الآية ٢٤.
(٣) العيّاشي: ج٣، ص١٦٦.
(٤) تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ج٥، ص٢٠٥.

وعقيدته ومعرفته بالله وعمن أخذها، وصحيح أنَّ الباري تَعَالَى ذكر بَعْض المصاديق النازلة إلَّا أنَّهُ غَيْر مكترث بها أصلاً، وَعَلَيْهِ لا يحق لنا أنْ نقول: ـ أنَّ معنى الآية المباركة هُوَ مجرد معنى تنظيري تجريدي بمعزل عَنْ التطبيق.

هَذَا مضافاً إلى أنّنا لو أخْوَينا وفَرّغنا الآية المباركة وبقيّة الآيات مِنْ شامخات المصاديق التطبيقية وأنَّها ليست مرادة للآية، وأنَّ المُرَاد هُوَ ما يكون بحوزة الدلالة اللفظية فَقَطْ فَهَذَا معناه أنّنا أفقدنا المعنى شموخه وروحه وعظمته وقيمته العلمية، وجعلنا معنى الآية نازل وقشري هَذَا كُلُّه عَلَى حسب مبنى النظرية الأولى.

بخلاف ما إذَا بنينا عَلَى النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فنقول: ـ

إنَّ المصاديق فِي التطبيق مأخوذه بنظر الاعتبار بأهميّة وجديّة تفوق الإرادة وَالمُرَاد الاستعمالي وَالمُرَاد التفهيمي وَالمُرَاد الجدّي الأوَّل والثاني والثالث و ... وَعَلَيْهِ فأصل سوق الكلام مِنْ البدء ناظرٌ إلى المصداق الأعظم والأهم فكيف نعزل التنظير عَنْ التطبيق؛ ولذا هُنَاك جملة مِنْ أهل التحقيق فِي لطائف القُرآن والمعاني وما شابه ذَلِكَ سواء الصوفيّة أو العُرفاء وإنْ لَمْ تكن عندهم هَذِهِ القراءة مِنْ منهاج أهل البيت عليهم السلام، فإنَّهم يقولون بأن المخاطب الأصلي والأوَّل فِي القُرآن هُوَ المصداق الأعظم سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وَعَلَى الآخرين الاحتفاء والاقتداء به صلى الله عليه وآله،

وَهَذَا نظير أفراد الواجب الكفائي، صحيح إنَّ الواجب الكفائي مسؤولية عامّة عَلَى الجميع، ولكن ذوي القُدرات العلمية أو بسط اليد والنخب المتميّزة وذو الوجاهة والامتدادات الاجتماعيّة مسؤوليتهم فِي الواجب الكفائي أعظم مِنْ غيرهم. مَعَ أَنَّهُ كلكم راع وكلكم مسؤول عَنْ رعيته، إلَّا أنَّ شدّة تحميل المسؤولية للنخب القمميّة أشدّ خطاباً وإلزاماً عَنْ عموم الطبقات النازلة وحينئذٍ يصح تطبيق الآية ، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾[1] وبدليل الآية ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2]، بتقريب: ـ إنَّ الخطاب الأصلي فِي الآية المباركة موجّه إلى تلك النخبة المعيّنة مِنْ تلك الأُمَّة والتبع لجميع الأُمَّة، وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[3].

بتقريب: ـ أيضاً الخطاب لأولياء الأُمُور وَهُمْ المعصومون ويتبعه درجات مخفّفة لبقيّة الطبقات الأكمل فالأكمل ولعموم المؤمنين.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا: ـ إنَّ كُلّ ما تَقَدَّمَ مِنْ شواهد تطبيقية وما سيأتي هِيَ شواهدٌ عَلَى عدم إمكان استبعاد مقام التطبيق عَنْ التنظير والحال أنَّ المخاطب الذي وجّه إليه الخطاب فِي الآيات والروايات هُوَ

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠.
(٣) سورة التوبة: الآية ٧١.

الركن الركين، وَهَذَا ما أشرنا إليه فِي محله مِنْ أنَّ علماء الأصول بحثوا مَنْ هُوَ المقصود بالخطاب هل المشافهين أو الحاضرين أو يشمل المعدومين ـ أيّ غَيْر الموجودين فِي زمان الخطاب وَالَّذِيْنَ سيُخلقون فِي المستقبل ـ وبالتالي المعني بالخطاب لا يمكن أنْ نغفله؛ ولذا صار التركيز أكثر عَلَى المخاطب الحاضر مجلس الخطاب مِنْ الغائب، والمشافهة أكثر تركيزاً مِنْ غَيْر المشافهِ والمعدوم أقل درجة مِنْ غَيْر المشافه ـ الغائب ـ وهكذا، هَذَا بحسب الحضور والغياب والمشافهة، لكنَّ ربما يمكن تصوّر وجود درجات أُخْرَى أعظم مِنْ المشافهين.

وَعَلَيْهِ فنفس توجيه الخطاب ليسَ عَلَى درجة واحدة، وَهَذَا أمرٌ مُسَلَّمٌ حَتّى عِنْدَ علماء البلاغة والأصول، شاهد صِدْق وبَيِّن عَلَى عدم إقصاء مقام التطبيق عَنْ مداليل الخطاب والكلام.

الفارق الخامس: تولّدَ فرقاً خامساً من السابق: ـ أنَّ المصاديق الهامّة والأهم للكلام أَعْظَمُ قرينيةً وتأثيراً عَلَى دلالة الكلام وبالتالي فعناصر الدلالة لا تقتصر عَلَى الألفاظ والمعاني، نظير ما يُقَال أنَّ القرائن الحالية والسياقية لها دخالة فِي محصل الدلالة والمدلول. وكيف لا والمصداق الأبرز والأعظم هُوَ المُراد الأصلي والمَعْنى عَلَى النظرية الثّانية، فكيف لا يكون المُرَاد الأصلي محوراً فِي تقرير الدلالة وَهَذِهِ مِنْ الفوارق والفوائد العظيمة بين النظريتين.

عالم التطبيق لا صلة له بالألفاظ والمعاني الذهنية

مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ يُعْلَم أنَّ عالم التطبيق هُوَ عالم تكوين ووجود خارجي لا صله لَهُ بالألفاظ ولا بالمعاني الذهنية، إلَّا أنَّهُ يمكن أنْ يُجاب عنه: ـ بأن عالم التطبيق وإنْ كَانَ عالم تكويني لكنْ يمكن انطباع صورة ذهنية لعالم التكوين والخارج قبل وقوعه وَبَعْدَ وقوعه لَهُ صورة ذهنية فيكون لَهُ مدلول ذهني وبالتالي فَهَذَا المصداق التطبيقي معنى ذهني أيضاً يقع وراء المعنى الجدّي مِنْ سلسلة المعاني الَّتِي يَدُلّ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ قابل للتصوير.

وربما يُعبِّرون عَنْ العلم الذي يتكفّل للتطبيق هُوَ علم التأويل وعلم الباطن وَعَنْ علم التشريع أو التنظير ـ أيّ مرحلة الدلالة والمعاني ـ بعلم الشريعة.

وهكذا أصحاب النظرية الأولى ـ السَّيِّد العلّامة وَمَنْ تبعه ـ بَلْ وَحَتّى علماء الأدب وَاللُّغَة جعلوا المعنى الجدّي مِنْ شؤون اللَّفْظ والسبب فِي ذَلِكَ؛ لِأنَّ المعنى الجدّي تربطه مَعَ اللَّفْظ إرادةٌ، وَذَلِكَ ببيان: ـ

إنَّهُ يمكننا التعبير عَنْ طبقات المعاني أنَّها أربع طبقات ثلاث منها تصديقية وواحدة وَهِيَ الأولى تصورية، وأمَّا الدلالة الاستعمالية فَقَدْ انطلقنا إليها مِنْ اللَّفْظ وَمِنْ الدلالة الاستعمالية انطلقنا إلى المعنى

والدلالة التفهيمية، أيّ انطلقنا مِنْ معنى إلى معنى آخر، فَإنَّ نفس المعنى الاستعمالي صار بدوره آية دالَّة عَلَى المعنى التفهيمي ونفس المعنى التفهيمي صار آلية دالَّة لها دلالة بدورها توصلنا إلى المعنى الجدّي فصار الفاصل بين المعنى الجدّي وَاللَّفْظ جداران أو ثلاثة جُدُر بالمعنى الاستعمالي وجدار بالمعنى التفهيمي والثالث بالمعنى التصوري، مَعَ هَذَا الفاصل بالجدارين أو الثلاثة بين اللَّفْظ والمعنى الجدّي جعلت النظرية الأولى، بَلْ حَتّى عِنْدَ علماء الأدب وَاللُّغَة المعنى الجدّي مِنْ شؤون اللَّفْظ لوجود رابطة بينهما ـ المعنى الجدي و اللَّفْظ ـ وَهِيَ الإرادة النهائية، وَهَذَا معناه إنَّ المعنى الجدّي مِنْ أوَّل الأمر قَدْ سيق لَهُ الكلام؛ لذا كانت هُنَاك علاقة وطيدة بين اللَّفْظ والمعنى الجدّي مِنْ بداية كلام المتكلِّم، وَهَذِهِ حقيقة لطيفة فارقة بين النظرية الأولى وَالثَّانية وتكون النتيجة لصالح النظرية الثَّانية وَهِيَ مختارنا عَلَى ضوء منهجنا التفسيري أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن.

وَذَلِكَ ببيان: ـ

إنَّ التطبيق هُوَ إرادة جدّية آكد جدّية فِي استعمال اللَّفْظ مِنْ المعنى الجدّي؛ لِأنَّ المعنى الجدّي تنظير والغاية مِنْ التنظير حسب النظرية الثَّانية هِيَ التطبيق، ويكون التطبيق مراداً بالإرادة الجدّية ويُعطي الحُسْنَ والحكمة وتُنْفَى عمليّة اللغوية لكونها لغوٌ وعبث عَنْ المُرَاد الجدي، وَإلَّا لو كَانَ هُنَاك تنظير بلا تطبيق كَانَ لغواً، مثلما المُرَاد التفهيمي بلا مراد

جدّي يكون لغواً وهَزَلاً، وهكذا الاستعمالي بلا جدّي يكون لغواً فكذلك التنيظر بلا تطبيق.

وَعَلَيْهِ فكيف يكون المقام التطبيقي حسب النظرية الأولى لَيْسَ مِنْ شؤون اللَّفْظ ولا صلة لَهُ به ـ اللَّفْظ ـ بخلاف النظرية الثَّانية. فَإِنَّ النظرية الأولى فِي قاعدة الجري والتطبيق ـ أو التعبير ـ الَّتِي تعزل مقام التطبيق عَنْ مقام التنظير وَمِنْ ثَمَّ تذهب هَذِهِ النظرية إلى أنَّ المحافظة عَلَى حيوية وحياة القُرآن الكريم وديمومته وديمومة وخلود تشريعات الدين الإسلامي الحنيف تتمَّ بمعزل مقام التنظير عَنْ مقام التطبيق إذَا أمكن هَذَا العزل وتكون بيانات القُرآن الكريم عَلَى هَذِهِ النظريّة مواكبة لِكُلِّ جيل سواء فِي القوانين العملية فِي أحكام الفروع أو فِي المعارف أو فِي كُلّ ضوابط آداب النفس وسلوكياتها.

النظرية الثانية تسائِل النظرية الأولى:

هُنَاك تساؤل يُثيره أصحاب النظرية الثَّانية عَلَى أصحاب النظرية الأولى ما حاصله: ـ

كيف مقام التطبيق لا علاقة لَهُ باللفظ، فَإِنَّ المعنى الجدّي إذَا كَانَ لَهُ صلة التنظير باللفظ لِأنَّ اللَّفْظ دالٌّ عَلَيْهِ بالواسطة، وكذلك التطبيقي أيضاً دالٌّ عَلَيْهِ بالواسطة إنْ كَانَ الربط بين المعنى التنظيري الجدّي وَاللَّفْظ.

إذَنْ الغاية النهائية مِنْ الإتيان باللفظ لَيْسَ الإرادة الاستعمالية، وَإنَّما هِيَ جسر، وهكذا التفهيمية والجدّيّة هُمَا جسر للتطبيق، فالرابطة إنْ كانت هِيَ نهائية غائية الإرادة فَهِيَ أحرى بالصدق فِي التطبيق مِنْهُ مِنْ المعنى التنظيري الجدّي.

وَعَلَيْهِ فالغاية مِنْ التنظير هُوَ الوصول إلى التطبيق وَلَيْسَ الغاية مِنْ التنظير جعل المعنى التنظيري بلا ثمرة وبلا غاية، وَإنَّما الغاية مِنْ التنظيري هُوَ صفة الجدّية فصفة الجدّية عَلَى التطبيق حسب النظرية الثَّانية أوثق جدّية مِنْ التنظير وأبعد غوراً فِي الجدّيّة.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أنَّ المعنى التطبيقي معنى جدّي آكد وأوغل فِي الجدّيّة مِنْ المعنى الجدّي التنظيري، فَإنَّ المعنى الجدّي التنظيري معنى جدّي أولي ابتدائي فِي الجدّيّة وَهَذَا المقدار مُتّفق عَلَيْهِ أصحاب كلا النظريتين مِنْ أنَّ المعنى الجدّي حَتّى التنظيري يكون الفاصل بينه وبين اللَّفْظ بطبقتين أو ثلاث وإذا كَانَ الأمر كَذَلِكَ فَإنَّ الغاية النهائية هِيَ العلة الغائية الحقيقية وأنَّ المُرَاد الجدّي لَهُ مراحل فَهُنَاكَ مرحلة جدّية ابتدائي، وجدّي متوسِّط وجدّي عالي وأعلى و ... الخ وبالتالي ستصل إلى مراحل مُتعدِّدة، وَهَذَا بُرهان عقلي وأدبي ولغوي. وَعَلَيْهِ فلا يمكن إقصاء مقام التطبيق عَنْ مراحل الدلالة وَاللَّفْظ بَلْ بالعكس هُوَ أحرى بأنْ يندرج مقام التطبيق فِي مداليل الكلام ثُمَّ إنَّهُ إذَا دخل عالم التطبيق إلى عالم المدلول فَإنَّهُ كيف نجري الموازنة فِي

التطبيق خاصّة إذَا كانت المصاديق فيه الطبيعة كثيرة ودائماً المنظور فِي مصاديق تلك الطبيعة أهمها ملاكاً وأبرزها وأشدّها وضوحاً؛ لِأنَّ المصاديق فيها شدّةٌ وضعفٌ، ودائماً المصداق الأشدّ والأعظم هُوَ الغاية النهائية وَلَيْسَ المنظور كُلّ التطبيق فاهتمام المتكلّم الأوفر يصبه عَلَى ملاحظة المصداق الأكبر لا بلحاظ المصداق الأوسط أو الأدنى، وَهَذَا يُفهمنا ـ مِنْ باب الكلام يجري الكلام ـ أنَّ المخاطب الأصلي فِي القُرآن هُوَ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأهل بيته عليهم السلام.

المخاطب الأصلي في القرآن هو النبي وأهل بيته عليهم السلام

إِنَّما يُعرف القُرآن مَنْ خوطِب به، وإنْ كَانَ القُرآن هُوَ خطاب لِكُلِّ البشر والجن والملك لكنَّ الاهتمام بالمصداق الأبرز والأعظم والخطير. وهكذا فِي كُلّ الخطابات وَعَلَى مختلف الأصعدة والمستويات يوجه الخطاب إلى النخبة المسؤولة وَمَنْ يهمّه الأمر الأهم فالأهم والأقرب فالأقرب؛ وَمَنْ هُوَ أهل التحمُّل للمسؤولية، ولذا نلاحظ فِي الروايات الَّتِي فيها إلقاء الواجبات والوظائف العامّة عَلَى النخب العلميّة وَالعُلَماء ما مضمونه: «**لا يحاسب الله الجاهل بشيء حَتّى يُحاسب العالِم**».

بتقريب: ـ إنَّ العالِـمَ سواء كَانَ فِي العلوم الدينية أو غيرها مِنْ العلوم النخبوية، وانطلاقاً مِنْ قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ـ «**كلكم راع وكلكم مسؤول عَنْ رعتيه**» فَإِنَّ الخطاب وإنْ كَانَ عامّاً لكنَّ درجة المسؤولية تختلف درجة الخطاب فيها شدَّة وضعفاً مَعَ ما يتناسب مَعَ حجم المسؤولية فإنْ كَانَ حجم المسؤولية خطير وعظيم كانت درجة خطابه كَذَلِكَ.

وَعَلَيْهِ فالخطاب القرآني فِي قاعدة الجري والتطبيق ـ أو التعبير ـ

يتمركز عَلَى المصداق الأكبر فِي جانب الخير، والمصداق الأسوء فِي جانب الشر. هَذَا كُلَّهُ بلحاظ النَظَرِيَّة الثَّانية فِي الجري والتطبيق ـ أو التعبير ـ حسب منهجنا التفسيري المُختار أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن الكريم.

والخلاصة: ـ إنَّ المصداق الخطير والكبير يحافظ عَلَى لُبّ ولُباب المعنى، وأبرز مصاديق المعنى أو الطبيعة العامّة للمعنى هُوَ أبرز مصاديقها وبه يتجلّى مركز لطبيعة المعنى بخلاف المصاديق المتوسِّطة أو النازلة الطبيعة فِي تلك المصاديق بلون خافت وبهويّة تكاد تكون مُضمحلّة ونورها ضئيل بخلاف تواجد الطبيعة فِي المصاديق الأهم والأكبر فَإنَّ وجود الطبيعة فِي تلك المصاديق يحفظ هويتها وطابعها.

إذَنْ فِي مقام التطبيق ليست كُلّ المصاديق ذَاتَ أهميّة واهتمام وَعَلَى نسق واحد لدى المُتكَلِّم وَهُوَ الباري، فمثلاً عِنْدَمَا يُخاطب الباري تَعَالَى الأبناء: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1]. فإحسان مَنْ هُوَ المطلوب؟ فَإنَّ الوالدين القريبين غَيْر الوالدين البعيدين اللذين هُمَا الجد الخامس والسادس مثلاً فصبّ الشَّارع اهتمامه وإحسانه للوالدين القريبين فيما هُوَ ضرورة بحيث يدفع درجة العقوق، هَذَا أهم عِنْدَ الشَّارع مِنْ أيّ إحسان آخر يسير، وَهَذَا معناه أنَّ المُراد الجدّي عِنْدَ الشَّارع عَلَى درجات مُختلفة، فما هُوَ أقرب يعتبر أعظم المصاديق وأخطرها مثلاً وَهُمَا فِي الآية الأبوين

(١) سورة البقرة: الآية ٨٣.

المُباشرين القريبين اللذين هُمَا فِي تماس مَعَ الولد وإذا لَمْ يُحْسِن لهما فَقَدْ عَقَّهما بخلاف الجَدّين الأبعد فالأبعد، فَإِنَّ درجة التماس معهما قليلة جداً وفرض وقوع العقوق مِنْهُ للبعيدين قليلة بَلْ نادرة، ولذا اهتمَّ الشَّارع بالمصداق الأعظم والأكبر للوالدين وأراد بالوالدين أيّ المُباشِرَينِ القريبين، وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]. فَأيّ قُربى للنبيﷺ أعظم عِنْدَ الله؟ فَإِنَّ النَّبِيّﷺ لَهُ أقرباء كثيرون وَعَلَى درجات ولكن المُرَاد اعظم درجات القُربى أيّ قربى ذريته المعصومينعليهم السلام الَّذِيْنَ نصَّ رسول اللهﷺ عليهم ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ

ولادة الروح أعظم مِن ولادة البدن:

وَقاعدةِ الجري والتطبيق أو التعبير:

فإذا كَانَت هُنَاك ولادة للبدن مُهمّة فولادة الروح أعظم وأخطر عِنْدَ الشَّارع مِنْ ولادة البدن، فولادة الرُّوح هِيَ حياتها بالعلم، فَإِنَّ الرُّوح العالمة حيّة وَالرُّوح الجاهلة ميّتة، وَذَلِكَ لِأَنَّ العلم يجعل الرُّوح تعيش وتلج فِي ذَلِكَ العالم ولولا العلم لما وَلَجَتْهُ ووصلت إلى تلك الطَّبقات العاليّة فَإِنَّ الرُّوح فيها طبقات مُجَمَّدَة وضامِرَة غَيْر مفتقة وَغَيْر مُفَعَّلة فببركة العلم أصبحت الرُّوح تعيش تلك الحالة النورانيّة،؛ ولذا

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.

يفترق الطَّبيب البدني عَنْ الطَّبيب الرُّوحي، فَإِنَّ الطَّبيب البدني يكفل سلامة بدن الإنسان مُدَّة حياته الَّتِي قَدَّر الله تَعَالَى أنْ يعيشها، أمَّا الطَّبيب الرُّوحي فيكفل سلامة الرُّوح وحياتها إلى الأبد إنْ طبَّقْنا وسِرْنا عَلَى ما قنّنه، وَعَلَيْهِ فَهَذَا البحث لَيْسَ نظري عياني وَإِنَّما لَهُ حقيقة عَلَى أرض الواقع، فمثلاً قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**يا علي أنا وَأَنْتَ أبوا هَذِهِ الأُمَّة**» يعني أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام الأبوان الروحيان لهذه الأُمَّة ومعلِّماها وَهُمَا أعظم مصاديق الوالدين، والذي يحيي الإنسان هُوَ الذي يولده روحيّاً وَهُوَ أعظم مِنْ حياة ولادة الإنسان بدنيّاً؛ ولذا وَرَدَ عَنْ المعصوم فِي تفسير قوله تَعَالَى ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[1] أنَّ المُراد مِنْ الإحياء هُوَ الإحياء بتعليمها وبالهداية أعظم مِنْ إحيائها بالإحاطة ببدن تلك النفس.

وَعَلَيْهِ فَهُنَاك بون واسع بين طبيب البدن وبين طبيب القلب والعقيدة وَالرُّوح.

لذا نلاحظ أنَّ الشَّارع المُقَدَّس يُركِّز عَلَى المصداق الأعظم بالإحياء للنفس أيّ هدايتها وإحياءها بالعلم والمعرفة، و ﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا**﴾[2] تأويلها الأعظم مَنْ أضلّها بالجهل وعدم التعلُّم.

وإنْ كانت النفوس متفاوتة فَهُنَاك نفوس الأنبياء ونفوس الأولياء

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٢.

ونفوس العُظماء ونفوس المُتّقين والصالحين والأشرار و ... الخ، وإنْ كَانَ عموم حقن الدماء والنفوس حُكماً عامّاً لِكُلِّ مراتب النفوس، وَعَلَيْهِ فطبيعة النفوس لها مصاديق كثيرة، وَعَلَيْهِ فكيف يمكن عزل مقام التنظير الجدّي عَنْ مقام التطبيق؟ إنَّهُ لا يمكن ذَلِكَ.

إذَنْ حسب النَظَرِيَّة الثَّانية أنَّ المصداق الأعظم يُجْلي لنا المعنى أكثر، وَعَلَيْهِ لا يمكن فصل عالم التطبيق عَنْ أصل التقرّر الدقيق للمعنى الجدّي ـ حسب النَظَرِيَّة الثَّانية ـ

إذَا أردنا تقريراً منضبطاً لمعاني آيات القُرآن الكريم فيجب أنْ نجعل المصاديق الأهم تطبيقاً وأنَّ عالم التطبيق هُوَ عالم الأمثلة، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الخطأ أنْ نتّبع ما قاله البلاغيون وعلماء الأدب وَمِنْ بعدهم علماء التفسير أنَّ عالم التطبيق خارج عَنْ عالم الدلالة، والمدلول ولكن العكس هُوَ الصحيح مِنْ أنَّ المثال مِنْ شواهد التبيان ولا نقصي عالم المثال والتطبيق عَنْ عالم الدلالة.

المصاديق الأتم للطبيعة تتجلى فيها آثار الطبيعة

لِكُلِّ طبيعة مِنْ الطبائع نوعين مِنْ المصاديق، فَهُنَاك مصاديق وتطبيقات للطبيعة العامّة لمعنى فِي جملة مِنْ المصاديق الضعيفة، فنلاحظ جملة مِنْ أحكام تلك الطبيعة تتلاشى آثارها لضعف الأنسباق الخاصّ منها شبيه ما يُقَال: «**الوجود دائماً يلازم الحياة والعلم والنو ر... الخ**» فإذا لاحظنا هَذَا الوجود للطبيعة العامّة عِنْدَمَا يتواجد فِي مصاديق ضئيلة كالجماد أو الهباء المنثور وما شابه ذَلِكَ فلا تلمس مِنْ خلاله النور او الحياة بنحو بارز أو متوسِّط بَيِّن أو ... الخ فِي حين الحياة بحسب البُرهان العقلي ولو درجة منها ـ الحياة ـ فإنَّها تلازم الوجود إينما حَلَّ، والحال أنَّ هَذَا الأثر للحياة موجود حَتّى فِي مثل الجماد لكنَّه غَيْر محسوس به.

إذَنْ المصاديق الضعيفة مِنْ الطبيعة قَدْ لا يُستجلى فيها آثار الطبيعة أو تتلاشى ولو عَلَى مستوى الإدراك الحسّي.

وَهَذَا بخلاف النوع الآخر لمصاديق الطبيعة العامة وَهِيَ المصاديق الأتمّ للطبيعة الَّتِي تتجلّى فيها آثار الطبيعة وأحكامها بشكل بارز جلي لا يشذّ ولا يفوت الباحث والناظر أثر مِنْ الآثار، وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أنَّ المُرَاد بالضبط لَيْسَ ضبط المُرَاد الجدّي ولا التفهيمي ولا الاستعمالي وَإنَّما المُرَاد هُوَ انضباط نظام المعنى بالتطبيق، وَهَذَا رَدٌّ عَلَى علماء اللُّغَة والعلوم

الأدبية إلى أنَّ عالم التطبيق خارج عَنْ عالم شؤون الدلالة وَهُوَ غَيْر صحيح لِأَنَّ كثير مِنْ الارتكازات ـ حَتَّى عِنْدَ علماء اللُّغَة والبلاغة ـ يستفيدونها مِنْ عالم التطبيق واستحصال دقيق مِنْ صورة المعنى للمراد الجدّي فَهَذِهِ امتيازات لعالم التطبيق، بخلاف ما إِذَا أقصينا عالم التطبيق عَنْ شؤون الدلالة بالمرّة فحينئذٍ سوف نعجز عَنْ استجلاء صورة بيّنة ومنضبطة بلوازمها وآثارها، وَعَلَيْهِ يتّضح أنَّ عالم التطبيق عالم عظيم.

وكذلك يتميّز عالم التطبيق بأن لَهُ صورة ذهنية وصورة مفهوميّة وَلَيْسَ عالم التطبيق افتراضياً كلا وَإِنَّما يقع عالم التطبيق فِي سلسلة المعاني الذهنية غاية الأمر هُوَ وراء المعنى الجدّي وَهُوَ أبين وأجدر مِنْ المعنى الجدّي وَعَلَيْهِ فمعنى عالم التطبيق يصبح هُوَ جدّ الجد لِأَنَّ الغاية مِنْ الجدّي جديّة أُخْرَى وَهُوَ التطبيق.

تعدد مراتب المعنى الجدي:

الفارق السَّادِس: تتميز النَظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق ـ أو التعبير ـ بأن ما وراء المعنى الجدّي لا يُحْصر فِي التطبيق، وأنَّ ما وراء المعنى الجدّي مراتب أُخْرَى مِنْ المعاني الجدّيّة المهيمنة وَكُلَّهَا مرادة، فلا ينحصر المعنى الجدّي فِي معنى وحياني فالجدّي يصير مِنْ معنى إلى معنى ولا يختصّ الجري مِنْ المعنى إلى المصداق التطبيقي فَقَطْ، وَهَذَا أحد الفوارق المُهِمَّة بين النظريتين فِي قَاعِدة، الجري والتطبيق أو التعبير فَإِنَّ النَظَرِيَّة الثَّانية قائمة عَلَى العبور والعبرة والمرور والجري مِنْ معنى

مقصود إلى معاني أُخْرَى مقصودة أيضاً، كَمَا أنَّ العبور لا يقتصر عَلَى ذَلِكَ بَلْ العبور من المعنى إلى المصداق وكذلك مِنْ المصداق إلى المصداق، بَلْ وَمِنْ المصداق إلى المعنى وَهَذِهِ أقسام عديدة تتّسع لها قاعدة الجري عَلَى النَظَرِيَّة الثَّانية كَمَا يتّضح مِنْ باقي الفوارق.

كَمَا أشار إليها البيان الروائي عَنْ الإمام الصادقعليه السلام مِنْ قبله أمير المؤمنينعليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ـ كتاب الله عَلَى أربعة أشياء: العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء[1].

بتقريب: ـ إنَّ هَذِهِ الطَّبقات الأربع عَلَى مراتب ودرجات والمرتبة الأعلى أكثر لطافة وشفافيّة مِنْ الأقل، وهكذا الإشارات أكثر لطافة مِنْ المعنى الجدّي، والمعنى الجدّي أكثر لطافة مِنْ التفهيمي، والتفهيمي أكثر لطافة مِنْ المعنى الاستعمالي، والاستعمالي أكثر لطافة مِنْ المعنى التصوري.

فمثلاً الشَّارع يُشَرِّع لنا حقوق الزوجين فِي عِدَّة آيات مثل ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]. و ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[3]. و ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾[4] و ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ

---

(١) تفسير البرهان، المقدمة: ص٣٠.
(٢) سورة النساء: الآية ١٩.
(٣) سورة الروم: الآية ٢١.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[(١)].

وغيرها فالمقصود مِنْ تشريع نظام حقوق الزوجين بِهَذَا النمط ينطلق مِنْ مقاصد وأُسس تشريعية غرضها الحفاظ عَلَى النسل البشري ابتداءاً مِنْ قضاء الوطر بين الزوجين وفترة السكون والاستقرار والانسجام بين الزوجين ثمَّ بناء حياة أُسريّة يَتِمُّ فيها إنجاب أولاد صالحين لبناء مجتمع سليم وصحيح، وَمِنْ العدل الإلهي أنَّ هَذَا التشريع بين الزوجين ينطلق مِنْ أسس تشريعية فوقه، وَهَذَا الأساس التشريعي الفوقي أيضاً ينطلق مِنْ فوقية أكثر فأكثر.

الفرق السَّابع: إنَّ النَظَريَّة الأولى تفسر الجري بمعنى التطبيق والانطباق بالمعنى التنظيري الكُلِّي للآية بخلاف النَظَريَّة الثَّانية فإنَّها تفسر الجري ومعناه: أنَّ المُرَاد مِنْ استعمال ألفاظ الآية لا عَلَى صعيد مرحلة الاستعمال أيّ عَلَى صعيد المُرَاد والإرادة فَقَطْ وَإنَّما معنى الجري هُوَ فِي ضمن كُلّ المراحل مِنْ المعاني وأنَّ مرادات القُرآن تجري وتسير ولا تقف عِنْدَ حدٍّ معيّن.

تعدد كل مراحل المعاني:

الفرق الثَّامِن: إنَّ النَظَريَّة الأولى تقتصر عَلَى مقام التطبيق أو ترجع إلى التطبيق مِنْ المُرَاد الجدي والمصداق الأهم فِي مقام التطبيق هُوَ

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٤.

المُرَاد الجدّي.

أَمَّا النَظَرِيَّة الثَّانية: مُضافاً إلى الرجوع إلى المُرَاد الجدّي والمصداق الأهم فِي مقام التطبيق إلَّا أنَّها لا تقتصر عَلَى مقام التطبيق والتأويل فِي التنظير بَلْ تتعدّى فِي التأويل وفي التنظير ولا تقف عَلَى تنظير درجة واحدة، فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ أَنَّهُ بَعْدَ مداليل الكلام الاستعمالية والتفهيمية فِي باب الكنايات تصل النوبة إلى المُرَاد الجدّي، إلَّا أنَّ المُرَاد الجدّي التنظيري لَيْسَ عَلَى درجة واحدة، بَلْ هُوَ عَلَى درجات مختلفة، فَهُنَاكَ مراد جدّي تنظيري أوَّل، وثاني وثالث و ... الخ وهكذا لا يقف وَهُوَ الذي أشرنا إليه سابقاً والمستفاد مِنْ الرواية الشريفة السابقة وأنَّ هُنَاكَ علم إشارات القُرآن وعلم لطائف القرين وعلم حقائق القُرآن وعلم تعبير القُرآن وترجمان القُرآن وعلوم عديدة أُخْرَى(١).

إذَنْ علم مرادات القُرآن لا يقف عِنْدَ التنظير الجدّي الأوَّل أو التطبيق، وَإِنَّما علوم مرادات القُرآن تتراقى تنظيراً وتطبيقاً وتتشعب وتتعاقب وتتسع ويكون لها سير وجري تنظيري وتطبيقي وَكُلّ منهما مراد جدي وَكُلّ منها جري أيّ جري فِي التطبيق وجري فِي التنظير وَعَلَيْهِ فتكون قاعدة المعنى الجدّي الأوَّل قاعدة لانطلاق مركبة علوم القُرآن

---

(١) ربَّما يصطلح البعض أن يفسرها بالتفسير الإشاري للقُرآن بأن مقصوده علم الإشارات، وإنْ كان علم التفسير يُطلق على اصطلاحين: ـ علم تفسير بالمعنى الأخص الذي يُقابل علوم القرآن الأخرى، وعلم التفسير بالمعنى الأعم والذي يُراد به علوم القرآن ككل فيقال التفسير الإرشادي بالقُرآن أو تفسير إشارات القُرآن، وتفسير لطائف القُرآن.

الكريم عَلَى صعيد التنظير والتطبيق؛ ولذا القُرآن يتحدّث عَنْ نفسه لدعم النَظَريَّة الثَّانية ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾[(١)].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[(٢)].

وَعَلَيْهِ فقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى وفق النَظَريَّة الثَّانية فِي الحقيقة مستفادة مِنْ بيانات القُرآن الكريم عَلَى صعيد التنظير وَعَلَى صعيد التطبيق فتجري عَلَى كليهما وَهِيَ ليست مقتصرة كَمَا تَقَدَّمَ عَلَى مقام التطبيق المصداقي كَمَا تذهب إليه النَظَريَّة الأولى.

بَلْ لها مساران مسار تنظيري ومسار تطبيقي وَكُلّ منهما جَرْيٌ وكلُ مرحلة ومرتبة هِيَ مُرادٌ جدّي وما بعده مراد جدّي ثاني وثالث ورابع و ... الخ.

وَعَلَيْهِ حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب منهج أمومة الولاية عَلَى الُمحكمات فضلاً عَنْ الُمتشابهات فِي القُرآن، فَإنَّ الجري يأخذ أبعاد أوسع مِنْ ذَلِكَ الجري عَلَى تفسير النَّظَرِيَّة الأولى لقاعدة الجري والتطبيق فَإنَّ مدلول الآية القُرآنية أو السورة عَلَى النَّظَرِيَّة الثَّانية لا يقف عِنْدَ حَدٍّ حَتّى مرحلة التطبيق ومرحلة المصداق هِيَ أيضاً مِنْ مراحل المدلول.

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

تعالي معاني القرآن على النظرية الثانية:

الفرق التَّاسِع: حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية إِنَّهُ مِنْ الإسفاف والخواء والإجحاف بحقائق القُرآن وأنواره وهداياته أنْ نهبط بالقُرآن الكريم إلى مستوى سقف المُتشابهات أو التفاصيل الجزئية الشامل لها القُرآن ونقصر سقفه ـ أيّ سقف القُرآن ـ عَلَى هَذِهِ الجزئيات والتفاصيل؛ فَإِنَّ هَذَا هبوط وإهباط لِقِمَّة القُرآن وشموخ قمته، وَهَذَا ما تعانيه النَّظَرِيَّة الأولى مِنْ الهبوط بالقُرآن الكريم فَقَطْ إلى مستوى سقف المُتشابهات أو التفاصيل الجزئية.

بخلاف النَّظَرِيَّة الثَّانية الَّتِي تتبنى ـ وَالمُرَاد مِنْ التبني أيّ ما فهمته مِنْ الآيات والروايات الواردة فِي القاعدة ـ مداليل الآيات القُرآنية والسور الَّتِي لا تنتظم ولا يَتِمُّ رسم نظام مداليلها إلَّا عَلَى وفق خارطة معيّنة وَهِيَ أنَّ المدلول الأوَّل فِي الآيات والسور القُرآنية هُوَ الولاية وَهِيَ قمّة مدلول القُرآن ثمَّ المحكمات ثمَّ المتشابهات أيّ التفاصيل الجزئية.

إذَنْ النَّظَرِيَّة الثَّانية تتبنى أنَّ مداليل القُرآن الكريم فِي الآيات والسور عَلَى طبقات ثلاث، وَهَذِهِ الطَّبقات الثلاث فِي الوقت نفسه مختلفة بدرجة الأهميّة، وَهِيَ عَلَى معانٍ وطبقات ثلاث، وَهَذَا تقسيم إجمالي وَإِلَّا فَهِيَ لها أكثر مِنْ ثلاث طبقات ومستمرة ولا تقف عِنْدَ حَدٍّ فالتقسيم الإجمالي لآيات القُرآن ثلاث درجات: ـ

١ ـ الولاية. ٢ ـ المُحكمات. ٣ ـ المُتشابهات.

والمعنى المركزي لِكُلِّ آية وسورة فِي القُرآن هُوَ شؤون الولاية،

والمعنى المركزي فِي الدائرة الثَّانية هُوَ المُحكمات، والمعنى المركزي فِي الدائرة الثالثة هُوَ تفاصيل الجزئيات الَّتِي تسمّى بالمُتشابهات، وبيَّنا سابقاً أنَّ مقاصد السور الشريفة فِي الدرجة الأولى هِيَ شؤون وبحوث الولاية وَهِيَ ذَاتَ درجات وَعَلَى طبقات: ـ

طبقة ولاية الله ثمَّ طبقة ولاية الرسول صلى الله عليه وآله ثمَّ طبقة ولاية الأئمة عليهم السلام، والمقصد الثَّانِي المُحكمات وَهِيَ عَلَى طبقات فمنها: ـ ما هُوَ أشدّ إحْكاماً ومنها ما هُوَ اوسط إحْكاماً، وثالثاً ما هُوَ أقل إحْكاماً، وفي المقصد الثَّالِث: المتشابهات وَهِيَ تفاصيل الجزئيات.

تنبيه عَلَى أمر مهم: أهميّة الأهم لا تعني التفريط بما هُوَ أدنى فِي الأهميّة وَالأُمُور النازلة، وبنفس الوقت ضبط الأُمُور النازلة لا يعني إغفال وتفريط ما هُوَ أهم.

تنوع دلالة الآية الواحد فِي علوم شتى

على النظرية الثانية:

الفارق العاشر: تمتاز النَّظَرِيَّة الثَّانية بإنَّ جميع الآيات وبرمّتها يمكن أنْ يُستفاد منها فِي علوم شتّى وإنْ كَانَ ابتداءها وظاهرُها الأوّلي تُصَنَّف إلى آيات فِي أحكام الفروع ـ فقه ـ أو إلى آيات فِي المعارف والعقائد أو فِي علوم الفلك أو الطبيعة أو علم النفس أو آيات علم المرأة أو علم الرجل أو ... الخ.

بخلاف النَّظَرِيَّة الأُولى فإنَّها تعكف عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ التطبيق وأنَّ هَذِهِ الآية لها مورد لا تتعدّاه فِي بَعْض الأحيان، وَقَدْ تتعدّاه فِي بعضها الآخر. فمثلاً قوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(١) فَقَدْ استفاد منها الشَّيْخ الطوسي حُكماً فقهياً، وَأَكَّدَ ذَلِكَ السَّيِّد الشهيد مُحَمَّد باقر الصدر﵀ فِي كتابه المعروف اقتصادنا: ـ بأن نقل السَّيِّد الشهيد﵀ كلام الشَّيْخ الطوسي مِنْ كتاب الخلاف واستفادة العدالة فِي تكافؤ الفرص مِنْ هَذِهِ الآية عَلَى قدر المساواة فِي الموارد الطبيعية العامّة مَعَ أنَّ هَذَا بحث معرفي عقائدي، وَمَعَ ذَلِكَ استفيد مِنْهُ حُكماً فقهياً، وهكذا فِي بحث الوصيّة وآيات الوصيّة ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ﴾(٢) فالظهور الأوّلي للآية استفاد الفقهاء مِنْهُ حكماً فقهياً، ولكن المتكلّمون بحثوا فِي الوصية إلى مستوى عقائدي، وَإِنَّهُ كيف بُني الإسلام عَلَى يد سيد وخاتم الأنبياءﷺ وانه يَرْحلﷺ إلى الرفيق الأعلى ولا يوصي فيما هُوَ أكبر تراث وحياني وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ أنْ يكون هُنَاك وصيٌّ.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ أَنَّهُ لا مانع مِنْ استفادة الفقيه حُكماً مِنْ آية فِي العقائد أو الأخلاق أو علم النفس أو الأمن أو .. الخ وبالتالي أَنَّهُ بحسب النظرة العميقة يجري مفاد كُلّ آية إلى علوم شتّى طبق ضوابط وموازين وثوابت وَلَيْسَ الأمر بالخلط والخبط.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

وَعَلَيْهِ فَمِنْ الخطأ إقعاد واستظهار هيكل بناء نظام الظهور والاستعمال فِي آيات القُرآن بهيكل متقوقع وضيِّق الأُفق.

قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير

على ضوء تفسير أمومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات، ترسم لنا مخططا هرميا أس أساسه الولاية

أقسام الولاية:

إنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء تفسير أمومة الولاية عَلَى المحكمات ترسم لنا مُخططاً هرمياً أشبه ما يمكن أنْ نمثل لَهُ بهرم أو بنيان أسُّ أساسه الولاية، والأسّ الثَّانِي: المُحكمات، والأُسُّ الثَّالِث: المُتشابهات:

أمَّا الأُسّ الأوَّل: ـ أعني الولاية، فَهُوَ ينقسم إلى ثلاثة أقسام، بنصّ القُرآن الكريم ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

وَهِيَ: أ ـ ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ. ب ـ ولاية الرسول صلى الله عليه وآله. ج ـ ولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقمّة الولايات الثلاث أوَّلها هِيَ ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ، ثمَّ ولاية

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

الرسول ﷺ ثمَّ الولاية الثالثة الَّتِي وصفها القُرآن الكريم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فَهِيَ بإجماع المُفسِّرين مِنْ العامّة والخاصّة أنّها نزلت فِي حقّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والولاية الأولى: ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ وَالَّتِي بالدِّقة أَنَّهُ إذَا أردنا أنْ نصل إلى لُبّ لُباب معاني الآيات والسور هِيَ أنَّها تقودنا إلى شؤون التوحيد وَإلى الأسماء الإلهية؛ ولذا نلاحظ فِي ذيل كثير مِنْ الآيات سيّما الآيات الملحميّة أو الطويلة منها وَقَدْ ذُكِرَ فِي آخرها اسمٌ أو أكثر مِنْ الأسماء الإلهيّة، مثل قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[3] وغيرها.

وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم عالج موضوعات مُختلفة: ـ

مِنْهَا: ما يخصَّ أحكام الآيات فِي فقه الفروع، **وَمِنْهَا:** ـ أحكام اجتماعيّة، **وَمِنْهَا:** ـ تربويّة، **وَمِنْهَا:** ما يخصّ الميراث، **وَمِنْهَا:** ـ ما يتعلّق بالحياة الزوجيّة وتكوين الأسرة وغيرها.

والنسبة بين طبقات الولاية كالنسبة بين الولاية والمحكمات، فمثلما الولاية مركزُ مدار لمُحكمات الكتاب العزيز وسائر الكتب السماويّة الأُخْرَى؛ إذْ

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٧..

(٣) سورة الحج: الآية ٦١.

تدور عَلَيْهَا كَمَا فِي رواية مسعدة بن صَدَقة، قَالَ أبو عبدالله عليه السلام: ـ «**إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت عليهم السلام قطب القُرآن، وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستدير محكم القُرآن، وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان**»[1].

كَذَلِكَ ولاية الرسول صلى الله عليه وآله تدور عَلَى ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى ولاية الله ورسوله ولاية أهل البيت عليهم السلام.

وَمِنْ هَذَا يُعْلَم أنَّ الولاية عَلَى دوائر ومراتب.

سُؤال: ذكرنا قبل قليل أنَّ ولاية الله تَعَالَى هِيَ تقودنا إلى شؤون التوحيد، وَإلى الأسماء الإلهية، ومُحَصَّل السؤال: ـ أَنَّهُ كيف تقودنا هَذِهِ الموضوعات المختلفة الَّتِي عالجها القُرآن الكريم إلى التوحيد؟ وَمَنْ يستطيع الوصول إلى هَذَا الأمر، ـ وإنْ كَانَ هَذَا بحث آخر وسيأتي التعرُّض إليه وأنَّ ولاية الرسول بَعْدَ ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنَّ الرسول الأكرم أوَّل وأشرف وأكمل المخلوقات عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ.

الجَواب: سيتضح ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ خلال معرفة شخصيّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وبيان ارتباط كُلّ آية بالتوحيد، والمفروض أنَّ كُلّ آية وَكُلّ سورة فِي القرآن تَدلُّ عَلَى توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذِهِ تمثّل نهايات معاني القُرآن، وإنْ كانت هَذِهِ النهاية لا نهاية وراءها؛ لِإنَّهُ لَيْسَ وراء الله منتهى.

---

(١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٨.

ولذا يستطيع الوصول إلى هَذَا مَنْ أعطاهم الله قدرة بَعْدَ ولاية الله وولاية الرسول صلى الله عليه وآله، الذي هُوَ أكرم المخلوقات عَلَى الله تَعَالَى، وَهَذَا يتطلّب معرفة شخصية الرسول صلى الله عليه وآله لا بما هُوَ بدن مادّي ومعرفة شخصيّة الرسول صلى الله عليه وآله مِنْ مولده وما هِيَ أوصافه البدنية والخُلُقية، وَإِنَّما المُراد هُوَ شخصية الرسولة بكُلِّ طبقات ذاته ولا يتسنّى لنا معرفة ذَلِكَ إِلَّا مِنْ خلال القُرآن الكريم؛ ولذا يُعَبَّر كثيراً فِي أبحاث المعارف أَنَّ الكتاب الذي ينزل عَلَى أيّ نبي مِنْ الأنبياء يكون ذَلِكَ الكتاب بمثابة شرح لأحوال نفس ذَلِكَ النَّبِيّ ومقاماته.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن، لا تتبنى إلغاء التفاصيل وبقيّة المناهج ولا عدم جدوائيتها، وكذلك لا تتبنى النَّظَرِيَّة الثَّانية إلغاء الظاهر وإلغاء الجزئيات، بَلْ تُؤكِّد عَلَى أهميّة بقيّة المناهج الأُخرَى، وَتُؤكِّد أنَّ للآيات معاني تفصيلية جزئية إِلَّا أَنَّهُ لا تحصر معنى الآيات فِي التفاصيل الجزئية المتشابكة، فَإِنَّ جملة مِنْ الآيات وإنْ كانت واردة مورد بيان أحكام عملية فِي القوانين العمليّة للإسلام إِلَّا أَنَّها لا تنحصر فِي ذَلِكَ.

الأساس الثَّانِي: المُحكمات بناءاً عَلَى ما تَقَدَّمَ أيضاً هِيَ الأُخْرَى عَلَى طبقات، فَهُنَاك طبقات:

مِنْهَا: شديدة الإحكام، **وَمِنْهَا:** متوسِّطة، **وَمِنْهَا:** ـ نازلة الإِحْكام

إلى ما شاء الله.

فلدينا طبقة أم الكتاب، وطبقة الكتاب المبين، وطبقة الكتاب المكنون، وطبقة لا يمسّه إلَّا المطهرون ... الخ وَكُلّ طبقة عُليا هِيَ أساس ومركز لطبقة أدون مِنْهَا تكون أبعد عَنْ المركز، وَهَذِهِ المراتبية أمرٌ ضروري ومصيري فِي منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات.

الأساس الثَّالِث: المُتشابهات: وَهِيَ عَلَى طبقات فَإِنَّهُ كُلّما تنزّلت وتشعّبت معاني الآيات ازداد التشابه والتشاكل والتماثل مما يزيدُ فِي تطرُّق الوهم وصعوبة التمييز لكثرة الأمثال المختلفة وتنوّع وتضارب الأشباه والنظائر فَيتَعَقَّد الفصل بينهما، بينما كُلّما تصاعد المعنى قلَّ التشابه وازداد بساطةً ووضوحاً، وَمِنْ ثمَّ نجد استعمال المتشابه فِي القُرآن يُطلق عَلَى المُحكَم بالقياس إلى ما هُوَ أشدّ إحكاماً مِنْهُ وأنَّ التمسّك بما هُوَ دونيّ مِنْ الأحكام وترك ما هُوَ أعلى إحكاماً مِنْهُ هُوَ مِنْ التشبّث بالمتشابه فِي مقابل ترك المحكم، وَعَلَى ذَلِكَ فيكون عنوان وصفة التشابه نسبياً وَذَاتَ درجات.

وكذلك عنوان المحكم وبالدقّة فَهُمَا ـ المتشابه والمحكم ـ عنوانان متضايفان كالفوق والتحت، فَإِنَّ ما هُوَ فوق يصدق عَلَيْهِ إِنَّهُ فوق بالإضافة إلى ما هُوَ تحته، وأمَّا بالإضافة إلى ما هُوَ فوق الثَّانِي فالفوق الأوَّل تحت وكذلك التحتاني بالقياس إلى التحت الثَّانِي فانه فوقٌ وَقَدْ مَرَّ إطلاق القُرآن الظنّ عَلَى الحسّ وأنَّ الحسّ يتطرقه التشابه فِي قصة ادّعاء

قتل عيسى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾[1].

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٥٧.

قاعدة الجري واستفادة التوحيد فِي عالم الصفات والأسماء الإلهية

بَعْدَمَا تبيَّن حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي القُرآن، وعدم إقصاء وتهميش المناهج التفسيرية الأُخْرَى، وأنَّ الآيات لها معانٍ تفصيليّة، وأنَّ هُنَاك شبكات منظوميّة فِي التفاصيل، وَمِنْ الخطأ حصر المعاني فيها، وَإِنَّما هِيَ متشعّبة، وأنَّ هُنَاك أحكاماً عملية فِي القوانين.

فمثلاً آية الدَين ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾[1].

بتقريب: ـ وَذَلِكَ لما هُوَ مقرَّر مِنْ تسلسل الأشياء تعاقباً وترامياً وراء بعضها البعض بنحو الأسباب والمسببات الفاعليّة والغائية، علاوةً عَلَى العلّة القِوامية للشيء مِنْ صورته ومادّته، وفِي منظومة حلقات هَذَا التسلسل والترامي قُرِّرَ أنَّ كُلّ فِعل ينبعث عَنْ صفة، وَكُلّ صفة تنبعث عَنْ جوهرٍ، أو أنَّ كُلّ فعلٍ ينبعث عَنْ صفة أخلاقية، وَكُلّ صفة أخلاقيّة تنبعث عَنْ عقيدة قلبيّة، فالعقيدة تكوِّنُ صفة خُلُقيّة، والصفة الخلقية تكوِّنُ فعلاً عملياً، هَذَا بحسب قوس النزول فِي عالم الخلقة والإيجاد.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

وأمّا بحسب قوس الصعود، فَإِنَّ الفعل بتكرّره وتراكمه يُكوّنُ صفة خُلُقيّة والصفة الخُلُقيّة باشتدادها تكوِّنُ عقيدةً، كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾(١).

كَمَا يشير إلى هَذَا الترابط الدوري قوله تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٢).

نعم، لا يُحيط بطبقات وحلقات منظومة الأشياء وَهُوَ ما قَدْ يُعبَّرُ عنه بعالَم الْمُصْطَفين كَمَا اعترف ابن سينا فِي إلهيات الشفاء.

وَمِنْ ثَمَّ كانت هَذِهِ القدرة مخصوصة بالمعصوم عليه السلام، وَلَيْسَ مِنْ نصيب العُلَمَاء والمُفسرين إِلَّا الشيء اليسير وما لا يُدْرك جُلَّهُ لا يُترك كُلَّهُ.

ولو كَانَ قليلاً، كَمَا وَرَدَ عَنْ الإمام الباقر عليه السلام **«ولو شئت لاستخرجت التوحيد كُلَّهُ مِنْ لفظة الصمد»**.

وهكذا ما بيّنه الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، فِي الصحيفة السجّاديّة وما ذكره عليه السلام فِي تفسير الحروف المقطّعة فِي أوائل السور مثل ﴿حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾(٣). وقوله تَعَالَى: ﴿طه

(١) سورة الروم: الآية ١٠.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

(٣) سورة الدخان: الآية ١ ـ ٢.

﴿١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ٢﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ الإمام عليه السلام باستطاعته أنْ ينتزع مِنْ آية الدَين فِي التجارة مطلباً أساسياً فِي التوحيد، وأنَّ هَذَا التشريع الجزائي التفصيلي مبتنٍ عَلَى أساس توحيدي فِي عالم الصِّفات والأسماء الإلهية.

وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ الإيمان بالجزئيات وبالظاهر، كَمَا وَلابُدَّ مِنْ الإيمان بالباطن وبالأصول وبالاعتقادات، وَهَذَا نوع مِنْ العلم الجامع حسب النَّظَرِيَّة الثانيّة.

وإنَّ ما بيَّنه الإمام زين العابدين عليه السلام: مِنْ أنَّ كُلّ حَرْف مُقطَّع، وَكُلّ اسم مُقطَّع ابتدأت به كُلّ سورة ثمَّ أردف الاسم المقطّع بَعْدَ ذَلِكَ ذكر القُرآن والكتاب، فَإِنَّ ذَلِكَ الاسم المُقَطَّع هُوَ اسمٌ مِنْ أسماء جبال مقامات سيد الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه، فَإِنَّ لسيِّد الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه مقامات وراء القُرآن، وَلَهُ لباسٌ ملكوتي؛ لِأنَّ نفس القُرآن الكريم يذكر أوَّلَ شيء ذُكِرَ هُوَ: ـ **حم، ثمَّ الكتاب المبين، ثمَّ يس** ـ أيّ بحرٌ مِنْ بحور الغيب اسمه يس مِنْ حقيقة الذات النبويّة، وهكذا بحر حم، وبحر ألر، وبحر حمعسق ثمَّ الكتاب أيّ الطَّبقات العُليا فِي القُرآن ثمَّ أم الكتاب، ثمَّ الكتاب المبين ثمَّ مقام الكتاب المكنون و ... الخ وأنَّ نفس هَذِهِ المقامات القُرآنية هِيَ مقامات غيبيّة.

---

(١) سورة طه: الآية ١ ـ ٢.

وَعَلَيْهِ فالمصدر الوحيد المتكفِّل لبيان بطاقة وشهادة الأحوال الشخصية لشخص سيّد الأنبياءﷺ هُو القُرآن الكريم بيان هَذَا التَقَدُّم الرَّتبي لمقامات سيّد الأنبياءﷺ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الآيات والسورة هِيَ القائد الوحيد لمعرفة شخصيّة الرسولﷺ بشكل كامل وتفصيلي، وَبَعْدَ هَذَا لا عبرة بكلام الفلاسفة ولا المتكلِّمين ولا العُرفاء ولا ... فِي شخصية الرسولﷺ ومقاماته.

إِذَنْ النَّبيّ مُحَمَّدﷺ هُوَ الباب الأعظم إلى الله تَعَالَى وَهُوَﷺ أعظم مِنْ الصَّلاة الصَّوم والحجّ والزكاة و ... الخ وشخصيّتهﷺ تريد أَنْ ترسم لنا قالب الإنسان الذي يرضى عنه الله عَزَّ وَجَلَّ ويريد الله عَزَّ وَجَلَّ مِنّا أَنْ نتولاه بدليل الآيات القُرآنية الواردة فِي هَذَا المجال وَالَّتِي تُبيِّن كُلّ آية آية أَنَّ ولاية الرسول بَعْدَ ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ وولاية الأئمة والعترة الطاهرة بَعْدَ ولاية الرسولﷺ.

ومحل الشاهد مِنْ هَذَا كُلَّهُ إِنَّهُ كيف يا أصحاب النَّظَرِيَّة الأولى تعزلون مقام التطبيق عَنْ مقام التنظير، أَنَّهُ لا يمكن ذَلِكَ، فَهَذَا القُرآن يُسلِّط الأضواء فِي مقام التطبيق عَلَى أعظم وأخطر مصداق وشخصيّة مخلوقة لله تَعَالَى وَهُوَ شخص الرسولﷺ وَإِلَّا ـ أيّ إذا عَزَلْنا جانب التطبيق عَنْ التنظير فمعناه تخوية روح وجوهر الآية والسورة عَنْ حقيقتها، وأيّة سورة أو آية لا تعود إلى ولاية الرسولﷺ الَّتِي هِيَ طريقٌ إلى ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ هَذَا معناه أنّنا أخويناها مِنْ حقيقتها، وَصَدَّعنا الركن الركين فِي بنيتها وَلَمْ نَعْقِل معناها، ثُمَّ بَعْدَ ولاية الرسولﷺ تأتي

ولاية عترة الْنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلَيْهِ إِذَا قطعنا معاني الآيات ومعاني الُّسور عَنْ الدلالة ـ فكأنَّما قطعنا معاني الآيات والسور عَنْ حقائقها أيّ عَنْ الحروف المقطّعةفي أوائلها هِيَ مفاتيح لمجموع كُلّ السور، وذكرنا سابقاً أَنَّهُ يُذكر فِي البحوث العقلية والفلسفيّة أنَّ حقيقة ماهيّة الأشياء ومعانيها بغاياتها أيّ تعريف الشيء بعلته الغائية أَبْيَنُ وأَحَقُ مِنْ تعريف الشيء بصورته ومادته الصورية، والمعنى المادّي والصوري للشيء لَيْسَ حقيقة مكافئة.كما ذكرنا فِي محله ليست حقائقية، وَعَلَيْهِ فكيف تعزلون يا أصحاب النَّظَرِيَّة الأولى حقيقة الشيء عَنْ الشيء نفسه، وما هَذَا إِلَّا إخراج الشيء عَنْ حقيقته، أيّ قلب الشيء عَنْ حقيقته.

منهج أمومة الولاية يرسم منهاج نظرية المعرفة الدينية

ضرورة رسم المنهجة وفق نظام مبرمج

إنَّ مِنْ أهم مميزات المنهج التفسيري لأمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن هُوَ أَنَّهُ يمثِّل منظومة هيكلة بنيان القُرآن الكريم وقائم عَلَى هندسة هَذَا المنهج، وَأَنَّهُ لَيْسَ كباقي المناهج التفسيرية كمنهج تفسير القُرآن بالقّرآن، أو تفسير القُرآن بأسباب النزول، أو تفسير القُرآن بالإعراب والأبعاد الأدبيَّة واللغويّة أو تفسير القُرآن بآيات الأحكام أو التفسير الموضوعي، أو ... الخ، وَهَذِهِ الهيكلة الَّتِي يبيّنها منهج أمومة الولاية ليست فَقَطْ للقُرآن الكريم بالدقّة، وَإنَّما هِيَ بالحقيقة للدِّين كُلَّهُ لِأنَّ القُرآن هُوَ الدِّين والدِّين هُوَ القُرآن، والثقلين ـ الكتاب والسنّة ـ هُمَا الدِّين، والدين هُوَ الثقلين.

وبالتالي هَذِهِ هندسة للدِّين كُلَّهُ وليست فَقَطْ للمعرفة القُرآنيّة والمعرفة التفسيرية، بَلْ وللمعرفة الدينية الَّتِي صار حولها لغط كثير حول رسم نظرية المعرفة الدِّينية.

وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم والسُّنة ـ أيّ الثقلين ـ هُمَا مِنْ أكبر

منابع نظريةالمعرفة الدِّينية. وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نظرية المعرفة الدِّينية قائمة عَلَى محورية طبقات الولاية ثُمَّ محورية طبقات المُحكمات ثُمَّ محوريّة طبقات المُتشابهات، وَهَذِهِ المنهجة ليست قضيّة رسم هندسي يُسَهِّل حفظ المطالب وتجميعها كلا، وَإِنَّما هِيَ ـ المنهجة ـ ميزان لقواعد المعرفة الدِّينية. وفي نفس المنهجة ارتباط قواعدي فِي معرفة الدِّين ومعرفة قواعد تفسير القُرآن الكريم، وَهُوَ بمثابة إشكال القياس كالاقتراني المؤلف مِنْ صغرى وكبرى ونتيجة، فَالمُراد الفكري الَّتِي يجب أنْ تؤلّفها وتنظّمها بشكل كي تنتج النتيجة المطلوبة، فالشكل للأفكار فِي الذهن أو للمعاني فِي الذهن يقودك إلى استنتساج وإدراك النتيجة، وَعَلَيْهِ فهندسة الأفكار عبارة عَنْ منهاج للتفكير وللمعرفة، لا أنَّ القضية شكلية فَقَطْ ومُجَرَّد رسم هيكلة أو مُخطّط، بَلْ الأمر أبعد مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّما صميمي فِي مفاصل منهاج التفكير.

جدارة تفسير القرآن بالقرآن لِلسيد العلامة الطباطبائي ﯨ:

وَهَذَا البحث لا يقل أهمّيةً عَنْ علم التفسير، بَلْ حَتّى فِي بحث فقه الفروع فَإِنَّ الفقيه المتضلّع لابُدَّ لَهُ مِنْ مُراعاة هَذِهِ المنظومة الهندسيّة، فإذا أردت أنْ تقرأ السيرة النبوية بشكل مُبعثر ومُجزّء وَغَيْر مُنظَّم ومُهَندس بالشِّكل الذي ذكرناه فسوف تُفْتَتَن فِي دينك، وتَفْتِن غيرك، وهكذا إذَا أردتَ أنْ تُدرِّس مختلف علوم القُرآن فَلابُدَّ مِنْ مراعاة هَذِهِ الهندسة المنظوميّة وَإِلَّا فَسوف تنشأ لك فِرقاً جديدة مثل فِرَق الخوارج

والقدريّة وا لجارودية و ... الخ فَإِنَّ هَذِهِ الفِرَق والآثار السلبيّة نشأت أو تنشأ نتيجة القراءة المُجَزَّأة للدِّين وَغَيْر المنظمة بنظام يحفظ وحدة الدِّين، وَلَمْ يُراعَ فيها طبقات المعرفة، وَهَذَا يَدُلّ عَلَى ضرورة اتّباع المنهجة المُبرمجة عَلَى وفق ضوابط وقواعد، وَهَذَا لَيْسَ مُختصّاً بعلم التفسير وَإِنَّما يشمل كافة العلوم وفي مختلف الاختصاصات، فمثلاً فِي علم أصول الفقه يبحث علماء الأصول الحجج وأقسامها وطبقاتها وعلائق بعضها مَعَ الآخر، وهكذا يبحثون علاقة الأبواب الأصولية بعضها مَعَ البعض الآخر فِي بحث منظومي مراتبي، فمثلاً ما التزم به السَّيِّد العلّامّة الطباطبائي فِي منهجه التفسيري تفسير القُرآن بالقُرآن رغم أَنَّهُ منهج صحيح وسديد وأثبت جدارته فِي موقعه فَقَطْ لا أَنَّهُ منهج مُهيمن عَلَى باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى، وَلَمْ تثبت جدارته فِي غَيْر موقعه ـ وَعَلَيْهِ فكون منهج تفسير القُرآن بالقُرآن صحيح وسديد وكفؤ شيء، وكونه هُوَ المهيمن عَلَى المناهج التفسيرية الأُخْرَى شيء آخر، مَعَ غضّ النظر عَنْ المغالطة الموجودة فِي عنوان منهج تفسير القُرآن بالقُرآن وأنَّ العنوان غَيْر دقيق، وَأَنَّهُ لا يُطابق المنهج الذي يُريده السَّيِّد العلّامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي أو ملا صدرا أو الفيض الكاشاني أو غيرهم مِنْ أعلام الشيعة أو السُّنة، وسُنبيِّن المغالطة بين العنوان ـ تفسير القُرآن بالقُرآن ـ وبين ما يريده ويتبناه السَّيِّد العلّامة ﴿رحمه الله﴾ فِي محلّه المُناسِب ـ

وَعَلَيْهِ فجدارته فِي معرفة لا تجعله مهيمناً فِي غَيْر موقعه عَلَى سائر

المناهج التفسيرية الأُخْرَى.

ولذا جملة مِنْ تلامذة السَّيِّد العلّامة الطباطبائي حَكّموا وجعلوا منهج تفسير القُرآن بالقُرآن هُوَ المُهيمن عَلَى باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى فِي الفقه وغيره، ولذا خرجت لديهم نتائج وقناعات شاذّة وخطيرة وغريبة وبعيدة عَنْ مُسَلّمات مدرسة أهل البيت الفقهية.

والخلاصة: إنَّ ضبط المنهجة وفق موازين وضوابط علمية لا يختصّ بعلم الفقه أو التفسير أو الأصول أو ... الخ.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن يمتاز عَنْ غيره بالهيمنة وكونه منهج قواعدي لِأنَّ القُرآن هُوَ منبع الدِّين، وأنَّ المنهج الذي يُؤسِّس فِي تفسير القُرآن الكريم يُضفي بظلاله ويؤثِّر أثره عَلَى الفقه والعقائد والسيرة والاخلاق، ولذا فاختيار المنهج التفسيري للقُرآن الذي يُحافِظ عَلَى القُرآن وَأنَّهُ كتلة منظومية واحدة ضروري جداً، ولذا القُرآن الكريم يوصي بالوحدة الواحِدَة ـ لا بأبعاض الدِّين وإنَّ الدِّين كُلَّهُ كتلة واحدة، ولذا يقول القُرآن ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[١]. أو قوله تَعالَى ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾[٢].

وَعَلَيْهِ فالمنهج التفسير الذي تترتّب عَلَيْهِ نتائج غريبة وخطيرة

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٥.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩١.

وبعيدة عَنْ مُسَلَّمات مدرسة أهل البيت عليهم السلام ويفكك وحدة القُرآن، فمثل هكذا منهج لا يتّصف بالمنهج القواعدي والمهيمن، بخلاف منهجنا المُختار أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن الذي يتّصف بالهيمنة ويتكفل وحدة وعدم تفكيك كتلة الدِّين، وَهَذَا ما يمتاز به منهج أمومة الولاية عَلَى باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى.

القاعدة: قاعدة فِي موقعها الصحيح

تنبيه هام: مِنْ منطلق إنَّ القاعدة قاعدةٌ إذَا ثبت موقعها الصحيح ـ لِإنَّهُ مِنْ الخطأ والخطر إذَا جُعِلَت القاعدة فِي غَيْر موقعها الصحيح، فَإِنَّهُ سوف يختلّ البُنيان وينهدّ أساس الأركان ـ فالمهندس الناجح فِي هندسته إذَا أراد أنْ يبني بُنياناً مُعَيَّناً فلديه مجموعة قواعد مختلفة فِي الركنية والتأثير، وإنْ كانت كُلَّهَا فِي الأساس قواعد صحيحة إلَّا أنَّها متفاوتة الأهميّة، فَهُنَاك قواعد مركزية ومحورية هامّة، وَهُنَاك قواعد جانبية، وَهُنَاك قواعد مفصليّة وَهُنَاك قواعد مختلفة لأُسس مختلفة، فإذا بُدِّلت مواقع القواعد لا عَلَى وفق نظام مبرمج ودراسة علميّة وتطبيقات عملية بأنْ جعلت القاعدة المركزية لا فِي المركز، وجعلت القاعدة الجانبية فِي المركز فَإنَّ البناء والمبنى سوف تنهدّ أركانه ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ لِكُلِّ شيء قدر، ولكن قدر كُلّ شيء غَيْر قدر

---

(١) سورة القمر: الآية ٤٩.

الآخر، وَإنَّما يَتِمُّ ذَلِكَ بميزان النظام العام المجموعي الراسم للمنظومة الارتباطية ذَاتَ الأبعاد العَرَضية والطوليَّة لترتيب مراتب الأشياء ومقاماتها.

التفاتتان وثمرتان نفيستان فِي قاعدة الجري

منظومية قاعدة الجري على النظرية الثانية دون الأولى

الالتفاتة الأُولى: ذكرنا سابقاً أنَّ هُنَاك أواصر وقواسم مشتركة بين القواعد الَّتِي تعرَّضنا لبحثها كقاعدة التعريض والالتفات وإيّاك أعني واسمعي يا جارة، وقاعدة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى، وَهَذِهِ القاعدة الَّتِي وصلنا إليها فِي البحث فعلاً وَهِيَ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير وغيرها، إلَّا أنَّ هَذِهِ الروابط المشتركة خفيّة يصعب اكتشافها عَلَى وفق باقي المناهج التفسيرية، بخلاف منهجنا المختار أيّ منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَلَى المتشابهات فِي القُرآن، وَبَعْدَ التوفيق الإلهي يتفطّن المُفَسِّر المُلتَفِت إلى مثل هكذا نكات فَمِنْهَا ما نَحْنُ فيه: ـ إلى أَنَّهُ لو دقّقنا فِي هَذِهِ التوسعة لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، بلا أنْ نُسميها بالتطبيق وَإِنَّما قاعدة الجري وإنَّ الجري أعم مِنْ الجري عَلَى الإشارات واللطائف وتعبير وترجمان القُرآن، وأعم مِنْ دورية تطبيق القُرآن عَلَى مصاديق دوريّة مستمرة، فإذا دقّقنا فِي هَذَا التوسّع مِنْ نظرية الجري فَإِنَّهُ تقريباً يُفتح لنا أُفق مُتطابق مَعَ توسعة معنى قاعدة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى.

تَقَدَّمَ فِي قاعدة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى إنْ توسعنا بها بشكل عَرْضي عَلَى مستوى الصعيد التصوري والاستعمالي والتفهيمي والجدّي، بخلاف توسعنا فِي قاعدة الجري فَإنَّهُ توسّع طولي، بَلْ الأعظم مِنْ هَذَا إنَّ قاعدة الجري تُقْحِم مقام التطبيق والمصداق فِي الاستعمال وتجعله مِنْ الأُمُور المُستعملة وإنْ لَمْ يكن مُراداً عَلَى صعيد الاستعمال، وكذلك لَيْسَ مُراداً عَلَى صعيد المُرَاد التفهيمي التنظيري، ولا عَلَى مستوى صعيد تنظير المداليل الجديّة العامة المنتشرة، وَهَذَا كُلَّهُ لا يتّسم بطابع الأهميّة وَإنَّما المهم هُوَ عَلَى صعيد التطبيق والمصداق، فَهَذَا هُوَ الأهم فِي نظر الشَّارع، هُوَ أحد الثمرات المُهِمَّة فِي قاعدة الجري.

الحقيقة أحرى بالاتباع:

الالتفاتة الثَّانية: إنَّ عُلَماء اللُّغَة والبلاغة والأدب ذكروا فِي قواميسهم ما حاصله: ـ

«إنَّ المصاديق خارجة عَنْ المداليل، بخلاف ما تتبناه وتفهمه قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب النظريّة الثَّانية عَلَى مُختارنا فِي المنهج التفسيري لأمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن»، والصحيح هُوَ ما تبنته النَّظَرِيَّة الثَّانية مِنْ أنَّ: ـ «التطبيقات المصداقية هي أحد مداليل الكلام» أيّ أنَّ مدلول الكلام يجري إلى مواطن وموارد عديدة سواء موارد مِنْ تنظير المعنى إلى معاني جدّيّة

متعدّدة أو موارد تطبيقيّة فَهَذِهِ وغيرها كُلُّهَا يحتوشها عالم مدلولات الكلام وَعَلَيْهِ فيكون التطبيق جزء مِنْ مداليل الكلام.

وذكرنا سابقاً أنَّ تبديل هَذِهِ المباني الَّتِي عشعشت قروناً مِنْ الزمان فِي نتاج عُلَمَاء وعلوم دهر مِنْ السنين لَيْسَ بالسهل تبديله بعشيّة وضحاها وتغيره أو معالجة أمر فيه، فالإنصاف الأمر لَيْسَ بالسهل ولكن الحقيقة أحرى بالإتباع فمثلاً قاعدة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى المُتقدِّمة نلاحظ أكثر عُلَمَاء البلاغة وَاللُّغَة والأصول والفقه والتفسير قالوا باستحالته وامتناعه لقرون إلى أنْ وافتنا التحقيقات الأخيرة فِي علوم متعدِّدة أنَّ الأمر ممكن وواقع بكثرة كَمَا تَقَدَّمَ فِي محله(١) وَعَلَيْهِ فلا يظننَّ

(١) ينبغي أنْ نلتفت كباحثين عن الحقائق أن هناك حقائق نكون غافلين عنها فلعل البعض يتسائل ويقول: ـ كيف علماء ومحققون وباحثون و ... الخ لم يلتفتوا الى أن مثل قاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى ممكنة وواقعة بكثير علماً أنهم كانوا يبنون على استحالتها وعدم وقوعها،، والذي نُريد التنبيه عليه هو: ـ أنه لا نظن أن حقائق ومناهج نظم اللغة والبيان والنحو والصرف و ... الخ اكتُشفت من قبل علماء اللغة والأدب والنحو سواء أكانت علوم اللغة واللسان هذه عربية أو غير عربية، فالعرب لم تكتشف علم النحو رغم وجود روّاد أدب منهم ـ العرب ـ لهم الدور الأكبر في تلك المؤتمرات والمباريات التي كانوا يعقدونها في منتدياتهم الأدبية أيام الحج في مِنى وسوق عكاظ والمعلقات السبع و ... الخ ومع ذلك لم يكونوا قد اكتشفوا علم النحو وهو امرٌ غريب مع أن العرب من زمن نبي الله إسماعيل عليه السلام وقبيلة جَرْهم وقبائل اليمن التي تناكحت مع النبي إسماعيل وولدت قريشاً و ... الخ الى أن جاء زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واكتشف لهم علم النحو ووضع قواعده.

وهكذا مثلاً فن الخط والتنقيط مضت قرون ولم يُكتشفا ولم تَعْرِفهما البشرية الى زمان أمير المؤمنين عليه السلام كما يذكر ذلك حسن الصدر في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، وإنْ كان ذلك يجعل لصالح المكتشِف إلا أنّ أصل الالتفات إلى علوم اللغة والنحو والبيان والخط والتنقيط وغيرها هو من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

أحدٌ أنَّ علمَ اللُّغَة مثلاً كُلّ ما قُرِّرَ فيه هُوَ كُلّ شيء وإنْ كَانَ عَلَى ضوء حقيقة بيانات أهل البيتعليهم السلام يجب إعادة كتاب قواعد علم البيان والبلاغة ـ وغيرها وإنْ كَانَ علم الألسنيات لا يتقيّد بالثوابت والضوابط والمناهج والقواعد المُلتزم بها عَلَى ضوء منهاج أهل البيتعليهم السلام.

إعادة كتابة قواعد علم البلاغة

على ضوء علم الألسنيات وتعدد القراءة:

لا زال الكثير مِنْ قواعد علم البلاغة لَمْ تكتشف أو اكتُشِف بعضها ولكن يجب إعادة كتابة قواعد علم البلاغة عَلَى ضوء القواعد الجديدة الَّتِي اكتشفت وَالَّتِي ستكتشف مِنْ قبل الأجيال الآتية فِي المستقبل، وَهَذَا دليل عَلَى عدم التسليم بكُلِّ ما قاله وكتبه عُلَماء أهل ذَلِكَ الفن مِنْ قواعد وضوابط، وأنَّ كُلّ ما توصلوا إليه قابل للمناقشة والنقد والتطوير شريطة أنْ يكون عَلَى طبق موازين وأدلّة.

فمثلاً: إعادة كتابة ما قُرِّرَ مِنْ قواعد فِي إرادة المعنى الجدّي فِي علم البلاغة عَلَى ضوء القواعد والموازين القديمة مَعَ ما قُرِّر فِي بيانات أهل البيتعليهم السلام وما بُرْهِن عَلَيْهِ فِي علم الألسنيات وتعدّد القراءات بأنَّ المُراد الجدّي لا يقف عِنْدَ حَدٍّ وباختلاف اللغات وإنْ كانت بلاغة اللغات الأُخْرَى عيالٌ عَلَى بلاغة اللُّغَة العربية إنْ لَمْ نكن مبالغين فِي ذَلِكَ وإنْ كانت هَذِهِ العلوم قواعد تتخادم فيما بين بعضها البعض.

وَعَلَيْهِ فمنهاج أهل البيتعليهم السلام النَّظَرِيَّة النسبية ليست بمعنى التشكيك، وَإِنَّما النسبية بمعنى أنَّ الحقيقة الواسعة قَدْ يقتنص الباحث والمُفسِّر المُلتفت والفَطِن مِنْهَا مراتب وتخفى عَلَيْهِ أُخْرَى.

هَذَا مُضافاً إلى أَنَّهُ قَدْ تكون أدلته الَّتِي اعتمد عَلَيْهَا ظنيّة فحينئذٍ يَكُون ما اقتنصه سرابٌ بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً بخلاف ما إِذَا كانت أدلتك يقينية وحقائق ولكنّها بَعْض الحقيقة لا تمامها فإنَّها سوف تقتنص حقائق لها وجود ونسبية لها مراتب وَهَذِهِ النسبية عِنْدَ أهل البيتعليهم السلام تختلف عَنْ النسبيّة التشكيكيّة السفسطيّة عِنْدَ مدرسة الألسنيات الحديثة.

والخلاصة: إنَّ قاعدة الجري تفتح لنا نظام تعدّد قراءة النصّ المُستفاد مِنْ بيانات أهل البيتعليهم السلام حسب منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن، وتستكشف لنا عَنْ نظام بَلْ نظم فِي علوم اللُّغَة تتجاوز ما قَدْ أُنجز مِنْ قواعد سابقة شريطة أنْ يكون التقدُّم إلى الأمام وفق ضوابط تؤسِّس قواعِد تُبْنى، وأنَّ المُراد الجدّي لَيْسَ وحداني وأنَّ المُراد التطبيقي مِنْ مداليل الكلام كُلَّهَا فِي علم اللُّغَة، وَهَذَا كُلَّهُ استفدناه مِنْ بيانات أهل البيتعليهم السلام، والذي يبتعد عَنْ بيانات أهل البيت مِنْ المفسرين أو الفقهاء أو الباحثين يقع فِي الحرج أمام تفسير بَعْض الآيات كقوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾[1].

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٩.

بتقريب: ـ إنَّ المُرَاد بها عِنْدَ المفسِّرين معنى ومُراد عُلَمَاء الكلام أو الفُقهاء مِنْهَا معنى آخر. فمثلاً فِي العقائد يُراد مِنْ الآية المباركة ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ ﴾ لقاء الإمام أمَّا فِي الفقه فَالمُرَاد مِنْهَا: ـ قصّ الأظافر أو حلق أو قصّ شعر الرأس فيكون المُرَاد مِنْ الآية عِنْدَ الفقهاء هُوَ التطهير البدني المُتمثِّل بحلق الرأس أو تقصير شعره أو قص أظافره أو ... الخ: أمَّا عُلَمَاء الكلام أو العقائد فيريدون مِنْهَا معنى آخر كالتطهير الرُّوحي مثلاً المتمثِّل بالإيمان بأصول الإسلام والمذاهب مثلاً، فَمَنْ كانت نظريته ومساره العلمي يتوافق مَعَ مدرسة الوحي ـ أيّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ فَإِنَّهُ سوف لا يتفاجئ مَعَ هكذا فروض، بخلاف مَنْ يبتعد مساره عَنْ مدرسة أهل البيت عليهم السلام فَإِنَّهُ سوف يقع فِي مثل هكذا اندهاشات نتيجة فرضهم قواعد مُسبقة لا تصمد أمام البحث العلمي.

وهكذا ما اشتهر بما يُسَمَّى بعلم الألسنيات أيّ علم قراءة النّص وتعدّد القراءة للنصّ الواحد الذي يُعْبَّر عنه بتعابير عديدة مِنْهَا: ـ الهرمونطيقيا وتشعبت مِنْهُ علوم متعددة، وعلم الألسنيات: ـ علم قَدْ اكتشفه الغرب قبل قرن مِنْ الزمان أو أكثر علماً أنَّ هَذَا البحث موجود فِي بحوث علمائنا الأبرار قبل قرون مِنْ الزمان فِي علم الأصول وعلم التفسير و ... وفي بيانات أهل البيت عليهم السلام.

وحاصل علم الألسنيات: أي علم تعدّد قراءة النص الواحد هُوَ أنَّ النص لَيْسَ المُرَاد الجدّي فيه واحد وَإِنَّما يمكن أنْ تكون الحقيقة فيه

مستترة وراء الكلام ووراء المعاني هِيَ حقائق وليست حقيقة واحدة، ونقولها وللأسف إلى الآن يوجد مِنْ المثقفين الإسلاميين فِي المذاهب الإسّلاميَّة الأُخْرَى مِنْ إخواننا أهل السُّنة مَنْ هُوَ مقتنع بما قاله الغرب غَيْر المؤمن برسالة الإسلام وَالقُرآن وبالنبيﷺ وبأئمة أهل البيتعليهم السلام علماً أَنَّهُ يرد عَلَى ما طرحه الغرب ما يلي: -

أولاً: إنَّ الذي طرحه وَقَالَه الغرب بلا موازين وإنْ كَانَ فيه إيجابيات مُبَرهَنة لمدى جداره أهل البيتعليهم السلام مِنْ النص الواحد يُقرا بقراءات مختلفة.

ثانياً: إنَّ تعدّد قراءة النَّص اللّدُني موجود فِي بيانات أهل البيتعليهم السلام قبل أكثر مِنْ (١٤) أربعة عشر قَرْناً. وَعَلَى ضوء علم الألسنيات وتعدّد فقراءة النَّص وحسب؛ لِأَنَّ رحابة مداليل الكلام واسعة، وَبِهَذَا كشفنا ظلمة وبُهمة أنظمة اللُّغَة وعلومها وَلَمْ نقف مَعَ تلك الظلمة وَإِنَّما لابُدَّ مِنْ إنارتها وإضائتها بنور العلم لِأَنَّ العِلْمَ والبحث نورٌ يكشف لنا ظلمة هَذَا الطريق الموجود إذَا وقفنا حَيْثُ وصل الآخرون وَلَمْ ننجز شيء مكرر واكتشفنا بقاع جديدة فِي العلم والحقائق لَمْ يكتشفها السابقون.

وبعبارة أُخْرَى: إنَّ ما تطوّر إليه الذهن البشري مِنْ تعدّد القراءة للنصوص والمتون أو فلسفة الألسنيات إجمالاً لهو خير شاهد عَلَى ما سبقت إليه مدرسة أهل البيتعليهم السلام مِنْ تعدّد قراءة المتن والنصّ الواحد

الوحياني وما يُعْرَف بتعدّد البطون حَتّى أشتُهر لدى المخالفين الطعن عَلَى مدرسة أهل البيت بأنَّها باطنية وما شابه ذَلِكَ مِنْ الأوصاف الذي بات هَذَا الطعن خيرُ برهان عَلَى الرقي العقلي السابق لهذه المدرسة وبدرجة وحيانية تميّزها دون بقيّة مدارس المسلمين، وَمِنْ هَذَا القبيل ما تظافرت جهود الإمامية بسبب هَذِهِ المدرسة مِنْ تراكم وتكدّس جهود طوال قرون فِي مباحث الألفاظ وما يتّصل بها مِنْ مباحث الحجج وَالَّتِي تصبّ فِي نظام طبقات الدلالة وتعدّد المدلول بموازين وضوابط متقنة وإنْ لَمْ يمنع ذَلِكَ مِنْ الاختلاف فِي التفاصيل والتطبيقات لكنه يُحكَّم فِي التحكيم بينها قواعد وَمِنْ وراءها قواعد أم أُخْرَى وثوابت، وإنَّ كثيراً مما توصلت إليه بحوث الألسنيات لهو ابتدائيات فِي مباحث الألفاظ مِنْ علم الأصول المشيّد إنجازاته فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

مُضافاً إلى أنَّ بحوث الألسنيات والهرمونطيقيا وأنْ تضمّنت نتائج متينة وبرهانية عَلَى سداد منهج مدرسة أهل البيت فِي قرار النَّص الدِّيني إلَّا أنَّ الكثير مِنْ مسائل ونظريات الألسنيات توظّف إلى الانفلات عَنْ الموازين والقواعد فِي قراءة النَّص والسقوط فِي قريحة السلائق الذاتية والشخصيّة بعيداً عَنْ الموضوعيّة والحياد العلمي، وَهَذَا ما يُميّز الفكر الأصولي مِنْ علم أصول الفقه لدى الإمامية عَنْ مدارس الألسنيات، لا سيّما وأنَّ الألسنيات وظّفت كثيراً لدواعي السفسطة التشكيكية الرامية إلى اللامسؤولية واستباحة كُلّ محظور.

علم التأويل يزيل تشابه القرآن

تَقَدَّمَ فِي البحوث السابقة أنَّ فتنةَ المُتشابه فِي آيات القُرآن وعلم التفسير لا تنقشع ولا تزول إلَّا بعلم التأويل بنص سورة آل عمران ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[1] وببيان أهل البيت عليهم السلام وفق منهج أمومة ومحوريّة ولاية أهل البيت عليهم السلام والمُحكمات فَإِنَّ هَذِهِ المنهجية هِيَ المهيمنة عَلَى ذَلِكَ، بَلْ وَحَتّى علم إشارات القُرآن فيه مساحات متشابهة هِيَ الأُخْرَى فيها فتقٌ ورتقٌ لا ينقشع إلَّا بأمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي القُرآن الكريم، وهكذا بالنسبة إلى علم لطائف القُرآن قَدْ يكون فيه متشابهات لا تزول إلَّا بأمومة الولاية وبمحكمات حقائق القرآن وَهِيَ عَلَى طبقات، وَهَذَا هُوَ معنى الأمومة، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قاعد علم التأويل والتعبير والإشارة واللطائف و ... الخ فِي القُرآن هِيَ قواعد مُتطابقة مَعَ قواعد علم التفسير إلَّا أنَّ المواد فِي التأويل أوسع أُفقاً ورحابةً وشفافيّة مِنْ علم التفسير، وَإِلَّا فالموازين والقواعد فيهما هِيَ هِيَ فَإِنَّهُ لا ينضبط باطن بلا ظاهر ولا العكس.

فَإِنَّ هُنَاك شواهد عَلَى ذَلِكَ كَمَا فِي قول النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله المُسَلَّم بين

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

الفريقين «**إنَّ للقرآن بطن ولبطنه بطن إلى سبعين بطن ...**»(١).

بتقريب: ـ إنَّ ذكر السبعين لَيْسَ للحصر وَإِنَّما كناية عَنْ الكثرة، ثمَّ إذَا كَانَ علم التفسير هُوَ الكاشف عَنْ ظاهر قناع فتنة المتشابهات، فَلَيْسَ معناه إنَّ علم التفسير وظاهر القُرآن هُوَ كُلّ القُرآن، كلا وَإِنَّما علم التفسير هُوَ أوَّل علوم القُرآن وأوَّل علم فِي كشف قناع الظاهر، وَعَلَيْهِ فلماذا لا نبالي ولا نكترث ببقية علوم القُرآن؟

وماذا تعني طبقات القُرآن؟

وخير شاهد ما قاله النَّبِيّ الأكرمﷺ ورسم لنا خارطة نبويّة مهيمنة وشاملة لجميع العلوم وَلَمْ تُركِّز عَلَى جانب دون آخر وَهُوَ قولهﷺ: «**إنَّما العلم ثلاثة: آية مُحكمة، أو فريضة عادلة، أو سُنَّةٌ قائمة، وما خلاهن فَهُوَ فضل**».

بتقريب: ـ إنَّهُﷺ أراد مِنْ الفريضة العادلة هِيَ إشارة إلى فقه الفروع وقوانيها وَهِيَ وظائف الأبدان وَهُوَ الظاهر والسُنّة القائمة إشارة إلى تهذيب النفس والأخلاق ورياضتها وَهِيَ باطن وسط، والآية المحكمة تعني العقيدة والعقائد الَّتِي يُعتقد فيها فِي القلوب والعقول، وهكذا كناية عَنْ الباطن الخفي.

وَهُنَاك تساؤل: إنَّهُ لماذا الرسول الأكرمﷺ شبَّكَ بين المراحل

(١) الكافي: ج١: ٣٢؛ سنن أبي داوود: ج٢: ٣.

الثلاث؟

الجواب: ـ ذكر بَعْض المُحققين إلى أنَّ قول الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله هَذَا إشارة إلى وجود ترابط بين الأصعدة الثلاث، ولا يمكن أنْ يكون هُنَاك ظاهر وظائف الأبدان بلا باطن وسط وَهُوَ وظائف النفوس الذي هُوَ فقه الفنوس، ولا يمكن أنْ يكون هُنَاك باطن وسط بلا ظاهر وظائف الأبدان كَمَا انحرف وللأسف بَعْض الصوفية، بَلْ وَحَتّى بَعْض العُرفاء وَبَعْض الخطابيّ صلى الله عليه وآله وتركوا الصَّلاة وأنكر عليهم الإمام الصادق عليه السلام وبَيَّن لهم عليه السلام ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾[1] وَالمُراد مِنْ اليقين هُوَ الموت، وأنَّ وظائف الظاهر تلازم الباطن، ولا باطن وسط ولا ظاهر إلَّا بباطن أعمق وَهُوَ العقول وهكذا.

(١) سورة الحجر: الآية ٩٩.

التفسير بالمأثور وشموليته

للمناهج التفسيرية الأخرى

لَعَلَّ بَعْض المدارس الإسّلاميَّة وَمِنْهَا الصوفيّة الَّتِي ظنّت أنَّ مثل علم التأويل أو علم التعبير أو علم الإشارات فِي القُرآن أنها علوم مزاجيّة وَمِنْ باب فوضى الاحتمالات و ... الخ وإنْ كُنّا نعترف بأن الكثير صحيح أنهم مارسوا لهذا النمط، ولكن هَذَا شيء لَمْ يضبط فِي الواقع تلك العلوم بما هُوَ موجود عِنْدَ أهل البيتعليهم السلام وأبدت تلك المدارس تقييماتها وممارساتها الهلوسيّة بابتعادهم عَنْ مدرسة الوحي وأئمة أهل البيتعليهم السلام، ولذا وقعوا بما وقعوا فيه وكتبوا الأفول والفشل عَلَى مدارسهم ومناهجهم الَّتِي أصبحت عاجزة وَغَيْر قادرة عَلَى الوقوف أمام مدرسة أهل البيتعليهم السلام؛ ولذا وقعوا بما وقعوا فيه وكتبوا الأفول والفشل عَلَى مدارسهم ومناهجهم الَّتِي أصبحت عاجزة وَغَيْر قادرة عَلَى الوقوف أمام مدرسة أهل البيتعليهم السلام عَلَى كُلّ المستويات لِأنَّ مدرسة أهل البيتعليهم السلام تناغم نُخب العقول مِنْ البشر عَلَى مَرَّ العصور فَكُلّ مَنْ ادّعى أَنَّهُ يمثل الإسلام أو مدرسة إسْلاميِّة أو فكر معين يُحْسَب عَلَى الإسلام عَلَى كافة الأصعدة وَهُوَ مُبتعد عَنْ خط ومنهج مدرسة

الوحي فَهُوَ لَمْ يُصِب الحَقَّ وكتب عَلَى نفسه الفشل؛ لِأنَّ هكذا ادّعاء ضخم وخوض هكذا علوم ومناهج تفسيرية بالحقيقة تعجز عقول البشر عَنْ الخوض فيها ما لَمْ تُسَدِدْ وتطلبْ العون مِنْ الله تَعَالَى واتّباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام لِأنَّ تلك المدارس غَيْر مدرسة أهل البيت عليهم السلام قدراتها محدودة ولأنَّها عقول بشر تمنهج وتحلل وفق إطار منحصر ضيّق وينفذ ما عندها ولا يوجد مَنْ يمدّها بخلاف مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإنَّها مُتّصلة بالوحي وَهُوَ المُمدد لها مِنْ الله تَعَالَى، ولذا ذكرنا أنَّ جميع علوم القُرآن وخاصّة علوم التأويل والحقائق و ... الخ ليست باستطاعة البشر لوحده وبمعزل عَنْ مدرسة الوحي أنْ يصل إلى نتائج طيّبة وعمليّة ويرتّب عَلَيْهَا الأثر كلا أنَّهُ لا يمكن ذَلِكَ.

فمثلاً التفسير المأثور عَنْ أهل البيت عليهم السلام يشتمل عَلَى علوم جمَّة وَلَيْسَ فَقَطْ يشتمل عَلَى علم التفسير، بَلْ يتعدّاه إلى غيره مِنْ العلوم أمثال التأويل واللطائف والإشاري و ... الخ أمَّا أنَّهُ كيف يشتمل علم التأويل على علم تفسير.

وَذَلِكَ لو لاحظنا جملة مِنْ الروايات عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام فيها جملة معالجات، مِنْهَا: ـ تُعالج التركيب النحوي فِي الآية، كَمَا فِي تفسير آية الوضوء وما هُوَ الصحيح وَالمُناسِب لها مِنْ القواعد النحوية مثلاً ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾[1] بأنَّ الواو عاطفة وكلمة (أرجلكم) هل هِيَ معطوفة

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦.

عَلَى لفظ الجار والمجرور وَلَهُ معنى، أم معطوفة عَلَى محل الجار والمجرور أيّ بالمعنى، ولها معنى آخر وهكذا.

وَمِنْهَا: تعالج التركيب الصوتي كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾[1] وفي رواية تفسيرها خير أُمَّة. وَمِنْهَا تُعالج: ـ لغات الآية، كَمَا فِي الآية ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2] بتقريب: ـ الإمامعليه السلام يقول واجعل لنا مِنْ المتقين إماماً، وكذا قوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[3]. وَقَالَ الإمام كيف يحفظ مِنْ إمام ... هل أنتم عرب و ... الخ.

وهكذا روايات أهل البيتعليهم السلام الذي هُوَ التفسير المأثور تُعالج وتبيّن علم تفسير أسباب النزول، وتفسير علم التأويل واللطائف والإشارات وعلم تعبير القُرآن الذي يستعرضه القُرآن وكأنَّه مسرح مشاهَد حسّي يُراد به الوصول إلى الحقيقة الأكبر ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4] أو فِي بَعْض الموارد تعبيرات القُرآن أشبه ما تكون بالصورة المرسومة لكي تحتاج إلى تعبير ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾[5] و ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾[6]

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٤، مراجعة تفسير البرهان.
(٢) سورقة الفرقان: الآية ٧٤.
(٣) سورة الرعد: الآية ١١.
(٤) سورة يوسف: الآية ١١١.
(٥) سورة يوسف: الآية ٤.
(٦) سورة يوس: الآية ١١١.

وَعَلَيْهِ فالقُرآن وإنْ كَانَ أكثر المُفسرين لَمْ يخوضوا به باعتبارهم غَيْر معصومين وعلم التعبير يحتاج إلى قدرة ومدد لَدني مِنْ الله تَعَالَى وبمعونة أهل البيت عليهم السلام؛ لِأنَّ القُرآن نفسه يُنادي كَمَا أنَّ لي علم تأويل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[1].

كَذَلِكَ يُنادي القُرآن إنَّهُ لي علم تعبير ولكن يحتاج إلى مُعَبِّر إلهي، كَمَا فِي سورة يوسف عليه السلام: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾[2] فَإنَّ فِي قصصهم عبرة فَإنَّ قصة يوسف وأخوته آيات للسائلين فالسؤال هُوَ أنَّ أيَّ سائل فِي الآية الكريمة هُوَ آية للسائلين أم ماذا؟

لو نظرنا إلى كلمة [**للسائلين**] لوجدناها جمع سائل، والألف واللام للتعريف أولاً، وتفيد الجنس، ثانياً، فحينئذٍ يحصل استغراق والمعنى هُوَ أنَّ أيّ سؤال تريد جوابه تستطيع أنْ تجده فِي سورة يوسف عليه السلام ولكن مَنْ يستطيع وَلَهُ القدرة أنْ يستخرج كُلّ أجوبة البشرية عَلَى مَرَّ الدهور مِنْ سورة يوسف عليه السلام.

وَهُنَاكَ رواية مضمونها: أنَّ أبا حمزة الثمالي كَانَ يتردّد عَلَى الإمام زين العابدين عليه السلام لأيام طويلة والإمام عليه السلام يُبيِّن لَهُ لطائف وإشارات فِي سورة يوسف، وإنْ كَانَ مِنْ الواضح إنَّهُ لا يستطيع أحدٌ أنْ يستخرج كُلّ هَذِهِ الكنوز إلَّا الإمام عليه السلام والراسخون فِي العلم ولا أقل نَحْنُ نتعلَّم

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧.

مِنْهُم، ونطلب العون مِنْ الله تَعَالَى أنْ يوفقنا للنهل مِنْ نميرهم عليهم السلام ومواصلة الدرب تحت هدايتهم عليهم السلام كُلّ بمقداره ووسعِه وليست مختصّة بالسائلين فِي زمان يوسف عليه السلام أو زمان النَّبيّ الأكرم الخاتم صلى الله عليه وآله كلا بَلْ هِيَ آيات، للسائلين إلى يَوْم القيامة، هَذَا هُوَ مُدّعى القُرآن وَهُوَ كتاب حَقٍّ، الذي فيه تبيان لِكُلِّ شيء، وعلم الله تَعَالَى بكُلِّ مخلوقاته وَمِنْهَا البشر فَإِنَّهُ تَعَالَى أحصاهم إحصائية إلهية دقيقة لِكُلِّ حالات البشر وظواهره البشريّة، فَالقُرآن لِكُلِّ البشرية ولأجل هدايتها يبين هَذَا ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] و ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

والخلاصة: ـ إنَّ التفسير بالمأثور فِي روايات أهل البيت عليهم السلام لا يختصّ بعلم التفسير فَقَطْ، بَلْ يشتمل عَلَى علم التأويل بَلْ وعلم التعبير وعلم ترجمان القُرآن وعلم لطائف القُرآن وعلم إشارات القُرآن و ... الخ وَعَلَيْهِ فالتفسير بالمأثور فِي روايات أهل البيت عليهم السلام الذي هُوَ ثِقْل وعِدْل ثاني للقُرآن قَدْ اشتمل عَلَى علوم طبقاتيّة للقُرآن وليست علوم عَرْض واحد.

وَمِنْ الواضح أنَّ العلوم فِي المناهج التفسيرية للقُرآن الكريم دائماً ترسم لنا علوم القُرآن إمَّا بشكل عَرْضي أو طولي مُتقارب، فالعلوم الَّتِي

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) سورة النحل: الآية ٦٧.

هِيَ بَعْرضٍ واحد تقريباً أو مُتقاربة وإنْ كَانَ بعضها يخدم بعضها مثل علم أسباب النزول وعلم إعراب القُرآن وعلم الجهات الصرفية فِي القُرآن، وعلم لغات غريب القُرآن، وعلم تاريخ تدوين القُرآن، وعلم آيات الأحكام فِي القُرآن و ... الخ.

وَهُنَاك علوم طوليّة ـ أيّ العلوم الَّتِي لها طبقات ودرجات هِيَ موجودة فِي كلمات جملة مِنْ أعلام المفسرين مِنْ العامّة والخاصّة أمثال ملا صدرا والفيض الكاشاني وَالسَّيِّد العلّامة الطباطبائي ﷺ مِنْ الخاصّة. وَمُحَمَّد رشيد رضا صاحب تفسير المنار مِنْ العامّة وغيرهم ـ مثل علم التأويل وعلم التعبير أيّ تعبير القُرآن بالقُرآن وعلم ترجمان القُرآن، وعلم لطائف القُرآن وإشارات القُرآن و ... الخ فَإِنَّ هَذِهِ التفاسير بعضها لَهُ الهيمنة عَلَى البعض الآخر، ولكنَّ المفسرين وللأسف لا يخوضون فِي ذَلِكَ وإنَّما بعضهم يشير إلى ذَلِكَ إشارة مقتضبة، وسبب ذَلِكَ هُوَ أنَّ تلك المناهج ـ عدا منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن ـ تُناسب علم التفسير، وَهِيَ بالواقع بابٌ أو فصلٌ مِنْ فصول علم التفسير ولا تشمل كُلّ علم التفسير، وَهَذَا بخلاف منهجنا المختار فِي التفسير منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات الذي يريد أنْ يُبيِّن أنَّ هُنَاك طريقان لرفع المتشابه وَهُمَا: ـ

الطريق الأوَّل: المُحكمات.

الطريق الثَّانِي: علم التأويل وما يعلم تأويله إلَّا الله والراسخون فِي العلم.

أمومة التأويل

تبيّن مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ أنَّ هُنَاك أمومة ثانية غَيْر أمومة الولاية والمُحكمات الَّتِي عَبَّر عنها القُرآن الكريم أمومة الراسخون فِي العلم وَهِيَ أمومة علم التأويل فِي القُرآن، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾[1] بَلْ هُنَاك أمومة الَّذِيْنَ أُوتوا العلم وأمومة اللطائف والإشارات وترجمان القُرآن وسَنُبيِّن كُلّ ذَلِكَ مُفصلاً مِنْ محله المُنَاسِب إنْ شاء الله تَعَالَى.

فَإِنَّ كُلّ هَذِهِ العلوم وطبقاتها الطوليّة وهيمنة بعضها عَلَى البعض الآخر يبيّنها القُرآن الكريم فِي منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات الذي به إدارة المناهج الأُخْرَى الَّتِي اعتمدها أعلامُ المُفسرين مِنْ الخاصّة والعامّة أمثال الشَّيْخ الطبرسي فِي مجمع البيان، والطوسي فِي تبيانه والفيض الكاشاني والزركشي و ... الخ فَإِنَّ تلك المناهج لا ننكر جدوائيتها وفائدتها إلَّا أنَّ الناظم لانتظامها ونظمها هُوَ منهج أمومة الولاية والمُحكمات الذي هُوَ قطب رحى التفسير.

وَعَلَيْهِ فبيان طبقات علوم التفسير للقُرآن هِيَ مِنْ قسم علم ظاهر التفسير والتنزيل وعلم التأويل والتعبير والترجمان واللطائف والإشارة وحقائق

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

القُرآن كُلّهَا موجودة فِي التفسير المأثور لأهل البيتعليهم السلام الَّذِيْنَ بيّنوا فيه العلوم الطبقاتية فضلاً عَنْ العلوم العَرْضيّة، ولذا نلاحظ أنَّ الكثير مِنْ المفسرين والباحثين لا يخوض بَلْ ولا يتعرّض للتفسير المأثور بسبب أَنَّهُ إذَا تعرّض أو خاض ذَلِكَ المضمار سوف يتعرّض ويواجه انفجار معلوماتي غَيْر طبيعي، ولا يعرف كيف ينظم بين تلك المعلومات؛ لِأنَّ روايات أهل البيتعليهم السلام تُبيِّن قواعد وعلوم متعددة للقُرآن ولا تقتصر عَلَى بيان علم التفسير فَقَطْ بالتنزيل، وَمِنْ هَذَا تتّضح المسافة الكبيرة بين تفسير المأثور والتفاسير الأُخْرَى حَتّى فِي تسمية الكتاب أو المنهج كَمَا فِي تسمية تفسير البرهان والأولى بَلْ الأصح أنَّ يُسَمَّى كتاب البرهان فِي علوم القُرآن، أو تفسير نور الثقلين أو تفسير علي بن إبراهيم القمي أو تفسير فرات الكوفي أو ... الخ فَهَذِهِ التفاسير لا يُبيَّن فيها فَقَطْ تفسير القُرآن، بَلْ يبيَّن فيها علوم القُرآن، فَإنَّ الإمامعليه السلام يُبيِّن فِي رواية حقائق القُرآن تكوينية للقُرآن فحينئذٍ يرتبك أمر الباحث والمفسِّر إنْ علم الحقائق أيّ صلة وما هُوَ نوع الصلة بعلم التفسير: ـ هُنَاك علوم متعدّدة للقرآن بينها الرواية الواحدة وَعَلَيْهِ فَهَذَا نوع مِنْ البرمجة العلميّة لمعنى التفسير بالمأثور والذي هُوَ بالتالي تمسك بالثقلين فِي تفسير القُرآن فِي علوم القُرآن.

الأمر الثَّالِث: ثمرة قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير.

الثمرة المترتبة عَلَى هَذِهِ القاعدة عَلَى نمطين: ـ

النمط الأوّل: ثمرة عامّة.

النمط الثَّانِي: ثمرة خاصّة.

النمط الأول: ثمرة عامة:

إنَّ لقاعدة الجري والتطبيق ثمرة عامة وهامّة تؤرب وتؤول إلى تفعيل حجّية القُرآن، وأنَّ مرجعية القُرآن مفعّلة دائماً وَأَنَّهُ ـ القُرآن ـ مصدر ومنبع دائماً يُعْرَف مِنْهُ وَلَيْسَ مُعطلاً أبداً ـ والعياذ بالله ـ بَلْ بحسب بيانات أهل البيتعليهم السلام المُتقدِّمة أنَّ كُلّ آيات القُرآن مُفَعَّلَة وحجّيتها حَيَّة وَلَيْسَ فِي القُرآن آية مُجَمَّدَة ـ والعياذ بالله ـ وَإِنَّما كُلّ آية مُفعَّلة وحيَّة.

ومما ينبغي لالتفات إليه هُوَ أنَّ حيويّة آيات القُرآن الكريم ليست فوضى ودعوى وَإِنَّما لها مواقع مِنْ الأحداث البشرية وبيئات البشر، فَإِنَّ مواضع وموارد إنفاذ أو تطبيق الآيات يختلف باختلاف موارد الآيات وموضوعها ومناسبتها وسبب نزولها و... الخ فَلَيْسَ هُنَاكَ تشابك فوضوي فِي التطبيق، كلا وَإِنَّما هُنَاكَ نظم، ولا يُقَال: ـ إنَّ مورد العمل بكُلِّ آية آية إذَا فُرض أَنَّهُ طُبِّقَ وَكَانَ لَهُ موردٌ إِنَّهُ قَدْ مضى وتحقق، وَإِنَّما تطبيقها تطبيقٌ منوالي متعدّد أيّ حصل لِكُلِّ آية آية مِنْ القُرآن الكريم انطباق وتطبيق وجري عَلَى مواقع أُخْرَى فِي المستقبل، ولذا يتوهّم ويَخْطئ مَنْ يظن أنَّ تفسير أهل البيتعليهم السلام للآيات القُرآنية بالمأثور الصادر عَنْ أهل البيت هُوَ خاص فيمن مضى مِنْ أئمة أهل البيتعليهم السلام أو مِنْ أعدائهم ولا تصلح لِأَنَّ يتمسّك بها لما سيأتي.

وَهَذَا الاعتراض لَعَلَّهُ وللأسف يتوهّمه حَتّى بَعْض مفسري الخاصّة فضلاً عَنْ مفسري العامّة بدعوى أنَّ الأخذ بالتفسير المأثور للقُرآن عَنْ أئمة أهل البيتعليهم السلام هُوَ لازم للجمود أو لازم للتَقَيُّد والأخذ بتلك الروايات فِي التفسير وَهَذَا يستلزم تعطيل جملة مِنْ الآيات والحال أنَّ القُرآن حجّيته حجّيّة مفعَّلة وحيّة لا تموت.

مدفوعة: كيف وأنَّ الأئمةعليهم السلام هُمْ المؤسسون لهذه القاعدة ـ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير ـ والمشيِّدون لمفهوم كُلّ آية آية وأنَّ لها أساس عظيم فِي مفهوم حجّيّة وحياة القُرآن، وَهُمْعليهم السلام المُفَعِّلون للقُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فكيف يكون مجموع هَذَا التراث المروي عنهمعليهم السلام فِي تفسير القُرآن يؤدِّي إلى هَذِهِ النتيجة البسيطة والفهم السطحي والمتساهل مِنْ المُراد الحقيقي لآيات القُرآن.

ولذا وللأسف ذهب جملة مِنْ مُفسري الخاصّة فضلاً عَنْ مفسري جمهور عامّة المذاهب الإسّلاميَّة الأُخْرَى إلى تفسير آخر مغاير لما هُوَ عَلَيْهِ حقيقة قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير تحت ذريعة وسبب أَنَّهُ لابُدَّ أنْ نجعل مِنْ معنى قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، أنَّ لآيات القُرآن الكريم معانٍ كُليّة ـ وَهَذَا لا اعتراض لنا عَلَيْهِ ـ وَإنَّما ما وَرَدَ فِي التفسير المأثور عَنْ الأئمةعليهم السلام لَيْسَ إلَّا تمثيل لنموذج تطبيقات لا دخالة لَهُ فِي معنى الآية ولا يستند إلى هَذَا التفسير المأثور لِإنَّهُ نموذج تطبيقي لا ارتباط ولا صلة لَهُ بالمعنى الكُلّي للآية، وَهَذَا معناه أنَّ ما وَرَدَ فِي التفسير المأثور لآيات القُرآن الكريم عَنْ أئمة أهل البيتعليهم السلام لا يمكن الالتزام

به لِإِنَّهُ لَيْسَ وارداً فِي تفسير صميم معنى الآية وَإِنَّما هُوَ هامش تطبيقي، وَعَلَيْهِ فيقع التفسير بالمأثور فِي هامش التفسير، ويُؤيِّد ذَلِكَ ما يفعله بَعْض المفسرين حَتّى مِنْ الخاصّة بجعل التفسير بالمأثور أيّ الروايات الواردة فِي تفسير آية فِي ذيل التفسير مِنْ باب أَنَّهُ كنموذج تطبيقي.

وبعبارة أنَّ هَذَا المنهج يُتنبه فيه إلى أنَّ التراث المأثور فِي ذيل الآيات لَيْسَ مِنْ قبيل تفسير موارد النزول كتطبيقات مصداقيّة بَلْ يلتفت إلى أَنَّهُ عِدْلٌ للقُرآن فِي كُلّ طبقاته وجريه وحيويته لِكُلِّ زمان ومكان وأنَّ هَذَا التراث نظاماً ومنظومة منهج للتفسير والتأويل، مضافاً إلى بحور مِنْ موارد معلومات مفردات ألفاظ الآيات.

النمط الثانِي: الثمرة الخاصة

لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير:

أحد أهم الثمرات الخاصّة العديدة لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، وَعَلَى كلا النظريّتين فِي القاعدة نظرية السَّيِّد العلّامة وَالنَظَرِيَّة الثَّانية المختارة حسب منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات وَهِيَ مختارنا.

الثمرة الأولى: تحديد علم التأويل فِي القرآن عن تفسيره:

حسب مختار السَّيِّد العلّامة‌ﷺ وَمَنْ تبعه وَهُوَ النَّظَرِيَّة الأولى فِي قاعدة الجري المُتقدِّمة إنَّ هَذِهِ القاعدة تعكس بظلالها عَلَى تحديد علم التأويل - تأويل القُرآن - عَنْ علم التفسير - تفسير القُرآن - عَلَى أنَّ هَذَا القول يَتِمّ

بناءاً عَلَى نظام التفسير وافتراقه عَنْ نظام التأويل.

فَإنَّ هُنَاك تفسير للقُرْآن الكريم وَهُنَاك تأويل، والتأويل علم مِنْ علوم القُرآن الَّتِي لَيْسَ مِنْ السهل امتطاؤه، وَلَيْسَ مِنْ السهل أنْ يلج فيه كُلّ والج وعزيز المنال عَلَى الكثير فَإنَّ علم التأويل ـ تأويل القُرآن ـ مِنْ العلوم الصعبة والخطيرة وَهُوَ يغاير علم تفسير القُرآن، فَإنَّ كثيراً مِنْ المفسرين وللأسف حَتّى السَّيِّد العلاّمة ﷺ لَمْ يخض بكُلِّ لباب هَذَا البحر الخطير أيّ باب علم تأويل القُرآن.

لا يكترثون بعلم تأويل القُرآن، والمفسرون فِي هَذَا الباب قليلون بَلْ نادر ما يقول منهم بذلك، والحال إنَّ أحد ميادين تفعيل التمسّك بالقُرآن هُوَ الوقوف عَلَى تأويل القُرآن إلَّا أنَّهُ وللأسف لا يخوض به الكثير مِنْ جمهور مفسري الأُمَّة الإسّلاميَّة وغيرهم ولا يعبأون به وكأنَّهم غَيْر مسؤولين عَنْ التدين والتمسك به، والحال أنَّهُ كَمَا أنَّ علم تفسير القُرآن خطير كَذَلِكَ علم تأويل القُرآن خطيرٌ، وَنَحْنُ مسؤولون عَنْ العمل به بمقدار ما يتّضح لنا مِنْهُ، وَعَلَيْهِ فَإنَّهُ ببركة قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات أنَّ الصحيح هُوَ: ـ إنَّ علم التأويل هُوَ المُهيمن عَلَى التفسير ولا يعني هَذَا إنكار كون علم التفسير هُوَ العلم الأوَّل وبالمرحلة الأولى الذي يقتدر الإنسان عَلَيْهَا وَمِنْ ثَمَّ بتوسّط علم التفسير يصل الإنسان إلى علم التأويل، وبعبارة: المصطلح العلمي إنَّهُ

مِنْ جهة الإثبات أنَّ علم التفسير متقدِّم إثباتاً وتعلّماً عَلَى علم التأويل وإنْ كَانَ علم التأويل هُوَ المهيمن مِنْ الجهة الثبوتية وَعَلَيْهِ فالبناء عَلَى كون علم التأويل مهيمن ومسيطر عَلَى علم التفسير فَإنَّ مثل هَذَا لا يتنافى مَعَ ضرورة علم التفسير وإنْ كَانَ ابتداءاً تعليم الإنسانية لعلم القُرآن الكريم هُوَ عَنْ طريق علم التفسير ولكن مَعَ ذَلِكَ يبقى علم التأويل هُوَ المهيمن ولا تنافي فِي ذَلِكَ.

مُضافاً إلى أنَّ المُفَسِّر حينما يُحيط خُبْراً بعلم التفسير فَإنَّهُ سوف يلاحظ مدى وكثرة تأثير التأويل عَلَى علم التفسير وَعَلَى منهجنا المختار فِي تفسير القُرآن وَهُوَ امومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن، فسوف يتبيَّن أنَّ علم التأويل هُوَ المُحْكَم بالقياس إلى علم التفسير، وأنَّ علم التفسير هُوَ المُتشابه بالنسبة إلى علم التأويل ولا نريد أنْ نقول: ـ إنَّ علم التفسير مِنْ المتشابه إذَنْ هُوَ لَيْسَ بحجّة كلا، وَإنَّما علم التفسير بلحاظ ما دونه حُجَّة، ولكن بلحاظ ما فوقه والمهيمن عَلَيْهِ وَهُوَ التأويل محجوج بحجّة فوقه وَهُوَ التاويل الذي هُوَ اشدّ إحكاماً.

علم التأويل قطب تدور عليه قطب رحى علم تفسير القران

قطب رحى علم تفسير القرآن:

وإنْ كُنّا نستطيع أنْ نقول إنَّ علم تأويل القُرآن علم اختصّ به أئمة أهل البيت عليهم السلام مِنْ الأُمَّة الإسّلاميَّة، وأنَّ أكثر فيوضاتهم عليهم السلام العلميّة هِيَ فِي علم تأويل القُرآن وخاضوه عليهم السلام بكُلِّ سِعة ورحابة أفق

واسع واسترسال عميد عكس الآخرين الَّذِيْنَ حاولوا الخوض فيه ولو بشكل بسيط إلَّا أنَّهُ بتلكئ وقصور وعجز، مَعَ أنَّ علم التأويل أمرٌ بالغ الأهميّة، ويشكل الآن أحد مشاكل المسار الفكري للأُمَّة الإسّلاميَّة تجّاه هَذَا المصدر العظيم وَهُوَ القُرآن الكريم، وللأسف عُلَماء المسلمين حبسوا فكر وعقل وثقافة الأُمَّة الإسّلاميَّة عَلَى علم تنزيل القُرآن فِي تفسير القُرآن فَقَطْ، وَهَذَا طامّة ومعناها تعطيل وتجميد لطبقات مِنْ القُرآن الكريم، وما ذاك إلَّا بسبب الابتعاد عَنْ مسار أئمة أهل البيت عليهم السلام وَهَذَا الابتعاد هُوَ سبب هَذِهِ الأزمة، وكأنَّما فهموا مِنْ أنَّ الَّذي يقتحم الفكر الإسلامي يجب أنْ يحبس نفسه فَقَطْ فِي التفسير ويتجنّب علم التأويل، وَهَذَا يؤدِّي باللاشعور سوءا قَصَد المُفَسِّر ذَلِكَ أوَّلاً إلى تعطيل الكتاب فِي علم التّأويل، وَهُوَ مِنْ أحد أكبر المحاذير بأنْ نجعل الكتاب مُعطّلاً وَهُوَ مِنْ مذهب المُعَطِّلَة، إلَّا أنَّهُ بنفس الوقت هُنَاك جملة مِنْ أعلام المفسرين أمثال سيد هاشم البحراني أو ملا شريف الفتوني أو الحويزي فِي نور الثقلين أو القمي أو ... الخ.

لَمْ يأبهوا بِهَذَا الضجيج لومة لائم وخاضوا فِي علم التأويل بحسب ما يمتلكون مِنْ قدرات ـ جزاهم الله خيراً ـ والمهم أنَّهم خاضوا فِي ميدان تأويل القُرآن الكريم، لِأنَّ تعطيل علم التأويل فِي القُرآن وعدم الخوض به نوع مِنْ تجميد القُرآن وبالتالي يُلْزِم محذورٌ يُشكِّل خطراً كبيراً وَهُوَ عدم تفعيل حجّية القُرآن وتعطيلها.

ثمَّ إنَّ اهتمام المفسرين للقُرآن فَقَطْ فِي جانب علم التفسير وأنَّ علم التفسير هُوَ أحد معاني القُرآن، إلَّا أنَّهُ نقول لهم: ـ وَمَنْ قَالَ إحياء القُرآن هُوَ فَقَطْ بتشييد جانب علم التفسير؟ فَإنَّ هَذَا أوّل الكلام.

إذَنْ علم التأويل لَهُ موازينه وقواعده وضوابطه الخاصّة قَبِلَها مِنْ قَبِل ورفضها مَنْ رفض.

وَكَمَا أنَّ القُرآن الكريم يُنادي بتنزيل الكتاب وتفسيره كَذَلِكَ يُنادي بتأويل القُرآن.

التفسير والتأويل جناحان في القرآن الكريم:

أولاً: مِنْ خلال الأبحاث السابقة تبيَّن أنَّ التفسير والتأويل هُمَا جناحان فِي القُرآن وَلَيْسَ مِنْ الصحيح أنْ تُفَعِّلَ أحدهما دون الآخر بأنْ تأخذ بجناح وتترك الآخر، وما يعلم تأويله إلَّا الله والراسخون فِي العلم؛ لِأنَّ الأخذ بأحد الجناحين دون الآخر يلزم مِنْهُ عِدَّة محاذير وفي غاية الخطورة وأحدها وأخطرها هُوَ محذور تعطيل حُجّيّة الكتاب فِي جانب تأويل القُرآن، وَهَذَا باطل.

وثانياً: مُضافاً إلى ذَلِكَ يلزم مِنْ ترك تفعيل حُجّية القُرآن فِي جانب التأويل لمحذور آخر فضلاً عَنْ حبس تجويد القُرآن التركيز فَقَطْ وَفَقَطْ عَلَى مسابقات حفظ أصوات القُرآن، وأمَّا مسابقات حفظ معاني القُرآن ومسابقات حفظ علم تأويل القُرآن فيدّعون دعوى باطلة وَهِيَ:

ـ إنَّ هَذَا غَيْر منهجي.

ولكن يمكن أنْ يُقَال لهؤلاء: ـ إنَّ القُرآن الكريم لَيْسَ هُوَ فَقَطْ أصوات حَتّى إنَّكم جعلتم لها منهاجاً ومسابقات وإنْ كُنّا لا ننكر هَذِهِ المرتبة المُهِمَّة والعظيمة فِي القُرآن وَهِيَ حفظ أصوات ألفاظ مفردات الآيات والسور للقُرآن، إلَّا أنَّهُ بنفس الوقت لا يمكن حبس القُرآن الكريم بها فَقَطْ وَفَقَطْ.

إذَنْ القُرآن الكريم لَيْسَ تلاوة أصوات وألفاظ وَإنَّما هُنَاك فِي القُرآن تلاوة معاني.

وثالثاً: تدرك عياناً لحقائق القُرآن فَإنَّ هَذِهِ مرتبة وراء المعاني، ووراء طبقات التأويل، وسيأتي البحث فِي نظام حقائق القُرآن فِي محاوِر عديدة، وَلَهُ ضوابط وموازين أعقد وأصعب مِنْ صعوبة وإبهام ضوابط التأويل رغم ما للتأويل مِنْ غموض وصعوبة عَلَى كثير مِنْ أهل التفسير، وَهَذَا يساهم فِي إحيائه المأثور مِنْ الحديث فِي ذيل الآيات، وَهَذِهِ مِنْ الفوائد البالغة الخطورة للتراث المأثور فِي ذيل الآيات.

تلاوة المعاني أهم من تلاوة الألفاظ في القرآن الكريم

مِنْ الواضح لأهل البصيرة أنَّ القُرآن الكريم لَيْسَ تلاوة أصوات وألفاظ، وَإِنَّما هُنَاك فِي القُرآن تلاوة معاني وحقائق، وَعَلَيْهِ فبقدر ما لتنزيل الكتاب مِنْ قدسيّة فلتأويل القُرآن كَذَلِكَ قداسة، وقداسة التأويل بحسب بيان القُرآن أعظم مِنْ قداسة التنزيل وقداسة الأقدس لا توجب لنا التفريط بقداسة المقدّس، وبنفس الوقت الحفاظ عَلَى المقدّس لا يدعونا أنْ نستخف أو نستهين بما هُوَ أقدس، وَعَلَيْهِ فتجب الموازنة فِي البين بينهما لا أَنَّهُ نترك الأقدس، وَهُوَ التأويل ونهتم بالتنزيل فَقَطْ، علماً أنَّ القُرآن الكريم يُؤكِّد عَلَى أنَّ التأويل أعظم قدسيّة مِنْ التنزيل وأنَّ الهُدَى والبصائر الموجودة فِي التأويل أعظم مِنْ التفسير، وأنَّ التأويل حاكم عَلَى التنزيل والتفسير، وَذَلِكَ لخطورة التأويل، وَهُوَ القطب الأعظم فِي القُرآن الكريم، والذي يتلجلج المفسرون مِنْ الخوض فيه إلَّا أَنَّهُ لَهُ روّاده المختصّون به وَمَنْ سار عَلَى نهج مدرستهم وبتوفيق مِنْ الله تَعَالَى وروّاده هُمْ أهل بيت النبوة عليهم السلام فضلاً عَنْ أهمية الارتباط بحقائق القُرآن الذي هُوَ غاية الغايات مِنْ التفسير والتأويل، والناس عنه غافلون، وَمِنْ أحد المفارقات المُهِمَّة والخطيرة بين النَّظَرِيَّة الأولى وَالثَّانية فِي قاعدة الجري، هُوَ هَذَا الأمر فَإِنَّ النَّظَرِيَّة الأولى تجعل مِنْ المعنى الاستعمالي او التفهيمي

أو الجدّي القريب غاية غايات القُرآن والنهاية المقصودة مِنْهُ فيكون ذَلِكَ حجاباً عَنْ بقيّة بحور معاني القُرآن فضلاً عَنْ الوصول إلى حقائقه، وَهَذَا بخلاف النَّظَرِيَّة الثَّانية: ـ وَهِيَ المبتنية عَلَى منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي تفسير القُرآن، فإنّها عَلَى الدوام تُؤكّد عَلَى العبور بتوسط التعبير والتأويل بُغية الوصول إلى ما وراء بلا حدّ يقف عِنْدَ مقام أو منزل مِنْ المنازل وكفى بِهَذَا الفرق فارقاً وأهميّة لَيْسَ فوقها خطورة، بَلْ هَذَا الفرق فِي الحقيقة لَيْسَ فرقاً بين النظريتين فِي قاعدة الجري فحسب، بَلْ هُوَ بالدقّة وليدٌ للفرق بين منهج أمومة المحكمات لتفسير القُرآن، وبين عموم المناهج التفسيرية الأُخْرَى.

وَهَذَا ممّا يُنبِّه المُفسِّر عَلَى خطورة اختيار المنهج وتحديده قبل الخوض فِي علم التفسير.

الثمرة الثَّانية: مِنْ الثمرات المُهِمَّة لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية هُوَ أنَّ الآية الواحدة يمكن أنْ يُستدلّ بها لبيان المراتب العالية وكذلك يمكن أنْ يُستدلّ بها عَلَى بيان المراتب النازلة مِنْ دون تجافي مِنْ المعاني العالية إلى المعاني النازلة كَمَا فِي قوله تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾[1] وَالَّتِي هِيَ بصدد بيان المكنون الغيبي للقُرآن، والتدبُّر بآياته وَهُمْ أهل آية التطهير الَّذِيْنَ هُمْ فَقَطْ ينالون المكنون الغيبي للقُرْآن وأنَّ القُرآن محفوظ وفي منأى عَنْ يد البشر أو فكره أو عقله فَإنَّ للقُرين

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٧ ـ ٧٩.

طبقات عالية هِيَ أسرار القُرآن، كَذَلِكَ يمكن الاستدلال بنفس الآية المباركة عَلَى بيان الطّبقات النازلة وَهُوَ المسّ فِي مرتبة نازلة، والمعنى الهابط الذي ينصرف إلى المسّ المادّي بخلاف النَّظَرِيَّة الأولى فإنَّها تتبنى تحديد المُراد فِي خصوص المعنى بقالب وإطار وإنْ كَانَ كُلياً وعامّاً إلّا أنّهُ لا يعني ولا يتكفل بخصوصيات وتفاصيل المصاديق فلا يستنبط مِنْ الآية كُلّ ذَلِكَ، حسب النَّظَرِيَّة الأولى بخلافه عَلَى النَّظَرِيَّة الثَّانية.

الثمرة الثَّالثة: حسب النَّظَرِيَّة الأُولى ـ لِلْسَّيِّد العلّامة الطباطبائي وَمِنْ تبعه ـ فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، لا نستطيع تمييز الآيات القُرآنية وما هِيَ اختصاصاتها فإذا عزلنا الجانب التنظيري عَنْ التطبيقي كيفي نستكشف أنَّ هَذِهِ الآية المباركة مثلاً ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ هِيَ آية مِنْ آيات الأحكام الفقهية أو العقائدية أو الأخلاقيّة أو مِنْ آيات العالم النفساني فِي القُرآن.

وأمَّا بحسب النَّظَرِيَّة الثَّانية فيحصل التمييز والتلوين وأنَّ هَذِهِ الآية المباركة مِنْ آيات الأحكام الفقهيّة أو مِنْ آيات العقائد أو مِنْ آيات المنظومة الأخلاقيّة فِي القُرآن أو ... الخ. وَهَذَا كثيراً ما يُؤكِّد عَلَيْهِ أهل البيت عليهم السلام مِنْ عدم حبس الآية فِي الأُفق الضيّق، فَإنَّ عظمة وسعة رحابة قائلها وَهُوَ الله تَعَالَى لا تُدرِكها أيُّها المُفَسِّر وتحبس الآية المُباركة فِي أفق ضيّق وتقول هَذَا المُراد مِنْهَا فَقَطْ وَفَقَطْ لَيْسَ الأمر كَذَلِكَ لِأنَّ الآية كالكنز وكالمعدِن كُلّ يستطيع أنْ يغرف مِنْهَا بحسب ما أوتي مِنْ سِعة رحابة فكر وعقل.

ولا يعني ذَلِكَ قوقعة معنى الآية بَلْ يعني ما مَرَّ فِي الثمرة السابقة مِنْ استفادة التفاصيل مِنْ الآيات: ـ إذَنْ هَذِهِ الثمرة مترتبة عَلَى ما سبق.

سلطان

أمثلة تطبيقية لقاعدة الجري

بمعنى التطبيق أو التعبير

نذكر أمثلة تطبيقية متنوِّعة لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري حسب منهاج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات مِنْهَا فِي ضمن آيات وَأُخْرَى فِي ضمن روايات.

أمَّا الآيات:

النموذج الأوَّل: قوله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾[1].

عَنْ عمر بن يزيد قَالَ: ـ قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الَّذِيْنَ يصلون ما أمر الله به أنْ يوصل»؟ قَالَ: «**نزلت فِي رَحِم آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وَقَدْ تكون فِي قرابتك. ثمَّ قَالَ: فلا تكونَنَّ ممّن يقول للشيء: إنَّهُ فِي شيء واحد**»[2].

بتقريب: ـ إنَّ الإمام عليه السلام بَعْدَمَا بَيَّنَ لعمر بن يزيد مورد نزول الآية وأنَّها نزلت فِي قربى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أيّ آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، أراد الإمام عليه السلام أنْ يُبيِّن: ـ أَنَّهُ لا تكونن ممن يقول للشيء يعني الآية أَنَّهُ فِي شيء واحد كلا وَإنَّما قَدْ

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢١.

(٢) أصول الكافي للكليني: ج٢، ب ٦٨، صلة الرَّحِم: ص١٦٣ ح٢٨.

يكون نزوله فِي شيء، ولكن يمكن أنْ تعممه والاستفادة مِنْهُ فِي موارد أُخْرَى إذَا كانت التعدية مُبتنية عَلَى ضوابط وثوابت فحينئذٍ لا مانع مِنْ ذَلِكَ، وإنْ كَانَ مقدرا استفادة المُفَسِّر مِنْ هَذِهِ التعدية ليست بالحجم الذي يستفيده أهل البيتعليهم السلام، ولكن لا بمعنى إقصاء التنظير عَنْ التطبيق ونفكك بينهما، وَهَذَا التفكيك قطعاً مرفوض حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية عَلَى ضوء المنهج التفسيري أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن وَعَلَيْهِ فالآيات لا تنحبس فِي موارد نزولها مَعَ اختلاف طبقات ودرجات المعاني والمعاني ليست فِي درجة واحدة شِدَّة وضعفاً وقوَّةً ودنواً وعلوّاً و ... الخ.

إذَنْ الإمامعليه السلام أراد أنْ يبيِّن أنَّ الآية إذَا نزلت فِي شيء لَيْسَ معناه إنَّما نزلت فِي هَذَا الشيء الواحد فَقَطْ وانتهى الأمر، لَيْسَ الأمر كَذَلِكَ وَإنَّما يُراد بالآية بيان أشياء أُخر، مُضافاً إلى أنَّ نفس أهل البيتعليهم السلام المُطهرين هُمْ عَلَى درجات، ففي الدرجة الأولى الخمسة أصحاب الكساء، ثمَّ التسعة المعصومين فِي الدرجة الثَّانية، وحسب بيانات أهل البيتعليهم السلام هُنَاك مرتبة ثالثة لدائرة أهل البيتعليهم السلام وتطهرهم، وَهُمْ نظير أبناء الأئمةعليهم السلام الَّذِينَ بدى الله تَعَالَى فِي إمامتهم كإبراهيم بن الْنَّبِيّ الأكرمصلى الله عليه وآله الذي قَالَ فيه الْنَّبِيّصلى الله عليه وآله لو كَانَ ابني حيّاً لكان نبيّاً وَهَذَا لا يُنافي إنَّهُ لا نبي بعدي وَإنَّما الْنَّبِيّصلى الله عليه وآله فِي مقام بيان قابليّة ابنه إبراهيمعليه السلام لذلك، أو بيان الإمام الصادقعليه السلام حقِّ ابنه إسماعيل المدفون فِي المدينة

المنورة قول الإمام الصادقعليه السلام: مراجعة الكشّي ...

قول الهادي: عِنْدَ وفاة ابنه أحدث لله شكر ...

أو السَّيِّد مُحَمَّد بن الإمام الهاديعليه السلام المعروف بسبع الدجيل والمدفون فِي منطقة الدجيلي وغيرهم.

الخلاصة: مِنْ كُلّ هَذَا فَإِنَّ نزول الآية القرآنية قَدْ يكون هَذَا النزول عندنا جري فيه مِنْ المرتبة النازلة إلى العالية، وَقَدْ يكون بالعكس، أيّ فِي قاعدة الجري يوجد قوس صعود وقوس نزول بقرينة ما قاله الإمامعليه السلام: «**فلا تكوننَّ ممن يقول للشيء أَنَّهُ فِي شيء و احد**» وَالقُرآن استعمل كُلّ مِنْ قوس الصعود والنزول.

أمَّا قوس الصعود كَمَا فِي قوله تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾[1] بمعنى التدُّبر فِي العالي وَهُمْ أهل آية التطيهر هُمْ الَّذِيْنَ فَقَطْ ينالون المكنون الغيبي للقُرآن، إنَّهُ لقرآن كريم أو كتاب مكنون ومحفوظ فِي منأى عَنْ يد البشر أو فكر أو عقل البشر، فَإِنَّ فِي القُرآن طبقات عالية هِيَ أسرار القُرآن.

﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾[2].

وأمَّا قوس النزول: فَإِنَّهُ يمكن الاستدلال بنفس الآيات السابقة للمرتبة النازلة كَمَا فِي قوله تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٧ ـ ٧٩.

(٢) سورة البروج: الآية ٢٢.

﴿٧٨﴾. ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

بتقريب: ـ إنَّهُ يحرم مسّ المصحف الشريف وَهَذَا المسّ مرتبة نازلة نظير الذي يتطهّر بالوضوء فَهُوَ أيضاً مرتبة نازلة لِإنَّهُ يوجد الطهارة لِنفسه بخلاف المُطَهَّر الذي يتطهّر بالروح أو الذي طهّره ربُّ العالمين، فَهَذَا ذو مرتبة عالية وَالَّذِيْنَ هُمْ أهل آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾[1].

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ الآية وإنْ كانت قَدْ نزلت فِي أهل آية التطهير ـ أصحاب الكساء عليهم السلام وفي بيان الموقع الغيبي للقُرْآن لكنَّ ذَلِكَ لا يُنافي الاستفادة مِنْ الآية الكريمة فِي معاني نازلة، وَهَذَا أحد ثمرات قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير مِنْ أنَّهُ لا مانع مِنْ أنْ يستدلّ فِي الآية الواحِدة عَلَى بيان المعاني العالية وفي نفس الوقت لا مانع مِنْ أنْ يَسْتَدلّ بها عَلَى بيان المعاني النازلة مِنْ دون تجافي بين المعنيين ـ العالي والنازل ـ وَهَذَا يَدُلّ عَلَى سعة شمولية القاعدة عَلَى حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية،ن ومدى إحياء وحيوية القُرآن الكريم عَلَى وفق النَّظَرِيَّة الثَّانية.

النموذج الثَّاني: قوله تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

بتقريب: ـ إنَّ الآية المباركة بيَّنت ثلاثة أُمُور يأمر بها الله تَعَالَى وَهِيَ: ـ

١ ـ العدل . ٢ ـ الإحسان. ٣ ـ إتياء ذي القربى.

ونهت عَنْ ثلاثة: ١ ـ المنكر. ٢ ـ البغي. ٣ ـ الفحشاء.

وَكُلّ مِنْ هَذِهِ الأُمُور الستة فِي جانب الأمر والنهي هِيَ عَلَى درجات، فمثلاً، المنكر عَلَى درجات ورأس المنكر أين؟ وكذا رأس الفحشاء والبغي.

وأنَّ أوَّل وأعظم مصداق يأمر به الباري تَعَالَى بعدالعدل والإحسان هُوَ إيتاء ذا القربى بمعنى صلتهم ومواصلتهم الَّتِي هِيَ فِي حَدِّها فِي كفّة، وَالدِّين كُلَّهُ فِي كفّة أُخْرَى هَذَا بحسب بيان القُرآن الكريم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ مَوَدَّة قربى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جعلا القُرآن الكريم بمثابة الدِّين كُلَّهُ بما فيه التوحيد والعقائد؛ ولذا أعظم شيء شدَّدَ عَلَيْهِ القُرآن الكريم بحسب بياناته فِي كُلّ جوانب الحياة الدنيوية والبرزخيّة والأخرويّة عَلَى جميع طبقاتها مِنْ ناحية أنْ يسود العدل فِي الدُّنْيَا يحصل ذَلِكَ بصلة قربى النَّبِيّ وأهل بيته عليهم السلام.

وَمِنْ ناحية الجانب الاجتماعي والسياسي والعلمي و ... الخ

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

فعليكم بولاية النَّبِيّ ﷺ وقرباه ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وَعَلَيْهِ فبحسب النَّظَرِيَّة الأولى فِي قاعدة الجري الَّتِي يتبناها السَّيِّد العلّامة الطباطبائي وَمَنْ قبله وبعده تقول: ـ اعزل الجانب التنظيري عَنْ التطبيقي المصداقي، وَهَذَا معناه النظر فَقَطْ وَفَقَطْ إلى مفهوم العَدْل مِنْ دون النظر إلى التطبيقات، وهكذا النظر فَقَطْ إلى مفهوم القربى بقطع النظر عَنْ المصاديق وهكذا، وَهَذَا مما لا ترتضيه النَّظَرِيَّة الثَّانية الَّتِي تبناها منهج أمومة الولاية والمحكمات وأنَّ كُلّ مرادات الآية هِيَ مُرادَة لنا، فَهِيَ آية فِي النظام العقائدي، وآية فِي النظام القانوني وفي النظام الأخلاقي والأُسري والفردي و... الخ.

فَهَذِهِ الآية المباركة كإطار تستوعب كُلّ هَذِهِ الأصعدة والأنظمة لا سيّما الأنظمة والأسعدة العاليّة مِنْهَا، وَعَلَيْهِ فيتّضح جليّاً بين أنْ نعزل التنظير عَنْ التطبيق ونجعل التنظير قشري جاف وبمعزل عَنْ مقام التطبيق وتكون الآية سواء فقهيّة أو عقائدية أو أخلاقية أو ... الخ أو تكون مُجرَّد توصيات فقهيّة أو عقائدية أو أخلاقية.

فلو بقينا نَحْنُ وَالنَظَرِيَّة الأولى وعزلة التنظير عَنْ التطبيق كيف نُميّز الآيات فيما بينها وأنَّ هَذِهِ الآية مِنْ آيات الأحكام فِي الفقه، أو أنّها مِنْ آيات العقائد أو مِنْ آيات المنظومة الأخلاقية، أو مِنْ آيات العالَم النفساني فِي القُرآن أو ... الخ فَإِنَّهُ لا نستطيع التفرقة والتمييز بين الآيات إلّا عَلَى وفق النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق عَلَى ضوء منهج الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي تفسير القُرآن.

تنوع الاستفادة مِن الآية الواحدة

لعلوم شتى على النظرية الثانية:

تنبيه: علماً أنَّ هَذِهِ المؤاخذة ـ وَهِيَ عدم التمييز بين آيات القُرآن ـ لا تسجل فَقَطْ عَلَى منهج السَّيِّد العلّامة فَقَطْ، بَلْ حَتّى عَلَى المنهج الفقهي الذي عزل آيات الأحكام عَنْ آيات العقائد، كَمَا بيّنا فِي محلّه مُفَصَّلاً.

والخلاصة: إنَّ قاعدة الجري حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية وفق منهجنا التفسيري للقُرْآن أمومة الولاية تختزن فِي دلالتها ومفادها مؤدّيات ومفادات عِدَّة فَلَيْسَ هُنَاك تصنيف آيات أحكام الفروع وآيات معارف فِي العقائد، وآيات فِي الأخلاق وفي الفيزياء وفي الكيمياء والفلك والرياضيات والطبيعة و ... الخ فإنها بحسب ظاهرها الأولي تصنّف الآيات إلى علوم عديدة، إلّا أَنَّهُ وفق قاعدة الجري عَلَى طبق منهج أمومة الولاية تكون كُلّ آية آية فيها مكنوز لا ينفذ لِكُلِّ علم.

وَعَلَيْهِ لا مانع مِنْ استفادة الفقيه حكماً فقهياً مِنْ آية مُعَيَّنة، وفي نفس الوقت يمكن الاستفادة مِنْ الآية فِي علم آخر كعلم المعارف والعقائد أو الأخلاق أو ... الخ.

فمثلاً آية الوصيّة ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ...﴾[1] يُستفاد مِنْهَا

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

حكماً فرعياً فقهياً، والمتكلّمون بحثوا فِي مبحث الوصيّة شيئاً فشيئاً حَتّى استفادوا مِنْهَا مطالباً عقائديّة مثل: ـ كيف أنَّ نبي الإسلام صلى الله عليه وآله يرحل إلى الرفيق الأعلى ولا يوصي فيما هُوَ أكبر تراث وحياني وَهُوَ غَيْر ممكن وَلابُدَّ مِنْ وصي ووسيط عنه فِي الأمر، وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[1] فَقَدْ استدل الشَّيْخ الطوسي قدس سره فِي كتابيه المبسوط والخلاف عَلَى لزوم تساوي الفرص وتكافؤها فِي الاستفادة مِنْ الموارد الطبيعية العامّة، وَهَذَا حكم فقهي مَعَ أنَّ الظهور الأولي للآية هُوَ فِي مبحث عقائدي وَمَعَ ذَلِكَ استفيد مِنْه حكماً فقهياً.

إذَنْ تمتاز النَّظَرِيَّة الثَّانية عَنْ الأولى بأنَّ جميع الآيات القرآنية وبرمّتها يمكن أنْ يستفاد مِنْهَا علوم شتى مِنْ كُلّ آية آية وإنْ كَانَ الظاهر والابتداء الأولي لها تصنّف فِي علم معيّن إلّا أنها وبحسب النظرة العميقة والدقيّة يجري مفاد كُلّ آية آية إلى علوم شتّى طِبْق ضوابط وموازين وَلَيْسَ الأمر مبنياً عَلَى الخلط والخبط.

ولذا مِنْ الخطأ فِي نظام الظهور والاستعمال فِي آيات القُرآن الكريم إقعاده واستظهار هيكل بنائه بشكل متقوقع وضيّق فِي موارد معيّنة، فلو رجعنا إلى بيانات أهل البيت عليهم السلام نجد إلى ما شاء الهل مِنْ الآيات العديدة هِيَ فِي مجال، ولكن أهل البيت عليهم السلام يبينون مفادها أنَّها فِي مجال آخر أيضاً.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٩.

وفي رواية عَنْ الإمام الباقر عليه السلام: «**لو وجدتُ لعلمي الذي آتاني الله عَزَّ وَجَلَّ حَمَلَةً لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان وَالدِّين والشرائع مِنْ الصمد وكيف لي بذلك وَلَمْ يجد جدّي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حَتّى كَانَ يتنفس الصعداء ويقول عَلَى المنبر (سلوني قبل أنْ تفقدوني) ...**»[١].

وَمِنْ الواضح أنَّ قدرة أئمة أهل البيت عليهم السلام تميّزت عَنْ قدرات غيرهم لأنَّها وحيانية وَلَيْسَ فَقَطْ يستفيد الإمام عليه السلام هَذَا كُلَّهُ مِنْ آية واحدة بَلْ لَهُ القدرة عَلَى الاستفادة مِنْ لفظة واحدة يمكن أنْ يستخرج مِنْهَا مكنوز ومخزون كبير، وكذا المفسر المتتبع لمنهجم عليهم السلام فَإنَّهُ بإمكانه استفادة ذَلِكَ فِي مجالات عديدة وبضوابط وثوابت مَعَ ملاحظة كلا منطقتي التنظير والتطبيق حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية.

وأمَّا الروايات:

النموذج الثَّالِث: ما رواه الطبرسي فِي الاحتجاج عَنْ الباقر عليه السلام قالك قَالَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي خطبة يَوْم الغدير[٢] ما نصّه فِي الاحتجاج للشيخ

---

(١) التوحيد للصدوق، ص٩٤.

(٢) لا يخفى على المتتبع أن خطبة الغدير لها نسخ متعدّدة ولعلَّ صاحب كتاب الغدير العلّامة الأميني رحمه الله ركّز على بيان بعض فقراتها، ومن خلال التتبع لاحظ شيخنا الأستاذ محمد السند ـ دام عزّه ـ أن كثيراً من الرواة لهذه الخطبة الشريفة والنفيسة ليوم الغيدر غفلوا عن العديد من فقراتها، والخطبة التي خطبها النبي صلى الله عليه وآله عندما ارتقى تلك الهوادج بعد جمعها وجعلها كمنصّة ويراه صلى الله عليه وآله الجميع وكان قد أخذ صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام وعن يمينه الإمام الحسن عليه السلام وعن شماله الإمام الحسين عليه السلام وهذا المنظر الرباعي لا الثنائي، وهذا له مفزعاً، وهنا توجد عدة ملحوظات:ـ

الأولى: إنَّ الخطبة طويلة وربما استغفرقت ساعة أو أكثر ـ والله العالم ـ بحسب فقراتها.

الطبرسي ج١، ص٧٤ ـ ٨٠ وما بعدها: ـ

«... معاشر الناس هَذَا عليٌّ أنصركم لي وأحقكم بي وأقربكم إليَّ وأعزّكم عليَّ والله عَزَّ وَجَلَّ وأنا[1] عنه راضيان وما نزلت آية رضىً إلَّا فيه، وما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به، ولا نزلت آية مدح فِي القُرآن إلَّا فيه، ولا شهد بالجنة فِي هل أتى عَلَى الإنسان إلَّا لَهُ ولا أنزلها فِي سواه ولا مدح بها غيره ... معاشر الناس إنَّ فضائِلَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ أنزلها فِي القُرآن أكثر مِنْ أنْ أحصيها فِي مقام واحد، فَمِنْ أنبأكم بها وعرفها فصدّقوه ...»[2].

الثانية: منطقة الغدير تبعد عَنْ منطقة مَكَّة بما يقارب الـ (١٥٠) مائة وخمسون كيلو متر، وَهِيَ المكان الذي نصَّب به رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصيّاً وخليفة لَهُ مِنْ بعده وحَدَث تنصيب رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام خليفة مِنْ بعده معروف ومشهور لدى الفريقين الخاصّة والعامّة.

الثالثة: ينقل شيخنا الأُستاذ ـ مُحَمَّد السند حفظه الله ـ إنَّهُ زار هَذَا المكان بنفسه وَهُوَ موضع افتراق طرق، ويتميّز المكان بموقعه بالقرب مِنْ بَعْض الجبال أو الهضاب، وأنَّ الإنسان إِذَا تكلّم ولو بصوت واطئ فَإنَّ الطرف الآخر يسمعه حَتّى لو كَانَ عَلَى مسافة (٥٠٠) متر وكأنَّك جالسٌ فِي قاعة حديثة ومكان مغلق ويكون للصوت صدى وكأنَّ فيها مجالاً مغناطيسياً وَلَهُ تردد خاص ولا ندري سر اختيار النَّبيّ صلى الله عليه وآله لتلك المنطقة؟! وَإنَّهُ يمكن الاستفادة مِنْهُ إلَّا أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله عِنْدَمَا خطب خطبته الغديرية المشهورة والمعروفة عَلَى تلك الهوادج والأحمال وخطب بصوت عالٍ فَهَذَا معناه أنَّ صوته صلى الله عليه وآله كَانَ يصل إلى جميع الحاضرين وبوضوح حَتّى لا يقول قائل ما سمعتُ ما قاله النَّبيّ صلى الله عليه وآله وَلَمْ أُبلَّغ وَعَلَيهِ حَتّى لا يتعذّر الذي لَمْ يسمع، ولا يبعد أنَّ هَذِهِ مشاهد وحي الله ومشاهد النبوة حتماً فيها بصمات تكوينية إلى الآن.

(١) وأنا: ـ أي رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص٧٤ ـ ٨٠ في احتجاج النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده ولده من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وَهَذِهِ الخطبة بيَّنت فضائِلَ عليٍّ عليه السلام عِنْدَ الله تَعَالَى، وَهَذَا يعني أنَّ لعلي عليه السلام مقامٌ فِي غيب الغيب، وما عِنْدَ الله غَيْر ما فِي السموات والأرض، وَحَتّى غَيْر ما فِي العرش، وَأَنَّهُ مقام يقرب مِنْ السدنة الإلهيّة أيّ السرادقات والعصمة الإلهيّة عِنْدَ الله تَعَالَى.

وأراد النَّبيّ صلى الله عليه وآله أنْ يُبيِّن فضل عليٍّ عليه السلام وأنَّ منزلةَ ومقامَ عليٍّ عليه السلام فِي الأساس عِنْدَ الله تَعَالَى ثمَّ أنزلها عَلَى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فِي القُرآن، وَهِيَ أكثر مِنْ أنْ تُحْصَى فِي مكان واحد، فالرسول صلى الله عليه وآله ذكر فِي حق علي عليه السلام **«ولا نزلت آية مدح فِي القُرآن إلّا فيه، ولا شهد بالجنة فِي هل أتلى عَلَى الإنسان الآية ... وما مِنْ آية نزلت فِي الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا علي أميرها»** ويتحمل عليٌّ عليه السلام المسؤولية، وَهَذَا يعني أنَّ لعليٍّ عليه السلام مقامٌ غيبي رفيع فقط ما تعرفه الملائكة والأرواح والسماوات والجنان يقول النَّبيّ صلى الله عليه وآله: **«لا يعرفك يا علي إلّا الله وأنا»**.

مُضافاً إلى أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله فِي خطبة الغدير لَمْ يُؤكِّد فَقَدْ عَلَى ولاية وإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، بَلْ وَأَكَّدَ عَلَى إمامة الحسن والحسين عليهما السلام بخصوصهما وأيضاً ذكر حديث الثقلين والتأكيد عَلَى جميع عترته وَهُمْ أئمة أهل البيت عليهم السلام كقوله صلى الله عليه وآله فِي خطبة الغدير:ـ

«... ما جئت به عَنْ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي علي أمير المؤمنين والأئمة مِنْ بعده ولده ... معاشر الناس إنَّكم أكثر مِنْ أنْ تصافقوني بكفٍ واحد، وَقَدْ أمرني الله عَزَّ وَجَلَّ أنْ آخذ مِنْ ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعليّ مِنْ إمْرَةِ المؤمنين وَمَنْ جاء مِنْ بعده مِنْ الأئمة منّي وَمِنْهُ عَلَى ما أعلمتكم

.... نُطيع الله ونطيعك وعلياً أمير المؤمنين وولده الأئمة الَّذِيْنَ ذكرتهم مِنْ ذريتك مِنْ صلبه بَعْدَ الحسن والحسين اللذين قَدْ عَرَّفتكم مكانهما منّي ومحلهما عندي ومنزلتهما مِنْ ربي عَزَّ وَجَلَّ ... وقولوا أطعنا الله بذلك وإياك وعلياً والحسن والحسين والأئمة الذي ذكرت ... الخ»[١].

وَعَلَيْهِ الغرض مِنْ الاستشهاد بهذه الرواية عَنْ الإمام الباقر عليه السلام لَيسَ المُرَاد مِنْهَا جانب تطبيقي محض كَمَا تبنّت ذَلِكَ النَّظَرِيَّة الأولى فِي الجري والتطبيق الَّتِي يعتمدها السَّيِّد العلّامة قدس سره وغيره مِنْ أعلام المُفسرين، بَلْ الجانب التطبيقي هُوَ الأصل وبيان مقام ومنصب الولاية جانب مُعتمد أساسي وفيه محطّ ونظر للخطاب الإلهي، فَنَحْنُ نعرف أَنَّ الرأي السديد فِي خطاب القُرآن الكريم وَالْنَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته وَكُلّ خطابات الشريعة والوحي مِنْ قبلها لَيْسَ المخاطب فيها المشافهين الَّذِيْنَ كَانَ يخاطبهم ويشافههم الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي المسجد، بَلْ وَلَيْسَ المخاطب فِي عصر الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وإنْ غابوا وَلَمْ يحضروا مسجد الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وَإِنَّما المخاطب فِي بيانات الوحي مِنْ القُرآن والسُّنة عموم أجيال البشر، وإذا كَانَ الأمر كَذَلِكَ فَإِنَّ الخطاب والمخاطب هُوَ مِنْ مدلول الكلام، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الخطاب والمخاطب مِنْ مدلول الكلام فكيف يكون جانب التطبيق معزولاً عَنْ جانب التنظير؟

نعم، لا نقول أنَّ التنظير منحبسٌ فِي تطبيق لموردٍ واحدٍ، ولكن

---

(١) المصدر السابق: من ص٦٦ ـ ٨١.

بنفس الوقت لَيْسَ التنظير منعزلاً عَنْ التطبيق وَإِنَّما يجري فِي المعنى ويجري فِي التطبيق عموم المعنى.

وَعَلَيْهِ فيكون قولهﷺ: «**وما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إِلَّا بدأ به**» هُوَ نفس نظام منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي القُرآن، وأنَّ معنى الأمومة عِنْدَمَا يُقَال ابتدأ بها هُوَ المصداق الأعظم لا أَنَّهُ انحصر به ولا منافاة بين البُدأة به وبين أنْ يشمل غيره وعدم الانحصار به.

صحيح أنَّ المصداق الأعظم فِي الجانب التطبيقي هُوَ المحور وَهُوَ المركز ولكن لَمْ ينحصر به، وَعَلَيْهِ فالمقام يكون ذا جنبتين: ـ جنبة توسعة ورحابة أفق. وجنبة أُخْرَى: محورية لذلك المصداق الأعظم أيّ محورية الولاية، مثلاً قوله تَعَالَى ﴿ **هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ** ﴾(١). فالمُحكمات هِيَ الأم والمحور هِيَ بعضٌ والبعض الآخر متشابهات ولا تنافي فِي التبعيض، ولكن لَيْسَ بعضٌ فِي مصاف وعرض بعضٍ، فَهَذِهِ الآية مثلاً ليست منحصرة فِي أهل البيتعليهم السلام ولا مانع مِنْ اندراج أهل البيتعليهم السلام مَعَ غيرهم فِي تصوير معنى الآية وفِي عرض واحد مَعَ بقيّة المصاديق، هَذَا كُلُّهُ بحسب النَّظَرِيَّة الثَّانية، فحينئذٍ هَذِهِ هِيَ المؤاخذة والإخفاق فِي الوصول إلى حقيقة حاق معنى الآية عَلَى حسب النَّظَرِيَّة الأولى.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا: إنَّ القاعدة الجارية فِي القُرآن الكريم كَمَا قَالَ الإمام الباقرعليه السلام: «... **وما نزلت آية رضىً إلّا فيه، وما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به ولا نزلت آية مدح فِي القرآن إلّا به** ...» لَيْسَ معنى هَذَا الحصر بمصداق واحد ولا تغييب التطبيق عَنْ التنظير ولا بمعنى تساويهما ـ التطبيق والتنظير ـ وَإنَّما يريد أنَّ يُبيِّنَ صلى الله عليه وآله أنَّ أُمّ المداليل القُرآنية وأُمّ التطبيقات وأُسسها هُوَ المصداق الأعظم والأتمّ الذي هُوَ نفس منهج أمومة الولاية والمحكمات والمدار عَلَى المحور والمصداق الأعظم ثمَّ يأتي مجال المصاديق الذي هُوَ أقلّ شأناً حَتّى تتخفف لوناً، وَعَلَيْهِ فأراد الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله أنْ يُبيِّن أنَّ آيات الرضا وآيات المدح وآيات الإيمان وآيات تحمل المسؤوليّة و ... الخ فَإنَّ لها قمّة الهرميّة وَالَّتِي تبدأ بعليعليه السلام فتتنزّل إلى مصاديق وطبقات أُخْرَى بشكل أخفّ وبشكل أقلّ لوناً فأقلّ هرميّة إلى أنْ تصل إلى سائر المؤمنين.

والشاهد مِنْ خطبة الغدير هُوَ: «... وما نزلت آية رضىً إلّا فيه، ما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به ولا نزلت آية مدح فِي القُرآن إلّا فيه ولا شهد بالجنّة فِي هل أتى عَلَى الإنسان إلَّا لَهُ ولا أنزلها فِي سواه ولا مدح بها غيره و ... الخ».

بتقريب: ـ حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري وا لتطبيق أو التعبير أنَّ مقام التنظير لا يُعْزل عَنْ التطبيق، وَإلَّا إذَا عزلنا التنظير عَنْ التطبيق أو العكس لأصبح إخْواءٌ لهما وَإلَّا فما معنى ما نزلت آية رضى

إِلَّا فيه أيّ فِي علي عليه السلام، أو ما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إِلَّا بدأ به ... الخ أيّ بعلي بن أبي طالب عليه السلام، فنلاحظ الجانب التنظيري، وَهُوَ آية الرضا لا يمكن عزله عَنْ المصداق الأعظم والأخطر ولو عزلها لقال: ـ وما نزلت آية رضا ثمَّ يسكت فتبقى العبارة فيها نقص عَلَى مستوى الألفاظ والمعاني، وهكذا الفقرات الأُخْرَى.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ نستفيد أنَّ الحديث الشريف فيه تبيان وتركيز وإشارة إلى أنَّ مقام التطبيق معنيٌّ ومراد وَلَيْسَ معزولاً عَنْ جانب التنظير، بَلْ الجانب التطبيقي هُوَ المقصود الأعظم والأهم، ولكن لَيْسَ بالحصر فيه فَقَطْ وَإِنَّما مَعَ ذَلِكَ لَهُ سِعَة فِي غيره.

وَعَلَيْهِ فالصحيح حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات أنَّ تنظير آيات القُرآن وتفسيرها لَيْسَ عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ مقام التطبيق، بَلْ امتزاج التطبيق بالتنظير لكنَّ مَعَ سعة فِي الآفاق لا تكوننَّ ممن يقول للشيء إنَّهُ فِي شيء واحد ولا سعة ولكن كُلّ ذَلِكَ عَلَى درجات؛ ولذا ينبغي ملاحظة طبقات الجري فإنَّها كُلَّها مداليل قُرآنية فَإِنَّ التطبيق مَعْنيٌّ ومراد، وكذا مقصود التنظير معنيٌّ ومُراد لكنَّ الإرادة وَالمُرَاد الجدّي والمقاصد عَلَى درجات؛ ولذا مِنْ الضروري ملاحظة المرتبة العُليا فَقَدْ تكون المرتبة العليا أبدية وأزليّة كمرتبة عقائدية والمرتبة الدُّنْيَا فرعية فقهية، وفي مرتبة ثالثة أخلاقيّة ورابعة و ... الخ وأمَّا كون معنى الآية ينحصر فِي المراتب العُليا فَهَذِهِ دعوى ليست

موجودة فِي الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام وتقدَّم فِي الرواية عَنْ الإمام الصادق عليه السلام: «... **ولا تكوننَّ ممَّن يقول للشيء أَنَّهُ فِي شيء واحد**».

والأئمة عليهم السلام يدعون إلى عدم انحصار الشخص الواحد، بَلْ نفس الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**وَقَدْ يكون فِي قرابتك لكنَّ ولاؤك لقرابتك لَيْسَ كولائك ووصلتك بقرابة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله**».

مُضَافاً إلى أنَّ كُلاً مِنْ الفريقين يروون هَذِهِ الرواية: «**لا يكمل إيمان عبدٍ حَتّى يؤمِن بالله ورسوله وقرابة رسول أحب إليه مِنْ نفسه وَمِنْ قرابة نفسه**».

وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ المنظور درجات تلك الوصلة العقائدية، وَإِنَّما المنظور الأقل مِنْهَا أو الدرجة الفقهية أو الأخلاقيّة وغيرها.

وهكذا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[1].

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل هَذِهِ الشواهد مِنْ الآيات والروايات وغيرها ما هُوَ الموقف مِنْهَا وكيف تُخَرَّج عَلَى مبنى السَّيِّد العلّامة الطباطبائي، فإنّها آية واحدة يُستفاد مِنْهَا عِدَّة جَنَبات: ـ جنبة أخلاقيّة وَهِيَ ثواب صلة الرَحِم، وجنبة فقهية، وجنبة عقائدية وغيرها،

وَالْمُهم الذي نُريد أنْ نذكره هُوَ أنَّ النَّظَرِيَّة الثَّانية هِيَ الكفيلة فِي

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢١.

جمع هَذِهِ الوجوه والجنبات المختلفة للآية الواحدة: لا النَّظَرِيَّة الاولى الَّتِي تبناها السَّيِّد العلاّمة ﵀.

شاهد آخر: قول النَّبِيّ ﷺ لابنته السَّيِّدة والدة الحجج فاطمة الزهراء ﵍: **«إنَّكِ سيِّدةُ نساء العالمين»**(١).

بتقريب: ـ إنَّ الرسول الأعظم ﷺ بَيَّنَ المصداق الأعظم والأخطر مِنْ بين النساء هُوَ فاطمة الزهراء ﵍ وأنَّها وصفت بِهَذَا الوصف العظيم وَهُوَ سيدة نساء العالمين(٢).

---

(١)

(٢) وقول الزهراء ﵍ لأبيها أليست مريم بنت عمران ﵍ سيدة نساء العالمين؟ فأجابها النبي ﷺ: إنَّها سيدة نساء عالمها، وتلك مريم الصغرى وأنتِ يا فاطمةُ مريم الكبرى وأنَّ مَريم الصغرى طاهرة بطهارة صغرى، وأنتِ يا فاطمة طاهرة بطهارة كبرى، وأنَّ الذي نزل فِي مريم كَانَ المقصود الأوَّل مِنْهُ هُوَ فاطمة قبل أنْ يكون لمريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ **بتقريب:** أنَّ هَذَا مُرادٌ نعتي للباري تَعَالَى.

ومعنى مريم بالعبرية: ـ هِبَةُ الله وَهُوَ نعتٌ، وأبرز مصاديق هَذَا النعت هُوَ فاطمة الزهراء ﵍.

ففي الروايات أنَّ جبرائيل عِنْدَمَا أتى مريم بنت عمران ﵍ تَمَثَّلَ لها بشراً سوياً، بينما توجد رواية مِنْ طرقنا ـ الخاصّة ـ أنَّ كُلاً مِنْ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أتوا فاطمة ﵍ وجلسوا جلسة العبد حَتّي فرغت فاطمة ﵍ ساعات طويلة مِنْ تهجدها فِي الليل فأتوها بمصحف فاطمة ﵍، علماً أنَّ إسرافيل لا ينزل إلَّا فِي المهام الخَطِرَة والصعبة، وَبَعْدَ ذَلِكَ انظر الفرق بين مريم ﵍ وبين فاطمة ﵍؟ أين تعبير القرآن فِي حق مريم: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾. سورة مريم: الآية ١٧ ـ ١٨.

بتقريب: ـ إنَّها حالة وجل وذعر وخوف لمريم ﵍، وأين جلسة ثلاثة مِنْ رؤوساء الملائكة جلسة العبد عِنْدَ فاطمة الزهراء ﵍ حَتّى تفرغ مِنْ تهجدها، كُلّ ذَلِكَ حسب ما جاء فِي الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين والمسلمين ﵈ بسند معتبر: «... **حَتّى لا يبقى ملك مُقرَّب ولا نبي مُرْسَل ولا صِدِّيق ولا شهيد ولا عالم ... إلَّا عَرَّفهم جلالة أمرِكم وعِظَمَ خطركم وكِبَرَ شأنكم** ...» عدا

والخلاصة: إنَّ الرواية الشريفة ترسم لنا هندسةً تامّةً لمعنى قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير، وكيف أُخِذَ مقام التطبيق فِي مقام التنظير، وكيف أنَّ التنظير والتطبيق عَلَى طبقات ودرجات مُرادة، ولكن

سيد الأنبياء، وسبب ذَلِكَ هُوَ: ـ لِأنَّ قلوب أهل البيت قلوبٌ تَوَّلَى الله رياضتها بالخوف والرجاء، وَهَذَا معناه أنَّ الله لَمْ يُقدِّس أحداً لا مِنْ الملائكة ولا مِنْ غيرهم إلَّا مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ـ عليهم الصَّلاة وَالسَّلامُ ـ سبّحْنا فسبحت الملائكة وكبّرنا فكبَّرت الملائكة ... الخ، ويُعتبر هَذَا أحد براهين إمامة وعصمة أئمة أهل البيت، وبُرْهانٌ عَلَى أنَّهم أفضل مِنْ الأنبياء والمُرسلين، وأنَّ آدابهم مَعَ الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يقدِرُ عَلَى فهمها والفطنة إليها أحدٌ غيرهم، فانظر إلى أدعية الصحيفة السجّاديّة، ودعاء أبي حمزة الثمالي ودعاء كميل بن زياد النخعي، ودعاء السَمات الذي يحتوي عَلَى سرارٍ معرفيةٍ عجيبةٍ غريبةٍ وغيرها مِنْ الأدعية الَّتِي لَمْ تكتشف أسرارها إلى اليوم، وَلَمْ تدع زاوية مِنْ زوايا النفس إلَّا وأشارتْ ودلَّت عَلَيْهَا، فكُلّ المدائح والحُلَل القُرآنية الواردة فِي أنبياء الله تَعَالَى مِنْ قوله تَعَالَى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ سورة سبأ: الآية: ١٠، وقوله تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ سورة النمل: الآية ١٦، وقوله تَعالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ سورة الأنبياء: الآية ٩٠، وقوله تَعالَى ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ سورة سبأ: الآية ١٠، وقوله تَعالَى: ﴿... يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ١٠٧﴾ وغيرها.

بتقريب: ـ إنَّ هَذِهِ الآيات وغيرها هِيَ أصدقُ فِي أهل البيت مِنْ الأنبياء؛ ولذا قَالَ رسول الله: «عُلَماء أُمّتي أفضل مِنْ أنبياء بني إسرائيل» المصدر ..... .

وَعَلَيْهِ فالأدعية فيها أسرار معرفيّة عظيمة وَهَذِهِ المعرفة يمتلكها الإمام المعصوم ومنهم الإمام علي بن الحسين زين العابدين، إلَّا أنَّ هَذِهِ المعرفة غَيْر المعرفة الموجودة فِي التوراة والإنجيل، فمثلاً لو لاحظنا الكتاب السماوي الزبور الذي نزل عَلَى النَّبيّ داود ولكنَّه زبور خاصّ بآل داود، بخلاف الصحيفة السجادية الَّتِي هِيَ زبور آل مُحَمَّد، وبعظمة آل مُحَمَّد لا تقارَن عظمة الأنبياء، وَلَيْسَ معنى هَذَا الكلام أنَّ عظمة داود وباقي الأنبياء غَيْر موجودة، وَإنَّما عظمة النَّبيّ أعظم وتفوق عظمة باقي الأنبياء، وكذلك تمجيد أهل البيت وثناءهم للقُرآن، وأدبهم مَعَ الله، كُلّ ذَلِكَ يبيِّنهُ القُرآن وَلَمْ نجد مثله لا فِي التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا ... الخ، وما مِنْ آية نزلت فِي نبي مِنْ أنبياء الله تَعَالَى إلَّا وعلي بن أبي طالب أحرى وأوفق بها، حسب ما تَقَدَّمَ ذكره فِي خطبة الغدير.

بنحو طبقات ودرجات أمومة.

فمثلاً المدلول التنظيري للمتشابهات يتدخل فِي المحكمات، كَمَا فِي الآية ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ**﴾(١).

وبالتالي إذَا أردتَ أنْ ترفع لَبْسَ المتشابهات فارجع إلى أمر المتشابهات إلى الأم أيّ إلى المُحكمات، وَعَلَيْهِ فأصبح دور المحكمات فِي المتشابهات دورٌ مُدَاخلي فِي المدلول التنظيري، فإذا كانت المحكمات كَذَلِكَ فالولاية أعظَمُ فِي دخالتها فِي رسم وتنظير مدلول الآيات القرآنية.

فَالقُرآن الكريم يرسم بهذه الآية المباركة نظاماً علمياً لنفسه فِي محورية أمومة الولاية، ولذا عِنْدَمَا قَالَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله: «**... وما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به**» أيّ بعلي عليه السلام، ولماذا بدأ بعلي عليه السلام وَلَمْ يبدأ بغيره، وَعَلَيْهِ فالبُدأة بعلي عليه السلام يكون المعنى تامّاً وبمستوى كامل.

النموذج الرَّابع: ... حُمْران بن أَعْيَن عَنْ أبي جعفر الباقر عليه السلام قَالَ: «**ظهر القُرآن الَّذِيْنَ نزل فيهم، وبطنه الَّذِيْنَ عملوا بمثل أعمالهم**»(٢).

بتقريب: ـ إنَّ ظهر القُرآن الذي نزل فيهم مُعْلَنٌ فِي هؤلاء، وأنَّ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٨٦ باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

ظهره وبطنه تأويله مِنْهُ ما مضى، وَمِنْهُ ما لَمْ يكن بَعْدُ يجري كَمَا ترجي الشمس والقمر، فَإِنَّ الَّذِيْنَ عملوا بمثل أعمالهم يجري فيهم ما أنزل فِي أؤلئك وَعَلَيْهِ فلا تستطيع أنْ نقول الذي نزل فيهم غَيْر معنيين بالتطبيق؛ بحجة أنَّ التطبيق غَيْر التنظير كلا فَإِنَّ كُلا مِنْ التطبيق والتنظير مرادٌ، فَكَمَا أنَّ الَّذِيْنَ نزل فيهم القُرآن غَيْر منعزلين عَنْ التنظير كَذَلِكَ فيمن يجري فيهم.

والشيء الجديد الذي يؤكِّده الإمام عليه السلام ويوضّحه لنا هُوَ أنَّ حَتّى مداليل القُرآن الكريم حيّة متجدِّدة متوسِّعة عَلَى جري واتّساع آفاقها وَهِيَ كَمَا هُوَ واضح مِنْ الأصل معلومة عِنْدَ الباري ولكنَّها بالنسبة إلينا تتكشف وتظهر شيئاً فشيئاً فَهِيَ سابقاً كانت بالنسبة إلينا كامنة وباطنة فتظهر شيئاً فشيئاً والكل معني بذلك لِإِنَّهُ تَقَدَّمَ إنَّ بحث التطبيق مرتبة مِنْ مراتب المُرَاد الجدّي؛ ولذا المصاديق الَّتِي خاطبهم القُرآن الكريم أمثال أبي جهل أو الوليد بن المغيرة أو فرعون الذي قَالَ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾[1] صحيحٌ أنَّ الباري تَعَالَى مِنْ أوّل الأمر لَمْ يرد فرعون مصر فَقَطْ، وَإِنَّمَا قصده وقَصَدَ كُلّ فرعون وفي كُلّ زمان ومكان، وَهَذَا معنى ساري وجاري فِي هَذَا القالب إلى يَوْم القيامة، وهكذا هامان وَكُلّ مُتجبِّر ومُتكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب ﴿فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾[2] أيّ

---

(١) سورة المدثر: الآية ٧٤.

(٢) سورة القصص: الآية ٦.

هامان وفرعون كُلّ عصر ومكان، وكذا نمرود ... فَإِنَّهُ أُريد مِنْ ذكر هَذِهِ المصاديق المعنى العام وَلَيْسَ المُرَاد أَنْ تنظر إلى التطبيق بعيداً وبمعزل عَنْ التنظير، فمثلاً لو أبعدتَ شخصية النمرودية عَنْ تنظير معنى الآيات الواردة فِي معنى نمرود فَإِنَّ تلك الآيات أصلاً تصبح خاوية عَنْ معناها، وَعَلَيْهِ: ـ لا يمكن إقصاء وعزل التنظير عَنْ التطبيق، ولكن هَذَا التطبيق لَيْسَ حادثاً للآية كَمَا يتوهّمه أصحاب النَّظَرِيَّة الأولى الَّذِيْنَ عزلوا التنظير عَنْ التطبيق خوفاً مِنْ محذور الحبس والعكس هُوَ الصحيح إِذْ لا انحباس فِي امتزاج وتداخل التنظير مَعَ التطبيق وَإِنَّمَا فيه نوع مِنْ بناء الظهور وعظمة مفاد الآية لما أُريد مِنْ مغزاها العظيم وَالمُهِم المحافظة عَلَى ذَلِكَ المغزى المهم للآية مَعَ توسعها وجريانها.

وهكذا البيانات النبوية الَّتِي خوطبت بها مريم بنت عمران وَهِيَ المخاطب الأصلي والجدّي، ولكن هُنَاك مخاطب وراء الجدّي هُوَ مريم الكبرى أيّ فاطمة الزهراء عليها السلام لذلك وَرَدَ أَنَّ مريم مَثَلٌ ضَرَبهُ الله بفاطمة عليها السلام ومعنى المَثَل هُوَ أَنْ لا تقف عِنْدَ المُمَثل به أو الممثَّل لَهُ واعبره وتجاوزه وَالقُرآن يأمرك بذلك العبور وأَنْ لا تجمد عَلَى الممثل به. وما ذكر فِي البيان النبوي مجاز عقلي وَعَلَيْهِ فكيف ينظر مثل السَّيِّد العلّامة الطباطبائي قدس سره إلى المقام وفق ما تبنّاه مِنْ النَّظَرِيَّة الأولى القائمة عَلَى عزل التنظير عَنْ التطبيق والنظام الاستعمالي فِي القُرآن هُوَ الذي عَمَّقَ اللُّغَة العربية فِي القُرآن.

وَعَلَيْهِ فاكتشاف النظام اللغوي أو الاستعمالي أو ... الخ وتوسعته وتعميقه لا ينحصر بما اكتشفه وأسّسه البلاغيون والنحويون والصرفيون وَعُلَمَاء الأدب أو المفسرون وَلَيْسَ الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والكسائي والفرّاء و ... الخ قَدْ اكتشفوا قواعداً لَمْ يكتشفها قبلهم عُلَمَاء الفن، وَعَلَيْهِ فما بال هؤلاء لهم الحَقّ فِي الاكتشاف ولا نكتشف نَحْنُ مِنْ بيانات القُرآن وأهل البيت عليهم السلام قواعداً للنظام اللغوي بلغة القُرآن ولسان عربي فصيح.

إذَنْ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير مأخوذة مِنْ تعبير القُرآن الذي هُوَ علوم القُرآن وَهُوَ تعبير حقائق لا تعبيرُ أحلام، وَإِنَّما إعبُر وتجاوز مِنْ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾[1] أو ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾[2] إلى الجمال المحمدي والعلوي والفاطمي والحسني والحسيني و ... والمهدوي صلوات الله عليهم أجمعين وعجّل الله فرجهم ففيه علامة للعبور.

وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أنَّ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير بِهَذَا البيان فيها فضاء وعالم آخر مِنْ نظام الاستعمال وإنْ كَانَ القُرآن يقول: ذكرتها لكم هَذِهِ الأمثلة واستعملتها وأردتها جدّاً ولكن لا تقفون عِنْدَ هَذَا المُراد الجدّي فَقَطْ وَإِنَّما اعبروا إلى جدّي وراءه وهكذا.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧.

والنتيجة: إِنَّهُ صَحَّ أَنْ يُقَال: إِنَّ القُرآن يُشافه كُلّ إنسان بكُلِّ آية آية وَمِنْ هَذَا يُعلم أَنَّ كاف الخطاب فِي الآية لَيْسَ مختصاً بمن خاطبه وَالَّذِيْنَ نزلت فيهم وَهَذَا نظير استعمال اللَّفْظ فِي معنى بَعْدَد أنفاس البشر للرواية: «**ما مِنْ آية يقرأها القارئ للقُرْآن إِلَّا وَهِيَ تخاطبه إِنْ هُوَ مِنْ أهل خيرها أو مِنْ أهل شرَّها**».

فَإِنَّ هَذِهِ القدرة فِي استعمال القُرآن الكريم للمعاني وسعة الخطاب لا تؤمنها النَّظَرِيَّة الأولى فِي قاعدة الجري والتطبيق عِنْدَ السَّيِّد العلّامة الطباطبائي﴾، وَإِنَّما تُؤمنها النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق.

وَعَلَيْهِ فدائرة مدلول الخطاب القُرآني تشمل التنظير والتطبيق معاً[١].

النموذج الخامس: فِي كلام النَّبِيّ ﷺ: «**... وإنْ كانت الآيات فِي ذكر الأولين فما كَانَ مِنْهَا خيراً فَهُوَ جارٍ فِي أهل الخير مِنْ هَذِهِ الأُمَّة، وما كَانَ مِنْهَا فِي شرٍّ فَهُوَ فِي أهل الشر**».

بتقريب: ـ إِنَّ هَذِهِ القاعدة الَّتِي بيَّنها الرسول ﷺ الصَّريحة فِي معنى الجري وأَنَّ ما ذُكِر مِنْ الآيات والعلامات والأمثال و ... الخ فِي الأولين فالخير فيها جارٍ فِي أهل هَذِهِ الأُمَّة وَلَمْ ينحصر تطبيقه بأهل خير هَذِهِ الأُمَّة فِي وقت صدور هَذَا البيان النبوي الشريف وَإِنَّما ساري

---

(١) فمثلا بلعم بن باعورة الذي كان قد أتي شيء من المقامات الغيبيّة العالية لكن سرعان ما نكث وغدر حينما تمثّلت له الدنيا بجمال امرأة فتبعها وباع كل ما أعطي من منزلة عظيمة بلذّة دنيوية حقيرة ومؤقتة، وعليه فمدلول الخطاب القرآني شامل للأنس والجن والملائكة.

المفعول إلى قيام الساعة، وهكذا جانب الشر ـ والعياذ بالله ـ

وَعَلَيْهِ فما ذكرته الآيات والبيانات النبويّة مِنْ أهل الخير لَيْسَ المُرَاد الجدي للقُرْآن وللبيانات النبوية يقف وينتهي عَلَى أهل الخير مِنْ الأُمم السابقة، وَإِنّما هُوَ أحد مرادات القُرآن الكريم الجدّية وَإِنَّما هُنَا مراد جدي آخر يجب أنْ نعبر مِنْهُ إلى آخر.

تنبيه: ينبغي الالتفات إلى نقطة مُهمّة جدّاً وَهِيَ أَنَّهُ عِنْدَمَا نقول هُنَاك مُراد جدّي آخر يجب العبور إليه، فمثلاً فِي الآيات الَّتِي يُصَّرَّحَ بها باسم الشخص كالنبي يوسف عليه السلام مثلاً ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾[1] لَيْسَ معناه أنَّ المعاني الاستعماليّة والتفهيمية لا تُراعى كلا ...

فَإِنَّ كلمة (يوسف) المقصود مِنْهَا يوسف الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله كمُراد جدّي وَلَيْسَ هُنَاك أيّ تغييب لموازين الاستظهار فِي الآيات الكريمة إلَّا أنَّ الكلام كُلّ الكلام الذي هُوَ محطّ النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن، هل المُرَاد الجدّي يقف عِنْدَ ذكر هَذَا المثال أو المصداق أو يتعدّاه ويتشفف المُرَاد الجدي ويكون المُرَاد الجدي مِنْ الْنَّبِيّ يوسف عليه السلام لَيْسَ خصوص الْنَّبِيّ يوسف عليه السلام وَإِنَّما يتعدّى لِـمَنْ بعده وَإِلى كُلّ مَنْ هُوَ حُجَّة الله ومصطفى؟

---

(١) سورة يوسف: الآية ٧.

وَعَلَى النَّظَرِيَّة الثَّانية يتعدّى إلى كُلّ حُجَّة الله مصطفى وَهَذِهِ الآيات والعلامات آيات للسائلين وأيضاً هَذِهِ الآيات تصلح للإجابة عَنْ أُمُور أُخْرَى، كَمَا لو كَانَ عندك سؤال عَنْ غيبةِ حُجَّة الله فِي الأرض، وأنَّ مثل هَذَا التساؤل موجود فِي قصة يوسف عليه السلام وَهُوَ أَنَّهُ يمكن أنْ يكون حُجَّة الله فِي الأرض ويغيب عَنْ أنظار الناس لا أنَّ ذَلِكَ يعني أَنَّهُ تغيب معرفته عنّا فَإِنَّهُ مُتواجد فيما بيننا وناشط وفاعل ويقوم بإنقاذ البشرية مِنْ أخطر الكوارث مِنْ دون أنْ تشعر البشرية بإنقاذ حُجَّة الله فِي أرضه.

إذَنْ يمكن أنْ تستنطق آيات سورة قصة يوسف عليه السلام وَعَلَى نبينا أفضل الصَّلاة وَالسَّلامُ ويستظهر مِنْهَا الإجابة عَنْ التساؤلات حول غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأنَّ القُرآن أراد مِنْ ذكر يوسف عليه السلام الصدّيق هُوَ ذكر ليوسف عليه السلام آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ولا يعني هَذَا أنَّ يوسف آل يعقوب لَيْسَ مراداً كلا إنَّهُ مُرادٌ جدّي أوَّل وَهُنَاك مُراد جدّي ثاني وثالث و ... الخ.

وَهَذَا شاهد عَلَى قاعدة الجري بحسب النَّظَرِيَّة الثَّانية وَإِلَّا لو كَانَ مُراد الآية الأعظم هُوَ النَّبِيّ يوسف عليه السلام فَقَط حسب النَّظَرِيَّة الأولى الَّتِي يتبناها السَّيِّد العلّامة وغيره القائمة عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ التطبيق فَإِنَّهُ ما الفائدة فِي قصصهم لو لَمْ يكن فِي قصصهم عبرة لما نَحْنُ فيه ولما هُوَ راهن لدنيا؟!

وما الفائدة فِي الاعتقاد بنبوة الأنبياء قبل الخاتم صلى الله عليه وآله مِنْ آدم لو لَمْ ترتب عَلَيْهَا غاية ورائية نهاية وَإِلَّا نتعامل معها كحدث تاريخي ونتفاعل معه

إِلَّا أنَّ هَذَا لَيْسَ مُراداً حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية القائلة بمزج التطبيق مَعَ التنظير وأنَّ أصل اعتقادنا بنبوة الأنبياء هُوَ فريضة عقائدية لابُدَّ مِنْهَا لا أننا نتعامل معها كحدث تاريخي وَإِنَّما نُريد أنْ نرتب الغاية الورائية النهائية وَهُوَ جري مداليل القُرآن حسب بيانات أهل البيت عليهم السلام وَهُوَ أنَّ كُلّ التساؤلات حول النَّبِيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والتسعة المعصومين وقائمهم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وغيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، فَكُلّ هَذِهِ التساؤلات وغيرها تجدون أجوبتها فِي القصص الَّتِي استعرضها الله تَعَالَى عَنْ الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين فِي القُرآن الكريم[1].

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نظام قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية لا يُفَرِّغ ويُخوي الألفاظ عَنْ مراداتها الاستعمالية والتفهيمية والجدّية، وَإِنَّما هُوَ مرادٌ لها جداً، غاية الأمر لَيْسَ هُوَ المُراد الجدّي النهائي، وَإِنَّما هُنَاكَ مراد جدّي ثانٍ وثالث ورابع و ... الخ.

---

(١) وَكُلّ هَذِهِ التساؤلات وأجوبتها بيّنها سماحة الشَّيْخ الأُسْتاذ الشَّيْخ مُحمَّد السند ـ حفظه الله ـ فِي كتابه الظواهر القرآنية والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أيّ ظواهر قرآنية فِي الأنبياء والمُرسلين أُريد مِنْهَا كفاية جدّية هُوَ الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف باعتبار أنَّ التساؤلات والعطش المعرفي لدى البشر والمؤمنين بإمامهم الحُجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف فِي الأرض فِي العصر الراهن.

الإمامة والعمل الأمني

يُستفاد مِنْ كثير مِنْ النصوص القُرآنية الَّتِي تخصّ الجانب الأمني وسريّته وتُبيِّن حدوده وتُفَهِّمُ معنى الإمامة أيّ القيادة فِي الأرض وإدارة شؤون البشر فِي كافة مجالات الحياة وتعاملاتهم المعيشيّة والاجتماعية والسياسيّة والأمنية والاقتصادية و ... الخ. كُلّ ذَلِكَ بحسب النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قَاعِدَة الجري.

فمثلاً فِي بيان القُرآن لقصة لقاء موسىعليه السلام الذي هُوَ نبي مِنْ أنبياء أُولوا العزم مَعَ العبد الصالح الخضرعليه السلام وما جرى بينهما وقاما به مِنْ أدوار سريّة فِي الأرض بإيعازات مِنْ الله تَعَالَى وأدّيا أدوراً إصلاحيّة فِي الأرض مِنْ دون أنْ يَشعُرَ بهم البشر، وَعَلَيْهِ إذَا كانت المُهِمَّة الأمنيّة والإصلاحيّة الَّتِي قام بها موسىعليه السلام والخضرعليه السلام فَلَّما يستعرضها لنا القُرآن الكريم يُريد أنَّ يُنبِّه الأُمَّة إلى أنَّ دور الإمامة والقيادة لا ينحصر بالظاهر والمكشوف المُعلن عنه والمُصرَّح به، وَإنَّما هُنَاك أدوار أمنيّة إصلاحيّة سريّة للغاية حَتّى فِي تعبير القُرآن وإنْ كَانَ أعلن عنها واظهرها إلى الملأ وَمَعَ ذَلِكَ لا زالت تقسم بجانب السريّة والأمن وعدم التصريح حَتّى بالاسم؛ ولذا القُرآن يقول فِي جانب إخفاء الاسم ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا

مِّنْ عِبَادِنَآ﴾[1] ولقاء النَّبيّ موسى عليه السلام بالخضر عليه السلام فِي غاية الصعوبة والسريّة والطرق الأمنية الإلهية المعقّدة جدّاً وَبَعْدَ انتهاء المُهِمَّة الأمنيّة الإصلاحيّة للمجتمع البشري افترق موسى عليه السلام عَنْ الخضر عليه السلام، إلَّا أَنَّهُ مَنْ يَعي هَذِهِ السريّة التامّة بينهما؟!

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ هِيَ حدود العمل الأمني الإلهي الذي بيّنه القُرآن الكريم وَأَنَّهُ لا هوادة فيها، وَبِهَذَا الاستعراض القُرآني لحدود العمل الأمني يريد أنْ يقول: ـ أنَّ المسؤوليّة الإلهية الخفيّة والسريّة عظيمة وأنكم فِي العصر الراهن والحاضر هكذا تدارون بنظام وبرنامج أمني فِي غاية الخفاء والسريّة فِي الأرض ولا تتوهموا أنَّ الإمامة هِيَ فَقَطْ منحصرة بالجانب الإعلامي الظاهر مِنْهَا وَهُوَ الرئاسة والزعامة والزوبعة الإعلامية.

وَعَلَيْهِ فَهَذَا بُرهان لِـمَنْ أراد أنْ يتفهم معنى الإمامة والقيادة وكيف تدار شؤون الأرض بسريّة وبلا إعلام حَتّى لا يدخل الدجل لِأَنَّ أوَّل علامة للكذب هُوَ الإعلان والدعاية، وَالقُرآن الكريم يُبيِّن لنا الآلاف مِنْ المُرادات الجديّة الَّتِي ذكرها فِي مختلف القصص القُرآنية والمواقف و ... الخ فَإِنَّ هَذِهِ المُرادات الجديّة سوف تطرح جانباً حسب النَّظَرِيَّة الأُولى فِي قَاعِدَة الجري بخلاف النَّظَرِيَّة الثَّانية، فَإِنَّ هَذِهِ المُرادات الجدّيّة ورائهامداليل وراء بعضها البعض وكلا مُرادة ليست فَقَطْ

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٥.

بالدلالة الجدّيّة الأُولى بَلْ مُرادة بالمُراد الجدّي الأوّل والثاني والثالث و ... الخ وإنْ أُريدَ النَّبِيّ موسى عليه السلام كنبي والعبد الصالح الخضر كخضر إلَّا أنَّهُ يُتعدى إلى موسى والخضر هَذَا الزمان أيضاً.

إذَنْ انظر إلى دقّة وعمق تعبير النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله «**وإنْ كانت الآيات فِي ذكر الأولين فما كَانَ فيها مِنْ خير فَهُوَ جارٍ فِي أهل خير هَذِهِ الأُمَّة، وما كَانَ مِنْهَا فِي شر فَهُوَ جارٍ فِي أهل شر هَذِهِ الأُمَّة**» وَهَذِهِ الطَّبقات مِنْ المداليل إنَّما تتوافق مَعَ النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري وَأنَّهُ كيف لا تكون غاية الغاية أكثر جدّيّة مِنْ الغاية، وَعَلَيْهِ فالجري هُوَ جري فِي المداليل سواء كَانَ المدلول عَلَى صعيد التطبيق أو المعنى المدلول فإنَّها كُلَّهَا مداليل مُرادَة.

النموذج السَّادِس: روى العيّاشي عَنْ عمر بن حنظلة عَنْ أبي عبدالله عليه السلام قَالَ: «**عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾**[1] الرعد، فلما رآني أتبع هَذَا عمرو بن حنظلة[2] وأشباهه مِنْ الكتاب[3] قَالَ لَهُ الإمام الصادق عليه السلام: «**حَسْبُكَ يا عمرو كُلّ شيء مِنْ الكتاب مِنْ فاتحته إلى خاتمته مِثل هَذَا فَهُوَ فِي الأئمة وَقَدْ عُنوا به**».

بتقريب: ـ إنَّ الإمام عليه السلام بَيَّنَ ضابطة عامّة وَهِيَ أنَّ الأئمة عليهم السلام موجودون فِي كُلّ آية آية مِنْ فاتحة الكتاب إلى آخر آية وَهِيَ الخاتمة.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٤٣.

(٢) وعمر بن حنظلة فقيه كبير من أصحاب الصادق عليه السلام.

(٣) يعني ما يرتبط بولاية أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم.

فمثلاً فِي سورة الفاتحة قوله تَعالَى: ـ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فالأئمة عليهم السلام موجودون ولا يقتصر تطبيقها عَلَى الأنبياء والمُرسلين وإنْ كَانَ المصداق الجدّي الأوَّل لها هُمْ الأنبياء والمُرسلين، ولكن هُنَاك مُراد جدّي ثاني وثالث ورابع و ... حسب النَّظريَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق، وأنَّ هَذِهِ معاني مُرادة والإمام الصادق عليه السلام يريد أنْ يبيِّن أنَّ الأئمة عليهم السلام عُنوا بها وأنَّ هَذَا التطبيق مدلولٌ معنيٌّ مُرادٌ لا أنَّهُ مُجرَّد تطبيق منعزل عَنْ التنظير المعنوي.

وَعَلَيْهِ فَهَذَا التعبير مِنْ الإمام الصادق عليه السلام يُخالف دعوى النَّظَريَّة الأولى فِي قاعدة الجري والتطبيق الَّتِي تبنّاها السَّيِّد العلّامة السَّيِّد مُحَمَّد حسين الطباطبائي قدس سره وَمِنْ تبعه.

كَمَا أنَّ فِي الرواية تصريحٌ عَلَى أنَّ المصاديق مِنْ المعنى المدلول للكلام فِي القُرآن مِنْ أوله إلى آخره، وأنَّ المصداق محل عناية إرادة الدلالة فِي الكلام الإلهي، وَهَذَا ما لَمْ يُبْنَ أُسسه ونظامُه بشكل كامل متكامل بَعْدُ فِي علوم اللُّغَة العربية.

من لم يعرف تأويل عبادته فهِي خداج:

النموذج السَّابع: رواية: «**بينما أمير المؤمنين عليه السلام ماراً بفناء بيت الله الحرام إذْ نظر إلى رجل يصلّي فاستحسن أمير المؤمنين عليه السلام صلاته فَقَالَ: يا هَذَا الرجل أتعرف تأويل صلاتك، قَالَ الرجل يا بن عم خير خلق الله وهل للصلاة تأويل غيْر التعبُّد، فَقَالَ عليه السلام: ـ اعلم يا هَذَا الرجل: إنَّ الله**

تَبَارَكَ ما بعث نبيّهﷺ بأمر مِنْ الأُمُور إِلَّا وَلَهُ متشابه وتأويل وتنزيل، كُلّ ذَلِكَ مِنْ التعبُّد فَـمَنْ لَمْ يعرف تأويل صلاته فصلاته خُداج مخدوشة منقوصة»[١].

بتقريب: ـ إنَّ الله تَعَالَى ما بعث نبي مِنْ أنبيائه بأمر مِنْ الأُمُور سواء آيات القُرآن أو ألفاظ القُرآن وَكُلّ ما لَهُ نسبة إلى الشرع مِنْ الشريعة ولها تأويل ولها تنزيل ولها مدارج مِنْ المعاني ومداليل، وإذا لَمْ يَعْرف المُفَسِّرُ مثلاً هَذِهِ المداليل فَهُوَ لا زال تفسيره ناقصاً يحتاج إلى أنْ يتكامل وَإِلَّا لا يُسمَّى مُفَسِّراً إِلَّا إِذَا كانت صلاته وصومُه وحَجَّه تامّاً لا ناقصاً وَعَلَيْهِ فَـمَنْ لَمْ يَعْرف تأويل صلاته وصومه وحجّه و ... الخ فَإِنَّ صلاته خُدَاج، وكذا صومه خداج وحجّه خُداج أيّ ناقصة.

فمثلاً فِي باب الصَّلاة المُكَلَّف إِذَا لَمْ يأتَ بالأمر الإنشائي المعنوي فِي الصَّلاة، فَهَذَا معناه أَنَّهُ لَمْ يأتِ بروح الصَّلاة، وإذا لَمْ يعرف المصلي معنى رفع يديه فِي تكبيرة الإحرام أو مدّ العنق أثناء الركوع، وما معنى السجدة الأولى وما معنى السجدة الثَّانية و ... الخ وَعَلَيْهِ إِذَا أتيت بالصلاة معناه إِنَّك تريد مِنْهَا هَذِهِ المعاني المعيّنة وَإِلَّا فصلاتُك خداج أيّ ناقصة لأنَّك لَمْ تعرف معنى التكبير ورفع اليدين والركوع والسجود و ... الخ وتكون صلتك بالله تَعَالَى غَيْر تامّة ومنقطعة وَلَمْ يَتِمُّ الوصال.

---

(١) الوسائل، أبواب الصَّلاة: ....

والشَّاهِد فِي هَذِهِ الرواية: ـ إنَّ إسناد مادّة وعنوان المعرفة إلى تأويل عنوان الصَّلاة مما يُؤكّد عَلَى أنَّ تأويل الشيء بكُلِّ طبقات التأويل ودرجاته ولو المصداقية دخيلة فِي معرفة الشيء وبالتالي فِي معرفة عنوان ومعنى الشيء نفسه، وَهَذَا مؤشِّرٌ عَلَى أنَّ مقام التحقّق معنى فِي معنى الشيء.

النموذج الثَّامِن: عَنْ الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله خلقنا فأكرم خَلْقنا وفَضَّلنا وجعلنا أمنائه وحفظته وخُزّانه عَلَى ما فِي السموات وما فِي الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً فَسَمّانا فِي كتابه وكنّى عَنْ أسمائِنا بأحسن الأسماء واحبها إليه، وسمَّى أعدائنا وأضدادنا فِي كتابه، وكَنَّى عَنْ أسماءهم وضرب لهم الأمثال فِي كتابه فِي أبغض الأسماء إليه، وَإلى عبادة المتقين**».

مُحَمَّد بن الحسن (صاحب الوسائل) عَنْ علي بن إبراهيم عَنْ أبيه، عَنْ حمّاد بن عيسى، عَنْ إبراهيم بن عمر اليماني، عَنْ سليم بن قيس الهلالي عَنْ أمير المؤمنين عليه السلام قَالَ: «**إنَّ الله طهرنا وعصمنا، وجعلنا شهداء عَلَى خلقه وحجّته فِي أرضه، وجعلنا القُرآن (وَالقُرآن) معنا لا نفارقه ولا يفارقنا**»[1].

بتقريب: إنَّ القُرآن الكريم حاشد ومحتفي بذكر أهل البيت عليهم السلام غاية الأمر هَذَا الذكر لَيسَ بالأسماء التصريحية وَإنَّما بالكناية، والكناية

(١) الوسائل: ج٢٧، أبواب صفات القاضي: ب١٧، ص١٧٨.

نوع مِنْ الاستعمال المباشر التصريحي وَإنّما بمداليل متعدّدة هَذَا فِي حق أهل البيت عليهم السلام.

وكذلك الحال فِي أعداء أهل البيت عليهم السلام والإمام الصادق عليه السلام يُبيِّن فِي حديثه أنَّ هَذِهِ المحورية لأهل البيت عليهم السلام لها منشا وسبب ألا وَهُوَ أنَّهم عليهم السلام قمم الفضائل لِإنَّهُ تَقَدَّمَ فِي احتجاج الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله يَوْم الغدير عَلَى الخلق كلهم: «... **معاشر الناس هَذَا عليٌّ أنصركم لي وأحقكم بي وأقربكم إليَّ وأعزَّكم عليَّ والله عَزَّ وَجَلَّ وأنا عنه راضيان ... وما نزلت آية رضا إلَّا فيه وما خاطب الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به، ولا نزل آية مدح فِي القُرآن إلَّا فيه و ... الخ**»(١).

بتقريب: ـ إنَّ السبب فِي مدح الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بكُلِّ هَذِهِ المدائح والأوسمة المُشرِّفة هُوَ أنَّ الله تَعَالَى أودع أكمل الكمالات فِي علي عليه السلام بَعْدَ الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله والإمام الصادق عليه السلام أراد أنْ يُعلِّل أنَّهُ نَحْنُ أهل البيت عليهم السلام لِمَ كُنِّي عنّا بأسماء شتّى فِي القُرآن فَإنَّ أسماء الفضائل يُريد الباري عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذكرها مصاديق وتلك المصاديق التامّة والعُظمى موجودة فِي أهل البيت عليهم السلام: «**إنَّ الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضّلنا وجعلنا أُمنائه وحفظته وخزّانه عَلَى ما فِي السموات وما فِي الأرض ...**» وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ أهل البيت عليهم السلام خُزّانه عَلَى ما فِي السموات والأرض فَهَذَا معناه أنَّهم المصداق الأعظم والأتمّ بَعْدَ الرسول صلى الله عليه وآله وأنَّهم مجمع كُلّ علوم ومعالمِ وكمال

---

(١) الاحتجاج: ج١، ص٧٤ ـ ٨٠ في احتجاج النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده ولده من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وكمالات ما فِي السموات والأرض، وَعَلَيْهِ فكيف لا يكونون معنيون بذلك وَمِنْ ثَمَّ كَنَّى الباري عنهم بأحسن الأسماء فِي مجمل الأسماء الحُسْنى الخلقيّة، لا الأسماء الإلهيّة فإنَّها لله تَعَالَى مختصّة به «... **وكَنّى عَنْ أسمائنا بأحسن الأسماء واحبها إليه**». وفي مورد آخر «**وأسماؤكم فِي الأسماء**» بتقريب: ـ إنَّ الإسم الحَسَن ما يكون سِمة وعلامة وعنوان للكمال، فَإنَّ أسماؤكم هِيَ مِنْ أسمى سمو النعوت والكمالات فلهم الأسماء الخلقيّة لا الأسماء الإلهيّة، باعتبار أنَّ الأسماء الحُسْنى الخلقية لهم خير الأسماء، وأنَّ أسماءهم فِي الأسماء لها سموٌّ وسناء، ﴿**إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ**﴾[1] يهدي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام لِإنَّهُعليه السلام أحسن ومنتهى مجمع الكمالات والأسماء الخلقيّة بَعْدَ رسول اللهصلى الله عليه وآله.

وما أرسله العيّاشي بسنده عَنْ علي بن حمزة عَنْ أبي جعفرعليه السلام: «﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟**﴾ **يعني ولقد ذكرنا علياً فِي القُرآن وَهُوَ الذكر فما زادهم إلّا نفوراً**»[2].

إذَنْ النموذج التطبيقي الأعظم والأهم والقالب الحَسَن الذي يريد القُرآن أنْ يهدي إليه هُمْ أهل البيتعليهم السلام لأنَّهمعليهم السلام مسار وباب الكمال إلى النَّبيّصلى الله عليه وآله وَإلى الله تَعَالَى، وَهَذَا بيان لنوع مِنْ عملية الجري

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٢) العيّاشي: ج٣، ص٥٣، ح٧٨.

الذي تكون الولاية فيه لله وللرسول‌صلى‌الله‌عليه‌وآله ثمَّ لأهل البيت‌عليهم‌السلام محوراً أساسياً ثمَّ يأتي دور منظومة المحكمات ثمَّ دور منظومة تفاصيل المُتشابهات ثمَّ موارد النزول ثمَّ أحكام فرعية أُخْرَى ثمَّ قواعد تفصيلية مُخْتَلِفَة.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أنَّ قول الإمام الصادق‌عليه‌السلام بمثابة تعليل لإكرام الله تَعَالَى لهم بأصل الخلقة والتفضيل وجعلهم‌عليهم‌السلام حفظة وخزّان عَلَى ما فِي السموات والأرض.

ومحل الشَّاهِد: فَإِنَّ هدف القُرآن مِنْ هَذَا كُلَّهُ هُوَ مزج الجانب التنظيري مَعَ التطبيقي لا عزل أحدهما عَنْ الآخر، ولا يَتِمُّ هَذَا المزج بينهما إلَّا عَلَى ضوء النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير.

هَذَا كُلَّهُ بحسب منطوق قول الإمام الصادق‌عليه‌السلام: «**إنَّ الله خلقنا فأكرم خلقنا**» وإنَّ أهل البيت‌عليهم‌السلام هُمْ غاية وأقصى درجة الكمال بعدالنبي الأكرم‌صلى‌الله‌عليه‌وآله. وأمَّا بحسب المفهوم فيكون المفهوم أنَّ أعداءهم وأضدادهم يكونون فِي أقصى درجات الرذيلة والشرّ وأنَّ فوق كُلّ ذي شرٍّ شراً ويكون أعداؤنا ـ أعداء أهل البيت‌عليهم‌السلام ـ بحسب المفهوم هُمْ المعنيون بالشر بِهَذَا اللحاظ.

وأخطر وأشدّ ما يتخوفه الباري تَعَالَى عَلَى خلقه مِنْ الشرّ الأهرّكي إِذَا قِيلَ أنَّ المُرَاد مِنْ كُلّ مثل شرٍّ ضربه القُرآن أنَّ المُرَاد به

أعداؤهم باعتبارهم شرُّ الأشرار، أليس القُرآن وصف قاتل ناقة صالح أَنَّهُ قَالَ أشقاها وَهُنَاك أشقى ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢﴾[1] وَهُنَاك أئمة كفر وضلال ـ والعياذ بالله تَعَالَى ـ كَذَٰلِكَ مَنْ يُعادي أهل البيت عليهم السلام ممن يلد فِي العداوةِ للنبي صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام يكون أكثر عتوّاً مِنْ الجبابرة والفراعنة مِنْ أمثال النمرود وفرعون ذو الأوتاد وعاد وثمود، فهؤلاء ذكرهم القُرآن مِنْ باب الأمثلة لِـمَنْ هُوَ أعظم منهم. وسيأتي ـ إنْ شاء الله تَعَالَى ـ فِي بحث قاعدة المَثَل مسألة العبور إلى المصداق الأعظم والأشدّ لا العبور إلى المصداق الأقلّ والأدون، وستتضح نكت ذَلِكَ فِي محلّه.

ولا يخفى إنَّ الرواية تُشير إلى أنَّ جُلّ بَلْ كُلّ استعمال قرآني هُوَ استعمال كنائي وفي الاستعمال الكنائي يكون المُكنّى عنه خفيٌّ ولكنّه مُرادٌ بإرادة جديدة بَلْ قِيلَ أَنَّهُ مراد بإرادة استعمالية حسب الاختلاف بين أقوال البلاغيين، وَعَلَى ضوء ذَلِكَ يتبيّن أنّهم عليهم السلام معنيون بمدلول الآيات الواردة فِي الاخبار استعمالاً أو تفهيمياً أو جدّاً، كَمَا أنَّ أعدائهم معنيّون فِي الآيات الواردة فِي الأشرار استعمالاً أو تفهيماً أو جدّاً وبالتالي فَإنَّ المعنى التنظيري والاستعمالي لجُلّ الآيات معنى مُوَّطِئ توطئةً للمعنى الجدّي المُراد والأهم والنهائي.

إلفات نظر: إنَّ الرواية الَّتِي ذكرناها فِي المورد الثَّامِن عَنْ الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله خلقنا فأكرم خَلْقنا وفضلّنا وجعلنا أمنائه وحفظته**

---

(١) سورة الشمس: الآية ١٢.

وخزّانه عَلَى ما فِي السموات والأرض و ...».

هَذِهِ الرواية بالحقيقة ليست رواية واحدة وَإِنَّما هُنَاك روايات مُستفيضة فِي هَذَا المعنى والمضمون وأنه نَجْد الخير مجمع كماله وقمته أهل البيتعليهم السلام ونَجْد الشر قمته فِي أعداء أهل البيتعليهم السلام، وأنَّ روّاد سبيل الشر هُمْ أعداء أهل البيتعليهم السلام الَّذِيْنَ صَرَّفوا وحرموا البشرية الاستفادة مِنْ أكبر كمال وسعادة دائماً يكونون أعتى وأكثر شرّاً عَلَى البشريّة وممن مانع البشرية عَنْ السعادة المتوسّطة ونذكر بَعْض تلك الروايات:

الرواية الأولى: عَنْ أبي الجارود، قَالَ سمعتُ أبا جعفرعليه السلام يقول: **«نزل القُرآن عَلَى أربعة أرباع: ربعٌ فينا، وربعٌ فِي عدوِّنا، وربع فِي فرائض وأحكام، وربعُ سُننٍ وأمثال، ولنا كرائم القُرآن»**[1].

الرواية الثَّانية: عَنْ الأصبغ بن نُباتة قَالَ: سمعتُ أمير المؤمنينعليه السلام يقول: **«نزل القُرآن أثلاثاً ثلثاً فينا وفي عدوّنا، وثُلث سُنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام»**[2].

---

(١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٨٤، باب ما أُنزل في القرآن والكافي: ج٢، ص٤٥٩.
(٢) المصدر السابق: ح٣.

اهتمام القرآن بجانب الشرور الواقعة جريا كقاعدة

[لماذا يُؤكِّد القُرآن عَلَى ذكر جانب الشَّر]

هَذَا خيرُ دليل وشاهد عَلَى ربط مقام التنظير بالتطبيق وعدم الاقتصار عَلَى ذكر المصاديق بلحاظ حقبة زمنيّة مُعيَّنة والاقتصار عَلَيْهَا، بَلْ يتعداها إلى كُلّ ما ينطبق عَلَيْهِ الجانب التنظيري فمثلاً يذكر القُرآن جانب الخَيرِ والكمالات فِي الأُمم السابقة فبذكر المُراد الجدّي مِنْهَا يذكر بَعْض المصاديق ويتعدّى مِنْهَا إلى كُلّ ما ينطبق عَلَيْهِ ضابط الخير كَمَا فِي أهل البيت عليهم السلام الَّذِيْنَ هُمْ مجمع الكمالات والفضائل، وَإلَّا لو اقتُصِرَ على الجانب التنظيري فَقَطْ لماتت الآية بانتهاء مخاطبيها، وكذا إذَا اقتُصِرَ عَلَى ذكر بَعْض مصاديقها فِي ذَلِكَ الوقت والجمود عليهم وعدم التعدّي إلى غيرهم.

وهكذا جانب الشرَّ فَإنَّ أهل الشرّ معنيّون فِي القُرآن قطعاً بَلْ أكثر جدّية فِي إرادتهم مِنْ بقيّة مراتب الشرّ والأشرار، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الصادق والصحيح الآن عِنْدَمَا نقول:ـ

بأنَّ القُرآن لا يكترث بذكر مصاديق بَعْض الظلمة والفراعنة والمُتجبّرة كالنمرود الذي يقابل في العداوة الْنَبِيّ إبراهيم عليه السلام، بقدر ما

يُحَذِّر مِنْ النمرود الذي يقابل سيد الأنبياءصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، أو بقدر ما يوقي البشرية مِنْ فرعون الذي يقابل سيد الأنبياءصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وعترته أو قارون أو هامان أو غيرهم مِنْ الأشرار، وَعَلَيْهِ فخاطب القُرآن الْنَّبِيّ إبراهيم وموسىعَلَيْهِمَاالسَّلَامُ وأنّهما فِي مصافِ سيد الأنبياء وما خاطب القُرآن به شريعة الأنبياء السابقين فِي خضم شريعة سيد الأنبياء.

وهكذا قاتل ناقة صالح شقيّ ولكن فِي نفس سورة الشمس ذكر بَعْض المفسرين بناءاً عَلَى بَعْض التفسيرات الروائية أنَّ المُرَاد مِنْ قاتل ناقة صالح هُوَ عبدالرحمن ابن ملجم وإرادته أشدّ اهتماماً مِنْ إردة نفس قاتل ناقة صالح، فَإنَّ عبدالرحمن بن ملجم لعنة الله عَلَيْهِ أشقى الأولين والآخرين، وهل يُظَن بالباري تَعَالَى إنَّهُ غَيْر مُلتفت أو غَيْر مُلِّم بمجريات الأُمُور والمصاديق أيّ طبيعة واي معنى وَأيّ عنوان، ـ والعياذ بالله ـ بَلْ قطعاً الباري ملتفت إلى ذَلِكَ وعالم بكُلِّ شيء وأنَّ الخطاب القُرآني لأجل إرشاد وهداية البشر فِي أُفق التطبيق.

وَعَلَيْهِ عِنْدَمَا يُقَال: ـ أنَّ القُرآن عنى أهل البيتعَلَيْهِمُالسَّلَامُ وأنّهم مجمع الفضائل وَهُمْ قمة المعنيين بذلك هُوَ لَيْسَ نوع مِنْ الانفعال العاطفي، وأنَّ أعداء أهل البيتعَلَيْهِمُالسَّلَامُ هُمْ قمّة المعنيين بالرذائل، فَهَذَا لَيْسَ مجاز ولا تصوير شعري وشاعري خيال، بَلْ الباري تَعَالَى دائماً يحذِّر مِنْ الأخطر والأعظم، وهكذا شأن كُلّ حكيم فَإنَّ نفس اهتمامه واعتنائه بالخطر دليل عَلَى خطورة النتائج المترتبة عَلَى عدم الاهتمام، وعدم التحذير مِنْ هكذا

خطر قبل وقوعه وعدم غفلته.

وَعَلَيْهِ فتحسس القُرآن لما هُوَ راهن غاية لما سيأتي، **وبعبارة أُخْرَى** إنَّ اهتمام القُرآن بموارد نزول الآيات مما هُوَ معنيٌّ ومقصودٌ للقُرْآن بلحاظ التنزيل مَعَ كونه فِي الأهمّيّة مساوٍ لما سيأتي أو دونه فكيف لا يُفرّض اهتمام القُرآن معنى ومقصوداً عَلَى صعيد المدلول بما سيأتي مَنْ هو أعظم أو مساوي فِي الأهمّيّة مما هُوَ مورد تأويلي للقُرْآن كاهتمام بموارد التنزيل.

مَنْ هُوَ أعظم شأناً وغاية لِـمَنْ هُوَ راهن حاضر عِنْدَ نزول القُرآن الكريم، فالذي هُوَ راهنٌ وحاضرٌ فِي نزول القُرآن هُوَ نمرود إبراهيم عليه السلام أو نمرود الجاهلية فِي الإسلام أو نمرود نفاق الإسلام أو نفاق الإيمان، وَمِنْ الواضح أنَّ المُرَاد به أولئك يعني مُرادٌ لهم جداً، وكذلك مراد جدّاً لما وراءه بلا منافاة فِي ذَلِكَ المُرَاد الجدّي لكنَّ المُرَاد الجدي الثَّانِي أو الثَّالِث أو ... الخ يكون مراداً جدّاً أكثر تشدّداً.

تنبيه هام

فِي نهاية الكلام عَنْ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير نودُّ الإشارة إلى مطلب مهم وحاصله أَنَّهُ عِنْدَمَا نعبِّر فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير أنَّ المُرَاد هُوَ أنَّ نعبِّر بالقاعدة والضابطة فَإِنَّ مثل هَذَا لَيْسَ ضابط خيالي شاعري، وإنْ كَانَ وللأسف بَعْض الباحثين المثقفين أو غيرهم عِنْدَمَا

يقفون عَلَى مثل هكذا روايات وهكذا مضامين يقول هَذِهِ مِنْ مشرب الغُلاة! والواقع خلافه فَإِنَّهُ مشرب عقلي صافٍ نهله ونمير عذبٌ فَإِنَّ أيّ مُقنن إذَا لَمْ يلتفت إليه سواء عَلَى صعيدالقانون أو غيره عِنْدَمَا يضع ويُقنن قانون جنائي فَإِنَّ أهم شيء لديه هُوَ ذكر المصاديق الخطيرة لا المصاديق المتوسِّطة أو الأقل خاصّة إذَا كَانَ يعلم بها ذَلِكَ المُقنِّن وأنَّ المصاديق المتوسّطة أو الدانية سوف تكون بالتبع وبالعرض مشمولة لهذا التقنين، هَذَا عَلَى صعيد التقنين البشري، فكيف بتقنين ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١).

إذَنْ أهميّة وخطورة المصداق الأعظم يُعبأ بها ولا يعني ذَلِكَ تجاهل المصاديق المتوسِّطة أو الدانية كلا ولا منافاة، فمثلاً عبارة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هُوَ المصداق الأعظم أين عبادته صلى الله عليه وآله مِنْ عبادة رجل صالح؟

وإنْ كَانَ الله غنيّاً عَنْ عبادة العباد، إلَّا أنَّ الاكتراث الإلهي يعتني، ويعني بمعنى التقسيم والتقدير بعبادة سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، ولذلك إذَا كانت غاية الخِلْقة هِيَ الخضوع لله وإظهار عظمة الله عَلَى يدي أهل بيته ولا تُقاس بإظهار عظمته تَعَالَى عَلَى يدي جبرائيل وميكائيل فَإِنَّهُ يوجد فرق بين العبادتين؛ ولذا وَرَدَ فِي زيارات أهل البيت عليهم السلام نعوت: «**لا يُضادكم ذو ابتهال وخشوع**» أيّ مهما ابتهل وتضرَّع وتضعضع الدَّاعي مِنْ ملكٍ مُقرَّب أو نبي مُرْسل فَإِنَّهُ لا يمكن أنْ يُضادّكم وكيف لَهُ أنْ يضادكم وما قَدْ ألـمُّوا به مِنْ معرفة الله فوق معارف سائر الخلائق بنصّ

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

القُرآن الكريم الذي هُوَ مُهيمن عَلَى بقيّة الكتب السماويّة مِنْ صحف إبراهيم عليه السلام وتوراة موسى عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام و... الخ.

وَبيّنَ القُرآن الكريم وراثه عترة النَّبيّ صلى الله عليه وآله للكتاب مِنْ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وبنصّ القُرآن الكريم ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[1] مِنْ أهل آية التطهير وَهُمْ عترة النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إذَنْ و ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[2] أيّ ليعرفون إنَّهُ لولا الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف حُجَّة الله فِي أرضه، لساخت الأرض بأهلها[3]: الإمام الذي هُوَ حجّة الله فِي الأرض هُوَ القمّة العالية لا الهدف المتوسِّط، وإنْ كَانَ الله تَعَالَى غنيّاً عَنْ عبادة الخلق أجمعين بما فِي ذَلِكَ عبادة سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وَإنّما سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله فقير ومُحتاج إلى ربّ الأرباب تَعَالَى إلّا أنَّ الاكتراث الإلهي بالآية الربانية والجمال والكمال الرباني، هُوَ المصداق الأعظم وَهُوَ سيد الأنبياء فَإنَّهُ المصداق الأتمّ وَهُوَ المعني بالآية وبقيّة المصاديق مُرادَة بالتبع والظل.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ الإرادة فِي المداليل فيها شدّة وضعف وَلَمْ يذكرها عُلَماء البلاغة والأصول والفقه، فَإنَّ الدلالة تابعة إلى الإ رادة، والإرادة فيها شدّة وضعف، وكذا المدلول فيه شدّةً وضعفاً وكأنَّما الدلالة عمليّة تركيز وإضاءة ونور وشعاع شديد عَلَى الإرادة، وَالمُراد الأتمّ، والمدلول الجدّي

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) ساخت: أي بطلت الحكمة من خَلْقِه الأرض.

أشدّ مما تركز الدلالة عَلَى المُرَاد ذو الإرادة المتوسِّطة أو الدانية فَإِنَّ إضاءتَه خافتَةٌ.

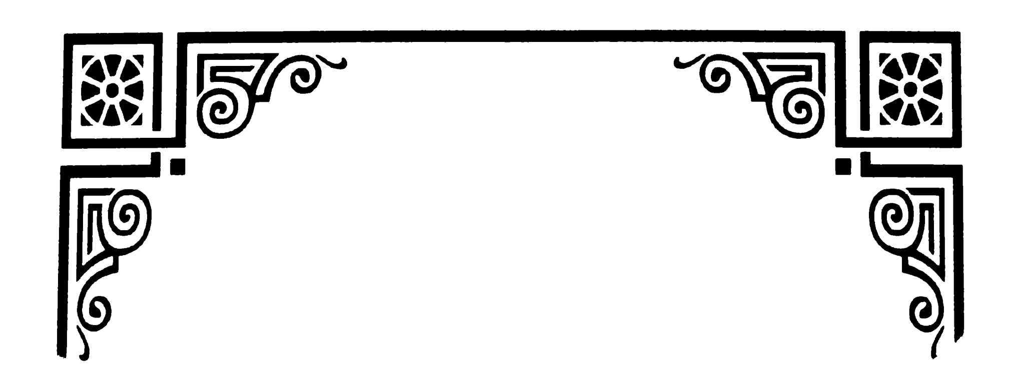
وَهَذَا مما اعترفوا به ارتكازاً ألم يقولوا بإنَّ الدلالة فيها نصٌّ وفيها صريحٌ وفيها تصريح وفيها ظهور أقوى وظهور متوسِّط وظهور ضعيف، وَهَذَا معناه الدلالة عَلَى درجات وكذلك الحال فِي المداليل الحقيقيّة بحسب الإرادة، وَعَلَيْهِ فَهُنَاك إرادة جدّيّة أشدّ وَهُنَاك إرادة جدّيّة متوسِّطة وَهُنَاك أقلّ وهكذا.

خاتمة

إنَّ المصاديق وإنْ اشتهرت بين البلاغيين أنَّها خارجة عَنْ مُحيط الدلالة والمدلول وأنَّ الكلام إنَّما يُستعمل فِي الصور الذهنية مِنْ المفاهيم والمعاني إلَّا أنَّ الدلائل الَّتِي مَرَّت دالَّة عَلَى أنَّ صقع المصاديق داخلة فِي دائرة المدلول ولا سيّما فِي الكلام الإلهي ولو بتوسّط مرآتية المعاني والمفاهيم للمصاديق الخارجية ومقام التطبيق، وبالتالي فالصور والمعاني والمفاهيم فِي الذهن هِيَ بدورها أيضاً دوال انضماميّة للكلام لاستعمالها حاكيةً ودالةً عَلَى المصاديق فالمدلول الملحوظ غاية هُوَ المصداق فِي مقام الاستعمال والدلالة لا سيّما المصداق الأعظم، فَكَمَا أنَّ التلفظ بأصوات اللَّفْظ وحروف الكلام أو نقش كتابته هُوَ لغاية الدلالة عَلَى ما وراءه وليس مقصوداً لذاته، فكذلك المعاني والمفاهيم فِي الذهن لَيْسَ مقصودة ومعنيّة فِي الدلالة لذاتها،

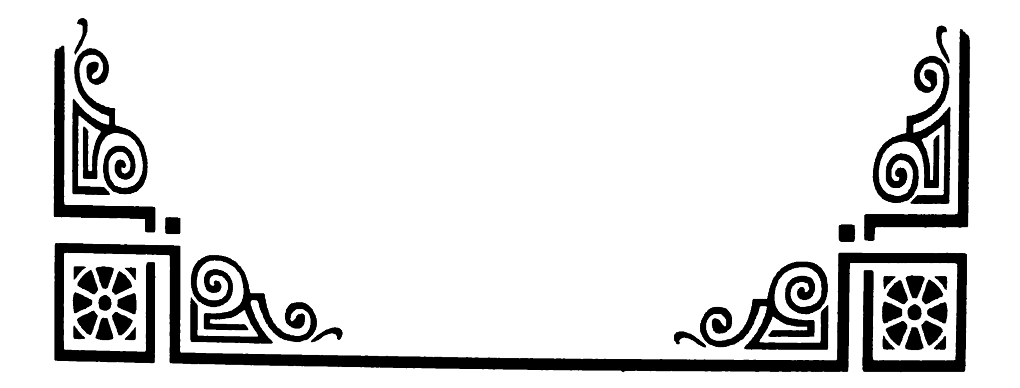
بَلْ لغاية وقصد المصاديق واهمها المصاديق ذَاتَ الشأن الكبير فِي الطبيعة الكليّة.

وبعبارة **أُخْرَى**: فَكَمَا أَنَّ الحال فِي المعاني والمفاهيم الذهنية قَدْ تقصد لمعاني أُخْرَى ورائها والمعاني لأخرى قَدْ تقصد أيضاً لمعاني ثالثة والثالثة لرابعة مِنْ طبقات المعاني والمفاهيم المتعاقبة والمترامية، وَهَذَا بابٌ مِنْ أبواب الجري والتعبير والعبور، وكذلك حركة الجري مِنْ المعاني إلى المصاديق ولا سيّما الهام والخطير مِنْهَا.



القاعدة السادسة:

قاعِدَةُ الذِكْر فِي القُرآن الكريم



قاعِدَة الذِكْر فِي القرآن الكريم

الفهرس الإجمالي:

* أهم مميزات قاعِدَة الذِكر.
* الفرق بين الندبة بالذكر والندبة بالنياحة.
* أهم الشرائط المُعتبرة فِي المفسِّر للقُرْآن الكريم، طهارة المُفسِّر سبب لوصوله إلى حقيقة الذكر فِي القُرآن الكريم.
* لَيْسَ كُلّ تهذيب أخلاقي ذِكر.
* المعاني الأُخْرَى لقاعدة الذِكر.
* تنبيه: ـ كُلّ سورة فِي القُرآن لها وزن مُعيَّن وتفعلية خاصّة.
* كيفية استكشاف قواعد الذِكر.
* الذِكر هُوَ أحد معاني أشهد أنَّك تلوت الكتاب حقَّ تلاوته.
* المفسِّر الناجح مَنْ يستطيع التمييز بين الآية الأم وغيرها ..
* أهميّة وخطورة علم التفسير فِي تنظيم متطلبات أفراد المجتمع فِي يومياتهم.
* علم التفسير هُوَ للمفسِّر الناجح الذي يُلبي حاجة البشر أينما ما كانت.
* أهم ثلاث مُميزات لقاعِدَة الذِكر.

الذِكرُ فِي القرآن الكريم

المقدمة:

لا يخفى عَلَى المُتتبع الكريم أنَّ أسلوب القُرآن هُوَ أُسلوب ذِكْرٍ، وجاري عَلَى الأمثال، وقبل الخوض فِي تفاصيل هَذِهِ القَاعِدَة الخطيرة وَالمُهِمَّة نُذَكِّر بجملة أُمُور:

الأمر الأوَّل: إنَّ بَعْض المُحققين مِنْ الباحثين وإنْ كَانَ قَدْ عنونها بعنوان آخر وَهُوَ: ـ قَاعِدَة الذِكر والأمثال أو المَثل فِي القُرآن، وأنَّ هَذَا العنوان يوحي أَنَّهُ يحتوي عَلَى قَاعِدَة واحدة إلَّا أنَّ الواقع هُمَا قاعدتان مُنفصلتان، وَلِكُلِّ قَاعِدَة معناها ومدركها عَلَى حِدَة، كَمَا سوف نبحثها عَلَى ضوء منهجنا التفسيري أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات، ونظراً لتشابك وتقارُب الصلة الوطيدة بينهما عَلَى رأي بَعْض المناهج دُمج الكلام عنهما تحت عنوان واحد، وإنْ كَانَتْ قَاعِدَة الذِكر مِنْ أعظم محكمات قَواعِد التفسير عَلَى الإطلاق وبلا منازع، وأنَّ قَاعِدَة الأمثال، إنَّما هِيَ إعداد لها، والغاية هِيَ القَاعِدَة الأولى ـ قَاعِدَة الذِكر ـ وَالثَّانية ـ قَاعِدَة الأمثال مُمَهِّدَة لها.

الأمر الثَّانِي: إنَّ قَاعِدَة الذِكر وكذا الأمثال الَّتِي سيأتي بحثها لاحقاً ليستا مُكتشفة الأبعاد، وَإنَّما خوضنا فيهما مِنْ باب التنويه والتنبيه رجاءَ أنْ تنكشف جملة مِنْ جهات القَاعِدَة المذكورة.

والتركيز عَلَى جعل قَاعِدَة الذِكر مِنْ قَواعِد التفسير العظيمة والخطيرة، مِمَّا قَدْ ينفرد به خواص منهج أمومة الولاية عَلَى الْمُحْكَمات دون باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى، ولنلاحظ أنَّ هَذِهِ القَاعِدَة هِيَ حصيلة منظومة قَواعِد ولكن بنُظم وتركيب قُرآني خفيٍّ، وَأنَّها ليست قَاعِدَة مُنعزلة عَنْ بقيّة قَواعِد التفسير، وليست هِيَ كَذَلِكَ مُستنتجة مِنْ قَاعِدَة فاردة، أو قاعدتين، أو بضع قَواعِد فِي التفسير، بَلْ هِيَ نظام مجموع قَواعِد التفسير، بَلْ ومنظومة طبقات أنظمته.

الأمر الثَّالِث: إنَّ هَذِهِ القَاعِدَة تمتاز بمميزات نذكرها فِي محلّها يجمعها:ـ أنَّ الذِكر هُوَ نظام العلوم يوظّفها إلى الكمال، وَأنَّها بمثابة العلامة البوصليّة لسلامة المنهاج التفسيري، وَهَذِهِ القَاعِدَة قَاعِدَة منهجيّة راسمة لمختلف علوم تفسير القُرآن وقواعده، كَما سوف يتّضح كُلّ ذَلِكَ فِي محلّه ـ إنْ شاء الله تَعَالَى ـ

يقع الكلام فِي أُمُور:ـ

الأمر الأوَّل: معنى القَاعِدَة.

الذِكر لغةً:ـ قَالَ الخليل: ـ الذِّكْر: ـ هُوَ الحفظ للشيء تذكرُه، وَهُوَ مِنِّي عَلَى ذكر، والذِكْر: ـ الشرف والصوت، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾(١).

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

والذِكر: الكتاب الذي فيه تفصيل للدِّين، وَكُلّ كتاب للأنبياء ذِكرٌ.

وَقَالَ ابن دريدُ: ـ الذكر ضد النسيان.

الذِكر بالمصطلح التفسيري: ذكر الفخر الرَّازي أنَّ المُراد بالذكر هُوَ القُرآن كَما قَالَ الله تعَالَى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾[(١)] ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾[(٢)] و ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ①﴾[(٣)] و ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾[(٤)] و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾[(٥)].

وَقَالَ الفخر الرازي، ثمَّ فِي تسميّة القُرآن بالذكر وجوه: ـ

أحدهما: ـ إنَّهُ كتاب فيه ذِكر ما يحتاج إليه الناس مِنْ أمر دينهم ودنياهم.

وثانياً: إنَّهُ يذكر أنواع آلاء الله تَعَالَى ونعمائه ففيه التذكير والمواعظ.

وثالثاً: فيه الذكر والشرف لك ولقومك عَلَى ما قَالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[(٦)]، واعلم أنَّ الله تَعَالَى اسمه تسمَّى كُلّ كُتبه ذِكراً فقَالَ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٤٤.
(٣) سورة ص: الآية ١.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢.
(٥) سورة الحجر: الآية ٦.
(٦) سورة الزُخرف: الآية ٤٤.

أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[(١)(٢)].

وَقَالَ السَّيِّد العلّامة الطباطبائي: ـ المُرَاد مِنْ الذكر هُوَ القُرآن الكريم، أو ما يشتمل عَلَيْهِ مِنْ المعارف المتنوِّعة الَّتِي يُذكر بها الله سُبْحَانَهُ مِنْ حقائق وقصص وعِبَر وأخلاق وشرائع وَغَيْر ذَلِكَ[(٣)].

وَعَلَيْهِ فلو عمّمنا صفة الذكر لألفاظ القُرآن الكريم الذي يُقابل الشعر كَمَا فِي الآية ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾﴾[(٤)].

بتقريب: ـ أنَّ الذكر يُقَال لَهُ شعر حَتّى فِي وقع التفعيلة وترتيب القافية الصوتية والسجع الصوتي.

ولذا عِنْدَمَا نقرأ القُرآن الكريم نجد أنَّ هُنَاك آياتٌ كثيرة يصِفُ القُرآن بها نفسه بأنَّه ذكر، كَمَا سيأتي بحثها فِي الأمر الثَّانِي ـ مدرك القَاعِدَة ـ وسيأتي تقرير مَعْنَى الذكر عَلَى مختار منهج أمومة الولاية فِي نهاية القَاعِدَة.

الأمر الثَّانِي: مدرك القَاعِدَة:

أَوَّلاً: قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ج٣٢، ص١١٣.

(٣) تفسير الميزان للعلّامة الطباطبائي: ج١٤، ص٢٠٩.

(٤) سورة يس: الآية ٦٩.

وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾[(١)].

بتقريب: ـ إنَّ القُرآن الكَرِيم بَيَّنَ أنَّ حقيقة القُرآن سواء عَلَى صعيد الكلام الصوتي وما فوق ذَلِكَ مِنْ مراتب القُرآن لَيْسَ تركيبٌ صوتي لتحريك خيال الإنسان وعواطفه كَمَا هُوَ الحال فِي الشعر، بَلْ هُوَ يُعَبِّدُ الطريقَ ليُحَصِّلَ حالة التذكّر لدى الإنسان وغيره مِنْ قراءته والعمل به، فَمِنْ ثمَّ حار الأدباء فِي تشخيص حقيقة ماهية التركيب الأدبي للقُرْآن، وَأَنَّهُ هل يدخل فِي الشعر، أو فِي السجع وفي الغزل أو فِي الحماس، أو فِي الأسلوب الرمزي، أو فِي النثر القصصي إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ أبواب الأدب فِي اللُّغَة.

وَلَمْ يفطنوا إلى يومنا هَذَا لقواعده فِي التركيب البلاغي، وَأَنَّهُ مِنْ أيّ شاكلة.

وفي الحقيقة: ـ أنَّ سبب هَذَا التحيّر هُوَ أنَّ ماهيّة التركيب اللغوي والبلاغي لألفاظ القُرآن هِيَ ماهيّة التركيب الذكري، أيّ الذي يوجب التذكر، لا الذي يوجب إثارة الخيال مِنْ حَيْثُ هُوَ خيال، ولا إثارة العاطفة مِنْ حَيْثُ هِيَ عاطفة، ولا إثارة الوهم والواهمة فِي هيمان معاني، ولا إثارة شعور الإحساسات والحسّ والتحسّس مِنْ حَيْثُ هُوَ، ولا إثارة جُرْبُزَة الفكر مِنْ حَيْثُ هُوَ تحليقٌ فكري، ولا غَيْر ذَلِكَ مِنْ إثارة أفعال قوى النفس مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ، بَلْ هُوَ توظيف كُلّ ذَلِكَ فِي مسيرة

---

(١) سورة يس: الآية ٦٩.

ومسار حصول التذكّر والذكر للإنسان لما مَرَّ به مِنْ عوالم أخذت عَلَيْهِ المواثيق فِي تركيب فطرته وذاته.

ثمَّ إنَّ توصيف ما نُزِّلَ عَلَى النَّبيّ صلى الله عليه وآله مِنْ الكتاب بأنَّه ذكرٌ، ثمَّ توصيفه بالقرآنيّة، دالٌّ عَلَى نقد وعلو مرتبة الذكريّة للقُرْآن عَلَى مرتبة قرآنية الكتاب.

٢ ـ قوله تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (١).

بتقريب: ـ إنَّ هَذِهِ الآية المباركة تشير إلى أنَّ الذكر الذي هُوَ مِنْ أعظم غايات القُرآن لَيْسَ غايةً خاصّةً بالإنسان، بَلْ القُرآن غايته الذكر لجميع المخلوقات.

٣ ـ قوله تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ (٢).

بتقريب: ـ إنَّ فِي الآية المباركة إشارة إلى أنَّ حقيقة الذكر علويةٌ لا يَصِلُ إليها إلَّا بالعروج، وَمِنْ ثمَّ كَانَ الذكر عَلَى مراتب وأقسام فوقَ أنْ تُحْصَى.

٤ ـ قوله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ (٣).

بتقريب: ـ وفي الآية مقابلةٌ بين الآيات والذكر وفيه إشارة إلى علو

---

(١) سورة ص: الآية ٣٨.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣.

حقيقة الذِّكر وأنَّ الآيات المباركة تنزلات لَهُ، وَهُوَ مطابق لما تَقَدَّمَ فِي سورة يس مِنْ كون الذكر أعلى مقاماً لحقيقة الكتاب مِنْ مرتبة قرآنيّة الكتاب.

٥ ـ قوله تعالَى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟﴾[1].

٦ ـ قوله تعالَى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2].

والآيتان الخامسة والسادسة بنفس مضمون تقريب الآية الرابعة.

٧ ـ قوله تعالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[3].

بتقريب: ـ إنَّ هَذِهِ الآية المباركة فيها إشارة إلى أنَّ الذكر مَعَ كونه ذكراً إلَّا أَنَّهُ يحتاج إلى بيان وتبيان وترجمان.

٨ ـ قوله تعالَى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾[4].

٩ ـ قوله تعالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٧.

(٢) سورة الحجر: الآية ٥.

(٣) سورة النحل: الآية ١٦.

(٤) سورة الصّافات: الآية ٣٧.

(٥) سورة المدّثر: الآية ٥٤ ـ ٥٦.

بتقريب: ـ إنَّ الآية المُبارَكَة دالَّة عَلَى أنَّ التذكر بالقرآن لا يحصل إلجاءاً قهريّاً، بَلْ لابُدَّ مِنْ إرادة ومشيئة مِنْ الإنسان أيضاً فَهُوَ أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض.

١٠ ـ قوله تَعَالَى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾[١].

بتقريب: ـ حسب ما وَرَدَ فِي الروايات فالذكر هُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله، والأئمة أهله[٢].

١١ ـ قوله تَعَالَى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾[٣].

بتقريب: ـ فِي الآية دلالةٌ عَلَى أنَّ التذكر لا يحصل مِنْ قراءة المصحف والتدبّر بالمعاني إلّا بالتقوى وحصول الخشيّة القلبيّة، ممّا يُشير إلى ما مَرَّ مِنْ أنَّ التذكّر والذِكر لَهُ مراتب فوق بعضها البعض مُتصاعدة إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الآيات الكريمة.

ثانياً: الروايات:

الرواية الأُولى: الحسن بن مُحَمَّد الطوسي فِي (المجالس) عَنْ أبيه، عَنْ المفيد، عَنْ المظفر البلخي، عَنْ مُحَمَّد بن همام، عَنْ عبدالله بن جعفر الحميري، عَنْ أحمد بن مُحَمَّد بن عيسى، عَنْ الحسن بن محبوب، عَنْ أبي حمزة الثُمالي، عَنْ أبي

---

(١) سورة الطلاق: الآية ١٠ ـ ١١.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ج٣، ص٤٢٥ للشيخ حسين بن علي النمازي.

(٣) سورة طه: الآية ٢ ـ ٣.

جعفر مُحَمَّد بن علي الباقر عليه السلام، قَالَ: «لا يزال المؤمن فِي صلاة ما كَانَ فِي ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، قائماً كَانَ أو جالساً أو مضطجعاً، إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[1][2].

الرُّواية الثَّانية: ... عَنْ أبي عبدالله عليه السلام، قَالَ: «... ما مِنْ شيء إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ ينتهي إليه إِلَّا الذكر فَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ ينتهي إليه، فرض الله عَزَّ وَجَلَّ الفرائض، فَـمَنْ أدّاهُنَّ فَهُوَ حَدُّهُنَّ وشهر رمضان فَـمَنْ صامه فَهُوَ حَدَّه، والحج فَـمَنْ حجَّ فَهُوَ حدّه، إِلَّا الذكر، فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يرضَ مِنْهُ بالقليل وَلَمْ يجعل لَهُ حدٌّ ينتهي إليه، ثمَّ تلا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[3]. فقَالَ: لَمْ يجعل الله لَهُ حدّاً ينتهي إليه، قَالَ: وَكَانَ أبي كثير الذكر، لقد كنتُ أمشي معه وَإِنَّهُ ليذكر الله، وآكل معه الطعام وَأَنَّهُ ليذكر الله، ولقد كَانَ يحدث القوم وما يشغله ذَلِكَ عَنْ ذكر الله، وكنتُ أرى لسانه لازقاً بحنكه، يقول: لا إله إِلَّا الله، وَكَانَ يجمعنا فيأمرنا بالذكر حَتّى تطلع الشمس ـ إلى أنْ قَالَ: ـ وَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم وأرفعها فِي درجاتكم، وأزكاها عِنْدَ مليككم، وخيرٌ لكم مِنْ الدينار والدرهم، وخيرٌ لكم أنْ تلقوا عدوّكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى، فَقَالَ ذكر الله كثيراً، ثمَّ قَالَ: جاء رجلٌ إلى النَّبيّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: مَنْ خيرُ أهل المسجد؟ فَقَالَ:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.
(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٧، كتاب الصلاة، أبواب الذكر: ب١، ح٥، ص١٥٠.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤١ ـ ٤٢.

أكثرهم لله عَزَّ وَجَلَّ ذكراً[١].

وَمِنْ كلام لأمير المؤمنين عليه السلام فِي نهج البلاغة: ـ عِنْدَ تلاوته ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]. قَالَ: إنَّ الله سُبْحَانَهُ جعل الذكر جلاءاً للقلوب تسمع بِهِ بَعْدَ الوقرة وتَبْصِرُ به بَعْدَ العشوة، وتنقاد به بَعْدَ العاندة[٣].

الرُّواية الثَّالِثة: عَنْ الإمام الحسن المجتبى، قَالَ: ـ قَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله بادروا إلى رياض الجنّة، فقالوا: وما رياض الجنّة، قَالَ: حَلَق الذِكْر[٤] إيضاح ذلك ـ كما في مستدرك سفينة البحار: ج٣ ص٤٣٠ ـ المُراد مِنْ حلق الذكر: ـ المجالس الَّتِي يُذكر الله فيها عَلَى قانون الشَّرع، ويُذكر فيها علوم أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، ومجالس الوعظ الَّتِي يُذكر فيها وعده ووعيده، لا المجالس المبتدعة المخترعة الَّتِي يُفضى الله فيها، فَإنَّها مجالس الغفلة لا حلق الذكر.

وذكر المولى النراقي فِي مشكلات العلوم إنَّهُ ذُكِرَ فِي بَعْض

---

(١) الوسائل: ج٧، كتاب الصلاة، أبواب الذكر: ب٥ ح٢، ص١٥٤، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٢) سورة النور: الآية ٣٧.

(٣) سفينة البحار، للشيخ عباس القمي: ج٣، ص٢٠٩، عن كتاب الإيمان: ٣٧/ ٣٠٤، ج: ٦٩/ ٣٢٥، والوقرَةَ: بالفتح هي الثقل في الأذن أو ذهاب السمع كله، وهنا من بركات الذكر أنْ يُذهب الثقل في السمع، والعَشْوَة: مثلثه العين هي الأمر الملبتس وأن يركب الشخص أمراً بجهالة لا يفرق وجهه، وهنا من بركات الذكر أنه سوف تزول ظلمة الأمر.

(٤) معاني الأخبار للصدوق: ٢٠٠.

الأخبار: ـ لَيْسَ الذكر مِنْ مراسم اللسان ولا مناسم القلب: مِنْ أنَّ الذكر التّام الحقيقي لَيْسَ مِنْ وظائف اللسان فَقَطْ، ولا مِنْ وظائف القلب فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ أوّلاً أنْ يدخل فِي الذُكر ـ بضم الذال ـ أيّ القلب والخاطر، ثمَّ فِي الذاكر بعين اللسان، والمحصَّل أنَّ الذِّكر اللساني فَقَطْ، أو القلب فَقَطْ، لَيْسَ ذكراً كاملاً، بَلْ لابُدَّ أنْ يكون بالقلب واللسان معاً.

الرُّواية الرَّابعة: ... عَنْ عبدالحميد بن أبي الديلم عَنْ أبي عبدالله عليه السلام ونقل حديثاً طويلاً وفيه يقول عليه السلام: **وَقَالَ الله جَلَّ ذكره ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1] قَالَ الكتاب الذكر وأهله آل مُحَمَّد عليهم السلام أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بسؤاهم، ولم يؤمروا بسؤال الجهال، وسَمَّى الله عَزَّ وَجَلَّ القُرآن ذكراً، فَقَالَ تبارَكَ وَتعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2].**

الرُّواية الخامسة: فِي باب مجلس ذكر الرضا عليه السلام مَعَ المأمون فِي الفرق بين العترة وَالأُمَّة حديث طويل وفيه قالت العُلَماء: ـ فأخبرنا هل فَسَّرَ الله تَعَالَى الاصطفاء فِي الكتاب؟ فَقَالَ الرضا عليه السلام: **فَسَّر الاصطفاء فِي الظاهر سوى الباطن فِي اثني عشر موطناً وموضعاً، فأوَّل ذَلِكَ قوله عَزَّ وَجَلَّ إلى أنَّ قَالَ: وأمَّا التَّاسعة فَنَحْنُ أهل الذكر الَّذِيْنَ قَالَ الله تَعالَى ﴿**

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧.

(٢) أصول الكافي: ج١، ٢٩٣، كتاب الحجة الإشارة والنَّص على أمير المؤمنين عليه السلام: ج٣.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾[1].

فَنَحْنُ أهل الذكر فاسألونا إنْ كنتم لا تعلمون، فقالت العُلَماء: إنما عنى بذلك اليهود والنصارى، فَقَالَ أبو الحسن: سبحان الله، هل يجوز ذَلِكَ إذاً يدعونا إلى دينهم ويقولون إنَّهُ أفضل مِنْ دين الإسلام؟ فَقَالَ المأمون فهل عندك فِي ذَلِكَ شرح بخلاف ما قالوا ياأبا الحسن؟ فقَالَ: نعم الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وَنَحْنُ أهله وَذَلِكَ بيِّن فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ يقول فِي سورة الطلاق ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾[2]. فالذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وَنَحْنُ أهله، فَهَذِهِ التاسعة[3].

الرُّواية السَّادسة: ما أرسله العيّاشي بسنده عَنْ أبي حمزة عَنْ أبي جعفر عليه السلام: «﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ **يعني ولقد ذكرنا علياً فِي القُرآن وَهُوَ الذِّكر فما زادهم إلّا نفوراً**»[4].

فَعَلَيْهِ فالذكر صفة وحقيقة تعمّ حَتّى أوصاف ألفاظ القُرآن الكريم، بَلْ وتعمّ كيفية ترتيب القُرآن الكريم يعني فِي مقابل خطابه فِي مقابل اللهو والغناء والموسيقى والشرور، بَلْ الذكر يعمّ حَتّى الحالات

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧.

(٢) سورة الطلاق: الآية ١٠ ـ ١١.

(٣) عيون الأخبار: ص١٧٩ ب٢٣ ح١ عنه تفسير نور الثقلين للحويزي: ج٤، ص٦٨.

(٤) تفسير العيّاشي: ج٣، ص٥٣، ح٧٨.

النفسيّة، بَلْ قَدْ مَرَّ إنَّ الذكر أم حقائق القُرآن العلوية.

الذكر صفة لمراتب وجودية متكثرة:

مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ يُعْلم أنَّ الذكر صفة لمراتب وجودية متكثّرة تبدأ مِنْ الصوت إلى أعماق الرُّوح، فمثلاً أحد أبعاد المادّة المعنويّة الخياليّة الموجودة فِي الشعر لَيْسَ فَقَطْ الوزن الصوتي لتفعيله ألفاظ الشعر، بَلْ هُنَاكَ أبعاد أُخْرَى للشعر؛ **أحدها**: ـ ارتسام المعاني الخيالية فيه.

وَعَلَيْهِ فَعِنْدَمَا يقول القُرآن [ذكر] يعني ليست معانيه خياليّة، وَإِنَّما الذكر معناه: ـ إنَّ مجموعة أصوات وألفاظ حُبكت فِي القُرآن الكريم تصبّ فِي تذكر الإنسان ولا تؤدي به إلى الخِفّة والمجون واللهو والاستهتار.

فَالقُرآن عِنْدَمَا يكون سبباً لإثارة الذكر فَإِنَّ إثارته للذكر ليست كإثارة الموسيقى والغناء الَّتِي هِيَ سبب لإثارة الغريزة الشهويّة، كَمَا فِي وصف رسول الله صلى الله عليه وآله للغناء وَأَنَّهُ رُقية الزنا، قَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله: **«الغِناء رُقيَة الزِّنا»**[(١)]، وَعَنْ الإمام الصادق عليه السلام **«الغناء يورث النفاق»**[(٢)].

بخلاف ترتيل القُرآن وتجويده وتفسيره و ... فإنَّها أسباب داعية إلى الذكر فَإِنَّ النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عِنْدَمَا كَانَ يقرأ القُرآن حين نزوله، فَإِنَّ قلوب رؤوس أئمة الكفر وفراعنة الأُمَّة أمثال أبي جهل وأبي سفيان

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٩ ص٢٤٧ ح٢٦.
(٢) المصدر السابق: ص٢٤٩ ح٧.

وشيبة وربيعة والوليد بن المغيرة وعتبة و ... الخ تصغي إلى القُرآن الكريم ولا يمتلكون أنفسهم وقلوبهم فَهِيَ تهوي وتصغي إليه، فَإِنَّ صوت ونغمة وترنيمة الْنَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وترتيله للقُرْآن كَانَ بنغمة ذكريّة وليست بنغمة مجونيّة لهوية ولا شعرية ولا خطابية ولا فوضويّة خلطيّة وَمِنْ هُنَا تبيَّن دقّة مَعْنَى الذكر وَأَنَّهُ مِنْ الصِّفات الكيفية أيضاً وهكذا الحال بالنسبة إلى باقي أئمة أهل البيت عليهم السلام إذَا قرؤا القُرآن يحدث لدى السامع موعظة وخشوع يجذب القلب.

ولذا وَرَدَتْ روايات تقول: نزل القُرآن بحزن فاقرؤه بحزن، أيّ النغمة الَّتِي يُقرأ فيها هِيَ أقرب إلى الحزن وأقرب إلى ترتيل القُرآن مِنْ النغمة الَّتِي فيها ابتهاج وسرور فَإِنَّ نغمة الحزن تثير الذكر.

ولذا وَرَدَ عَنْ عبدالرحمن بن سائب قَالَ: ـ قَدْ مَرَّ علينا سعد بن أبي وقّاص فأتيته مُسَلِّماً عَلَيْهِ فَقَالَ مرحباً بابن أخي بلغني أَنَّك حسن الصوت بالقرآن قلتُ: نعم والحمد لله، قَالَ: ـ فَإِنِّي سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه يقول: ـ «**إِنَّ القُرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه بكوا، فإنْ لَمْ تبكوا فتباكوا، وتغنّوا به فَـمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرآن فَلَيْسَ مِنَّا**»(١).

بتقريب: ـ إنَّ القراءة بصوتٍ حزين ليست فَقَطْ بخصوص قراءة القُرآن بَلْ حَتّى باقي الكتب السماويّة كَمَا فِي قول الصادق عليه السلام: ـ إِنَّ الله

(١) بحار الأنوار: ج٨٩ ب٢١ من أبواب كتاب القرآن: ص١٩١ ح٢.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى أوحى إلى موسى إذَا وقفتَ بين يديَّ فقف وقف الذليل الفقير، وإذا قرأت التوراة فاسمعنيها بصوت حزين، وَكَانَ موسى عليه السلام إذَا قرأ كَانَتْ قراءته حُزْناً وكأنّما يُخاطب إنساناً[1].

إذَنْ الذكر صفة للقُرْآن عَلَى معاني ومدارج كثيرة؛ ولذا هُنَاك فرق بين الألفاظ والكلمات المستعملة فِي الغناء وألحانها وأطوارها وبين مفردات ألفاظ القُرآن، فَإنَّ معاني ألفاظ ومفردات الغناء مجونيّة حَتّى لو لَمْ تُقرأ بأطوارها وألحانها الخاصّة بها وَإنَّما مُجرَّد ألفاظ وكلمات يرددها القارئ وإنْ لَمْ تكن بتنغيم حاذق ـ والعياذ بالله ـ توجب المجون والخفّة والطرب، وبالتالي فَهِيَ مُحَرَّمة فِي بحوث الفقهاء كَما فِي الشَّريعة الإسّلاميَّة المقدَّسة، بخلاف معاني مفردات الآيات القرآنيّة فَإنَّها توجب حصون الخوف وحصون الركادة التؤودة والوقار والسكينة فِي نفس القارئ لها.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ كُلّ شيء فِي القُرآن وبكل مراتبه وأبعاده وزواياه يُحْدِثُ ذكراً.

والخلاصة: إنَّ قَاعِدَة الذكر فِي القُرآن الكريم لها أبعاد عديدة كَما سوف يتّضح خلال البحث فمثلاً أحد أبعادها حَتّى فِي طريقة قراءة القُرآن الكريم فإنّها ليست كطريقة قراءة الشعر أو النثر؛ ولذا وَرَدَتْ

(١) المصدر السابق: ح٣.

توصية خاصّة ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ فِي قراءة القُرآن الكريم ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾[(١)]. بتقريب: ـ أَنَّ الترتيل وإِنْ كَانَ لَهُ معاني عديدة، بخلاف النثر فَإِنَّهُ لا يُرَتّل به، وَإِنَّما يرتجز به وَلَهُ هزائز، وَعَلَيْهِ نفس طريقة قراءة القُرآن سواء كَانَتْ تجويد أو ترتيل هِيَ بالحقيقة ذَاتَ صلة بكون القُرآن الكريم ذكر وأَنَّ طابع وَقَاعِدَة الذكر تأخذ شكلاً وإطاراً وقالباً فِي كُلّ صعيد بنحو خاص به، كَمَا وَرَدَ فِي روايات أهل البيت عليهم السلام فِي مَعْنَى الترتيل مثلاً، وَالمُرَاد فِي هَذَا الصعيد هُوَ الترتيب اللفظي لوجود قرينة فِي المقام قَالَ عليه السلام: **«بَيِّنه تبياناً لا تهذه هذَّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل»**[(٢)].

بتقريب: ـ إنَّ الشعر فيه نغمات وأصوات صاعدة ونازلة ممّا تُحدث هزهزة، ومثل هَذَا اتركه فِي قراءة القُرآن، واقرأ القُرآن عَلَى وتيرة واحِدَة مبيّنه، فَإِنَّ طور الأداء الصوتي للقُرْآن يختلف مِنْ زوايا عديدة مَعَ الشعر وَمَعَ النثر وَمَعَ ... الخ ولكن اقرأ القُرآن بترتيل فَإِنَّ هَذَا الطور الأدائي الصوتي يؤثّر فِي القلوب القاسيّة، وبالتالي يُسبب لها الذكر، حَتّى معارف القُرآن ليست كالمعارف الفلسفية فَإِنَّها أفكار تجريدية ونثر وانتشار للأفكار وتشتتها بخلاف المعارف القرآنية، فَإِنَّها نوع مِنْ نسق الأفكار بنحو يُؤدِّي بالإنسان إِلى الذكر، فَحَتَّى فِي باب العقائد والمعارف

---

(١) سورة المزّمل: الآية ٤.

(٢) الكافي: ج٢، ص٥٧٨، ترتيل القرآن بالصوت الحسن، بيّنه تبياناً: ـ دَلَّ على أن الترتيب هو إخراج الحروف من مخارجها، والهزّ هو سرعة القطع، والرمل عند نثره يقع متباعد الحبّات أراد التنبيه على أنْ الترتيل هو إخراج الحروف من مخارجها بحيث تظهره متميزة عن بعضها البعض.

فَقَدْ يكون الإنسان متشاغلاً بها ولكن هَذَا التشاغل لَيْسَ كشاكلة المنظومة القُرآنية أيّ بما يُحْدث لَهُ ذكراً، وهكذا العابد قَدْ يتشاغل فِي عبادته، ولكن أيضاً فِي بَعْض حالات الإنسان وَهُوَ متلبس بالعبادة إلَّا أنَّها ليست ذكراً، ولذلك آخر ما استقرّت عَلَيْهِ سُنة الْنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا فِي روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي استحباب صوم يوميّ الاثنين والخميس، وَكَانَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يصومها أو يصوم أيام البيض أو كُلّ أربعاء و ... إلَّا أنَّهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَمَا يصومها كعبادة يُحْدِث لَهُ ذكراً بخلاف ما إذَا صام الإنسان أيام شهر رجب أو شعبان فَإنَّهُ يستحب صيامها إلَّا أنَّهُ يُقطِّع صيامه وَلابُدَّ أنْ يستثمر ويتحسّس حالة الذكر حينما يتقطّع خلال الصَّوم، أمَّا إذَا لَمْ يحدث لَهُ حالة الذكر فحينئذٍ يصبح الأمر عادة اعتادها خاصّة إذَا تعوّد أنْ يصوم يوماً ويفطر آخر، وَهَذَا بالتالي يكون أكثر شائكة عَلَى الإرادة.

وهكذا مثل صلاة الليل فَإنَّ الْنَّبِيّ الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يصلها فِي مجلس وَوِرْد واحد وَإنَّما يُقَطّعها إلى ركعتين ركعتين حَتّى يستثمرها ويجني مِنْهَا ثمرة الذكر والتوجّه والانقطاع إليه تَعَالَى، وَإلَّا إذَا لَمْ تحدث لَهُ حالة الذكر يصبح الأمر أنْ ينام الإنسان ثمَّ يقوم ثمَّ ينام، وهكذا لا يستفاد مِنْهُ شيءٌ.

وَمِنْ باب الكلام يجرّ الكلام نذكر: ـ أنَّ مسألة تقطيع وتفريق صلاة الليل هُوَ أمر شاقّ عَلَى الإنسان، وفي رواية عَنْ الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«إنَّما عَلَى المؤمن أنْ يأتي بالصلاة ولو فِي وردٍ واحِدٍ ثمَّ يذهب حَيْثُ يشاء»**

وإنْ كَانَ هَذَا أدنى درجات الفضيلة، إلَّا أَنَّهُ إذَا أراد أنْ يستوحي مِنْ الصَّلاة الذكر فَعَلَيْهِ بالتفريق بين ركعاتها حَتّى تحدث لَهُ حالة الذكر.

وَهُنَاك رواية مضمونها: ـ أنَّ زرارة بن أعين قَالَ للإمام الصادق عليه السلام صليتُ نوافل الظهر وفريضتها ونوافل العصر وفريضتها دفعة واحدة وبلا فاصل، وَكُنْت صائماً ولما خرجتُ ومررتُ مِنْ بَعْض مساجد المدينة وجدتُ أنَّهم لَمْ يصلوا الظهر بَعْدُ، فَقَالَ لَهُ الإمام الصادق عليه السلام: «**إيّاك أنْ تعود لمثل هَذَا**».

بتقريب: ـ إنَّهُ ما الثمرة فِي أداء هكذا مستحبات ونوافل وواجبات بلا إحداث حالة الذكر وإنْ كَانَ الذي يأتي بها أفضل ممن لا يأتي بها أصلاً، إلَّا أنَّ الذي يأتي بها إذَا أراد أنْ يستوحي مِنْ الصَّلاة حالة الذكر والتوجّه فَعَلَيْهِ بالفصل بين ركعاتها ـ كُلّ اثنين عَلَى حِدَة مَعَ الفاصل ـ مَعَ مراعاة عدم خروج وقت الفضيلة.

وَعَلَيْهِ فحتى الطقس العبادي لَهُ نمط بوصف القُرآن يمكن أنْ يؤدِّي إلى حالة الذكر القلبي وَالرُّوحي والأخلاقي، ولذا فَإنَّ كُلّ صعيد مِنْ الأصعدة لَهُ نمط خاصّ مِنْ الممارسة.

الإعجاز البلاغي فِي القرآن

إعجاز القُرآن البلاغي

إنَّ قَواعِد الذكر لَمْ تبحث بالمستوى المطلوب إلى الآن ـ وللأسف ـ لا مِنْ قِبَل عُلَمَاء البلاغة، ولا عُلَمَاء النحو، ولا الصرف، ولا المنطق ولا التجويد ولا الترتيل ولا غيرها فَلَمْ يستطيعوا بحث قَاعِدة الذكر فِي مجالات عديدة مِنْ علوم عديدة لآليات عديدة تُحدِثُ الذِكْرِ.

وإنْ كَانَ عدم توصلهم إلى ذَلِكَ هُوَ أحد أسباب إعجاز القُرآن، بخلاف الشِعْر مثلاً، سواء مِنْ جهة التركيب الصوتي أو جهة المعنى، أو سائر تراكيبه، أو مثل قَواعِد علم المنطق، أو فن الخطابة وَقَواعِد الجدل والمغالطة وغيرها.

فَإنَّ آليات عملها وتعدّد جهاتها فِي علوم وفنون عديدة تَمَّ اكتشافها، بخلاف قَواعِد الذِكر فَإنَّها لَمْ تكتشف، فَهَذَا هُوَ أحد المعاني الَّتِي تُفَسِر بها إعجاز القُرآن اللغوي والبلاغي.

وَعَلَيْهِ فما هِيَ القواعدالبلاغيّ ﷺ الَّتِي يمكن أنْ تؤثّر وتُجْمَع وتُنَظِّم وتؤدّي إلى التأثير فِي إحداث الذكر؟

ولكن إلى الآن لَمْ يبحثها عُلَمَاء البلاغة، لذلك لا زالّ سر مَعْرِفة إعجاز القُرآن بابٌ مسدود أمام عقل البشر وفكره ونظره.

فَإِنَّ الأسلوب القُرآني الرائع إذَا أخذته مِنْ أي اتّجاه مِنْ اتّجاهات علوم اللُّغَة والأدب بلاغةً أو نحواً، أو صرفاً، أو اشتقاقاً وغيرها.

فَإِنَّ هَذِهِ الاتّجاهات وَالقَوَاعِد موجودة فِي نظام ألفاظ القُرآن الكريم وتؤدّي إلى الذكر، إنْ استُعْمِلتْ وفق موازين قَاعِدَة الذكر، إلَّا أنَّهُ إلى الآن لَمْ يخض عُلَمَاء هَذِهِ الفنون فِي بحث وبيان هكذا قَواعِد.

فمثلاً قوله تَعَالَى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾(١)، وقوله تَعَالَى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾(٢).

فَفِي هَذِهِ الآيات الْمُباركة وغيرها احتمالاتٌ أبداها الكفّار فِي التعرُّف عَلَى حقيقة القُرآن.

حقيقة الإعجاز فِي القرآن وصلة ذلِكَ بأن حقيقته ذكر:

الاحتمال الأوّل: قوله تَعَالَى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾(٣) قالوا أضغاث أحلام حَيْثُ أنَّهم رأوا أنَّ القُرآن مُشتمل عَلَى تنبئات فعزَوها إلى أنَّها حصيلة مِنْ رُأى مناميّة غَيْر معلومة الصِدق، فَإِنَّ القُرآن الكريم فيه

(١) سورة يوسف: الآية ٤٤.
(٢) سورة سبأ: الآية ٨.
(٣) سورة يوسف: الآية ٤٤.

أضغاث أحلام؛ لِأنَّ القُرآن وإنْ كَانَ فيه تصوير وإنذار شبيه بالمشهد المنامي والحلم الذي يُحْلِمُهُ النائم الذي يُنبئُهُ عَنْ شيء ويحكي عنه، ولكن القُرآن لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإنَّ القُرآن الكريم يُنبئك ويؤدِّي بك إلى الذكر.

الاحتمال الثَّانِي: قوله تَعَالَى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[1] وقوله تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾[2].

فَإنَّ الافتراء: شبيهٌ بالأسلوب القصصي الأسطوري الخرافي، بخلاف القُرآن فَإنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ؛ وَإنَّما للقُرْآن أسلوبه وأدبه الخاص، وَالقُرآن وإنْ كَانَ به أسلوباً قصصياً ولكن قصصه تؤدّي إلى الذكر وَإلى حقائق تختلف عَنْ قصص وكتابات الروائيين والقصصيين فِي قصة المسرح، أو الأفلام فَإنَّها رواية أسطوريّة تداعب الخيال والوهم بخلاف ذكر القُرآن وحبكه لقصّة قُرآنيّة حباكةً تُؤدِّي إلى الذكر.

وَعَلَيْهِ فَقَواعِد أسلوب القُرآن الكريم تختلف عَنْ قَواعِد كتابة القصّة الروائيّة الأسطوريّة، وللأسف فَإنَّ كثير مِنْ المُفسرين يظنّون أنَّ القُرآن الكريم عِنْدَمَا يُعبِّر فِي قَاعِدَة الأمثال وضَرْبها ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾[3].

---

(١) سورة سبأ: الآية ٨.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٤.
(٣) سورة الحشر: الآية ٢١.

بتقريب: ـ فإنَّهم ـ المفسرون ـ يزجّون بالآيات والسور وتفسيرها إلى نظام القصّة الرُّواية ـ والعياذ بالله ـ ومثل هكذا زجٌّ خطأ وخطر كبير مترتِّب عَلَيْهِ وَهُوَ: ـ إنَّهُ سوف تُبْنى هَذِهِ الحقائق عَلَى أنَّ معاني القُرآن ليست حقائق، وكأنَّهم بين نارين:ـ

نارُ الحقائق ونار الخرافات والأسطورات، وَهَذَا مِنْ المباحث الحسّاسة وَالُمهِمَّة جدّاً، وبالتالي نصل إلى هَذَا الأمر الحسّاس والخطير وَهُوَ وجود الفرق بين أسلوب القُرآن فِي أصعدة عديدة لفظية صوتيّة ترتيبيّة ذو معاني وعلوم وفنون ومهارات تختلف عَنْ أساليب القصصيين أو البلاغيين أو المؤرّخين وغيرهم.

وبالتالي فَإنَّ فنّ الذكر غَيْر فن الأسطورة وفن القصّة.

الاحتمال الثَّالِث: قوله تَعَالَى ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾[1] بتقريب: ـ أيّ نسيج قوّة الخيال كَمَا هُوَ الحال فِي الشعر فَإنَّ أعذبهُ أكذبه، حَيْثُ يقوم الشاعر بتلفيق وترتيب صور بتصرّف مِنْ قوّة الخيال والمخيَّلة، يتوخّى فيها قوّة الإثارة والاستقطاب الرُّوحي لكن بدعاية التصوير ورسم المعاني والصور بنحو يُثير الحفيظة ويُحرِّك ويُهيِّج الأحاسيس، وَهَذَا بعيد كُلّ البُعد عَنْ حقيقة القُرآن، فَإنَّهُ لا يعتمد إلَّا عَلَى رباط الحقيقة وترابط الحقائق وانتظام الواقعيّة بالواقعيات.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٥.

نعم كشفه للمجهولات مِنْ الحقائق فِي العوالِم المختلفة مهولٌ مُذْهِلٌ مُثيرٌ مُقرِعٌ لا بدعاية أوهام الخيال الَّتِي قَدْ تُنْشِئ عوالِم مِنْ سراب، وأين هَذَا مِنْ صور للحقائق لا تحزم المطابقة للحقائق قيدُ شعرَة.

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[1].

بتقريب: ـ أنَّ الُملفت فِي الآية الُمبارَكَة بَعْدَ نفي كون حقيقة القُرآن مِنْ الشعر بيَّنت الآية الُمبارَكَة: ـ أنَّ حقيقة القُرآن: ـ

أوَّلاً: إنَّهُ ذكرٌ.

ثانياً: إنَّهُ قرآن مبينٌ، فحقيقة الذكر أصل فِي واقعية القُرآن.

ثالثاً: أمَّا بالنسبة إلى تراكيب القُرآن المقروءة، والبيِّنة الدلالة فَهِيَ فرعٌ ثانٍ وبالتبع لحقيقته الأولى، ووصفه ليُنْذِر مَنْ كَانَ حيّاً مناسباً لحقيقته الأولى وَهُوَ كونه ذكر، كَمَا أنَّ فِي ذَلِكَ إشارة إلى أنَّ التركيب الذكري لألفاظ القُرآن لارتباط ذَلِكَ التركيب بالحقيقة العينية لَهُ، وَالَّتِي هِيَ حقيقة الذكر.

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ

---

(١) سورة يس: الآية ٦٩.

وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾[١].

بتقريب: ـ إنَّ الساحر قوّته محدودة، وأفكاره وصفاته منحرفة، ولّما كَانَ السحر عملاً مُنحرفاً، وفيه نوع مِنْ الخدعة والمكر، فإنَّهُ يحتاج إلى وضع روحي ينسجم معه، فَإنَّ الساحر خدّاع ماكر يمكن معرفته بسرعة مِنْ خلال مطالعة نفسيته.

والنتيجة: إنَّ كُلّ ما يحصل عَلَيْهِ الساحر مِنْ سحره هُوَ خيال باطل لا حقيقة لَهُ ولا سعادة يظفر بها فِي أمر خيالي موهوم لا واقع حقيقي لَهُ.

الاحتمال الرَّابع: قوله تَعالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾[٢].

بتقريب: ـ إنَّ القُرآن عبارة عَنْ تلفيق مشترك مِنْ النَّبيّ ﷺ ومعونة آخرين ومُنْتَجٌ مِنْ المجموع، وَهَذَا الاحتمال يُلْحِظُهُ خروج هَذَا المنظوم القُرآني بتركيبه وعِظَم معانيه وحقائقه عَنْ قدرة البشر، وَقَدْ تصدّى القُرآن لِرَدّ هَذَا الاحتمال فِي عِدَّة موارد كقوله تَعَالَى: . ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[٣] وكقوله تَعالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ

---

(١) سورة طه: الآية ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٤.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾[1].

الاحتمال الخامس: قوله تَعَالَى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾[2].

بتقريب: ـ احتمل الكفّار أنَّ منبع حقيقة القُرآن هُوَ الكتب الموروثة مِنْ القرون القديمة، سواء كَانَتْ سماويّة كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وآدم وغيرها، أو كَانَتْ بشرية.

فأجابهم القُرآن الكريم: بأنَّ هَذِهِ المعلومات الموجودة فِي القُرآن هِيَ أسرار فِي شؤون السماوات والأرض ليست بمقدرة البشر.

الاحتمال السَّادِس: قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[3].

بتقريب: ـ ما قاله علي بن إبراهيم القمّي فِي تفسيره: ـ وَهُوَ لسان: أيّ فكيهة مَوْلَى بني الحَضْرَمي كَانَ أعجمي اللسان، وَكَانَ قَدْ اتّبع نبي الله وآمن به، وَكَانَ مِنْ أهل الكتاب، فقالت قريش هَذَا ـ والله ـ يُعَلِّمُ

---

(١) سورة هود: الآية ١٣.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٥.
(٣) سورة النحل: الآية ١٠٣.

محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلّمة بلسانه يقول الله ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[(١)].

الاحتمال السَّابع: قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾[(٢)].

بتقريب: ـ إنَّ هَذَا الاحتمال يغاير احتمال الكهانة الآتي ذكره، فِي أنَّ مُؤَدّى هَذَا الاحتمال فِي أنَّ القائِل به يُسَلِّم أنَّه مِنْ عِنْدَ الله، ولكن يزعم احتمال دخول الشياطين فِي عملية التنزيل، وَهَذَا ما يرفع الأمان والاطمئنان عَنْ كونه كلام الله، وَأنَّهُ لَمْ يتغيّر وَلَمْ يتبدل بخلاف الكهانة، فإنَّها ـ كَمَا سيأتي ـ قول تنشأه الشياطين.

وملخَّص هَذَا الاحتمال أنَّ الكفّار احتملوا أنَّ القُرآن ـ والعياذ بالله ـ مِنْ إيحاء ووحي الشياطين، إلَّا أنَّ القُرآن الكريم رَدَّه بردّين:

أحدهما: إنّهم ـ الشياطين ـ لا يتمكنون مِنْ تنزيل القُرآن، وَذَلِكَ لِأنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عازلٌ للشياطين عَنْ توكيلهم فِي أيّ مأمورية إلهيّة، وما ينبغي لله تَعَالَى أنْ يوكّلهم فِي ذَلِكَ إذْ هُوَ خلاف الحكمة والرُشد، إذْ لا يتناسب الكلام والوحي الإلهي الذي هُوَ مِنْ سنخ النور مَعَ استيهان مخلوقٍ لا حيطة ولا إحاطة لَهُ بِهَذَا السنخ مِنْ النور الإلهي.

والآخر: إنَّ الشياطين ـ كَذَلِكَ ـ لا قُدرة لهم، بَلْ ولا تمكن لهم مِنْ

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٩٢.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٢.

تلقي الوحي الإلهي وإيصاله إلى النَّبيّ ﷺ، وَذَلِكَ لعزلهم وحجبهم عَنْ القدرة والتمكّن مِنْ سمع الوحي والكلام الإلهي، وَهَذَا نظير قوله تَعَالَى فِي نفس سورة الشعراء: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾(١).

بتقريب: ـ إنَّ الشياطين وإنْ حاولوا السمع إلَّا أنَّهم لا يتمكنون مِنْهُ، كَمَا أنَّهم لا يتمكنون مِنْ النزول عَلَى النَّبيّ ﷺ؛ لِأنَّ المَهْدَ البشري الذي يتمكّنون مِنْ النزول عَلَيْهِ هُوَ كُلّ أفّاك منغمِسٌ بالإثم والآثام، وَقَدْ علمت قريشٌ أربعين عاماً أنَّ النَّبيّ ﷺ هُوَ الصادق الأمين، فكيف تتمكّن الشياطين مِنْ التمكّن عَلَيْهِ.

وَهَذِهِ سننٌ تكوينية يفصح عنها القُرآن الكريم، وَهِيَ نظير قوله تَعَالَى أيضاً ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾(٢).

بتقريب: ـ إنَّهم ـ الجنَّة ـ فِي العجز مقيمون ومسيطر عليهم، فأنّى لهم تلك القدرة والسيطرة.

الاحتمال الثَّامِن: قوله تَعَالَى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾(٣).

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢١ ـ ٢٢٣.

(٢) سورة الصّافات: الآية ١٥٨.

(٣) سورة يونس: الآية ٢.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾[1].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١﴾[2]. بتقريب: ـ إنَّ هَذَا الاحتمال هُوَ الآخر يُغاير الكهانة، كَما يُغاير تنزّل الشياطين به، ووجه المغايرة: ـ بين الكهانة وتنزّل الشياطين، فَقَدْ مَرَّ بيانه آنفاً ـ وأمّا السحر: فَلَيْسَ هُوَ مِنْ إنشاء الشياطين كالكهانة، ولا مِنْ وساطة الشياطين فِي تنزيل الوحي الإلهي، بَلْ عبارة عَنْ أنَّ هَذَا القُرآن تراكيبه جذَّابة ومؤثِّرة كتركيب كتابة العزائم والطلّسمات ـ والعياذ بالله ـ وَمِنْ قبيل النفث بالعُقَدِ المعقودة للسحر، ويشير إلى هَذَا القول قوله تَعَالَى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾[3].

بتقريب: ـ حَيْثُ رأى زعماء قريش أنَّهم لا يملكون أنفسهم مِنْ

---

(١) سورة ص: الآية ٢.

(٢) سورة طه: الآية ٦٩ ـ ٧٢.

(٣) سورة المدّثر: الآية ١١ ـ ٢٥.

جاذبيّة استماع القُرآن كلّما تعاهدوا بينهم أنْ لا يستمعون إلى القُرآن ينكث كُلّ منهم عهده فيذهب للاستماع إليه حَتّى انفضح أمرهم فيما بينهم مَرَّات وكرّات، وجرى مثل ذَلِكَ للوليد بن المغيرة، وَكَانَ الوليد شيخاً كبيراً مجرباً مِنْ دهاة العرب، وَكَانَ مِنْ المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله، وَكَانَ رسول الله يقعُد فِي الحجر[1] ويقرأ القُرآن، فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة، فقالوا: يا أبا عبد شمس ما هَذَا الذي يقول مُحَمَّد؟ أشِعْرٌ هُوَ أم كِهانة أمْ خُطَب؟ فَقَالَ دعوني أسمع كلامه، فَدَنا مِنْ رسول الله صلى الله عليه وآله فَقَالَ: ـ يا مُحَمَّد أنشدني مِنْ شعرك، قَالَ: ما هُوَ شعر، ولكن ـ ولكنَّه ـ كلام الله الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه ورُسُله، فَقَالَ: إتلُ عليَّ مِنْهُ شيئاً، فقرأ عَلَيْهِ رسول الله صلى الله عليه وآله «حم السجدة، فَلَمّا بلغ قوله ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾[2]. يا مُحَمَّد يعني قريشاً ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[3].

قَالَ: فاقشعر الوليد، وقامت كُلّ شعرَةٍ عَلَى رأسهِ ولحيته، وَمَرَّ إلى بيته وَلَمْ يرجع إلى قريش مِنْ ذَلِكَ، فمشوا إلى أبي جهل، فقالوا يا ابا الحكم: ـ إنَّ أبا عبد شمس صبا[4] إلى دين مُحَمَّد، أمَّا تراه لَمْ يرجع إلينا؟ فغدا أبو جهل إلى الوليد فَقَالَ لَهُ: يا عم نكست رؤوسنا وفضحتنا،

(١) حجر إسماعيل عليه السلام في البيت الحرام.
(٢) سورة فُصِلت: الآية ١٣.
(٣) سورة فُصّلت: الآية ١٣.
(٤) صبا فلان أي خرج من دين الى دين آخر.

وأشمتَّ بنا عدوّنا وَصَبَوْتَ إلى دين مُحمَّد؟ فَقَالَ ما صبوتُ إلى دينه ولكن سمعت كلاماً صعباً تقشعر مِنْهُ الجلود، فَقَالَ أبو جهل: أَخُطَبٌ هُوَ؟ قَالَ لا، إنَّ الخُطبَ كلام متّصل وَهَذَا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً، قَالَ فشعر هُوَ؟ قَالَ: لا أمَّا إنِّي سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورجزها وما هُوَ بشعر، قَالَ: دعني أفكّر فيه، فلما كَانَ مِنْ الغد قالوا لَهُ: يا أبا عبد شمس ما تقول فيما قلناه؟ قَالَ: قولوا هُوَ سحرٌ فَإِنَّهُ أخذ بقلوب الناس، فأنزل الله عَلَى رسولهﷺ فِي ذَلِكَ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ وَإنَّما سُمّي لِإنَّهُ قَالَ لقريش: إنِّي أتوحّد بكسوة البيت سنة، وعليكم بجماعتكم سنة ...»[١].

وَقِيلَ فِي سبب النزول: ـ أنَّ الوليد انطلق حَتّى أتى مجلس قومه مخزوم، فَقَالَ والله لقد سمعت مِنْ محمدٍ آنفاً كلاماً ما هُوَ مِنْ كلام الأنس، ولا مِنْ كلام الجن، وإنَّ لَهُ لحلاوَة، وأنَّ عَلَيْهِ لطلاوة[٢] وإنَّ أعلاهُ المثمر وإنَّ أسفله لمعذق[٣] وَأَنَّهُ ليعلوا وما يُعْلى، ثمَّ انصرف إلى منزله[٤].

فخافت قريش أنْ ينتشر قول الوليد فيؤمن الناس بمحمدﷺ

(١) تفسير القمي: ٢/ ٢٩٢ مع اختلاف يسير.

(٢) الطلاوة: الحُسْن والبهجة والقبول.

(٣) والغدق: كُلّ غصن له شعب، والمذق المعنى أزهر.

(٤) تفسير القمي: ٢/ ٣٩٣ مع اختلاف يسير مع المطبوع، وتصرّف بسيط، عنه تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني: ج٨، ص١٥٧، تفسير نور الثقلين للحويزي: ج٨، ص٤٨، ٤٩.

فألحّوا عَلَى الوليد أنْ ينال مِنْ مقام الرسولﷺ، فأجابهم، وماذا أَقُوُل عنه؟ هل أَقُوُل مجنون؟ وَمَنْ يُصَدِّق؟ أم أقول: كاهنٌ وما تكهّن قط، أم أَقُوُل شاعر وما نطق بالشعر، أم كاذب وما جُرِّبَ عَلَيْهِ أحدٌ شيئاً مِنْ الكذب ... ثمَّ فكَّر ـ الوليد بن المغيرة ـ فلاح لَهُ أنْ يصف رسول اللهﷺ بالساحر وَأَنَّهُ أخذ القُرآن عَنْ الكهنة والسَحَرة، ما هُوَ إِلَّا ساحر ما رأيتموه يُفرِّقَ بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما يقوله سحرٌ يؤثِّر عَنْ أهل باب فتفرقوا معجبين مِنْهُ[1].

فأجاب القُرآن عَنْ ذَلِكَ: بأَنَّ هَذِهِ سُنّة الأقوام المختلفة فِي جحودهم وإنكارهم لأنبيائهم حَيْثُ يرون مَدَى تأثير الأنبياء وانجذاب المؤمنين لهم، بَلْ انجذابهم ـ الكافرون ـ أنفسهم للأنبياء رغم جحودهم لهم، وإنْ لَمْ يكن انجذاب تسليم وانقياد، فيعزون هَذَا التاثير إلى السحر كَمَا فِي قول فرعون للآيات المعجزة الَّتِي شاهدها مِنْ الْنَّبِيّ موسىعليه السلام وبوتيرة واحِدَة، فَإِنَّ الكفّار الجاحدين لعالَمَ الآخِرَة عِنْدَمَا يُشاهدون لمعان نور الغيب الظاهر فِي معجزات الأنبياء كَمَا هُوَ الحال فِي معجزة القُرآن لا يتمالكون أنفسهم ولا يُنكرون التأثير والإنجذاب ولكنَّهم يجحدون كون هَذَا التأثير مِنْ عالم غيب الملكوت، فَهَذَا الاحتمال والقول يتضمَّن وينطوي عَلَى الإقرار بقدرة وقوّة المعجزِة كالقرآن وإنْ جُحِدَ التسليم بها وبحقيقتها.

---

(١) مجمع البيان للطبرسي: ج١٠/ ٥٨٤.

الاحتمال التَّاسِع: قوله تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾(١).

وقوله تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾(٢).

بتقريب: ـ إنَّ هَذَا الاحتمال فِي الغالِب يُطلِقهُ المعانِدون، وَهُوَ الجنون مردّدين بينه وبين الشِعْر، أو السِّحْر، أو شيء آخر مؤثِّر؛ فإنَّهم بَعْدَ أنْ يعترفوا بالتأثير إلَّا أنَّهم يريدوا أنْ يوصموا حقيقة القُرآن بالعشوائية والفوضى واضطراب المعلومات وإرباك المضامين لِأنَّ هَذَا هُوَ طابع وضابط الجنون ـ والعياذ بالله ـ إلَّا أنَّ فسق نظام المعلومات فِي القُرآن وعظمته يدحض قول هؤلاء المعاندين، فَإنَّ نسق النظام المعلوماتي فِي كُلّ حقل يتحدّث عنه القُرآن، وَعَنْ كُلّ عالم يُفيض فِي شؤونه علوم القُرآن فلعجزهم وتعاجزهم عَنْ الإحاطة بِهَذَا الهول مِنْ المعلومات والحقائق يرتبكون ويضطربون وتعْشُ عقولهم عَنْ التمكّن مِنْ وعي أدنى مستوى مِنْ هَذِهِ المعلومات، فيصفون الحال الَّتِي تصيبهم ويلصقونها بالقُرآن.

الاحتمال العاشر: قوله تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ

---

(١) سورة الطور: الآية ٥٥.

(٢) سورة الصّافات: الآية ٣٦ ـ ٣٧.

بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى
مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ
يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ
﴿٣٤﴾﴾[1].

وقوله تعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ
﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ
ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ
حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾[2].

بتقريب: ـ إنَّ هَذَا الاحتمال ـ كَمَا مَرَّت الإشارة إليه إجمالاً ـ فهُوَ عبارة عَنْ وصف حقيقة القُرآن بحالةِ الكهانة والكهان، حَيْثُ يرتاض الكاهن بالاتصال بأحد مَرَدَةِ الشياطين فيغوص فِي خِلْسَة الغيبوبة عِبر حركات ورياضات لكي ينقطع عَنْ الحسّ الظاهر إلى الحسّ الباطن فيتمّ اتّصاله بمارِد الشياطين، ثمَّ يقوم ذَلِكَ الشيطان بالإيحاء بالأقوال إلى ذَلِكَ الكاهن، فيصحوا ويُخبر عمّا أخبره ذَلِكَ المارد مِنْ الشياطين.

ويجيب القُرآن الكريم عَنْ هَذَا القول بقوله تعالَى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ

---

(١) سورة الطور: الآية ٢٩ ـ ٣٤.

(٢) سورة الحاقّة: آية ٤٠ ـ ٤٨.

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[١].

بتقريب: ـ إنَّ الأنس مَعَ كونهم أقوى فِي القوى العقلية مِنْ الجن لو اجتمعوا جميعاً لما استطاعوا أنْ يأتوا بسورة واحدة، وَهَذَا ما أشارت إليه الآية المُبارَكَة ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[٢].

وكذلك قوله تعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

بتقريب: ـ إنَّهُ إذَا كَانَ جميع الإنس متظاهرين بشركائهم مِنْ جميع الجنّ وغيرهم لا يستطيعون أنْ يأتوا بسورةٍ مِنْ مثله فكيف بما وَرَدَ مِنْ مَرَدَةِ الشياطين تكون لَهُ القدرة.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٨ ـ ٣٩.

السر فِي عدم اكتشاف إعجاز القرآن

إنَّ إعجاز القُرآن الكريم البلاغي مثلاً معناه البحث عَنْ سببه وتفسيره؟ فَقَدْ حارت العقول فِي اكتشاف القَوَاعِد البلاغية والنظام البلاغي فِي القُرآن، وكذا حارت فِي اكتشاف النظام اللغوي والصرفي والنحوي و ... الخ فِي القُرآن.

نعم قَواعِد علم البلاغة والنحو والصرف وَاللُّغَة والاشتقاق و ... الخ معروفة فِي علومها كُلّ بحسبه وَهِيَ قَواعِد مارسها القُرآن الكريم، وَهَذَا لا ينكره أحدٌ والكلام لَيْسَ فيما عُرِف مِنْ القَوَاعِد المختلفة لعلوم مُخْتَلِفَة واستخدمها القُرآن الكريم وَإِنَّما الكلام فِي القَوَاعِد الأدبيّة مِنْ بلاغة ونحو وصرف ولغة واشتقاق و ... الخ المُفَعَّلَة فِي القُرآن الكريم وَلَمْ تكتشف إلى الآن وَهِيَ مجهولة وبالتالي هِيَ غَيْر مقدروة، وَمَعْنَى العجز يعني عدم القدرة، وعدم القدرة أحد الأسباب السياسيّة فِي كون القُرآن معجز.

وَمَعْنَى عدم القدرة يعني الجهل وعدم العلم ببلاغة القُرآن الكريم فَإِنَّهُ مُعْجِزٌ، وكذا أسلوب النظام الأدبي فَهُوَ معجز أيضاً. وسبب العجز هُوَ عدم امتلاك كُلّ أجيال البشر إلى يَوْم القيامة، القدرة عَلَى العلم بقواعدالعلوم تفصيلاً، وإنْ عُلِم مِنْهَا شيئاً بسيطاً بما يتماشى مَعَ

استفادته مِنْ القُرآن الكريم.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الأساس فِي عدم القدرة هُوَ عدم العلم بتمام ومجموع القَوَاعِد لعلوم مُخْتَلِفَة فِي القُرآن مِنْ اللغوية والأدبيّة والصرفية والنحوية والاشتقاقية و ... الخ الَّتِي استثمرها وأعملها القُرآن فِي نظامه الأدبي والبلاغي واللغوي و ... الخ.

وَعَلَى هَذَا يترتّب أمراً آخر ألا وَهُوَ أنَّ هَذَا الجهل وعدم العلم بقواعد العلوم كالبلاغة وغيرها فَهَذَا معناه أنَّ القُرآن الكريم لَمْ يُحَدِّد معالمه اللغوية والأدبيّة، وَإلى الآن لَمْ يتحدَّد وَلَمْ يعرف ما هُوَ أُسلوب القُرآن هل هُوَ أسلوب شعر؟ كلا لَيْسَ بشعر هُوَ أُسلوب قصصي؟ كلا، هل هُوَ أسلوب نثري مسجّع القوافي؟ كُلّ، لَيْسَ ذاك و ... الخ.

إذَنْ لَمْ تكتشف إلى الآن تمام منظومة قَواعِد البلاغة والنحو والصرف وَاللُّغَة والاشتقاق و ... إذْ لو اكتُشِفَت لاستطاع البشر أنْ يأتوا بمثل القرآن، وَعَلَيْهِ فَالقُرآن منظومة خاصّة مترابطة مِنْ الصوت إلى الهيأة إلى المعنى إلى الجو القرآني كُلَّهُ برسم هندسي إلهي خاص، وباعتراف عُلَمَاء النحو والصرف والبلاغة وَاللُّغَة و ... الخ وأنّهم يُذعِنون أنَّ هُنَاك بحوثاً نحويّة وصرفية و .. فِي القُرآن لَمْ يستطع علماء هَذِهِ الفنون أنْ يضبطوها وَهِيَ حتماً عَلَى القَوَاعِد، ولكن تلك القَوَاعِد الَّتِي بُني عَلَيْهَا إعراب القُرآن أو اشتقاقه لَمْ تكتشف كُلَّهَا بَعْدُ، بَلْ حَتّى توجد اشتقاقات للمصادر فِي القُرآن وَهِيَ قليلة الاستعمال مَعَ أنّنا عِنْدَمَا

نقرأها فِي القُرآن الكريم نقرأها بكُلِّ طراوة وبلاغة وجمال بديعي رهف، ولكن مَعَ ذَلِكَ حَتّى فِي يوميات الأدب العربي تتقاصر عَنْ الاستثمار والاقتباس مِنْ هَذِهِ البدايع البلاغيّة، فَإِنَّ هَذِهِ الاشتقاقات خلّابة وبديعة وعجيبة جداً فِي القُرآن.

تنبيه: إيّانا أنْ نتوهم أنَّ الإعجاز الأدبي محصور فَقَطْ وَفَقَطْ فِي علم البلاغة مِنْ معاني وبيان وبديع كلا، وَإِنَّما الإعجاز الأدبي أحد مباحث قَواعِد علم التفسير، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ تفسير الإعجاز القرآني لا ينحصر بعلم مِنْ علوم الأدب، فَإِنَّ القُرآن الكريم فيه نحو تراكيب وَقَواعِد نحويّة وبلاغية وصرفية واشتقاقية و ... الخ يعجز عُلَماء ومُتخصّصوا كُلّ فن عَنْ اكتشافها وإنْ كَانَتْ هَذِهِ العلوم مُتقاربة وموادّها اللغوية جزلة وخلّابة وموجودة فِي القُرآن، فَإِنَّ الإنسان العربي وغيره تتقاصر هممهم أو قدراتهم عَنْ الاستفادة مِنْ تلك المواد، بينما القُرآن استعملها واستفاد مِنْ تلك القَواعِد أعظم استفادة حَتّى وصلت إلى حدّ الإعجاز.

إذَنْ هُنَاكَ أبعاد عديدة فِي الحقيقة فِي القُرآن فِي جانب علوم الأدب وغيرها أعجزَ القُرآن علماءَ تلك العلوم مِنْ أنْ يحيطوا بنظام منظومة القَوَاعِد المرئية فِي القُرآن الَّتِي استخدمها وفَعَّلَها وأعجز البشر عَنْ إدراك قوّتها وجمالها وبديع بريقها فِي أبعاد مُخْتَلِفَة، واللطيف أنَّ الجامع لها كُلَّهَا هُوَ عنوان الذكر أيّ أنَّ أسلوب ومعلم معالم القُرآن هُوَ الذكر.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قراءة القُرآن لا تُحْدِث للإنسان طرباً ولا خِفَّة ولا مجون ولا إثارة الغضب ولا إثارة للشهوة، وَإِنَّما فِي قراءة القُرآن توجد إثارة لدفائن العقول ومنسي الفطرة، وَإِلى الآن لَمْ يتمكَّن عُلَماء الأخلاق مِنْ التوصّل إلى موازنة فِي كُلّ الفضائل كفضائل فَقَطْ لأجل أنْ تُحْدِث فِي الإنسان ذكر، وإنْ كَانَ هُنَاك تناسب وتناسق معيّن فِي الفضائل يُحْدِث فِي الإنسان ذكراً ولكنَّهم إلى الآن لَمْ يتوصّلوا إليه.

طبيعة حقيقة القرآن أنه يفعل كل علم:

وَرَدَ فِي بَعْض الروايات مِنْ الفريقين قول رسول الله ﷺ: **«مَنْ انهمك فِي طلب النحو سُلِبَ الخشوع»**(١).

بتقريب: ـ إنَّ مَنْ تعمَّق فِي طلب النحو سلب الخشوع فِي الصَّلاة أو قراءة القُرآن أو الأذكار مَعَ أنَّ ما فِي الصَّلاة وقراءة القُرآن يوجد إعجاز وتعمّق نحوي فِي تدبّر القُرآن وتفسيره لا يسلب الخشوع، بَلْ يوجد الخشوع والذكر، فَإِنَّ طبيعة حقيقة القُرآن أَنَّهُ يُفَعِّل كُلّ علم فِي مسير الوصول إلى القمة والكمال وَإِلى الذكر، فمثلاً النظام النحوي فِي القُرآن لَيْسَ نظاماً يسير ويصبّ إلى الردى أو إلى اللاهدف كلا، وَإِنَّما يستخدمه القُرآن وبنحو إعجازي، إلَّا أنَّ هَذَا الإعجاز لا يكون عائقاً ومكبلاً للإنسان ومُقعِداً لَهُ عَنْ المسير، بَلْ بالعكس دافِعاً لَهُ بقوّة إلى

---

(١) بحار الأنوار: ج١، ص٢١٨ كتاب العلم.

المسير للأمام، أمَّا أَنَّهُ كيف يمكن أنْ يتسخدم القُرآن هَذِهِ العلوم بنمط ذكري ويخدم بنحو يدفع الإنسان فِي مسيره نحو الكمال والتكامل، فذاك بحث يتّضح مِنْ خلال المباحث الآتية، وَهُنَا يكمن سرّ إعجاز القُرآن.

ما معنى الذكر

لا يمكن لأحَدٍ أنْ يفهم ويفقه مَعْنَى الذكر إلّا أنْ يكون نفس الإنسان متذكر، وأعظم متذكر هُوَ النَّبِيّ الأكرم مُحَمَّد ﷺ، بدليل أنَّ القُرآن لَمْ يُنْعِت أحداً بأنه ذِكر أو جَسَّدَ الذكر إلّا سيِّد الأنبياء ﷺ دون بقيّة الأنبياء والأوصياء.

كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1].

كَمَا أنَّ القُرآن الكريم لَمْ ينعت أحداً بأنه كتلةَ وحيّ مُجَسَّدة، ووحيٌ بتمام وجوده إلّا سيد الأنبياء ﷺ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[2] فَإنَّ بَعْض المُفَسِّرين فَسَّره فِي خصوص نطق النَّبيّ ﷺ، وفي خصوص ما يبلغه عَنْ الوحي فَقَطْ دون سائر نطقِ النَّبيّ ﷺ، فضلاً عَنْ بقيّة أفعاله وسائر شؤونه وحالاته ومقاماته ومراتِب ذاته، أيّ دون تمام حقيقة النَّبيّ ﷺ وَهَذَا غَيْر صحيح، وَإنَّما الصحيح هُوَ أنَّ الضمير (هُوَ) فِي الآية يعني به تمام حقيقة النَّبيّ ﷺ فبدنُه وحيٌ وهَدْيَهُ وحيٌ وجلوسُه وحيٌ وقيامُه وحيٌ، وعلمَه وحيٌ ونورُه وحيٌ و... الخ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ

---

(١) سورة الطلاق: الآية ١٠ ـ ١١.

(٢) سورة النجم: الآية ٤.

حَسَنَةٌ﴾[١].

وهكذا هُنَاك وصفاً للنبيﷺ فِي القُرآن لتمام وجودةﷺ ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾[٢].

بتقريب: ـ إنَّ النعت الأوَّل للقُرْآن هُوَ الذكر، فَإِنَّ هَذَا النعت (الذكر) كَمَا هُوَ نعت لِلقُرْآن كَذَلِكَ هُوَ نعتٌ للنبيﷺ، وَهَذَا يُوضِّح لنا أنَّ القَاعِدَة الشريفة ـ قَاعِدَة أنَّ القُرآن ذِكْرٌ ـ يعني فيما تعنيه، وأنَّ علم التفسير لَيْسَ علمٌ بقواعِد وعلوم نظرية فَقَطْ، وأنَّ علم التفسير يحتاج مِنْ المفسِّر أنْ يكون متذكراً بقدر ما عنده مِنْ ذاكرة، وأنْ يكون ذكره لله عَزَّ وَجَلَّ حَتّى يستوعب مِنْ حقائق ومعاني القُرآن أكثر فأكثر.

وأنَّ هُنَاك مِنْ قَواعِد علم التفسير برنامجٌ عمليٌ وَلَيْسَ فَقَطْ برنامجاً نظرياً وفكرياً، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ المنهج التفسيري الأمثل والمتكامل هُوَ ما كَانَ فيه جناحان وبرنامجان أحدهما نظري فكري، والآخر منهاج عملي، والبرنامج العملي متمثِّل بأنْ تكون أَيُّهَا المفسِّر مُتذكراً غَيْر مفتتن بالنزوات فحينئذٍ تستطيع أنْ تستوعب مِنْ معاني وحقائق القُرآن أكثر فأكثر.

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ وصيّة متكررة مِنْ القُرآن فِي سوره وآياته: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٢) سورة يس: الآية ٦٩.

يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[1].

وإنَّ كُلّ مَنْ يُريد أنْ يتذكّر ويصير ذكرياً فَلابُدَّ أنْ يحيط ويلِمُّ بكُلِّ ما هُوَ مرتبط بالذكر فَإِنَّهُ مرتبط بمعرفة القُرآن وعلوم القُرآن.

التذكر مِن شرائط قراءة القرآن المستحبة:

إذَنْ أهم ما تتميز به قَاعِدَة كون القُرآن ذكر هُوَ أنَّها ليست فَقَطْ برامجاً أو قَاعِدَة فكرية وتنظيرية بحتةً، بَلْ لها جنبة ومَسْحَةٌ عمليّة، وَهَذَا يلزم مراعاته فِي كُلّ قَاعِدَة مِنْ قواعِد تفسير القُرآن الكريم، وَهَذِهِ الجنبة العَمليّة فِي قَاعِدَة الذكر ترتبط بعمل الإنسان، وعمل نفس الذات النفسانية فِي الإنسان بغض النظر عَنْ القُرآن والتفسير، فَإِنَّ التذكر والمتذكر مِنْ شرائط قراءة القُرآن الكريم المستحبة، وكذا مِنْ الشرائط المستحبة أنْ يكون الإنسان مُتطهراً فِي غَيْر الأوقات الَّتِي تُؤَدِّي بها العبادات المشروطة بالطهارة.

مِن الضروريات للمفسر تأسيس الجنبة العلمية والعملية التطبيقية:

وَعَلَيْهِ لأجل أنْ يؤسس المُفَسِّرُ فِي كيان نفسه وفي مساره العلمي جنبة تطبيقية لقاعدة الذكر، وقبل أنْ يَرِدَ ويخوض فِي بحر أنوار القُرآن الكريم، عَلَيْهِ أنْ يُراعي تأسيس الجانب العلمي والتطبيقي، واستفادة

---

(١) سورة القمر: الآية ١٧.

هَذِهِ التوصية وَالقَاعِدَة قَدْ تَمَّتْ مِنْ فحوى قوله تَعَالَى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[1] فَهِيَ وإنْ كَانَتْ هَذِهِ الآية المُبَارَكَة خاصّة بأهل آية التطهير، إلّا أنَّ فَحْوَاها للمراتب النازلة عامّة تشير إلى معادلة التناسب الطردي بين طهارة الإنسان وقَدَرَ نيله مِنْ درجات بواطن القُرآن.

كَذَلِكَ هُنَاك عِدَّة آيات قرآنيّة وروايات وَصَفت ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بوصف الذكر والتذكّر.

كقوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾[2] مُحمَّد بن الفضيل عَنْ أبي الحسن الماضي عليه السلام: ـ أنَّ ولاية علي لتذكرة للمتقين للعالمين، وإنّا لنعلم أنَّ منكم مكذبين، وأنَّ علياً لَحَسْرَةً عَلَى الكافرين، وأنَّ ولاية علي لحق اليقين ... الخ[3].

وكقوله تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩﴾[4] يعني عَنْ الولاية.

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾[5] وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ يعني الولاية.

وقوله تَعَالَى: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾[6] ففي رواية كنز

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٩.
(٢) سورة الحاقة: الآية ٤٨.
(٣) الكافي: ج١، ص٣٥٩ ح٩١ عنه البُرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج٢٦ جلد ٨ ص١١٠.
(٤) سورة المدّثر: الآية ٤٩.
(٥) سورة المدثر: الآية ٥٤.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ٢٤.

الكراجكي عَنْ الكاظم عليه السلام فِي هَذِهِ الآية قَالَ: ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ عليٌّ ذكر ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ الأنبياء والأوصياء[١].

وكقوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قَالَ: الَّذِيْنَ آمنوا: الشيعة، وذكر الله: أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام، ثمَّ قَالَ: ـ ألا بذكر الله تطمئن القلوب[٢]. وكقوله تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾[٣].

الذكر بمثابة الأصل الذي ينحدر منه القرآن الكريم:

والمتحصل مِنْ هَذِهِ الآيات وغيرها أَنَّ توصيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأنّه ذكرٌ هُوَ بحكم التنزيل لا التأويل، كَمَا وَرَدَ هَذَا العنوان فِي شأن النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، والوجه فيه: أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة نفس النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بنصّ آية المباهلة ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ وَهَذَا مقام عظيم لأميرا لمؤمنين عليه السلام بَعْدَمَا بيَّن قوله تعالَى ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾[٤] مِنْ أَنَّ مقام الذكر بمثابة الأصل الذي ينحدر مِنْهُ القُرآن.

---

(١) الكافي للكليني: ج١، كتاب الحجة: ب١٦٥، نكت ونتف من التنزيل في الولاية: ص٥٠٤ ح٩١، يعني الولاية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) ويُستفاد ممّا تقدم أن الذكر في القرآن على ستة وجوه: ـ القرآن، والنبيّ، وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام والولاية، والإمامة، وطاعتهم، ومعناه المُتعارف، مستدرك سفينة البحار، مادّة ذكر، للشيخ حسن النمازي: ج٣، ص٤٢٧.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٩.

(٤) سورة يس: الآية ٦٩.

وهكذا ما وَرَدَ فِي زيارات أمير المؤمنين عليه السلام مِنْ أَنَّهُ عليه السلام ذكرٌ.

وأمّا الروايات:

فَقَدْ روى ابن المغازلي فِي مناقب الإمام علي عليه السلام: ـ عَنْ جابر بن عبدالله الأنصاري، قَالَ: ـ قَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله وإنْ لأدناهم فِي حج الوداع بمنى، قَالَ صلى الله عليه وآله: ـ لا أفينكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بَعْض، وأيم الله إنْ فعلتموها لتعرفنَّي فِي الكتيبة الَّتِي تضربكم ثمَّ التفت إلى خلفي، ثمَّ قَالَ: ـ أو عليّ، أو عليّ ثلاثاً فرأينا أنَّ جبرائيل غَمَزَهُ وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أثر ذَلِكَ ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ بعلي بن أبي طالب عليه السلام ـ ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ثمَّ نزلت، ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ ثمَّ نزلت ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ وإنَّ علياً لَعِلْمٌ للساعة، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ عَنْ علي بن أبي طالب عليه السلام.

وما أرسله العيّاشي بسنده عَنْ علي بن أبي حمزة عَنْ أبي جعفر عليه السلام: «﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ **يعني ولقد ذكرنا علياً فِي القُرآن وَهُوَ الذكر فما زادهم إلّا نفوراً**»(١).

(١) تفسير العيّاشي: ج٣، ص٥٣، ح٧٨.

ضرورة تأسيس الجانب العملي للمفسير فِي قاعدةِ الذكر:

ولأجل أنْ يؤَسِّس المُفَسِّرُ فِي كيان نفسه وفِي مساره العلمي جنبة تطبيقية لقاعدة الذكر، وقبل أنْ يَرُدَّ ويخوض فِي بحر أنوار القُرآن الكريم، لابُدَّ أنْ يُراعي تأسيس الجانب العملي والتطبيقي عنده إلى حَدٍّ ما شبيه ما يُقَال، أو يقتبسه الفلاسفة عَلَى مدرسة الإشراق، أو عَلَى العرفاء فِي مدرستهم العرفانيّة، إنَّ أحد القنوات الموصلة للمعرفة لَيْسَ قناة الفكر، وإنْ كَانَ صحيح أَنَّهُ وَرَدَ ما مضمونه ـ تفكر ساعة خير مِنْ عبادة سبعين سنة، وأنَّ أحد نوافذ المعرفة هُوَ الفكر إلَّا أَنَّهُ هُنَاك نافذة عملاقة كبيرة أُخْرَى، وَهِيَ قناة القلب لِـمَنْ كَانَ لَهُ قلب أو ألقى السمع وَهُوَ شهيد.

وَعَلَيْهِ فالذكر عبارة عَنْ نظام مِنْ علوم مُخْتَلِفَة يختلف عَنْ الأنظمة بالعلوم، فمثلاً لعلم النحو أو الشعر، أو الصرف أو غيرها قَواعِد وتفصيلات وأوزان خاصّة كَذَلِكَ القُرآن فَإِنَّهُ ذكر لَهُ أوزان فِي بُعده اللفظي مِنْ الذكر، فضلاً عَنْ قَواعِد الذكر فِي تركيب المعنى بدءاً مِنْ الطبقة الأولى مِنْ المعنى وتصاعداً إلى الدرجات الَّتِي لا تنفذ مِنْ طبقات المعنى، فضلاً عَنْ أوزان وَقَواعِد الذكر فِي حقائق القُرآن العينيّة، وارتباط حقيقة الإنسان بتلك الحقيقة فِي قلبه وروحه[١].

---

(١) صدر الحديث ذكره البخاري في صحيحه في كتاب العلم وفي كتاب الأضاحي رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان في كتاب القسامة، رواه أبو داود، والترمذي، وأحمد بن حنبل أما غمز

الحقيقة لا تقتنص بالتنظير الفكري فقط:

مِنْ الواضح أنَّ الحقيقة والصواب لا يقتنص بالتنظير فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ أنْ يَقْترن ورعٌ وزهد وجانب عملي وطيران عَنْ حضيض الغرائز[(١)] وَعَلَيْهِ فالعلم بمفرده أيّ القوَّة الفكريّة لوحدها لا تؤمِن لك إصابة الحقيقة والصواب، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ أنْ يقترن العلم والقوى الفكرية بجانب العمل، حَتّى يُؤَمَّن لك بَعْض الحقيقة؛ لِأنَّ العلم يهتف بالعمل فَإِنَّهُ صدقة وَإِلَّا ارتحل هكذا جاء فِي كلمات المعصومين عليهم السلام[(٢)].

فَإنَّ هَذَا المُنَظِّر حَتّى لو كَانَ عبقرياً فِي أيّ علم مِنْ العلوم فَإنَّهُ إذَا نحى جانب العلم والقوى الفكرية التنظيرية فَقَطْ فيمكن أنْ يُسيّس ذَلِكَ العلم والعالِم سواءٌ فِي علم الفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو الجغرافية أو التاريخ أو المال أو ... الخ وتنتج بَعْدَ ذَلِكَ نتائج فيزيائية مسيّسة، أو كيمائية مسيّسة أو تأريخ مسيّس أو سياسية ماليّة، ولذا نسمع بين الآونة وَالأُخْرَى الأكذوبات العلميّة فِي مختلف العلوم لأنها سُيّسَتْ ونَحتُ جانب التنظير فَقَطْ ولذا وقعت فِي الخلط والخبط والحيص بيص.

جبرائيل رواه الحاكم في مستدركه، أما الذيل رواه بن مردويه والسيوطي في الدر المنثور.

(١) ومنه لُقِّبَ جعفر بن أبي طالب عليه السلام لأنَّه طار وتَخَلَّصَ من حضيض الغرائز وجذباتها وطار عن حبس الذات؛ ولذا يطير مع الملائكة في الجنَّة، وهكذا أبو الفضل عليه السلام العباس ابن علي بن أبي طالب عليه السلام حصل على مقام الطيران فضلاً عن المعصومين عليهم السلام فإنَّهم حصلوا على هذا المقام السَّامي.

(٢) عوالي اللئالي: ٤/ ٦٦/ ٢٦.

وَعَلَيْهِ فالعلوم بشتّى أنحائها لا يمكنها أنْ تَصْفِق وتطير بجناح واحد وَهُوَ جانب القوى الفكرية النَّظَرِيَّة والتنظيرية، وَإِنَّما لابُدَّ مِنْ ضميمة جناح آخر وَهُوَ الجانب العملي الذي يشكل أزمة بين حضارة الدِّين الإسلامي وبالذات حضارة منهاج أهل البيتعليهم السلام والأطروحات البشرية، أو حَتّى فِي المذاهب الإسّلاميَّة الأُخْرَى فِي أطروحات أهل البيتعليهم السلام فلا يمكن رفع اليد عَنْ أطروحات أهل البيتعليهم السلام الَّتِي تمثِّل العدل والعدالة المتمثِّل بالجنبة العمليّة.

وهكذا الحال فِي علم التفسير، فَإِنَّهُ وعلوم القُرآن الأُخْرَى كعلم ونور لا يمكن الظن بالوصول مِنْ خلالها إلى حقائق بمجرد التنظير، وإذا أردت أَيُّهَا المفسِّر الكريم أنْ تصبح مُفَسِّراً ناجحاً وقديراً وتخرج بدورة تفسيرية قديرة عليك أنْ تتطهر أَيُّهَا المفسِّر فِي أخلاقك وعملك وذاتك حَتّى تحصل عَلَى نتائج تفسيرية طيبة بقدر ما يتطهر كَمَا بَيَّنا ذَلِكَ سابقا، ولذا يشترط فِي الفقيه فِي مدرسة أهل البيتعليهم السلام أنْ يكون عادلاً، وهكذا تشترط العدالة فِي القاضي.

تأثير العدالة والتقوى على الجانب العملي:

صحيحٌ أن القضاء مهنةٌ علميّةٌ واحتراف مهني، ولكن ما ربط تأكيد الآيات والروايات عَلَى العدالة والورع مَعَ الجنبة العلميّة، وهكذا الحكم عبارة عَنْ السياسي الذي لَهُ القدرة والمراس فِي فن إدارة المتغيّرات

وتناسقها مَعَ المصالح، وَعَلَيْهِ فما ربط اشتراط العدالة والورع بمنصب الحاكم وأدائه؟

وفي معرض الجواب عَنْ ذَلِكَ، بأنَّ القُرآن ذكر هَذَا الربط بقوله تَعَالَى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّنا إذَا أردنا نتاج سديد وسليم فَلابُدَّ مِنْ اشتراط العدالة والورع بالفقيه والقاضي والحاكم وغيرهم.

فَإنَّ النتيجة العمليّة مِنْ اشتراط ذَلِكَ هُوَ الهداية للمتقين ممزوجة بالجانب العملي ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[2].

فَإنَّ القُرآن لَهُ مقامات غيبيّة ودرجات مِنْ الطّهارة خاصّة وإقرأ وارق.

فَإنَّ الإنسان لَهُ نافذِةٌ للعلم غَيْر الفكر وَلابُدَّ مِنْ جمعها مَعَ الفكر، ألا وَهِيَ نافذة الطهارة، والرياضة الروحيّة والنفسانيّة فِي الرُّوح والنفس.

هَذَا وَقَدْ بنى الشهيد الثَّانِي﵀ عَلَى إنَّ ملكة الاجتهاد ملكةٌ قُدسيّة لا فكريّة بحتة، بَلْ طهارة الرُّوح مؤثرةٌ فيها.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٧٧ ـ ٧٩.

وَقَدْ أشكل عَلَيْهِ مَنْ تأخَّر عنه: ـ بأنَّ الملكة العلميّة ملكةٌ فكريةٌ لا ربط ولا صلة لها بآليات العمليّة فِي النفس سواء كَانَتْ الهيئة النفسانيّة المتولِّدة مِنْ العمل نورانيّة، أو ظلمانيّة.

إلَّا أنَّ الصحيح هُوَ ما ذهب إليه الشهيد الثَّانِي‌ﻗﺪﺱﺳﺮﻩ إجمالاً، فَإِنَّ صفاء وشفافيّة الرُّوحي بالغة التأثير فِي جودة وطهارة صفاء مرآة الفكر لإدراك المطالب، بَلْ المحكي عَنْ كثير مِنْ أصحاب النبوغ والاختراع أنَّهم لا يوفقون إلى اكتشاف الاختراعات إلَّا بَعْدَ صفاء وتشفف الرُّوح وشفافيّة خُلُقية تعتوره.

وحاصل ما أشكله مَنْ تأخَّر عَنْ الشهيد الثَّانِي‌ﻗﺪﺱﺳﺮﻩ: ـ إنَّهُ إذَا اعتمد عَلَى الجنبة الفكرية، يمكن الحصول عَلَى نتائج طيّبة، ولا يشترط وجود الجانب العملي فِي الحصول عَلَى النتائج الطيبة وإنْ كَانَ لا تنكر أهميّة الجانب العملي إلَّا أنَّهُ لَيسَ شرطاً فِي ذَلِكَ! ويُؤيِّد ذَلِكَ ما فِي حقيقة زيارة المعصومين‌عليهم‌السلام فَإِنَّ البعض يدّعي أنَّ الزيارة هِيَ محضُ جنبة عمليّة وعمل فَقَطْ، وأنَّ الزائر الكريم ترك العلم لجانب العمل إلَّا أنَّ هَذِهِ الدعوى مدفوعةٌ: مَنْ قَالَ بأنَّ الزيارة كُلَّهَا عملٌ محض وَأنَّهُ تُرِكَ العلم لجنبة العمل، كلا لَيْسَ كُلَّهُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الزيارة صحيح فيها جنبة عَمَلٍ، إلَّا أنَّهُ ينبغي عدم الغفلة عَنْ بَعْض الجهات والبنود العلميّة المذكورة فِي فقرات الزيارة، فَإِنَّ الزيارة عبارَة عَنْ ترويض علمي ودورةٌ ومنظومَةٌ معرفية عقائديّة مُتكاملة، وَلابُدَّ مِنْ تطهير القلب وتنويره فحينئذٍ تزداد

قابليتك كُلَّما ازدادت طهارتك النفسيّة والروحيّة، ولذا فَإنَّ الإخفاقات الكثيرة الَّتِي نلاحظها فِي المعارف أو العقائد ما هِيَ إِلَّا نتيجة ضعف القِوى الفكرية للباحث الكريم، وَهَذَا ما يُشير إليه قوله تَعَالَى ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّهُ تَعَالَى أعزى وأسند إخفاق إبليس لعنة الله عَلَيْهِ فِي الإيمان و المعرفة إلى استكباره، وَهُوَ هيئة عمليّة مِنْ أفعال القلب والنفس تؤثِّر سلباً عَلَى القِوَى الفكرية والقلبية الإدراكية لذات الإنسان.

وَعَلَيْهِ فالجانب العملي لوحده لا يوصلنا إلى نتائج طيّبة وإتّباعه لوحده مُشْكِل ولا النظر وحده، ولذا إبليس عِنْدَمَا حُجِب بسبب استكباره، مؤشراً عَلَى أَنَّهُ لَيسَ الخطأ سببه فِي التصور والفكر فَقَطْ، ولذا فَمِنْ لطافة منهجنا التفسيري أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فِي القُرآن بتفسير سديد فِي حمل الأطراف والآفاق والمراحل، إِلَّا إذَا كَانَ عنده تولّي لأولياء الله، والتولي والولاية لأولياء الله لَيسَ فيه جنبة نظرية فَقَطْ، وَإِنَّما فيه جنبة وسلوكٍ عملي نفساني وقلبي كَذَلِكَ.

وَإلَّا يكن هُنَاكَ فِي البين ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[2].

نتيجة أعمالهم، بخلاف ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ

---

(١) سورة ص: الآية ٧٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ٧.

﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ١٣﴾(١).

بتقريب: ـ إنَّ زيادة الهُدَى هِيَ زيادة فِي الإيمان والمعرفة، وَهَذَا حاصل نتيجة شيئين وَهُمَا: ـ الفكر والعمل، لا أحدهما مِنْ دون الآخر.

وَمِنْ هَذَا البحث ينفتح المجال أمام بحوث مِنْهَا: ـ

الشعائر الحسينية وقاعدةِ الذكرِ:

لَعَلَّ الكثير يتساءل عَنْ مسألة البكاء عَلَى الحسين عليه السلام وَغَيْر البكاء فلماذا العاطفة الشديدة؟ ولَعَلَّ أيسر ما يُجاب عَنْ هَذَا: ـ

بإنَّ الجانب النظري وَالأُمُور الفكريّة لا تكفي لوحدها لفهم ما قام به الحسين عليه السلام، وَعَلَيْهِ فإذا كَانَ السائل متوحِّل ببراثن المعصية، فلا يمكنه أنْ يفهم، ولو ببعض ما قام به الإمام الحسين عليه السلام ما لَمْ يتطهّر ويتنظّف مِنْ تلك المعاصي، وَهَذَا يحتاج إلى جنبة عمليّ صلى الله عليه وآله وَهُوَ ترك تلك المعاصي عملاً وخارجاً.

فالعاطفة لها دورٌ مهم فِي صقل الفكر وقوّة إدراكه، إذْ مِنْ دونها لا يستعد فكر الإنسان لإدراك جملةٍ مِنْ حقائق المعاني فضلاً عَنْ قصور الفكر لتناول الحقائق العينيّة، فضلاً عَنْ تأثير العاطفة عَلَى تصديق وتسليم القلب والنفس للحقائق، والإذعان بالعلم المطابق للحقائق العينية؛ فَإنَّ الجانب الفكري مهما تضخم وتكاثر فَإنَّهُ لا يوجب إرعواء النفس للإخبات للحقائق وعدم التمرّد عَلَيْهَا، كَمَا تشير إليه الآية المُبَارَكَة

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٣.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾(١).

فَإِنَّ بَعْض الأُمُور الفكريّة لَيْسَ مقدّمتها الفكر فَقَطْ، وَإِنَّما مقدمتها الرياضة الروحية السليمة.

الطهارة الروحية ودخالتها فِي جانب التفسير:

والخلاصة مِنْ كُلّ ما تَقَدَّمَ أَنَّهُ تَحَصَّل ما يلي:

إنَّ المفسِّر بالإضافة إلى جانب إلمامه بقواعد عديدة معينة، أنْ يخوض بينه وبين نفسه حالة التطهير والرياضة الروحيّة حَتّى تنفتح لَهُ الآيات أكثر فأكثر، وَإلَّا فلا تنفتح أمامه وَهَذَا جانب عملي يجب أنْ يلتفت إليه المُفسِّر وَهُوَ أحد أبعاد قَواعِد موازين الفكر وتوازنه.

---

(١) سورة النمل: الآية ١٤.

أهم مميزات قاعدة الذكر

إنَّ أهم ما تتميّز به قَاعِدَة الذكر عَنْ سائر القَوَاعِد الأُخْرَى هُوَ:

الربط بين الذكر والترتيل والتلاوة:

أوَّلاً: إنَّ قَاعِدَة الذكر تتأطَّر وتتقولب وتتشكّل فِي كُلّ صعيد بنحو خاص به، كَمَا وَرَدَ فِي روايات أهل البيتعليهم السلام فِي مَعْنَى الترتيل للقُرْآن، وأحد المعاني المُرادة مِنْ الترتيل فِي هَذَا الصعيد هُوَ الترتيل اللفظي.

كَمَا فِي رواية عبدالله بن سليمان، قَالَ: سألت أبا عبداللهعليه السلام عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[(١)]، قَالَ: أمير المؤمنينعليه السلام بيّنه تبياناً[(٢)] ولا تهذّه هذَّ الشعر[(٣)] ولا تنثره نثر الرَّمْل[(٤)] ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية[(٥)] ولا يكن

(١) سورة المزّمل: الآية ٤.

(٢) دَلَّ على أن الترتيل هو إخراج الحروف من مخارجها، بحيث تظهر متميّزة بعضها عن بعض عند السامع؛ ولذا يقال ترتيل وترسيل.

(٣) الهذّ: سرعة القطع، وهذَّ القُرآن هذّاً إذَا أسرع فِي قراءته كَمَا يسرع فِي قراءة الشعر.

(٤) الرَّمل عند نثره يقع على الأرض متباعِدَة حبّاته، وكأنّه أرادَ بذلك التنبيه عَلَى المطلوب مِنْ الترتيل إخراج الحروف مِنْ مخارجها بحيث تظهر متميّزة بعضها عَنْ بَعْض، ولكن لَيْسَ بحيث تخرج الحروف متقطّعة منفصلاً بعضها عَنْ بَعْض كحبّات الرَّمل عِنْدَ نثرها، وَذَلِكَ لطول الفواصل بينها.

(٥) أيّ أضيفوا قلوبكم الغليظة بالتدبّر فِي آياته وما وَرَدَ فيها مِنْ أخبار الأُمم السالفة وكيف كفرت بالله

همَّ أحدكم آخر السورة[(١)(٢)].

نعم لقَاعِدَة الذكر وارتباطها بالتلاوة مراتب أُخْرَى مِنْ تلاوة المعاني فِي مواطنها المنطبقة عَلَيْهَا وتنزيلها فِي الموارد المستحقّة لها فضلاً عَنْ مرتبة قَاعِدة الذكر فِي الحقائق المرتبطة بترتيل رَتْل الحقائق وتلاوة وبعضها تلو بَعْض، وَحَيْثُ إنَّنا فِي مقام بيان قَواعِد النظام اللفظي، فالتعرُّض متمركِزٌ فِي قَاعِدة الذكر فِي بُعْدِها اللفظي.

ثانياً: إنَّها موجودةٌ فِي منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات دون باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى، ولو نسبياً.

وثالثاً: إنَّها تتميّز بأنَّ لها جنبتان نظرية وعملية كَمَا تَقَدَّمَ.

رابعاً: يُشْتَرَط فِي هَذِهِ القَاعِدَة لأجل الغور إلى أعماقِ القُرآن لابُدَّ أنْ يكون المتدبر مُتطهّراً بطهارة فِي عقله، وفي عقيدته ومعرفته وحالاته الخُلُقية، وَأَنَّهُ لا يستطيع أحدٌ أنْ يلج إلى أعماق القُرآن إلَّا بقدر ما أُوتي مِنْ درجة الطهارة.

فأخذها سُبْحَانَهُ أخذ عزيز مُقتدر، ولا ريب أنَّ التدبّر لا يمكن أنْ يتأتى إلَّا لِـمَنْ يقرأ القُرآن بهدوء مترسِلاً فاهماً مقاصده ومراميه.

(١) أيّ أهميّته أنْ يصل إلى آخر السور فيسرع فِي قراءته كسرعته فِي قراءة الشعر فلا يلتفت إلى معانيه ولا يدرك مغازيه.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٥٧٨ ب٢٧٨ ترتيل القُرآن بالصوت الحسن.

الفرق بين الندبة بالذكر والندبة بالنياحة:

خامساً: لا تُسْتَعْمل قَاعِدَة الذكر عَلَى صعيد النظام الاستعمالي فحسب، بَلْ تستعمل عَلَى صعيد أنظمة قُرآنيّة مُتعدِّدة، كنظام معاني القُرآن الكريم، ونظام الحقائق القُرآنيّة وغيرها، فَإِنَّ قَاعِدَة الذكر لها ألوان ووجوه ودرجات فمثلاً هُنَاك فرقٌ بين الندبة بالذكر، فَإِنَّ الندبة بالنياحة الذي هُوَ كيفية صوتيّة يختلف عن لندبة بالذكرفَإِنَّ الندبة بالذكر أَعْظَمُ تأثيراً مِنْ الندبة بالنياحة، وإِنْ كَانَتْ النياحة بالحق عَلَى أئمة المسلمين عليهم السلام أمرٌ راجحٌ، ولكن الندبة لمصابهم عليهم السلام بطور الذكر أعظم تأثيراً مِنْ الندبة بالنوح، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قَاعِدَة الذكر حَتّى فِي علم الأداء الصوتي النغمي للقُرْآن يختلف عَنْ النياحة كذكر.

سادساً: تختلف قَاعِدة الذكر فِي بعدها وضوابطها اللفظية عَنْ الشعر، ولذلك إلى الآن القُرآن الكريم يتحدّى الشعراء وَعُلَماء الموسيقى وَعُلَماء الغناء وَعُلَماء التجويد فِي اكتشاف حقيقة القَوَاعِد اللفظية للذكر.

إذَنْ قَاعِدة الذكر تمثّل تحدياً ماثلاً أمام البشرية منذ أربعة عشر قرناً وَالقُرآن يُنادي ويتحدّى فن هندسة الصوت وَعُلَماء الموسيقى و... الخ.

إنْ استطعم أنْ تأتوا بنغمة صوتية لا تثير الغرائز الحيوانية ولا توجب خِفّة العقل ولا تجعل الإنسان نزوي فهاتوا ما عندكم إنْ استطعتم،

فَإِنَّ قَاعِدَة الذكر تمثِّل تحدّي إلهي إلى الآن عُلَمَاء كُلّ الفنون ومعاهد الموسيقى فِي العالم عاجزون عَنْ أنْ يأتوا بمثل نغمة الذكر، بَلْ أكثر مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الندبة القرآنيّة هِيَ نوع مِنْ الذكر، فَإِنَّ القُرآن الكريم يندب مظلومين كثيرين كالأنبياء وَالَّذِيْنَ قُتِلوا كهابيل وأصحاب الأخدود وغيرهم فَإِنَّ ندبة القُرآن لهم توجب واقعاً تعاطف الإنسان بشكل شديد مَعَ هؤلاء المظلومين ولكن هل يندبهم القُرآن بنوح ونياحة؟ كلا مَعَ أَنَّ النياحة مشروعة وسائغة فِي الحَقّ وَإِنَّما يحرم النوح بالباطل.

والخلاصة: ـ إِنَّ القُرآن الكريم لَمْ يستعمل الندبة بالنوح وَإِنَّما استخدم الندبة بالذكر، فمثلاً دعاء الندبة لصاحب العصر والزمان الإمام الحجة بن الحسين عجّل الله فرجه الشريف[1] إِذَا قرأه الإنسان بترتيل وتركيز يتصدّع قلبه وتتفجّر دموعه لكنَّ لا بنغمة صوتيّة ونياحة، وَإِنَّما بنمط آخر وجانب وَمَعْنَى فَقَطْ مِنْ دون أنْ يستخدم أطواراً متكلفةً يُفجِّر بها الدمعة وإِنَّما يتفجّر بها جَيَشان القلب بذكر طريقة الذِكْر.

سابعاً: إِنَّ قَاعِدَة الذكر الَّتِي نَحْنُ بصددها غَيْر مكتشفة الأبعاد، وَإِنَّما خوضنا فيها مِنْ باب التنويه والتنبيه رجاءَ أَنْ تنكشف جملة مِنْ جهات قَاعِدَة الذكر.

---

(١) فيه روايتان: أحدهما أَنَّهُ صادر مِنْ نفس الإمام الحجة عجّل الله فرجه مِنْ جهة الناحية المقدّسة والآخر: إِنَّهُ صادر عَنْ الإمام الصادق عليه السلام.

ارتباط حقيقة الذكر بالوحي

الذكر ميزان فِي الكشف عن الوحي:

ثامناً: تمتاز قَاعدِة الذكر بأنَّها قَاعدِة عظيمة تمثِّل شموخ نتاج القُرآن وعظمة أثر القُرآن فِي كُلّ صعيد مِنْ أصعدة القُرآن، وأنَّ زرارة عِنْدَمَا سأل الإمام الباقرعليه السلام سيدي بِمَ عُرِف رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ الذي يأتيه ملك مِنْ الله هُوَ جبرائيل لا الشيطان؟ قَالَعليه السلام: «**عُرِفَ أنَّ الآتي مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ بالسَّكينة والوقار**» يعني الذكر انظر إلى دقَّة سؤال زرارة والإمامعليه السلام أجابه بأنَّ صمام أمان نبوّة النَّبيّ صلى الله عليه وآله هُوَ الذكر.

تاسعاً: الذكر هُوَ نظام فِي العلوم يوظّفها إلى الكمال والذكر وَلَهُ ـ الذكر ـ قَواعِد وأوزان لَمْ تكتشف إلى الآن.

عاشراً: إنَّ فرق قَاعدِة الذكر عَنْ سائر العلوم الأُخْرَى كالنحو والصرف والاشتقاق وَاللُّغَة والبلاغة و ... الخ، هُوَ أنَّ قَاعدِة الذكر توظِّف هَذِهِ العلوم بشكل معادلي مُتوازن يصب فِي الذكر، وَهُوَ بالتالي يرجع إلى كيفية بناء شخصية المُفَسِّر العلميّة وتوفر العناصر المطلوبة فِي المُفسِّر مِنْ الفطنة والالتفات وطهارة النفس و ... الخ، فإذا توفَّرت هَذِهِ العناصر وغيرها فِي المفسِّر وصل إلى نتائج طيّبة تصبّ فِي قَاعدِة الذكر وتوجب ذكراً للمؤمنين وللبشرية لا أنَّهُ يتوسَّع فِي التفسير تجريداً عَنْ الحقائق والعروج فيها ووغولاًفي بحر التنظير الفكري بعيداً عَنْ الحقائق

العينية.

الحادي عشر: إنَّ قَاعِدة الذكر قَاعِدة منهجية خطيرة فِي علوم التفسير تُبْعِدُ عَنَّا الحشو والفضول إلى ما هُوَ بنيوي وأساسي فِي علم التفسير وكشف أركان دعائم القُرآن.

الثَّانِي عشر: قَاعِدة الذكر علامة بوصليّة لسلامة المنهاج التفسيري فما دام التفسير يحدث ذكراً فَهُوَ فِي المسير الصائب والسديد.

الثَّالِث عشر: إنَّها قَاعِدة منهجية راسمة لمختلف علوم تفسير القُرآن الكريم ومهيمنة عَلَى كُلّ بحوث التفسير وفي أيّ مجال مِنْ مجالات الآيات الكريمة وَعَلَى مختلف الأصعدة سواء عَلَى صعيد المفهوم والمعنى أو عَلَى صعيد المنهج الأكمل الذي يرسمه لنا القُرآن الكريم فِي الذكر وفي أيّ مجال مفهومي يؤدِّي إلى الذكر والتذكّر وأوبة وتوبة الإنسان لا أنْ يمارسه كيف ما شاء فَإِنَّهُ سوف يصبح مجموع تراكمي مِنْ المفاهيم والمعلومات بلا توظيف لها بالصورة الصحيحة والمطلوبة بَلْ حَتّى عَلَى الفضائل والرذائل الأخلاقية، ففي الرعاية الأخلاقية إذَا أردت أنْ تلزم نفسك وتطبعها عَلَى فضيلة معيّنة أو تقلعها عَنْ رذيلة معيّنة لَيْسَ معناه أَنَّهُ هَذَا هُوَ كُلّ شيء كلا، وَإِنَّما يكون هَذَا كُلّ شيء عِنْدَمَا تكون عندك منظومة ومجموعة مِنْ بنود الرعاية الأخلاقية الَّتِي توصلك إلى الذكر وَإِلَّا ـ والعياذ بالله ـ قَدْ يكون غرورك أو ابتهاجك وسرورك بفضيلة يَغرّك ويحجبك الإقلاع المزبور عَنْ رذائل أُخْرَى فما الفائدة فيه؟

أهم الشرائط المعتبرة فِي المفسِّر للقرآن الكريم

طهارة المفسر سبب لوصوله إلى حقيقة الذكر في القرآن الكريم

إنَّ أهم ما يعتبر كشرط أساسي فِي المُفسِّر الناجح للقُرْآن الكريم هُوَ ما يلي: ـ

أوَّلاً: أنْ يكون الإنسان مُتطَهِّراً مِنْ جوانِب عديدة كالجانب الأخلاقي والعقائدي والمعرفي والسلوكي و ... الخ.

فَإنَّ القُرآن الكريم كتابٌ محبوكٌ ـ إنَّ صحَّ التعبير ـ وأُوجِدَ مِنْ قبل الله عَزَّ وَجَلَّ بإيجاد وبناء ونظام لا يستطيع أحدٌ أنْ يقتحم أعماق هَذِهِ القلعة القرآنية إلَّا بقدر مِنْ درجة الطهارة الَّتِي أوتيها الإنسان مِنْ طهارة عقله وعقيدته ومعرفته وحالاته الخُلُقية، فلاحظ قوله تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٠﴾[1].

بتقريب: ـ القصور فِي عقل الإنسان بنحو يوجب الظلم والسقوط فِي غمرتها هُوَ مرتبة مِنْ مراتب الرجاسة.

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠٠.

وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾(١).

بتقريب: ـ إنَّ الشِّرْك فِي العقيدة ورجاسة الرذائل تُحْدِثُ رجاسة ونجاسة فِي القلب، ورجاسةً فِي صفات النفس وخواطر وأحوال جوامح النفس، وممّا يُؤيِّد ذَلِكَ ما وَرَدَ عندنا فِي الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام، كَمَا فِي رواية ... عبدالله بن موسى بن جعفر، عَنْ أبيه عليه السلام فَقَالَ: ـ «**ريحُ الكنيف والطيب سواءٌ؟! قلتُ لا، قَالَ: ـ إنَّ العبد إذَا همَّ بالحسنة خرج نَفَسُه طيّب الريح، فَقَالَ صاحب اليمين لصاحب الشمال، قُمْ فأثبتها لَهُ، وإذا هَمَّ بالسّيئة خرَج نَفَسهُ منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف، فَإِنَّهُ قَدْ همَّ بالسَّيئة، فإذا هُوَ فَعلها كَانَ لسانُه قَلَمُه وريقُهُ مداده فأثبتها عَلَيْهِ**»(٢).

وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أنَّ الطهارة والرجاسة عَلَى درجات فَإِنَّ آيات وسور القُرآن فيها مِنْ الحقائق والخزائن والكنوز لا تفتح لأيّ شخص إلَّا بقدر ما أُوتي مِنْ المَعْرِفَة أيّ الطهارة، كَمَا بيَّنها القُرآن الكريم ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾(٣).

بتقريب: ـ إنَّ آية التطهير وإنْ كَانَتْ خاصّةً بأهل البيت عليهم السلام، إلَّا أنَّ لها مداليلها الالتزاميّة والاقتضائية عَلَى درجات، كَمَا ذكره القُرآن

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج١، أبواب مقدمات العبادات: ب٧، ص٥٨، ح٣.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

الكريم فِي قوله تَعَالَى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[١].

بتقريب: ـ إنَّ درجات الهداية والاستهداء والتقوى فِي القُرآن الكريم مُخْتَلِفَة.

وَالقُرآن الكريم دائماً يربط بين العمل الصالح والهداية ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[٢] وقوله تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٣] وقوله تعَالَى: ﴿... وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤] وقوله تعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[٥].

فَهُنَاك ترابط ما بين استخراج الهداية ومعاني حقائق القُرآن بالعمل الصالح والهداية، هَذَا مُضَافاً إلى أنَّهُ تَقَدَّم فِي القَاعِدَة السابقة ـ الجري والتطبيق أو التعبير ـ إنَّهُ يمكن العبور والتعريض بالآية ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ لغير المعصومين عليهم السلام مِنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ الآيات القُرآنيّة تجري فِي غَيْر أهل آية التطهير مِنْ عادي البشر بشكل مخفف ويمكنه أنْ يمس القُرآن بقدر ما أوتي مِنْ طهارة وتطهير فِي الأخلاق والعقائد والنفس و ... الخ فَإِنَّ أحد قَواعِد علم التفسير هُوَ طهارة الأخلاق، فإذا أردت أنْ تُبْصِر مفاد الآيات جيّداً فيجب عليك أنْ تُطَهِّر أخلاقك وَكُلَّما تُطَهر أخلاقك أكثر فأكثر فِي يوميات الإنسان ينفتح لَهُ فَهْمْ وإدراك مِنْ باطن

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٦.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٥) سورة الكهف: الآية ١٣.

القُرآن أمْطارٌ مُنْعِشة مِنْ الإدراك والتعقّل، فمثلما نزول الأمطار يحيي الأرض بَعْدَ موتها كَذَلِكَ القلب الذي هُوَ أرض الرُّوح وأنَّ أرض العقل الإنساني لا تستطيع أنْ تستمطر مِنْ السَّماء إلّا بقدر طهارته، هكذا ذكر الأكابر مِنْ ذوي القدم الراسخ فِي تهذيب النفس وعلم الأخلاق والتقوى، فَإنَّهُم ذكروا ذَلِكَ انطلاقاً مِنْ هَذِهِ البيانات فِي الآيات والروايات وتجربة عملٍ مُصَدِّقة لهذه الحقائق الوحيانيّة فِي يوميات الإنسان فَإنَّهُ تتنزل عَلَيْهِ الخيرات بقدر طهارته.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّهُ تفتح البركات مِنْ سماء القُرآن عِنْدَمَا تكون هُنَاك تقوى وطهارة روحية ونفسية بخلاف ما إذَا عصوا وعتوا فَإنَّ الأرض تجذب وَالسَّماء تمنع قطرها وَهَذَا لَيْسَ مِنْ فرط الخيال والشِّعر وَإنَّما حقائق يبينها القُرآن الكريم فَإنَّ علم تفسير القُرآن علم فريد مِنْ نوعه وَلَيْسَ كباقي العلوم كعلم الفيزياء والكيمياء و ... الخ.

إذَنْ قَاعِدَة الذكر المُبَارَكَة بِهَذَا المعنى والتفسير كمنهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات هِيَ تولِّي وسير علمي وعملي وتبيِّن كيف للولاية دورٌ بقدر ما تتطهّر يشتدّ ولاؤك لله ورسوله ولأهل البيت عليهم السلام فستمطر حينئذٍ عليك أنوار البرهان أكثر فأكثر.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

الإشارات القرآنية للخواص ولطائفه للأولياء

ثانياً: أنْ يَكُون المُفَسِّر ذا رياضة روحية خاصّة فَإنَّ شرط معرفة بَعْض أسرار القُرآن أنْ يمتلك المُفَسِّر رياضة روحيّة متميّزة، فَإنَّ القُرآن الكريم كثيراً ما يُشارط ويُراهن فِي معرفة القُرآن أو فِي معرفة مغازي بيان كلام الله تَعَالَى فِي كتابه عَلَى أنْ يَكُون عِنْدَ المُفَسِّر أو الباحث رياضات روحيّة عَلَى أوسمة ومقامات فِي السلوك النفسي وَالرُّوحي.

فَهُنَاك بحث ذكره الشَّهيد الثَّانِي رحمه الله حول الاجتهاد وَأَنَّهُ ملكة روحيّة وقدسية نوريّة ولا يمكن أنْ يتّصف بها غَيْر العادل وَغَيْر المُتّقي.

إلَّا أنَّ المُتأخِّرين أشكلوا عَلَى الشَّهيد الثَّانِي رحمه الله بما حاصله: ـ هَذَا حُسن ظَنٍّ مِنْ الشَّهيد الثَّانِي رحمه الله مِنْ أنَّ الاجتهاد أو الفقاهة ملكة قدسية نورية، وَإنَّما الاجتهاد: ـ ملكة تقوِّمُ قوة الفكر فِي الإنسان ولا صلة لها بالجانب العملي وَإنَّما لها صلة ما بالجانب العملي وليست لها علاقة وصلة وطيدة به ـ أيّ بالجانب العلمي كَمَا يدّعيه الشَّهيد الثَّانِي.

وحاصل إشكال المُتأخِّرين: ـ أنَّ الاجتهاد ملكة علميّة وليست عمليّة كَمَا يستظهره الشَّهيد الثَّانِي وَأَنَّهُ ملكة قُدسيّة نُوريّة.

وبعبارة أُخْرَى: أنَّ ما ذهب إليه الشَّهيد الثَّانِيﷺ فِي تعريف الاجتهاد صحيح مِنْ جهة، وما ذهب إليه المُتأخِّرين صحيح مِنْ جهة أُخْرَى.

فَمِنْ جهة المُتأخِّرين أنَّ الاجتهاد مُجَرَّد نتاج قوّة فكرية وأنَّ الاجتهاد بنحو متوازن يصيب إرادة الله تَعَالَى ومسير رضا الله تَعَالَى ويوازن الأُمُور بسداد وصواب وبصيرة، بخلاف ما ذهب إليه الشَّهيد الثَّانِيﷺ أنَّ الاجتهاد ملكة ونور قُدسي ولا يمكن أنْ يأتي إلى الإنسان إلَّا عَنْ طريق الورع وَهُوَ الجانب العملي فِي الإنسان، وأمَّا الجانب الفكري لوحده فلا يُمَكِّنُ الفقيه أو المستنبط مِنْ تحرّي الصواب والسداد ويؤيِّده ما ذكره الشَّيْخ جعفر كاشف الغطاءﷺ فِي أوَّل كتاب منهاج الرشاد فِي الرد عَلَى مُحَمَّد بن عبدالوهاب ما حاصله : «... **إنَّ الفقه إذَا كَانَ بمعنى العلم الفكري وَمُجَرَّد القوّة الفكرية فَقَطْ وبلا وَرَع فَإنَّ الفقيه يستطيع ـ والعياذ بالله ـ أنْ يشكل مِنْ طينة المواد الفقهية وأدلّتها ما يشتهيه هواه أو هوى غيره، والفقيه الجامع للشرائط أمينٌ لا يخون ولا يتلاعب لِإنَّهُ مؤتمن ويحمل أمانةً علميّةً لابُدَّ مِنْ إيصالها بكُلِّ نزاهة إلى الناس** ... »[١].

ولذا نقرأ فِي زيارة أمير المؤمنينعليه السلام: «**السَّلامُ عليك يا أمين الله الأوفى**» لَيْسَ فَقَطْ أمين الله وَإنَّما أوفى الأوفياء فِي أداء أمانة الله عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَيْهِ فيمكن

---

(١) منهاج الرشاد في ردّ محمد بن عبدالوهاب وإجابته على الملك عبدالعزيز آل سعود ومراسلته إيّاه، جعفر كاشف الغطاء.

التلاعب بالقانون إذَا غابت الأمانة، أمَّا إذَا وجدت الأمانة فَهُنَا يَكُون القانون ذو سداد وحقيقة وصواب، ولذا لا تقتنص الحقيقة بالتنظير فَقَطْ.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ الحركة الفكرية والسعي العلمي هُوَ الآخر عملٌ وإنْ كَانَ متعلقه المعلومات والإدراك الذهني.

ثالثاً: مِنْ الشرائط الأساسية الَّتِي يجب توفّرها عِنْدَ المُفَسِّر هُوَ طهارة النفس، وأنْ يَكُون كُلّ مُفَسِّر عنده برنامج تطهير نفساني وتطهير معرفي وعقائدي، وتطهير أحوال نيّات النفس، وَمِنْ ثمَّ يُقدِّم عَلَى التدبّر فِي القُرآن ـ ولذا أفردنا هَذَا الشرط عَنْ الاول لأهمية تأثير الأخير عَلَى المُفَسِّر وإنْ كَانَ بينهما أوجه شبه ـ ولذلك أصحاب التقوى والعلم يُوصون بالتدبُّر فِي القُرآن الكريم فِي أوقات صفاء أعمال الإنسان وصفاء نيّاته، ولذا ما وَرَدَ عَنْ أهل البيت عليهم السلام مِنْ التأكيد عَلَى قراءة القُرآن أوّل الصباح خاصّة بَعْدَ صلاة الصبح وَبَعْدَ الطلوعين فَإنَّ هَذَا الوقت لَهُ مغزى باعتبار الصباح ابتداء أوّل اليوم وصفاء النفس بَعْدُ لَمْ يتلوَّث، فَإنَّ القُرآن الكريم يمطر حينئذٍ عَلَى أرض النفس بمعلومات نوريّة مُضيئة لظلمات النفس، وما للقُرآن مِنْ أثر ووقع خاص فِي تربية وصقل النفس والالتفات إلى أسرار القُرآن الشيء الكثير خاصّة فِي وقت ما بين الطلوعين وإنْ كَانَ القُرآن مأدبة الله فِي أيّ وقت تستطرق للقانع والمعتر، ولكن تلك الأفراد أكثر تأثيراً.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أحد معاني قَاعِدِة أَنَّ القُرآن ذكر هُوَ أنْ يَكُون نفس المُفَسِّر متذكّر وكأنَّما يقول القُرآن الكريم لنا إنَّ الصاحب المطلق والمعلم الأكبر للقُرْآن هُوَ الطاهر المعصوم ويعتبر هَذَا أحد براهين ضرورة وجود معلمين للقُرْآن الكريم، وإنَّ صاحب القُرآن هُوَ المطهّر لِأنَّ القُرآن كتاب هداية للمتقين لا للفاسقين، فَإنَّ مِنْ بديع وعظمة ومعجزة القُرآن الكريم الذي هُوَ خزينة مملوءة بالجواهر ولكنَّها لا تفتح الرقم السِّري لِكُلِّ باب مِنْ أبواب هَذِهِ الخزانة إلَّا لباب الطهارة والتزكية والذكر والتذكّر فَإنَّ الله تَعَالَى يضن ويمسك بها عَلَى غَيْر ذَلِكَ ـ أيّ لا تفتح لغير الطاهر المُطهّر ـ.

ولذا يعتبر هَذَا الشرط القرآني المهم أحد براهين ضرورة العصمة ووجود المعصومين فيما إذَا كَانَ القُرآن كتاب هدى للمتقين، وَعَلَيْهِ كُلّما ازداد الإنسان تقوى ازداد هدايةً فكيف إذَنْ يدّعي البعض ويقول حَسْبَنا كتاب الله، أو بعضهم يَدّعي أنَّهُ أتقى المتقين وإذا كُنْت أتقى المتقين فحينئذٍ تكون مُعلِّم القُرآن.

وَإِلى هَذَا المعنى يشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[1].

ونفس سورة البقرة تُفَسِّر مَنْ هُمْ الراسخون فِي العلم ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢.

بتقريب: ـ هُمْ ذو التقوى وإنَّ الإنسان كُلّما ازداد تقوى صار راسخاً فِي العلم وفي القُرآن إلى أنْ يبلغ ما يبلغ، وَحَيْثُ أنَّ هداية القُرآن غَيْر محدودة ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾[1]. وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ مدى غَيْر محدود فِي التقوى، أيّ لابُدَّ مِنْ استمرار إبقائه عَلَى التقوى وَلَيْسَ ذَلِكَ فحسب بَلْ لابُدَّ أيضاً مِنْ الترقي طولاً وارتفاعاً فِي الدرجات، وَإِلَّا سوف تكون معاني القُرآن وحقائقه معطّلة ومُجمَّدة وحاشا لكتاب مِنْ ذَلِكَ لِإِنَّهُ أُنزل مِنْ رب العِزَّة يَكُون مُجمّداً وَإِنَّما لابُدَّ أنْ يَكُون مُفعَّلاً والذي يَصِل إلى ما لا نهاية وما لا محدوديّة فِي القُرآن الكريم لابُدَّ وأنْ تكون تقواه غَيْر متناهية ولا تقف عِنْدَ حدٍّ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى العصمة الذي يُنادي القُرآن بوجودها وبوجود المعصوم الذي هُوَ صاحب القُرآن وعِدْله وَهُوَ الثقل الثَّانِي وَمِنْ دونه يعطل الكتاب، وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن كتاب مختلف عَنْ بَقيَّة الكتب وَلَيْسَ كتاب علوم أُخْرَى إِنَّما القُرآن كتابٌ يشترط تواجد صفات عمليّة خاصّة فِي المُعلِم والمُتعَلِّم، وإذا أردنا أنْ ننقب فِي الحقائق أكثر نستطيع أنْ نلتفت إلى أصحاب العلوم الأُخْرَى حَتّى التجريبيّة مِنْهَا كعلوم الفيزياء والكيمياء والأحياء و ... الخ والعلوم الإنسانية، بَلْ وَأيّ علم مِنْ العلوم الَّتِي يتداولونها ويتعاطاها النوابغ مِنْ البشر فَهُمْ يذكرون فِي مذكّرات تراجم حياتهم أنّهم لا يصلون إلى اكتشاف علمي إِلَّا أنَّ يتطهّروا خُلُقياً وروحياً وطهارة

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

خاصّة، وتكون اكتشافاتهم عَلَى قدر ما لهم مِنْ طهارة ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾[1].

فَإِنَّ هَذِهِ الاكتشافات تحتاج إلى شفافيّة نفسانيّة وصفاء روحي لذيذ جدّاً لَمْ نعايشه فِي حياتنا إلَّا فِي تلك اللحظة.

وبالتالي هَذَا يدلّل عَلَى أنَّ الباري تَعَالَى فِي كُلّ علم مِنْ العلوم يُمْطِرُ سماء الفيض فيها مَعَ درجة خاصّة مِنْ الطهارة.

وهذا ما صَرَّح به برفسور مسلم باكستاني تلميذ أحد النوابغ فِي علم الفيزياء وكتابه موجود يجمع به كلمات النوابغ.

ليس كل تهذيب أخلاقي ذكر:

لو لاحظنا ما يصدر الآن مِنْ العرفاء أو الصوفيّة أو أصحاب السير والسلوك وما يطفح منهم مِنْ شذوذات ونشوزات وعجرفات فَهَذِهِ ليست ذكراً وسببها أنَّهم لَمْ يكتشفوا قَواعِد نظام الذكر؛ فَإِنَّ الذكر نظام خُلُقي معين ونظام اعتقادي مُعَيَّن لَمْ يكتشف مِنْ قبل أكثر مشارب بحوث المتكلمين فِي مدارس إسلاميّة عديدة، ولذا أمثال الخوارج وغيرهم صاروا أشبه بالقدريّة والمرجئة بسبب عدم التفاتهم لمثل نظام الذكر وباقي الالتفاتات العلميّة الدقيقة؛ ولذا وقعوا فِي هَذَا التخبط والانحراف؛ لِأَنَّ النظام العقائدي نظام ذكر خاص لَهُ درجات مُعيّنة وبناء هَذَا النظام

---

(١) سورة الزلزلة: الآية ٧.

العقائدي الذي طرف مِنْهُ عِنْدَ الناس وطرف مِنْهُ عِنْدَ الله، فَإِنَّهُ يتدخّل فِي أغلب العلوم إنْ لَمْ نقل كلّها فَإِنَّهُ يتدخّل فِي علم الأخلاق والعقائد والاقتصاد والتجارة و ... الخ ولأجل أنْ تكون نتائج ذَلِكَ العلم متينة ومنضبطة لابُدَّ مِنْ أعمال قَوَاعِد الذكر، وَلَعَلَّهُ أحد تفاسير الآية المُبارَكَة ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(١).

بتقريب: ـ أمّا الإمام عليه السلام أجابهم برواية: ـ لا أنَّهم لا يُتاجرون ولا يتبايعون، عَنْ أسباط بن سالم قَالَ: دخلتُ عَلَى أبي عبدالله عليه السلام ... يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية إنَّ القوم لَمْ يكونوا يتجرون كذبوا، ولكنَّهم لَمْ يكونوا يَدعون الصَّلاة فِي ميقاتها، وَهُوَ أفضل ممَّن حضر وَلَمْ يَتْجُر [الكافي: ج٥، ص٧٥، ح٨] عَنْهُ تفسير البُرهان لِلْسَّيِّد هاشم البحراني: ج٥، ص٣٩٦، ح٥؛ الطبرسي فِي مَعْنَى الآية، قَالَ روي عَنْ أبي جعفروأبي عبدالله عليهما السلام إنَّهم قومٌ إذَا حَضَرَت الصَّلاة، تركوا التِّجارة وانطلقوا إلى الصَّلاة، وَهُمْ أعظم أجراً ممّن يتّجرُ، [مجمع البيان للطبرسي: ج٧، ص٢٥٤] ولكن هُنَاكَ تجارة لها نظام ذكر خاصّ؛ لِأنَّ هُنَاكَ نوع مِنْ التجارة يَكُون لهويّاً ورأسماليّاً وَهُنَاكَ تجارة فرضيّة مافوية، وبنفس الوقت هُنَاكَ تجارة ذكر؛ لِأنَّ الذكر يدخل فِي كُلّ شيء فَهُنَاكَ ـ أكلٌ ذكر، وشرب ذكر، نكاح ذكر، وسياحة ذكر، أمَّا أنَّهُ كيف يصب هَذِهِ فِي الذكر وكيف يصبّ الذِّكر فِي كُلّ هَذِهِ

(١) سورة النور: الآية ٣٧.

القنوات فَهَذَا معلم آخر يأتي توضيحه.

صفتان مختصتان بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

مِنْ بديع نعوت الْنَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وما يرتبط بمقامات النبوة وَلَمْ يصف الله بهما بشر ولا ملك قط، لا مِنْ قَبْلُ ولا مِنْ بعدُ ولا ... الخ عدا وَصْفُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالذكر ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ لِإِنَّهُ بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[1].

والصفتان هُمَا: ـ

الصفة الأولى: إِنَّهُ صلى الله عليه وآله وَحْيٌ لقوله تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[2] بتقريب: ـ إِنَّ الضمير (هُوَ) لَيْسَ عائداً إلى نطق الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وتبليغه، بَلْ يعودالى تمام مراتب ذاته الشريفة بمقتضى وحدة مرجع الضمير المُقَدَّر فِي الآية السابقة ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾[3].

فوصفُ تمام مراتب ذاته بذلك دالٌّ عَلَى أَنَّ قالب وجوده ـ صلوات الله عَلَيْهِ وآله وقوالب مراتبه بناءٌ عيني للوحي فِي الخارج، فَهُوَ صلى الله عليه وآله بتمام شؤونه يُجَسِّدُ الوحي لا بمعنى عَلَى أَنَّهُ أَوْجَدَ وخَلَقَ عَلَى طبق مواصفات الوحي، بَلْ هُوَ صلى الله عليه وآله وحيٌ عيني خُوطِبَ به الآخرون وأُنْزِلَ إليهم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) سورة النجم: الآية ٤.

(٣) سورة النجم: الآية ٢ ـ ٣.

الصفة الثَّانية: إنَّهُ ﷺ ذكرٌ فِي أكثر مِنْ آية كقوله تَعَالَى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾(١)، وقوله تَعَالَى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)، وقوله تَعَالَى ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾(٣)، وغيرها.

وَهَذَا النعت والصفة الثَّانية تطابق الأولى مِنْ جهة أنَّ الذكر هُوَ أساس وأصل الأصل الذي انحدر مِنْهُ القُرآن الكريم، كَمَا يشير إليه عطف القُرآن الكريم عَلَى الذكر فِي سورة يس/ ٦٩ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ بتقريب: ـ إنَّهُ ﷺ ذاته عينيّة للوحي انحدرت مِنْهَا حقيقة القُرآن، وَمِنْ ثمَّ فِي وصفه الأوَّل ـ إنَّهُ وحيٌّ ـ إنَّهُ لَمْ يحدد تلك المرتبة مِنْ الوحي الَّتِي يوصَف بهاﷺ، بَلْ أُطْلِق الوصف بلا تحديد ولا تقدير، ولا وقوف عِنْدَ حَدٍّ حَيْثُ وُصِفَ بجملة الفعل المضارع المستمر، وبالرغم أَنَّهُ وصف بالاسم مِنْ مادَّة (وَحْيٌ) إلَّا أَنَّهُ أُكِّدَ بجملة الفعل المضارع المستمر ـ يوحى ـ للدلالة عَلَى الاستمرار بقاءاً وارتفاعاً فِي الدرجات، وأمَّا الوصف بالاسم ـ وحيٌ ـ فله مدلول آخر وَهُوَ عينيّة وتجسيم مَعَ أَنَّهُ عين عينيّة الوحي، وبالأخير فَإنَّ بين الوصف الأوَّل والثاني للذكر تناغمٌ وتشاهدٌ كبير.

---

(١) سورة ص: الآية ٨٧.

(٢) سورة التكوير: الآية ٢٧.

(٣) سورة الطلاق: الآية ١٠ ـ ١١.

نتفة عقائدية:

أيضاً مِنْ مميّزات أوصاف الْنَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام هُوَ أَنَّهُ دائماً ذكرهما مقترن مَعَ ذكر الله تَعَالَى، فَإِنَّ البعض ـ والعياذ بالله ـ مِنْ السلفيّة والوهابيّة وأضرابهم أصحاب الأفكاروالآراء المُتطرِّفة والناصبيّ العداء لأئمة أهل البيت عليهم السلام ولشيعتهم، بَلْ وَحَتّى للصوفيّة وغيرهم، تنطلي عَلَيْهِ شبهةٌ يُثيرها هؤلاء وَهِيَ: لماذا تغرقون فِي ذكر الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله.

وجواب هَذِهِ الشبهة يتلخّص بما يلي: ـ

أوّلاً: إنَّ القُرآن الكريم نصَّ عَلَى هَذَا الاقتران بقوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ القُرآن الكريم يُريدُ دائماً وأبداً وفي كُلّ وقت هَذِهِ العبادة، حَتّى فِي وقت الصَّلاة المفروضة فِي الأوقات الخمسة فإنَّها ـ الصَّلاة المفروضة ـ هِيَ ذكر لله، فاذكروا الله ذكراً كثيراً، فلاحظ التطابق بين ذكر الله تَعَالَى وبين ذكر الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أحد مقامات النبوّة هِيَ مقام ـ إنَّ الله وملائكته يصلون عَلَى الْنَّبِيّ يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمنوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّموا تسليماً ـ مُطْلَقاً ليلاً

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

ونهاراً فِي حال الصَّحة والسقم، وحال الاحتضار للموت، وَأَنَّهُ مِنْ الراجح عِنْدَ احتضار الموت وغرغرة الرُّوح فِي الحلقوم وَأَنْتَ يُساقُ بك إلى عالم البرزخ أنْ تذكر الله، وَمِنْ ثَمَّ بَيَّن أمير المؤمنينعليه السلام أَنَّ هَذَا المقام الذي بيّنته الآية لسيد الأنبياءصلى الله عليه وآله هُوَ أعظمُ مِنْ مقام آدمعليه السلام فِي قوله تَعالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾[1].

وَالرُّواية هِيَ: الحسن بن أبي الحسن الديلمي فِي إرشاد القلوب: ـ بإسناده عَنْ موسى بن جعفر عَنْ آبائهعليهم السلام، عَنْ أمير المؤمنينعليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي جواب اليهودي، الذي سال عَنْ فضل النَّبيّصلى الله عليه وآله عَلَى سائر الأنبياءعليهم السلام فذكر اليهودي أنَّ الله أسجد ملائكته لآدمعليه السلام فَقالَعليه السلام: وَقَدْ أعطى مُحَمَّدصلى الله عليه وآله أفضل مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أنَّ الله صلّى عَلَيْهِ، وأمر ملائكته أنْ يصلوا عَلَيْهِ، وَتَعبَّد جميع خلقه بالصلاة عَلَيْهِ، إلى يَوْم القيامة، فَقَالَ جَلّ ثناؤه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[2] فلا يُصلي عَلَيْهِ أحدٌ فِي حياته ولا بَعْدَ وفاته، إلَّا صَلَّى الله عَلَيْهِ بذلك عَشْراً، وأعطاه مِنْ الحَسَنات عَشْراً، بكُلِّ صلاة صَلَّى عَلَيْهِ، ولا يُصَلّي عَلَيْهِ أحدٌ بَعْدَ وفاته، إلَّا وَهُوَ يعلم بذلك، ويَردُّ عَلَى المصلي السَّلامُ مثل ذلك لِأَنَّ الله جَلَّ وَعَزَّ، جعل دعاء أمته فيما يسألون ربَّهم، جَلَّ ثناؤه، موقوفاً عَلَى الإجابة، حَتّى يصلوا عَلَيْهِصلى الله عليه وآله.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

فَهَذَا أكبر وأعظم ممّا أعطى الله آدمعليه السلام، ثمَّ ذكرعليه السلام فِي بيان ما فَضَّل الله به أمتهصلى الله عليه وآله، وَمِنْهَا: ـ إنَّ الله جعل لِـمَنْ صلّى عَلَى نبيه، عشر حسنات ومحا عَنْهُ عشر سيئات، وَرَدَّ الله سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ صلاته عَلَى الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله(١).

بتقريب: ـ إنَّ الآية وَالرُّواية بيّنتا امتياز مقام الْنَّبِيّ الأعظم الخاتمصلى الله عليه وآله مِنْ مقام آدمعليه السلام مِنْ جهات عِدَّة: ـ

الجهة الأُولى: أنَّ صلاة الله تَعَالَى وملائكته فِي أعلى ملكوته، بينما سجود الملائكة لآدم فِي الأرض، أيّ فِي سلطان الملكوت مُقرَرٌ لخاتم الأنبياء، بخلاف سلطان الناسوت الأرضي.

الجهة الثَّانية: أنَّ فِي فضيلة الْنَّبِيّصلى الله عليه وآله المختصَّة قَدْ جعل الله عَزَّ وَجَلَّ شؤون نفسه أوَّل المُصلِّين عَلَى نبيّه، وأين هَذَا مِنْ فعل الملائكة، وَهُوَ تعظيم لشأن سيد الأنبياءصلى الله عليه وآله وما فوقه مِنْ تعظيم، وَذَلِكَ لكونهصلى الله عليه وآله باب أبواب رَبِّ العالمين.

الجهة الثَّالِثة: إنَّهُ جعلت الصَّلاة بصيغة الفعل المضارع المستمر (يصلون)، بينما فِي السجود لآدم جعل السجود بصيغة الفعل الماضي والمُنْصَرِم والمنقضي (فسجدوا) وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الفوارق، مَعَ أنَّ مقام الخلافة مُقَرَّرٌ للنبيصلى الله عليه وآله بالأصالة ولآدمعليه السلام بالتبع.

---

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوريقدس سره: ج٥، ٣٣٢، ٣٣٣، ح١١/ ٦٠٢٠.

ثانياً: هُنَاك نصوص قُرآنيّة أكّدت ونصّت عَلَى أنَّ النَّبِيّ ﷺ مُجسّم الذكر لله تَعالَى، وَكُلّما ذكرت النَّبِيّ ﷺ ذكرت الله تَعالَى، وهكذا كُلّما صَلّيْتَ عَلَى النَّبِيّ ﷺ فَإنّهُ ﷺ فِي تمام وجوده ذكرٌ، وفي تمام وجوده وحيٌ، فإذا ابتعدت عَنْ النَّبِيّ ﷺ فَإنّك ابتعدت عَنْ ذكر الله تَعالَى، وإذا أردتَ أنْ تقترب مِنْ ذكر الله اقترِب مِنْ ذكر النَّبِيّ ﷺ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

وَعَلَيْهِ فَإنَّ باب التوبة والأوبة إلى الله تَعالَى تمامه ذكرٌ ووحيٌ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[2].

بتقريب: ـ أنَّ أوّل وأهم شيء يقومون به هُوَ الإتيان إلى النَّبِيّ ﷺ لِأنَّ المجيء إلى النَّبِيّ ﷺ هُوَ مجيء إلى الله بنصّ القُرآن (جاؤوك) فاستغفروا الله بَعْدَ ذَلِكَ، ثمَّ تأتي شفاعة النَّبِيّ ﷺ واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً فَإنَّ النَّبِيّ ﷺ تمامه ذكرٌ، والإغراق فِي ذكر النَّبِيّ ﷺ هُوَ إغراقٌ فِي ذكر الله تَعالَى وإغراق فِي وحي الله، وَمِنْ ثمَّ قرن الله ذكر النَّبِيّ ﷺ بذكره تَعالَى كَما يشير إليه قوله تَعالَى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٤.

ذِكْرَكَ﴾[١] الآية. بتقريب: ـ إنَّهُ قَرَن ذكره صلى الله عليه وآله بذكر الله تَعَالَى أينما ذكر الله تَعَالَى.

ثالثاً: الإغراق فِي آل النَّبيّ صلى الله عليه وآله هُوَ أيضاً إغراقٌ فِي النَّبيّ صلى الله عليه وآله وبالتالي هُوَ إغراق فِي الله تَعَالَى، وهؤلاء السلفية يقولون هُوَ إغراق فِي الصنمية ـ والعياذ بالله ـ وإغراقٌ فِي ذكر الحسين عليه السلام وَنَحْنُ نقول لهؤلاء: ـ إنَّ الإغراق فِي ذكر الحسين هُوَ إغراق فِي ذكر النَّبيّ صلى الله عليه وآله والإغراق فِي ذكر النَّبيّ صلى الله عليه وآله هُوَ إغراق فِي ذكر الله، وَإنَّما الصّنميّة فِي الابتعاد عَنْ ذكر الحسين عليه السلام، وأنْ تنوء عَنْ ذكر النَّبيّ صلى الله عليه وآله وذكر علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وَعَلَيْهِ فَمِنْ تمام التوحيد والعبودية أنْ تداوم عَلَى ذكر النَّبيّ صلى الله عليه وآله وآله الأطهار. وأنَّ الصَّلاة عَلَى النَّبيّ وآله هِيَ تهليل وتسبيح وتحميد.

وَهُنَاك رواية مضمونها: «**أَنَّهُ أُجْلِس مؤمنٌ مِنْ قِبلَ منكر ونكير وأرادوا أنْ يسألوه مَنْ ربك وَمَنْ نبيّك وَمَنْ إمامَك؟ قَالَ: ـ اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحمَّد وآل مُحمَّد، قالا ـ الملكان ـ كفى**»[٢].

بتقريب: ـ أنَّ سؤال منكر ونكير كُلَّهُ فِي القبر يكتفى بالصلاة عَلَى مُحمَّد وآل مُحمَّد وسواء فِي سكرات الموت أو فِي البرزخ، أو عَلَى الصراط فَإنَّهُ ذكرٌ دائمٌ، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ الحال كَذَلِكَ حَرَم السلفيون وغيرُهم أَنْفُسَهم مِنْ رحمة الله الواسعة. وأُبْلِسوا مِنْ رحمة الله بنأيهم عَنْ ذكر

---

(١) سورة الشرح: الآية ٤.
(٢)

الْنَّبيّ ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وبالتالي نأوا بأنفسهم عَنْ رحمة الله الواسعة، ـ أعاذنا الله وإيّاكم ـ مِنْ هَذَا الخط والخط الأوكس.

طبيعة العلاقة بين قواعد منهج أمومة الولاية

على المحكمات في القُرآن

إنَّ أبواب وأساليب القُرآن الكريم فِي حين أنَّها متمايزة مَعَ قَواعِد الأسلوب الاستعمالي هِيَ كَذَلِكَ متداخلة فيما بينها وبينهما وحدة نظام، وَعَلَيْهِ فالتفكيك والتمييز بين القَوَاعِد كَمَا هُوَ مطلوب فِي منهج قَواعِد تفسير القُرآن الكريم كانضباط منهجي ونظامي، ولكن مَعَ ذَلِكَ فَإنَّ الوقوف واكتشاف الارتباط بين القَوَاعِد أيضاً مطلوب.

واكتشاف الارتباط بين تلك القَوَاعِد لَيْسَ عَلَى صعيد سطح القَوَاعِد أو تداعياتها وآثارها بَلْ اكتشاف الارتباط حَتّى عَلَى مستوى وصعيد ذَاتَ مفاد تلك القَوَاعِد، وَهَذَا أمرٌ لَيْسَ بالسهل، وَحَتّى هَذَا المنهج الذي نَحْنُ فيه أيّ منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فَإنَّ التعمّق فيه وتفعيله عَلَى درجات.

وَنَحْنُ الآن فِي الخطوة الأولى ونشير فَقَطْ إلى بادرة الالتفات والاكتشاف إلى هَذَا المنهج، أمَّا تفعيله وَأنَّهُ لَهُ طبقات وأطوار وأنماط فلا زلنا فِي بداية الطريق، وربما تأتي بَعْض الأجيال القادمة مَنْ لَهُ القابليّة عَلَى التعمّق فِي هَذَا المنهج بدرجات وأعماق متطورة متكاملة وقويّة جدّاً وغاية ما نتعاطاه الآن هُوَ عمليات ابتدائيّة أو كبادئ أمر.

وَمِنْ الواضح أنَّ المُفَسِّر كُلَّما تدرّب أكثر ومارس قَواعِد أكثر عَلَى هَذَا المنهج ـ أيّ منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فِي القُرآن ـ وصل إلى نتائج ومحطات مُهمّة وخطيرة جدّاً، ولا يظنن أحدٌ أنْ ما نثيره الآن هُوَ نهاية المطاف أبداً بَلْ هُوَ بداية المطاف والباب مفتوح والطريق مسلوك يحتاج إلى همم لطيّه.

مُضافاً إلى أنَّهُ تَقَدَّمَ فِي بحوث سابقة إلى أنَّ طبيعة العلاقة بين قَواعِد هَذَا المنهج ـ أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات ـ لا يمتنع أنْ يُدخِل عنوان باب معينة تحت أكثر مِنْ باب، فمثلاً بابٌ هُوَ فِي الأمثال لا يمتنع أنْ يَكُون نفس هَذَا الباب، باب حكمة وباب إحكام فمثلاً آية واحدة فِي باب المعارف يستفيد مِنْهَا الفُقَهاء حكماً فقهياً وَعَلَيْهِ لا تنحصر آيات الأحكام بخمسائة آية أو أكثر بَلْ أكثر مِنْ ذَلِكَ وأنَّ الفقيه كُلّ الفقيه مَنْ يستطيع أنْ يستثمر آيات عديدة فِي أبواب عديدة للأحكام الفقهية، والعكس كَذَلِكَ فَإنَّ الباحث فِي المعرفة والعقيدة لا يقتصر فِي بحثه عَلَى جملة مِنْ الآيات الظاهرة بدواً فِي العقائد حَتّى فِي آيات الأحكام يستطيع أنْ يستل الباحث الملتفت والفَطِن مِنْهَا مطلباً عقائدياً وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[1]. مِنْ أنَّ الآية المُبارَكَة وإنْ كَانَتْ المُراد بها هُمْ أهل آية التطهير إلَّا أنَّهُ يمكن العبور والتعريض ـ كَمَا مَرَّ فِي قَاعِدَة الجري والتطبيق ـ لغير

(١) سورة الواقعة: لآية ٧٧ ـ ٧٩.

المعصومين مِنْ أهل آية التطهير لكنَّها تجري بشكل مخفّف مَعَ عادي البشر، ويمكن أنْ يمسّ القُرآن بقدر ما أوتي مِنْ طهارة فِي الأخلاق، فإذا أردتَ أنْ تُبْصِر مفاد الآيات جيّداً فيجب عليك أنْ تُطهّر أخلاقك، وَكُلّما تطهر أخلاقك أكثر فِي يوميات الإنسان تتنزل عَلَيْهِ مِنْ باطن القُرآن أمطار منعشة، مثلما نزول الأمطار يحيي الأرض بَعْدَ موتها فَإنَّ القلب أرض الرُّوح وأنَّ أرض العقل الإنساني لا تستطيع أنْ تستمطر مِنْ السَّماء إلَّا بقدرطهارته.

قاعدةِ الذكر بالمعنى الذي ذكرناه:

إنَّ قَاعِدة الذكر بالمعنى الذي ذكرناه عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية غَيْر موجود فِي منهج تفسير القُرآن بالقُرآن الذي تَبنّاه السَّيِّد العلّامة الطباطبائي‍ وإنْ كَانَ السَّيِّد العلّامة يعترف بهذه الحقيقة، إلَّا أَنَّهُ لَمْ يُدْرِجُها فِي تفسيره، وكذلك غَيْر موجودة فِي باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى للقُرآن.

وَعَلَيْهِ فَقَاعِدة الذكر بحسب منهج أمومة الولاية فيها صفات نظرية وصفات عمليّة، وإنْ كَانَ هُنَاك شخصاً أمياً بحسب الظاهر ـ بأنْ لا يقرأ ولا يكتب ـ بأنْ لَمْ يقرأ التفسير ولكنَّه طاهر القلب والنفس والعمل فَإنَّهُ يُبْصر مِنْ وصايا وأنوار الآيات والسور ما لَمْ يُبْصره مفسر آخر يقرأ ويكتب وعنده اطّلاع عَلَى التفاسير، فلماذا القُرآن الكريم يكرم

ذاك ويبخل عَلَى هَذَا؟

الجواب: يقول القُرآن الكريم هُنَاك شرط لابُدَّ مِنْ توفرها فِي المُفَسِّر لكي يُبصِر وصايا وأنوار الآيات والسور وَهِيَ طهارة النفس بطهارة إلهية قدسيّة مقدّسة، فَإِنَّهُ بقَدَر طهارته وقدسيّته، ينهل مِنْ تلك الأنوار والوصايا ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[1].

بتقريب: ـ هداية مَنْ يُنادي بها القُرآن الكريم؟ هل هداية للمُفسِّرين بحسب الإحاطة النَّظَرِيَّة؟ كلا، هل هُوَ هداية للمُتّقين، وربط التقوى كبرنامج عملي بينها وبين العلم بالكتاب والاهتداء به؟ كلا، وَإِنَّما هُنَاك نوع مِنْ ربط القُرآن أيّ طبيعة كتاب لا ينفصل فيه العمل عَنْ العلم ولا العلم عَنْ العمل فإنّهما متلازمان مُضَافَاً إلى شرط آخر وَهُوَ الإيمان بالغيب فَإِنَّ الإنسان إذَا لَمْ يكن مؤمناً بالغيب لا يستطيع أنْ يلج بحور علوم القُرآن فَإِنَّ علوم القُرآن محميّةٌ وقلعةٌ مُسَوَّرَة بسياج كبير.

المعاني الأخرى لقاعدة الذكر:

مِنْ معاني قَاعِدة الذكر أنَّ للقُرْآن طبقة صوتية خاصّة ورنين صوتي خاصّ ويشير إلى ذَلِكَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله : «**إنَّ القُرآن نزل بالحُزن فإذا قرأتموه بكّوا، فإنْ لَمْ تبكوا فتباكوا**»[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١ ـ ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٩ ص٢٤٧، ح٢٦.

إذَنْ القُرآن لَهُ تجويد ذكري لا تجويد الأهازيج أو التواشيح وَإنَّما تجويد ولحن صوتي خاصّ يُسَمَّى باللحن الذكري، وتقدّم إلى أنَّ عُلَماء التجويد لَمْ يكتشفوا التركيب النحوي ولا الصرفي ولا اللغوي ولا الاشتقاقي ولا البلاغي ولا ... الخ الَّتِي يستعملها القُرآن الكريم، فَإنَّ لهذه التراكيب المذكورة الَّتِي يستعملها القُرآن الكريم صفة ذكر خاصّة، وَعَلَيْهِ فَيَكُون التركيب النحوي فِي القُرآن غَيْر التركيب النحوي فِي شعر الرَجَز، وهكذا باقي التراكيب الأُخْرَى فِي القُرآن الكريم غيرُها فِي باقي العلوم الأُخْرَى.

الفرق بين نداء القرآن

وعرض أصحاب علم الهندسة الصوتية:

هُنَاك فرق مهم جدّاً ينبغي ملاحظة هَذَا الفرق عَلَى الباحث المتتبع بين نداء القُرآن الكريم وبين عرض أصحاب علم الهندسة الصوتيّة، فَالقُرآن يُناديهم بأعلى صوته صريحاً يا أصحاب علم الهندسة الصوتيّة والملحنين لماذا لا تصدرون وتبثّون ورود الكمال والأزهار الجميلة ذو الرائحة العَطِرَة الطيّبة إلى البشر، وَإنَّما فَقَطْ تبثّون وتضخّون ورود الخِفّة والاستخفاف والمجون واللاعقلائيّة للبشر كالغناء والرقص وَكُلّ ما تُبتذل به كرامة الإنسان ويترتب بالتالي عَلَى بثّ هكذا حالات جنونية نوع مِنْ الهيجان واللاستقرار عكس ما يبثّه القُرآن الكريم،

لقارئه ومتدبره ومتأمله مِنْ سكينة وطمأنينة وهداوة وثقل، فَالقُرآن الكريم حَتّى إذَا أراد أنْ يبث قضية فيها جانب إثارة شهويّة وجنسيّة أو غضبيّة أو ... الخ فَإنَّ هَذَا مرتبط بجانب المعاني القُرآنيّة والبلاغيّة والادبية فَإنَّهُ يستعرضها بذكر عِبْرَة وطمأنينة وسكينة لا بشكل مجوني مبتذل ـ والعياذ بالله ـ وَالقُرآن الكريم إنَّما يسلِّط الأضواء فِي عرض هكذا قضايا عَلَى الجانب النوري فيها لا عَلَى الجانب الشهوي فَإنَّهُ مبتذل وحقير وأمَّا الجانب النوري والرباني فَهُوَ عظيم الذكر.

وَذَلِكَ كَمَا فِي قصة يوسُفعليه السلام وفيما يستعرضه القُرآن الكريم مِنْ لذائذ فِي الأطعمة والأشربة والأنكحة الأخروية كَمَا فِي سورة الرحمن، قَالَ رسول اللهصلى الله عليه وآله فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾[1] قَالَ للناس: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١﴾[2] قَالَ يكبُر تَمَرَ النَّخل مِنْ القِمْع، ثمَّ يَطْلعُ مِنْهُ، ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢﴾[3] قَالَ: الحبّ: الحِنطة والشعير والحبوب، والعصف: التبين والريحان ما يُؤكل مِنْهُ[4]. وَكَمَا يستعرضه القُرآن مِنْ تعبئة للقوَّة الغضبيّة فَإنَّهُ يوجهها إلى الخير وإقامة العدل والدفاع عَنْ المحرومين والمستضعفين لا فِي طريق الفرعنة والتجبّر والاستكبار.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ١٠.
(٢) سورة الرحمن: الآية ١١.
(٣) سورة الرحمن: الآية ١٢.
(٤) تفسير البُرهان للسيد هاشم البحراني: ج٢٧، مج٧ ص٣٨٣، ٣٨٤.

الفرق بين القرآن الكريم كقاعدةِ ذكر وبين الشعر:

القُرآن الكريم بَعْدَمَا تحدّى البلاغيين والنحويين واللغويين والشعراء والأدباء و... الخ والكفّار بَعْدَمَا عَجِزوا عَنْ التعرف عَلَى نظام الذكر وحقيقته لِأنَّ التعرُّف عَلَى نظام الذكر وحقيقته يحتاج إلى إنسان طاهر مُطهّر مُتطهّر، كَمَا تَقَدَّمَ ـ فَقَدْ حاول الكفّار والمشركون بَعْدَ عجزهم عَنْ وصف الذكر لأنَّهم تارة وصفوه بأنه أضغاث أحلام، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَأُخْرَى وصفوه بأنه افتراء أيّ أسلوب قصصي روائي مختلف فيه، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ إذْ لَيْسَ القُرآن بشعر لأنَّهم قالوا ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾[1] بتقريب: ـ أن القرآن ليس بشعر فإن بين القرآن والشعر بونٌ كبيرٌ، فإن الشعر في هيئة الكلام يعتمد على أوزان وفي المضمون يعتمد على المخيّلة فإن أعذبه أكذبه، وعليه فإن الشعر يعتمد على قوّة الخيال بخلاف القرآن فإنه يعتمد على أوزان قاعدة الذكر، تحدّى علماء النحو والصرف واللغة والاشتقاق والشعر و ... الخ على أنْ يكتشفوا قواعد علم الذكر، ومن آيات تأثير الذكر القرآني وافتراقه عن الموسيقى والشعر والغناء وأيّ خطاب فكري آخر أنه لا يُثير القوى الغريزية بانفلات عن سيطرة العقل وهيمنة الحكمة ولا يُميتُها جامِدَة، بل يُثيرها موجهةً هادفةً، كما أنه لا يُعَيِّش الإنسان في جوٍّ واحد غير متوازن ومتعادل مع أجواء أخرى بل يعبر به الى عوالم أخرى كثيرة متنوِّعة متوازنة.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٥.

تنبيه: كُلّ سورة فِي القُرآن الكريم لها وزن مُعيّن ولها تفعيلة خاصّة، فمثلاً سورة القمر لها قافية معيّنة، والمدثر كَذَلِكَ لها قافية ونغمة صوتيّة وذكريّة خاصّة بها، وهكذا باقي السور فَإِنَّ لِكُلِّ سورة لها وَقْعٌ فِي أوزان مُخْتَلِفَة، إِلَّا أَنَّهُ إلى الآن لَمْ تكتشف هَذِهِ الأوزان، وَلَمْ يكتشف النظام الرابط لها هل هُوَ نظام نثر مُسَجّع أو غيره، فالوليد بن المغيرة كَانَ أديباً كبيراً فِي قريش، قَالَ لأصحابه فِي الفن: ـ مِنْ الخطأ أنْ تحكموا عَلَى القُرآن بأنّه شعر ولا نوحٌ ولا نياحة ولا رواية قصصية لِإِنَّهُ لا يمكن أنْ تقولوا إنَّ الصادق الأمين مُحَمَّدﷺ جُنَّ أو صار عنده حالة هذيان فِي الكلام ـ وحاشاه مِنْ ذَلِكَ ـ وبالتالي فَإِنَّ المغيرة قَالَ لهم أحكموا عَلَى القُرآن بأنّه سحر وَمَعْنَى السحر يعني إِنَّهُ مؤثر ولا تهتدي إلى سبيله ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[1] ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[2] وَمَعْنَى الإفك معناه الكذب والتخيّل والخداع.

وفيه: هل أنَّ كُلّ مؤثِّر لا تهتدون إلى سبيل تأثيره يَكُون سحراً؟

الجواب: ـ كلا.

لذلك إلى الآن يتمتّع القُرآن بجانبه الإعجازي فِي البلاغة والأدب وَاللُّغَة والصرف و ... الخ، والمقصود أَنَّهُ يتمتّع القُرآن بكُلِّ جوانب نظام الاستعمال اللفظي فِي القُرآن وَلَمْ تكتشف لحدّ الآن ولا أحد

---

(١) سورة طه: الآية ٦٩.

(٢) سورة طه: الآية ٢٠.

يستطيع أنْ يدّعي أَنَّهُ أحاط بمنظومة نظام أوزان وتفعيلات الآيات القُرآنيّة، صحيح ندرك بَعْض تفعيلات السور كسورة القمر والمدّثر و ... الخ.

ولكن الكلام فِي ما هُوَ هَذَا النظام المُنسّق بينها الذي يُعطيك نغمة ذكرية لا نغمة مجونيّة هيجانيّة لِأَنَّ الشعر دائماً فيه حالة خفّة ومجون وهزهزة للمشاعر إلَّا ما كَانَ مِنْهُ فِي حقّ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الشعر فِي الحقّ غَيْر ذكر القُرآن وَهُوَ دون ذُكريّة القُرآن، وَهَذَا يعتبر بُعدٌ آخر مِنْ أبعاد قَاعِدة الذكر فِي القُرآن الكريم، وَالَّتِي تنفتح عَلَى أصعدة متعدِّدة فِي نظام الاستعمال اللفظي وكم كتب عُلَمَاء البلاغة والنحو والصَّرف وَاللُّغَة فِي مجالاتهم إلَّا أنهم إلى الآن ما وصلوا إلى قَواعِد الذكر فِي القُرآن فِي هَذِهِ الأبعاد، فمثلاً علم المعاني فِي القُرآن الكريم ثمرته الذكر إلَّا أَنَّ نظام قواعده غَيْر معلومة، وهكذا علم البيان فِي القُرآن فيه استعارات ومجازات ولكن فِي أيّ نظام؟ فَهِيَ إلى الآن غَيْر مُكتشفة وإنْ كَانَتْ هُنَاك تحليلات كثيرة مسطورة فِي التفسير لكنّها بشكل متناثر وَلَيْسَ بشكل نظام مترابط وحدوي بين هَذِهِ الأبحاث، بحيث نكتشف قَواعِد هَذَا العلم، وإذا استطعنا أنْ نكتشف قواعده إذَنْ استطعنا أنْ نأتي بمثل القُرآن وَهُوَ مستحيل أنْ يأتي المخلوق بمثل ما أتى به الخالق، فمثلاً القُرآن يستعمل الجناس اللفظي ويستخدم البديع لكنّه لا يورث دغدغة الخيال ومشاغبة الوهم وهزهزة العاطفة و ... الخ بخلاف ما يؤثّره

الذكر مِنْ إثارة الذي مِنْ علامته الوقار والسكينة والعقلانيّة ورجحان العقل وتوازن الغرائز ومكرمات الأخلاق وَعَلَيْهِ فَإِنَّ طبيعته ـ الذكر ـ هِيَ نظام خاص.

كيفية اكتشاف قواعِد الذكر:

إنَّ أحد جوانب سِرّ إعجاز القُرآن إلى الآن هُوَ عدم اكتشاف قَواعِد الذكر فِي النظام الاستعمالي واللفظي فَإِنَّ فيها بلاغة وفصاحة وبيان و ... الخ إلَّا أنَّها تجتمع فِي أَنَّهُ ذكر القُرآن يوجب ويُسبب تفجّر المعلومات المدفونة فِي عقل الإنسان الباطن لِإِنَّهُ ذكر كَما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكّروهم منسي نعمته ويحتجّوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ...**»[1] وَهَذِهِ الفطرة الَّتِي هِيَ شبيهة إلى حدٍّ ما بالذاكرة الكمبيوتريّة والقرص النوري فيه ما شاء الله مِنْ المعلومات الهائلة والحقائق الكثيرة، ولكن السؤال الأهم فِي المقام هُوَ: ـ

كيف يُفَعَّل هَذَا الخزين مِنْ المعلومات؟

الجواب: لا طريق لفتح هَذِهِ الملفات والاستفادة مِنْهَا إلَّا عَنْ طريق الذكر، فَإِنَّ الذكر هو مفتاح كمال الإنسان، والذي يولِّد الذكر هُوَ

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأُولى، بحار الأنوار: ج١١، ص٦٠.

آيات القُرآن الكريم ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾[١] كصفة أولى و ﴿وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ كصفة ثانية.

بتقريب: ـ إنَّ الصفة الأولى هِيَ أنَّ القُرآن فيه ذكر وَهِيَ علامة كمال واستقامة وبعبارة أُخْرَى: ـ إنَّ أيّ علم مِنْ العلوم الَّتِي يمكن للبشر الاستفادة مِنْهَا إنْ أُحدِث فيه ذكر فَهُوَ كمال، وَإلَّا فَهُوَ تردّي وهلاك.

والخلاصة: إنَّ صمام أمان القُرآن إنَّهُ ذكر مُبين وصمّام نبوّة سيد الأنبياء ﷺ بناءاً عَلَى ما تَقَدَّمَ مِنْ الرُّواية هُوَ الذكر وبواسطته يميّز النَّبيّ الأكرم ﷺ الآتي مِنْ الله تَعَالَى هل هُوَ ملك أم شيطان، فَإنَّ معرفة الملك تتميّز مِنْ خلال الوقار والسكينة يعني الذكر، بينما الشياطين ـ والعياذ بالله ـ تأزُّهم أزّاً أيّ تفزّهم، فمثلاً مِنْ حبائل وطرق الشيطان الموسيقى الماجنة فَإنَّها دائماً تتّصف بحالة جنونيّة واضطراب وطيش وانفلات وعبثيّة واللاهدفيّة، بخلاف قَاعِدَة الذكر، فَإنَّها وقار وسكينة، ولذا تعتبر قَاعِدَة الذكر معلم رئيسي فِي كُلّ أصعدة وَقَواعِد وأنظمة القُرآن الكريم فِي النظام الاقتصادي فِي القُرآن فَإنَّها تولِّد الذكر ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾[٢] فإذا تمسَّك الإنسان بعدم الإسراف فِي النظام التجاري لَمْ تصبح هُنَاك أزمة ماليّة فِي العالم، وَعَلَيْهِ فذكر نظام مُعيّن يولِّد الذكر،

---

(١) سورة يس: الآية ٦٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.

وآنذاك لا يفتح الباب أمام الانخراط فِي نزوات الغرائز والحروب الطاحنة فَإنَّ الذكر يوجب للإنسان أرعواء.

الذكر نظام فِي العلوم يوظفها إلى الكمال

قاعدةِ الذكر: قاعدةِ استراتيجية

أو ناظوم لعلوم التفسير وميزان معادلي:

هُنَاك علم يُسمَّى بعلم الاستراتيجيات أو علم إدارة العلوم ووظيفة هَذَا العلم هُوَ تنظيم عمل وخطوات الباحث فِي أيّ علم مِنْ العلوم، فمثلاً: البحث أو المتعلِّم الكريم بدلاً أنْ يخوض فِي أيّ علم مِنْ العلوم كالفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو الهندسة الفضائية أو ... الخ بنحو لا هادف وعبثي ولا يدري إلى أين يصل، فإذا تَعَلَّم علم إدارة العلوم والاستراتيجيات فَإنَّهُ يُنظم لَهُ خطوات انتقاله وسيره نحو النتيجة العلميّة المنضبطة بقواعد رصينة، فَإنَّ كثيراً مِنْ الجامعات والكُلّيات والمعاهد بمختلف أقسامها وتخصصاتها تطلب التنسيق مَعَ النقابات والمعاهد العلميّة العالمية حول بيان وتعلّم الاحتياجات الحقيقية لتوظيف العلوم المختلفة مِنْ طب وهندسة وكيمياء وفيزياء وحاجة المجتمع الماسّة لها لا أنَّهُ تُدرّس العلوم كيفما اتّفق وكيف ما شاء، وما فائدة طرح دراسة تخصصيَّة حول نظرية محضة وتجريدية لا مسيس لها بالواقع المعاش، علماً أنَّ حاجة المجتمع الماسّة إلى غيرها، فمثلاً صحيح أنَّ المجتمع يحتاج إلى

بناء نظام اقتصادي جيّد يعتمد عَلَى تطوير نظام وآليات الزراعة مثلاً، وهكذا ازدهار التجارة تحتاج إلى تطوير القابليات، وازدهار علم النفس يعني ينبغي تطوير آليات المجال النفسي فِي المجتمع، وهكذا ازدهار الجانب الأمني فِي المجتمع يحتاج إلى ازدهار القوّة العسكرية وتطويرها وهكذا.

إلَّا أنَّ هَذَا لا يتحقق إلَّا ببناء مؤسسات وإجراء موازنة ومعادلة بينها فإذا حصل إفراط وتفريط وتضخّم فِي جانب معيّن كالطب أو الجانب العسكري أو الجانب الأمني أو المالي أو ... الخ وَهُنَا يأتي دور القَاعِدَة الاستراتيجية وإدراة العلوم وإجراء الموازنة فيما بينها وكمال العلوم أنْ تصب فِي الهدف النهائي لا أنَّ كمالها تذهب مستقلة منفردة بحيال نفسها بلغ الأمر ما بلغ، وَإنَّما لابُدَّ مِنْ موازنة وإنْ لَمْ تكن هَذِهِ الكمالات متوفّرة فِي مجتمع واحد، وَإنَّما مجتمعات البشر تكمّل بعضها البعض، ولكن بالتالي تحتاج إلى موازنة سواء كَانَتْ فِي مشرق الأرض أو مغربها وفي أيّ صقع مِنْ أصقاع المعمورة.

الذكر: هوَ أحد معاني أشهر أنك تلوت الكتاب حق تلاوته:

أحد أهم الأوصاف الَّتِي تميّزَ بها المعصومعليه السلام عَنْ غيره ما وَرَدَ فِي زياراتهم «**أشهد أنَّكَ تلوت الكتاب حقّ تلاوته**» فما مَعْنَى حقّ تلاوته؟ هُنَاك معانٍ مُتعدِّدة أحد أهم مفاهيمها هُوَ أنَّ الذكر أيّ ذكر تلاوة الآية

فِي موضعها المُنَاسِب وَهُوَ الذكر، أمَّا تلاوتها فِي غَيْر موضعها فَهُوَ صدٌّ عَنْ سبيل الله وصَدٌّ عَنْ الذكر.

ولذا الخوارج كانوا أيضاً يتلون الكتاب ويتمسكون به، ولكنّهم كَمَا قَالَ أمير المؤمنينعليه السلام: «**يتظاهرون بحجج (الدِّين) عَلَى أوليائه**»[1] أيّ ضد سبيل الله وضد أولياء الله، فَإِنَّ مثل هَذَا لَيْسَ ذكر.

وينبغي أنْ نُحَذِّر أنفسنا مِنْ الوقوع به ـ والعياذ بالله ـ فَإِنَّ الإنسان قَدْ يَكُون عنده علم ديني ولكنّه يوظّفه لضعضعة وهدم الدِّين ـ والعياذ بالله ـ لا لنصرته، وَهَذَا مِنْ أشكل المتشابهات فبدلاً أنْ تتنامى عِنْدَ الإنسان حالة الذِّكر والأوبة إلى الله فَإِنَّهُ يشغل نفسه وعبادَ الله بإفراط وتضخيم وبُعد غَيْر متوازن مَعَ الصراط المستقيم، وإنْ كَانَ هَذَا وجه أكمل ولا يَتِمُّ إلَّا بهداية المعصوم إلَّا أَنَّهُ ما لا يُدْرك كُلَّهُ لا يُترك كُلَّهُ.

ولذا:

يفترق تفسير المعصوم عليه السلام عن غير المعصوم:

إنَّ تفسير المعصومعليه السلام دائماً حيوي وغضٌّ نضر ومؤثِّر، بينما تفسير غَيْر المعصوم مِنْ المُفَسِّرين مُجرَّد بحوث تنظيرية تجريدية وآفاق بعيدة عَنْ المسيرة والواقع المعاش؛ ولذا عِنْدَمَا سُئل النَّبِيّ الأكرمصلى الله عليه وآله مثلاً عَنْ علم

(١)

أنساب العرب ـ علماً أَنَّهُ لَيْسَ بقليل الأهميّة ـ فَقَالَ ﷺ: ـ «**فذاك علم لا يضرُّ مِنْ جهله، ولا ينفع مِنْ علمه**»[١] عَنْ الإمام الكاظم عليه السلام: «**إِنَّما العلم ثلاثة آية محكمة، أو فريضة عادلة أو سنة قائمة، وما خلاهن هُوَ فضل**»[٢].

بتقريب:ـ أنَّ الْنَّبِيّ الأكرم ﷺ أَكَّدَ عَلَى وجود علوم أساسيّة ومركزيّة وبنيويّة هامّة وخطيرة وَأَكَّدَ ﷺ عَلَى أهميّة التمركز حول المركز أو ما يصبّ فِي المركز، والابتعاد عَنْ كُلّ ما لَهُ هاجس التشتت والتوغّل والتباعد فِي التفاصيل فإنّها لا تقودك إلى المنظومة المركزيّة ـ أيّ التعمق ـ وإنْ كَانَ التعمّق فِي بَعْض الموارد مذموماً.

إِلَّا أَنَّهُ كيف نوفِّق بين التعمّق الذي تستخدمه الآن فِي الحياة العصرية بمعنى التدقيق كيف يَكُون مذموماً؟ وبين ما وَرَدَ فِي الروايات مِنْ أنَّ التعمّق دائماً مذمومٌ حَتّى فِي الفكر، فكيف التوفيق بينهما؟

أمَّا التعمّق المذموم فِي الفكر كالتعمّق فِي علم التفسير والعلوم الأُخرَى بمعنى أنْ تتعمّق وتدخل فِي التفاصيل، بَلْ وتفاصيل التفاصيل، وهكذا وتضيع البُنى الأساسيّة وتَفْلُت زمام الأُمُور وعدم الوصول إلى نتائج علميّة مرضيّة منضبطة وَإنّما يصل إلى عكسها وَإلى اللاهدفيّة، وَهَذَا إسرافٌ فِي أعمال القوى الفكريّة فِي أُمُور تافهة، فمثلاً

---

(١) بحار الأنوار: ج١، ص٢١١.

(٢) الكافي: ج١/ ٣٢، عنه بحار الأنوار: ج١، ص٢١١ كتاب العلم.

لا تتعمق فِي الوضوء وكيفيته، فبدل أنْ تتعمق فِي الوضوء وتركِّز عَلَيْهِ رَكِّز عَلَى الاخلاق والخشوع مَعَ الله تَعَالَى، فَإِنَّ الله تَعَالَى يُحِب معالي[1] الأُمُور ويكره سفاسفها وأنَّ التعمّق يجر صاحبه إلى ارتكاب سفاسف الأمور إذَا لَمْ يكن هَذَا التعمّق مبتنٍ عَلَى ضوابط علميّة ذِكْريّة، وبخلافه فَإِنَّهُ يؤدِّي إلى معالي الأُمُور.

وأمَّا التعمّق غَيْر المذموم: ـ بمعنى المداقّة وتمركز النظر حول المحاور الأصلية وجعل بوصلة الفكر تتمركز حولها والغور والفحص حول ذَلِكَ فَهَذَا ممدوح وبصيرة نافذة.

المفسر الناجح من يستطيع التمييز بين الآية الأم وغيرها بل اكتشاف مجموع الآيات التِي تشكل نظام ومنظومة الأمومة فِي القرآن

ونظام المنظومة فِي القُرآن عبارة عَنْ مجموعة أعمدة وحلقات نظام وطبقات منظومة، وَهَذَا أفق عظيم فِي التفسير تتباعد عنده سائر المناهج التفسيرية كالتفسير الموضوعي والتنزيلي، وأسباب النزول و ... الخ ولا يكفي لإصابة الحقيقة والهداية الَّتِي هِيَ واسعة ومترامية الأطراف، وَالَّتِي يكشفها لنا القُرآن الكريم ويوقفنا عَلَيْهَا ـ أنَّ تبرز أيُّهَا الباحث أو

---

(١)

المُفَسِّر آية قرآنية وتتمسَّك بها وتتبعها كيف ما اتَّفق، بَلْ لابُدَّ مِنْ التمييز بين الآيات مِنْهَا ما هُوَ أمٌّ فِي القُرآن، وبين ما لَيْسَ بأُمٍّ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ...﴾(١).

فلا يغرنّك أنَّ كُلّ الآيات قرآن، وَإنَّما الحقّ الَّذي يُتبع هُوَ الآية المُحكمة لا المتشابهة ولا يكفيك أنْ تتمسَّك وتؤمن بِبَعْض الكتاب دون بَعْض ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾(٢). بتقريب: ـ أنَّ إيمانهم فيه تبعيض ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾(٣) فَإنَّ التمسّك ببعض الآيات والحجج لا يكفي وَإنَّما اللازم هُوَ التمسّك بمجموع المنظومة القرآنيّة؛ ولذا القُرآن يشترط فِي الهداية والعلم والرشد والنجاة لَيْسَ فَقَطْ صرف أصل الانتساب إلى القُرآن فَإنَّ هَذَا لوحده لا يكفي، وَإنَّما يشترط القُرآن فِي الهداية والعلم والمنهاج والطريقة أُمُور عديدة: ـ

مِنْهَا: ما يركّز عَلَيْهِ منهج أمومة الولاية والمُحْكَمات فِي التفسير بكُلِّ تفاصيله، ولا يكفي المُفَسِّر أنْ يَكُون صاحب منهج تفسيري وحسب، كلا وَإنَّما الأمر أبعد مِنْ ذَلِكَ ـ وإنْ كَانَ الله يعطيك أجر ما

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٢) سورة الحجر: الآية ٩١.
(٣) سورة البقرة: الآية ٨٥.

عملت ـ ولكنه هَذَا لَيْسَ هُوَ كُلّ شيء، لِإِنَّهُ إذَا أردتَ أنْ يَكُون لديك منهاجاً تفسيرياً قيّماً فَلابُدَّ مِنْ مُراعاة ضوابط أُخْرَى يذكرها لك القُرآن وَهُوَ التمييز بين ما هُوَ أُمٌّ وبين ما لَيْسَ كَذَلِكَ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[1]. و ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[2] لِأنَّ هُنَاكَ طريقة ومنهاج مستقيم ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾[3] وَهُنَاكَ طريق مُعْوَّج ـ والعياذ بالله ـ ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾[4] ولأجل الثبات عَلَى الطريق المستقيم هُوَ أنْ تأتي بالشرائط الَّتِي ركّز عَلَيْهَا منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فِي التفسير، وَهَذَا لوحده، أيضاً غَيْر كافٍ ما لَمْ يُضمّ إليه الثقل الثَّانِي ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[5] وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أمومة الولاية مثلما هِيَ أمومة المُحْكَمات هُنّ أم الكتاب، كَذَلِكَ هِيَ أمومة ومرجعية للراسخين فِي العلم والمطهرين هُمْ أهل بيت النَّبِيّ صلى الله عليه وآله خاصّة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة الجن: الآية ١٦.

(٣) سورة الحج: الآية ٢٤.

(٤) صورة الصافّات: الآية ٢٣.

(٥) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

علاقة قاعدةِ الذكر بمنهج أمومة الولاية على المحكمات:

إنَّ صلة قَاعِدة الذكر بمنهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات يكمن فِي أنَّ علوم القُرآن كثيرة وَقَواعِد تفسير القُرآن كَذَلِكَ، ولكن يجب أنْ يَكُون هُنَاك نسق منظومي فِي قَواعِد القُرآن وعلومه يصبّ فِي الهدف ويُراعي خارطة الهدف العالي، فإذا سلك المُفَسِّر هَذَا الطريق نجح وفلح وَإلَّا أيّ إذَا لَمْ يُراعِ ذَلِكَ فَهُوَ قَدْ أتعب نفسه وبذل جهداً فِي تفسير آيات القُرآن ـ وجزاه الله خيراً ـ إلَّا أنَّهُ لَمْ يتوخَّ؛ الأكمل وما هُوَ روح القُرآن ولُبابه وأم كيانه وقوامه فِي هدى القُرآن وتفسيره الذي أحد قواعده ما نَحْنُ بصدد بحثه، وَهِيَ قَاعِدة الذكر؛ فَإنَّ لقاعدة الذكر موقع قدم لها ظلال تضفي به عَلَى كُلّ قَاعِدة وَعَلَى كُلّ علم علم مِنْ علوم التفسير وتوظّفه نحو اكتشاف ما هُوَ أم قوام القُرآن الكريم.

فائدة جانبية: ذكرنا أنَّ قَاعِدَة الذكر لها ظلال تضفي بِهِ عَلَى كُلّ قَاعِدة وعلم و ... الخ إلَّا أنَّه ينبغي التنبيه والالتفات إلى أنَّ أهمية أيّ قَاعِدة تكمن فِي أنَّها تصبّ فِي الإفادة الجدوائيّة الهامّة، وما هُوَ مركزي وأساسي ومحوري وقطبي، بخلاف ما إذَا كَانَ التدقيق ـ وإنْ كَانَ التدقيق فِي العلوم جيد إذَا كَانَ عَلَى أساس المسائل الأُمّ والمحوريّة والمركزية ـ فِي اللبنات الصغيرة وأجزاءها، فَهَذَا بحث فاشل وعاطل، لِأنَّ الاشتغال بالتفاصيل وبتفاصيل التفاصيل القشرية والسطحية لا جدوائيّة فيه، كَمَا فِي مثل مبحث الاستصحاب فِي علم الأصول، فَإنَّهُ ـ بحث الاستصحاب ـ

مهم وجيّد، ولكنَّ الخوض فِي شقوقه وتفاصيله ولَعَلَّ البعض لا واقع لَهُ وَإِنَّما مُجرَّد فرضي ومُحتمل، وهكذا الدخول والخوض فِي مثل مبحث شقوق الخلل فِي الصَّلاة وتفاصيلها فَإِنَّهُ لا جدوائيّة فِي الخوض فِي مثل هكذا مباحث، وهكذا ما صنعه الفخر الرازي فِي كتبه الفلسفية مِنْ الخوض بشكل مفرط فِي بَعْض المباحث كمبحث التسلسل وأدلّته وتسلسل التسلسل وهكذا، فَإِنَّ الخوض فثي مثل هكذا تفاصيل لن تُحْنك الملكة العلميّة بشكل مُركّز عِنْدَ صاحبها، وَإِنَّما عليك أَنَّ تركّز عَلَى القَوَاعِد الأساسية، أَمَّا تطبيقاتها وتشقيقاتها فذاك شيء آخر.

فَإِنَّ اللُّباب أهم مِنْ القشور، أيّ أَنَّ مركزية كُلّ علمٍ أهم مِنْ الخوض فِي فروعه وتفاصيله.

ولكن نسأل: ـ هل أَنَّ عُلَمَاء أيّ علم مِنْ العلوم يتواصّون فيما بينهم عَلَى أنْ يبلوروا ضابطة تقيهم سفاسف الأُمُور وقشورها الَّتِي تبعدهم عَنْ المركز وَعَنْ الأُسس؟

الجواب: إِنَّهُ مِنْ النادر مَنْ يبحث هَذَا الأمر مَعَ أَنَّهُ أمر مصيري، فكثير مِنْ الأبحاث العلميّة حَتّى يومَنا الحاضر بذلوا عَلَيْهَا الأموال الطائلة، ولكن بَعْدَ ذَلِكَ رأوا أَنَّها ليست هِيَ المتوخّاة، ولذا أغلقوا ملفها ورجعوا مِنْ البداية ورسم خارطة جديدة.

ولذا هُنَا تأتي أهميّة وفائدة استراتيجية العلوم أو إدارة العلوم ورسم الخارطة مِنْ أوّل الأمر وقبل الخوض فِي تفاصيل البحث، وَهَذَا

هُوَ فِي الواقع قَاعِدَة الذكر، فَلَيْسَ مِنْ الصحيح أنْ تفتح الباب أمام أيّ باحث وَيُقَال لَهُ سِرّ فِي غور ظل وحي الله وَلَيْسَ معلوماً أَنَّهُ يصل إلى نتيجة مُرْضيّة فِي آخر بحثه أو لا؟

والصحيح ببركة قَاعِدَة الذكر هُوَ رسم خارطة مُتكاملة للبحث العلمي تبتدأ بمعالي الامور مِنْ قَاعِدَة الهرم إلى أعلى نقطة فيه.

ولذا نلاحظ توصية الوحي وَالدِّين مُركّزة عَلَى قَاعِدَة الذكر ولما لهذه التوصية مِنْ تأثير، فمثلاً الروايات الواردة تقول: «**الفقيه كُلّ الفقيه مَنْ ذكرك الله كلامُهُ وهديه وعلمُه**».

بتقريب:ـ أَنَّهُ يجب عَلَى الفقيه أنْ يوظّف علم الفقه بما فيه جدوائيّة ومنفعة عامّة ومركزيّة ذكريّة، وهكذا السائس كُلّ السائس ـ الحاكم السياسي ـ مَنْ يُحيي ويُنشّط ويُفَعِّل حالة الذكر والإرعواء الذكري للمجتمع، لا أنَّ يُنشِّط فِي رعيته جنبة الإفراط الشهويّة فِي تلبية حاجات الغرائز، لا مانع مِنْ أنْ يلبيها بشكل متوازن فَإِنَّهُ لا يصادم حالة الذكر، أَمَّا الإفراط فِي جنبة معيّنة كالثقافة الاستهلاكيّة فِي الاقتصاد الرأسمالي أو الفلسفة الرأسمالية أو الفلسفة الرأسمالية، فَهَذَا يؤدِّي إلى نتيجة سلبية وسيئة إذَا لَمْ يكن السير متوازناً، فالباحث الاقتصادي إذا لَمْ يكن عَلَى صلة بقاعدة الذكر فَهَذَا الانقطاع عَنْ قَاعِدَة الذكر يشكِّل أحد أخطر الأُمُور الَّتِي تنتهي به لأجل أنْ يبقى السوق متوازناً وبسياسة معيّنة وبالتالي يَكُون مِنْ السهل عنده ولا مانع مِنْ أنْ يرمي بملايين الأطنان مِنْ الحنطة وغيرها

فِي البحر لأجل الموازنة الرأسمالية الاقتصادية فِي السوق وتُنتزع مِنْهُ الرحمة الإنسانية، كُلّ ذَلِكَ بسبب عدم اختيار الإنسان المنهج العلمي المتوازن ضمن قَواعِد وموازين منضبطة، ولذا وقع فِي هَذِهِ النتيجة السلبية، وَيَكُون مصداقاً لما وَرَدَ فِي بَعْض فقرات دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام «... **وعقلي مغلوب ونفسي معيوب وهواني غالب وطاعتي قليل**».

بخلاف ما إذَا كَانَتْ الصلة بقاعدة الذكر وطيدة «**كَانَ عَقْلِي غالباً وهواي مغلوب ونفسي سليمة وطاعتي كثيرة ومعصيتي قليل**» فآنذاك يمكن أنْ يرسم خارطة ومنهج يوصله إلى التمدّن والعمران فِي البشر، وارتفاع رصيده فِي كُلّ ما تتطلبه نواحي الحياة الدنيويّة والبرزخية والأخروية، وَهَذَا الأمر لَمْ ولن تصل إليه سياسية البشر فِي أيّ حقل مِنْ الحقول، ولو وثَّقوا علاقتهم بقاعدة الذكر ورسموا منهاجهم عَلَى ضوء هَذِهِ القَاعِدَة المُبَارَكَة لانتهت مخاطر الأزمة الماليّة العالميّة، ولانتهى دمار البيئة البريّة والبحريّة والجويّة، كُلّ ذَلِكَ يحدث إذَا سار الإنسان عَلَى وفق التوازن الاستراتيجي للعلوم كافة، وَعَلَى ضوء الخارطة الَّتِي رسمتها يد القدرة الإلهية الوحيانيّة.

وَمِنْ هُنَا تأتي الحاجة المُلحّة فِي أهميّة علم التفسير ومدخليته فِي تنظيم حياة الإنسان. وَعَلَيْهِ فَيَكُون توظيف العلوم نحو سعادة البشر وصلاح الأرض وعمرانها لا نحو دمارالبشر والإفساد فِي الأرض وإماتته.

أهمية وخطورة علم التفسير

فِي تنظيم متطلبات أفراد المجتمع فِي يومياتهم:

إنَّ الاختلاف فِي الأحكام الفقهية ـ فقه الفروع ـ مثلاً والعقائديّة والتفسيريّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والأمنيّة والسياسيّة و ... الخ جاء نتيجة التعدّد في المناهج التفسيريّة للقُرْآن الكريم مِنْ قبل المفسّرين والباحثين فِي الفرق الإسّلاميَّة المختلفة. فَإنَّ المصدر الأوَّل والأساسي للتشريع فِي الإسلام هُوَ القُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فإذا لَمْ يكن للمفسِّر منهج ناظم لامره وفيه تقيد وانضباط فِي التفسير، فالنتيجة خطرة جداً؛ لِأنَّ القُرآن حمّال لوجوه، ولذا نتيجة عدم امتلاك المفسِّر للمنهج الناظم لَهُ حصل الخلط والتيه والضلال فتولّدت نتيجة هَذَا بَعْض الفرق الضالّة والمنحرفة فكرياً كالقدريّة والبتريّة والمرجئة والخوارج و ... الخ ولذا يجب أنْ يَكُون شعار المُفَسِّر ورمزه هُوَ وسام الذِكر، فَإنَّ تدخل حالة الذكر فِي بناء الأسرة والمجتمع فِي الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة أو الأمن أو التّربية أو ... الخ تدخُّل عظيم وبالغ التأثير وحالة مصيرية وفيصليّة فِي نجاح الأُمُور وسلامتها مِنْ الوقوع فِي منزلق الانحراف، ولذا أَكّدَ القُرآن هَذَا المعنى عَلَى لسان نبيه مُحَمَّدصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وَهَذَا المعنى عِنْدَ الفريقين ـ فِي كيفية دعوى النَّبِيّصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إلى ترك الفتوى قبل التعلم والتفقّه ولا مانع مِنْهَا ـ الفتوى ـ بَعْدَ التفقّه فِي الدِّين ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ

طَآئِفَةٌ ﴾[١] بتقريب: ـ أنَّ القُرآن يّبيِّن حالة الذكر بالتفقّه وتَعلُّم الفقه، فَإنَّ معالم الفقه عَلَى درجات والفقه مفتاح البصائر وَهُوَ أمر مهم، ولكن لأجل رسم خارطة متوازنة يجب أنْ تُحْدِث لك حالة ذكر، فَإنَّ الفقيه الناجح الذي يُقتدى به هُوَ ما رسمت لَهُ منظومته الفكريّة حالة ذكر وتتعدّى إلى حَتّى مثل سياسة الفقيه فِي تدوين الفتوى فِي الإفتاء، وهكذا الخطيب فِي خطابته والواعظ فِي موعظته و... هؤلاء سبل تصبُّ فِي صراط مستقيم واحد، وَعَلَيْهِ فَإنَّ العالِم والفقيه مَنْ ذكَّرك الله واليوم الآخر، وَعَلَيْهِ فَإنَّ الصيرورة والتأديّة والانتهاء إلى حالة الذكر علامة بوصليّة لسلامة المنهاج، وَهَكذَا حالة الذكر علامة بوصليّة لسلامة المنهاج.

فرق القرآن الذي يقودك إلى الذكر

عن بقية العلوم الروحية الأخرى

التِي لا تقودك إلى حالة الذكر:

تأكيد القُرآن الكريم عَلَى قَاعدِة الذكر أكثر مِنْ أيّ قَاعدِة أُخْرَى فِي مختلف العلوم:

يُؤكِّد القُرآن الكريم عَلَى أنَّ أصحاب العلوم الروحيّة سواء علوم شرٍّ أو خيرٍ يدركون أهميّة قَاعدِة الذكر، وأنَّ ترتيب نسيج الآيات

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

والمعاني القرآنيّة يقود إلى نورانيّة روحية وارتباط روحي بالملكوت الأعلى، بينما بقيّة العلوم الأُخْرَى ـ غَيْر علوم القُرآن ـ كعلم السحر أو علم الغناء أو علم الموسيقى أو الشعبذة أو خيالات الشعر والغزل أو المجون أو علوم روحيّة أُخْرَى كثيرة تقودك إلى حالة روحيّة غَيْر سليمة عَنْ الشياطين بخلاف القُرآن فَإِنَّهُ يربطك بأبواب روحيّة نوريّة سالمة عَنْ الشياطين وَعَنْ كُلّ واردٍ يَصُدُّ عَنْ سبيل الله وبالتالي يقودك إلى حالة الذكر، وَهَذَا هُوَ فرق القُرآن عَنْ بَقيَّة العلوم الروحيّة الأُخْرَى.

وَعَلَيْهِ فَأنَّ قَاعِدَة الذكر هِيَ قَاعِدَة منهجية راسمة لمختلف علوم تفسير القُرآن الكريم وقواعده، ولذا نلاحظ القُرآن الكريم يُؤكِّد عَلَى قَاعِدَة الذكر تصريحاً أو تلميحاً أو تأويلاً، فَإِنَّ هدف القُرآن لَيْسَ جامعية العلوم فحسب وَإِنَّما الهدف هُوَ إحداث حالة الذكر المستمرة ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾[1] و ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[2].

بتقريب: ـ إنَّ أوَّل شيء فِي هويّة القُرآن إنَّهُ قرآن مبين، وَمَعْنَى القُرآن المبين يعني الجامع لجميع العلوم، وَعَلَيْهِ فالأعظم فِي الرسالات هُوَ الذكر وَلَيْسَ المقصود مِنْ الذكر هُوَ الذكر اللساني وَإِنَّما الذكر عَلَى كُلّ الأصعدة.

---

(١) سورة الطور: الآية ٢٩.

(٢) سورة يس: الآية ٦٩.

ويلخّص أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ هدف الأنبياء والأولياء والرسالات هُوَ الذكر و التذكر: «... **أوَّل الدِّين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص لَهُ، وكمال الإخلاص لَهُ نفي الصِّفات عنه ... ثمَّ اصطفى سُبْحَانَهُ مِنْ ولده[1] أنبياء أخذ عَلَى الوحي ميثاقهم، وَعَلَى تبليغ الرسالة أمانتهم لمّا بَدَّلَ أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقّه ... فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءَه ليستأدُوهم ميثاق فطرته ويذكرهم مَنْسِيَّ نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويُثيروا لهم دفائن العقول ويُروهم الآيات المقدّرة ... الخ**»[2].

وكذا قوله تعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾[3] ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾[4]. أيّ رواه لنا روايةً قصصيةً كاذبة بَلْ لا يؤمنون.

وقوله تعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾[5] و ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ...

---

(١) ولد آدم.
(٢) الخطبة الأولى من نهج البلاغة.
(٣) سورة الطور: الآية ٣٠.
(٤) سورة الطور: الآية ٣٣.
(٥) سورة الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣.

﴿٢٢٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١].

الخلاصة: أنَّ العاصم مِنْ كُلّ هَذِهِ الأُمُور أيّ مِنْ الشياطين والجن وَكُلّ أفّاك أثيم و .. .هو الذكر سواء كَانَ ذكراً لسانياً أم قلبياً، وَعَلَيْهِ فتعاطيك وتعاملك مَعَ أيّ علم وَأيّ منهج يوصلك إلى الذكر، فَإِنَّ التعاطي مَعَ هكذا منهج يعتبر سليماً وناجحاً وَهُنَا يكمن سر اختلاف القُرآن عَنْ العلوم الأُخْرَى كعلم الأخلاق والعرفان والسير والسلوك و ... الخ فَإِنَّ القُرآن الكريم يعتبر الذكر نظاماً عامّاً فِي كُلّ أصعدة بحوث القُرآن فمثلاً البرنامج الأخلاقي فِي القُرآن الكريم يختلف عَنْ البرنامج الأخلاقي فِي علم الأخلاق، فَإِنَّ القُرآن الكريم لا يبحث الأخلاق كعلم بما هُوَ علم فَقَطْ، ولا يُثير البحث فِي العلوم بما هِيَ علوم وَإِنَّما يُثيرها بمقدار تصبّ بالهدف وَهُوَ إحداث الذكر، ولذلك نلاحظ قلّما مِنْ عُلَماء الأخلاق مَنْ بحث فِي علم الأخلاق وحقائقه الأخلاقيّة بما يحدث للباحث فِي علم الأخلاق ذِكراً بَلْ وَحَتّى العرفان العملي كَذَلِكَ لَمْ يحدث بحثه ذكراً كَما يبحثه ويبيِّنه القُرآن الكريم، فَإِنَّ كثيراً مِنْ كبار العرفاء فِي مسير عالم المعنى وما شابه ذَلِكَ تُغريهم المكاشفات وتستحوذ عليهم وتستخفهم وتحرمهم مِنْ كمالات أُخْرَى أعظم مِنْ هَذِهِ الَّتِي بين أيديهم وانغررتم بالأدنى والأبسط واكتفيتم به، ولذا لَمْ تستمروا بالعمل فانحرمتم مِنْ الأعلى والأعظم.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢١ ـ ٢٢٦.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نفس هَذِهِ القَوَاعِد الأخلاقيّة والعرفانيّة لَمْ ترسم فِي علومها قَاعِدَة الذكر كَمَا رسمها القُرآن الكريم حَتّى وتنتهي بالإنسان إلى حالة الذكر. ونفس هَذَا يسري إلى المجال العقائدي التنظيري كَمَا فِي جملة كثيرة مِنْ كتب الكلام والفلسفة فَإِنَّهُ أيضاً لا يوجب حالة ذكر للأُمَّة، وَهَذَا لا ينفعها شيئاً، بَلْ وَحَتّى فِي بحوث توحيدية مترامية الأطراف وفي بحوث تفصيلية وإنْ كَانَ التوحيد شيء عظيم وبه الآية الأُمّ ـ إلَّا أنَّ الانشغال بالهوامش والتفاصيل، يُسبب للإنسان تضييع ما هُوَ أهم، ولذا اهتمّ وراعى منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات مسألة أنَّ لا يُساوي بين ما هُوَ مركزي ومحوري وبين ما هُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ ولذلك تَقَدَّمَ أَنَّهُ توجد روايات وَرَدَتْ عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام تذمّ التعمّق وذمّ التعمّق ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ لَيْسَ بسبب التدقيق فِي المطالب الأُمّ والمركزيّة كلا، وَإنَّما بسبب التدقيق بالهوامش وتفاصيلها، وَهَذَا مما يبعدك عَنْ الاهتمام بالبُنى الأصليّة الأساسيّة البنيويّة الخطيرة ويجعلك جاهلاً وغافلاً عَنْ المطلب المحوري، فَإنَّ مثل هَذَا التعمّق مذموم، بخلاف ما إذَا ركَّزْت عَلَى الخشوع فِي التعمّق فِي الوضوء وَالصَّلاة والحج و ... الخ، فَهَذَا هُوَ المهم ولذا الباري تَعَالَى يُحِب معالي الأُمُور ولا يُحب سفاسفها، وعَلَيْهِ لأجل أنْ تكون باحثاً ناجحاً فِي أيّ علم مِنْ العلوم سواء فِي الفقه أو الأصول أو المنطق أو العقائد أو التفسير أو ... الخ فعليك التركيز عَلَى المطالب المحوريّة الأساسيّة لا الخوض بالأمور التفصيلية والهوامش والقضايا الَّتِي هِيَ مِنْ باب البحث

والترف الفكري، فَإِنَّ مثل هكذا تعمّق مذموم، ويُذم البحث والمنهج الذي يوصف بِهَذَا الوصف.

وَهُنَاك تعبير لطيف وتوصية جيدة للميرزا علي القاضيﷺ وَالسَّيِّد العلّامة الطباطبائيﷺ وَأَكَّدَ عَلَيْهَا الشَّهيد السعيد الشَّيْخ مرتضى المطهريﷺ ما حاصله: ـ أنَّ البشريّة فِي كُلّ حاجاتها الأصليّة والأساسيّة الماسّة تحتاج إلى المعصومعليه السلام ولكن لا جبر ولا تفويض بَلْ أمر بين أمرين ـ وأنَّ الساحة العلميّة البشريّة والحوزويّة تحتاج بمعدل كُلّ عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة إلى تفسير يتلائم ومتطلبات الوقت الراهن.

وَعَلَيْهِ فَيَكُون المقصود مِنْ هَذِهِ التوصية: ـ هُوَ أَنَّ القرآنا لكريم لكي يقود زمام الهداية البشريّة والتمسّك به لَيْسَ معناه أَنَّ للإنسان أَنْ يسرح ويتوغل فِي بحث التفسير فِي أيّ اتّجاه كَانَ وَإِنَّما لابُدَّ أَنْ يَكُون البحث التفسيري عَلَى قدر حاجة تعطّش البشر، وفي أيّ مجال حدث إخفاق وانتكاسة بشريّة فَهُنَا ياتي دور تطبيق قَاعِدَة الذكر لأجل انتشال البشريّة مِنْ ذَلِكَ الإخفاق والانتكاسة باستخراج مَصْلٍ ودواءٍ مِنْ القُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ ضابطة عامّة يجب مراعاتها فِي المنهج التفسيري بصورة عامّة، بخلاف المنهج الموضوعي الذي يُراعي وحدة الموضوع، أو تفسير القُرآن بالقُرآن أو التفسير الإشاري أو الفلسفي أو ... الخ وإنْ كَانَتْ هَذِهِ التفاسير جيّدة لا تخلو مِنْ فائدة، وأنعِم بها إِلَّا أَنَّهُ وللأسف لَمْ تُلبِّ حاجة البشر وَلَمْ تروِ عطشه، وَعَلَيْهِ فَهِيَ ليست بالتفسير الأمثل والأحوذي الذي يُلَبِّي حاجات البشر ويُحتذى به، نعم الذي يُلبّي الحاجة والعطش للبشر يُحتذى به.

علم التفسير هو للمفسر الناجح

الذي يلبي حاجة البشر أينما كانت:

شرائح المجتمع البشري فِي الوقت الحاضر تحتاج إلى أنْ تُغذّى بالبُعد العبادي فِي القُرآن، فمثلاً أيُّها المُفَسِّر الناجح أنَّ المجتمع بحاجة ماسة إلى البُعد الأخلاقي أو العقائدي أو التفسيري أو ... الخ فَغَذّه بها، وَهَذَا يتطلّب مِنْ المُفَسِّر والباحث الكريم أنْ يُراعي أنَّ المجتمع البشري فِي أيّ مرحلة هُوَ وبالتالي لابُدَّ مِنْ إعطائها ما هُوَ المُنَاسِب لها مَعَ تلك المرحلة، فمثلاً بَعْض مُجتمعات البشر نفترض أنَّها الآن استنارت بنور هدي القُرآن، وَهَذَا معناه أنَّها فِي المرحلة الابتدائيّة فَلابُدَّ مِنْ إعطائها ما يتناسب ويتلائم والمرحلة، وهكذا ما يلائم مرحلة الثانويّة ومرحلة التخرّج وما بَعْدَ التخرّج فإعطاء كُلّ مرحلة ما يناسبها.

وَمِنْ هُنَا تختلف نظرة القُرآن ومعالجاته عَنْ غيره، فَالقُرآن لَمْ ينظر ببُعد أحادي للواقعة والمشكلة وما يحتاج إليه المجتمع، وَإنَّما نظراته نسخة مجموعيّة فِي آية واحدة فيها عقائد وفيها فقه وأخلاق و ... الخ وهكذا ما قاله النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فِي أقواله وخطبه فِي نهج البلاغة، فَإنَّ أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله يحذو حذو القُرآن ويُعطي عليه السلام نسخة مُتكاملة يُنْظَرُ فيها مَعَ مقطع واحد البُعد الفقهي والفلسفي والاقتصادي و ... الخ ولذا لَمْ يتوغَّل أمير المؤمنين عليه السلام فِي نهج البلاغة فِي علم الأخلاق بما هِيَ أخلاق كمبحث مِنْ باب الترف الذكري، وَإنَّما منهجة أمير المؤمنين عليه السلام هُوَ أنْ

تأخذ باقة حسّاسة مِنْ الأخلاق وَعَيِّنَة مُهمّة مِنْ العقائد ونماذج مِنْ الاقتصاد و ... الخ فَإِنَّ مثل هَذَا لَيْسَ تشتتاً؛ لِأَنَّ التشتت هُوَ أَنْ تقتصر فِي البحث الأخلاقي عَلَى جانب الأخلاق بما هِيَ أخلاق وتتمحّض بها فَإِنَّ مثل هَذَا تشتت ولا ينفع البشريّة، وهكذا مِنْ التشتت هُوَ أَنْ يتمحّض البحث العقائدي فِي التفسير أو فِي المحاضرة الوعظيّة والإرشاديّة لشريحة معيَّنة فِي الأُمَّة، فَإِنَّ مثل هَذَا تشتت وَلَيْسَ بدواءٍ ناجع وكامل؛ لِأَنَّ بحثك هَذَا فَقَطْ فِي المبحث الأخلاقي أو الإرشادي الوعظي أو الفقهي أو الاقتصادي أو ... الخ، نظير مَرْضى البشريّة عَلَى اختلاف أمراضهم سواء الروحيّة مِنْهَا أو العضويّة أو ... الخ، ولذا نلاحظ كثيراً مِنْ المَرْضى يأخذون العلاج ولا يتشافون وَذَلِكَ إِمَّا بسبب أَنَّ الطَّبيب الذي شخَّص لَهُ العلاج نظر إلى المرض مِنْ زاوية وبُعْد أُحادي أو أَنَّ نفس المريض لَمْ يلتزم بتمام ما فِي الوصفة مِنْ توصيات مِنَ الجوانب الأُخْرَى فِي الغذاء والنوم واللّباس والرَّاحة و ... الخ.

كَذَلِكَ القُرآن والتفسير فَإِنَّهُ مأدبة الله فيه كُلّ ما يحتاج إليه البشر كَمَا قَالَ رسول الله ﷺ: «**القُرآن مأدبة الله، فَتَعَلَّموا مأدَبَتَهُ ما استطعتم**»[1].

وكذا قوله ﷺ: «**إنْ أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يَوُم الحَسْرَة والظلّ يومَ الحرور، والهُدى يَوُم الضلالة فادرُسُوا القُرآن؛**

(١) بحار الأنوار: ج٩٢، ١٩، ١٨.

فَإِنَّهُ كلام الرحمن وحِرزُ الشَّيطان ورُجحانٌ فِي الميزان»[1].

بتقريب:ـ إنَّ الباحث فِي علوم القُرآن وتفسيره عَلَيْهِ أنْ يأخذ طبقاً مِنْ تلك المأدبة الإلهية فيه مِنْ كُلّ باقة نوع وتناول غذاءاً روحياً متكاملاً.

وَهُنَا ياتي دور قَاعِدَة الذِّكر فَإِنَّها بصيرة فِي العلوم والمناهج وبالتالي فَهِيَ بصيرة مجموعيّة منظُوميّة مُهمّة، إلَّا أنَّ البشر يعجز عَنْ اكتشافها ـ أيّ قَاعِدَة الذكر ـ فِي كُلّ مجال فَإِنَّهُ مِنْ الصعب اكتشاف إعجاز القُرآن فِي الأخلاق وإعجازه فِي العقائد وفي البلاغة. وفي الصرف والنحو وفي كُلّ علوم الأدب، بَلْ وَحَتّى للقُرْآن إعجاز فِي صوت الأداء وأنَّ القُرآن لَهُ إعجاز فِي كُلّ مجال واكتشافه فِي قَاعِدَة الذكر أمر صعب ولكن ما لا يدرك جُلَّهُ لا يترك كُلَّهُ.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

أهم ثلاث مميزات لقاعدة الذكر

والخلاصة: إنَّ قَاعِدة الذكر تميَّزت بما يلي:-

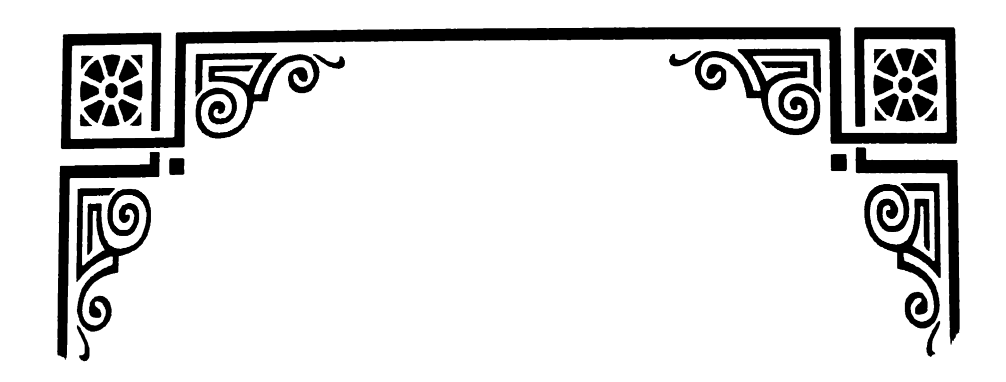
أوَّلاً: إنَّ قَاعِدة الذكر هِيَ موازنة منهجية عظيمة عِنْدَ الباحث وَالْمُفَسِّر الْمُنصِف فِي بحوث علوم القُرآن الكريم وتفسيره وباقي علوم الدِّين، وعلامة جدوائيّة البحث العلمي فِي التفسير هِيَ أنْ يُحْدِثَ التفسير ذكراً عِنْدَ صاحبه.

ثانياً: تفسير قَاعِدة الذكر بوصلة علاميّة تُبيِّن لنا ثرمومتر الصَّحة، فَهِيَ ترسم لك كيفية التوغل فِي الفقه وكيفية كتابة وتدوين الرسالة العملية الفقهية والعقائديّة والأخلاقيّة الَّتِي يحتاجها كُلّ جيل، فَإنَّ كُلّ جيل يحتاج إلى تدوين فقهي مُعيَّن وبلونٍ خاصّ يحتاج إلى تدوين أخلاقي وعقائدي خاصّ.

ثالثاً: وَعَلَيْهِ ما ذكره بَعْض الأكابر مِنْ أنّنا نحتاج فِي ظرف كُلّ عشرين أو ثلاثين سنة أو أكثر إلى تفسير للقرآن كَانَ فِي محلّه، وأنّنا نحتاج إلى تدوين فِي كُلّ العلوم بما يتناغم مَعَ ذَلِكَ الجيل لا أنْ يقتصر عَلَى خصوص ما كتبه الفقهاء والْمُفسِّرين قبل أكثر مِنْ عشرة قرون وما يتلائم مَعَ فتراتهم المتصرِّمة، أو ما كتبه عُلَمَاء الأخلاق والعقائد و ... بما يتلائم

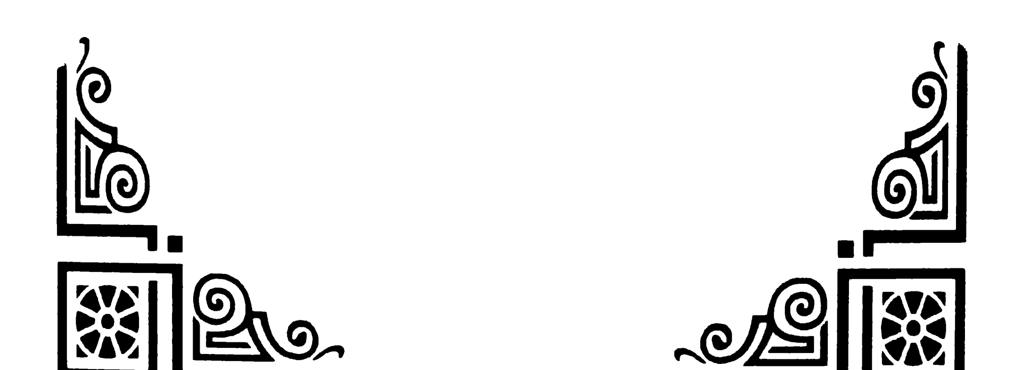
وحقبهم الزمانيّة بما يُلبي احتياجات مجتمعات ذَلِكَ الوقت وما أُثير فيها مِنْ شُبهات فكريّة وغيرها.

ولذا نحتاج اليوم رسالة عملية يكتبها الفقيه بأسلوب جديد فنّي معاصر يتلائم ومتطلبات العصر الحالي الذي نعيشه فِي ظل أنفجار معلوماتي فِي كُلّ العلوم وَعَلَى جميع الأصعدة وما يحتاجه المجتمع البشري كُلّ بحسب وقته.



القاعِدَة السابعة:

الأمثال في القرآن الكريم



الفهرس الإجمالي لقاعدة الأمثال

فِي القُرآن الكريم

*** مقدمة.**

*** التلازم فِي قَاعدِة الأمثال يقع فِي جهات:**

الجهة الأولى: المعنى اللغوى والاصطلاحي.

الجهة الثَّانية: مدرك قَاعدَة الأمثال.

١ ـ الآيات . ٢ ـ الروايات.

*** قراءة الأمثال بلغة عقليّة وفكريّة.**

الجهة الثالثة: القُرآن الكريم اعتمد أُسلوب المثل مِنْ ضمن أساليب عديدة اعتمدها كَمَا نبّهت عَلَيْهِ روايات أهل البيت عليهم السلام.

الجهة الرابعة: ارتباط أُسلوب المثل بالتعريض.

الجهة الخامسة: المثل تمسية واسم ولقب وتوصيف وعِبَرٌ وآية ...

*** تنبيه وفيه أمران:**

الجهة السادسة: العلاقة بين قاعدتي المثل، وقَاعدَة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير، وأنَّ هَذه الجهة مُرتبطة بنظام حقائق القُرآن الآتي بحثه.

الجهة السَّابعة: المَثَل منهج معرفي [أساليب القُرآن الثمانية بُرهانية ولَيْسَ لمجرَّد إقناع].

* عُموم البُرهان لِكُلٍّ العلوم وقِوى النفس.

* عموم الكشف البرهاني والشهود والبُرهان العياني لِكُلٍّ قِوى النفس.

الجهة الثامنة: الفرق بين ضرب المَثَل وجعل المَثَل، وصَرّف المثل، ويضرب الأمثال.

الجهة التاسعة: حقيقة استعمال المَثَل فِي القُرآن الكريم والحقائق القرآنية.

الجهة العاشرة: لَيْسَ كمثله شيء.

الجهة الحادي عشرة: الأوصاف القرآنية للجنة حقائق أم تمثيل [مثل الجنة الَّتِي وعد المتقون فيها أنهار مِنْ ماءٍ غَيْر آسِنٍ ...] سورة مُحمَّد/١٥.

* نظرية المثل ونظرية المعاد.

الجهة الثَّانية عشر: إنَّ قصص الأنبياء والمُرسلين والمُصطفين مثل لآل مُحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ القُرآن الكريم.

* بيان القُرآن لحقيقة عظيمة فِي قصص الأنبياء.

* نماذج التفضيل القرآني لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى بقيّة أنبياء أُولوا العزم.

* الأمثال عَلَى طبقات كَذَلِكَ الأسماء.

* حالات الأسماء.

* حقيقة الاسم الإلهي.

* الغرض مِنْ مبحث الأسماء.

* الروايات الَّتِي أكّدت عَلَى أنَّ قصص القُرآن هِيَ ظهرٌ بطنه آل مُحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

* صلة وطيدة بين حقيقة الإمامة والولاية وحقيقة القُرآن وعلاقتها بقاعدة الأمثال.

* صلة قَاعدَة الأمثال بأقسام الوحي وأنواعه وأسراره.

* صلة أنَّ للقُرْآن ظهر وبطن بمحث الأمثال.

الجهة الثالثة عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السلام وأعداؤهم في القُرآن.

الجهة الرابعة عشر: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ الزُخرُف/ ٨

الجهة الخامسة عشر: المَثَلُ الأعلى ومَثَل السوْء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ النحل / ٦٠.

الجهة السَّادسة عشرة: السير فِي المعرفة لا ينتهي والرجوع والأَوْبة إلى الله لا تقف عِنْدَ حَدٍّ [**إنَّ الذي لا يعتبر ولا يعبر بالمثال إلى ما وراء يَضِلُّ**].

الجهة السَّابعة عشرة: الثمرة الكُبرى لقاعدَة المثِل.

القاعدة السابعة: قاعدة الأمثال

في القرآن الكريم[1]

مقدمة:

إنَّ قَاعِدَة الأمثال فِي القُرآن الكريم مِنْ القَوَاعِد التفسيرية المُهِمَّة والخطيرة، ولها تداعيات كبيرة ومُؤثِّرة تلقي بظلالها عَلَى النتائج التفسيرية المُستخلصة مِنْ آيات القُرآن، وتندرج هَذِهِ القَاعِدَة فِي قَواعِد نظام المعنى لا فِي قَواعِد النظام المعنوي[2] والنفسي أو النفساني، وَهَذَا ما يُعبّر عَنْهُ بالتفسير الأنفسي فِي القُرآن، وَهَذَا معناه أنَّ كُلّ طبقة مِنْ طبقات الإنسان بإمكانه أنْ يقرأها حسب طبقته، فمثلاً أحد طبقات الإنسان

---

(١) وستأتي في الجهة الخامسة التعرُّض الى أن بعضهم يعنون هذه القاعدة بعنوان آخر وهو قاعدة العِبْرَة والأمثال ... فانتظر.

(٢) والفرق بين قواعد نظام المعنى، والنظام المعنوي هو: ـ أن الأوَّل ـ المعنى ـ هو معنى ذهني يرتبط بنظام المعاني حسب بيانات أهل البيتعليهم السلام، وإنْ كَانَ لها ارتباط بالألفاظ والاستعمال كأسلوب لفظي، كَمَا ذكره البلاغيون، ولكن هِيَ ـ قَاعِدَة الأمثال ـ ألصق بعالم وعلم المعاني مِنْهَا مِنْ عالم الألفاظ، ولا يخفى أنَّ علم المعاني هُوَ أحد أقسام علم البلاغة ـ المعاني والبيان وا لبديع.
أمَّا المعاني: ـ فَهُوَ بالدقة علم مُرتبط بمعاني الألفاظ بغضّ النظر عَنْ قوالبها أيّ الألفاظ، وإنْ كَانَ يتناول شيئاً مِنْ الألفاظ.
والبيان: فَهُوَ علم مزيج ومُرتبط بالألفاظ والمعاني.
والبديع: هُوَ لفظي بحتٌ، وإنْ كَانَ فيه شيء مِنْ المعنى.

العُلّيا: العقل فيمكن قراءة القُرآن بقراءة عقليّة، كَذَلِكَ أحد طبقات الإنسان السرُّ والذوق والقلب والنفس وغيرها؛ ولذا جاء التأكيد فِي الغايات وبيانات القُرآن عَلَى القراءة الأنفسيّة، والمشهد النفساني، ولذا فَإِنَّ النظم الَّتِي يمكن أنْ تُبْحَث قواعدها فِي القُرآن الكريم كثيرة وبعدد طبقات وجود الإنسان.

والمَثَل مِنْ اللغات المنتشرة انتشاراً وسيعاً فِي القُرآن، ولذا ـ فَمِنْ الضروري معرفة قَواعِد هَذِهِ اللُّغَة كلغة معرفية، لها أثرها البالغ عَلَى النتائج المعرفية التفسيرية، وَمِنْ ثَمَّ فهل لغة الأمثال لغة برهانية، أو لغة إنشاء وفرض خيال، أو لغة تزويق أدبي، أو لغة إشارة وتلويح لا تَتَضَمَن أخبار وتحقيق فِي ما مُثِّل به، بَلْ فِي ما مُثِّلَ لَهُ؟.

وَقَدْ بيَّنت الآيات والروايات: أنَّ الذي لا يُراعي قَاعِدَة الأمثال فِي جملة سور وآيات القُرآن، لا يقف عَلَى مغازي القُرآن ومغزى آياته وَالمُرَاد الأصلي مِنْ السورة أو الآية وَإِنَّما يَكُون وقوفه عَلَيْهَا وقوفَ منحبس وساكنٍ عَلَى الظاهر مِنْ دون أنَّ يصل إلى الأعماق.

كَمَا وينبغي التنبيه والالتفات إلى أنَّ قَاعِدَة الأمثال ترتبط بالقراءة العقلية والفكرية للأمثال.

والتحليل والتأمُّل والترجمان العقلي ـ لعلهم يتفكرون ، ولعلهم يعقلون، ولعلهم يتدبرون وغيرها، فَإِنَّ العَقل يَعْبِرُ بالقارئ وَالمُفَسِّر للقُرْآن الكريم مِنْ مشهد تنزيلي إلى ما وراء وغاية أعظم، وهكذا إلى غاية

تأويلية أعظم.

المهم إنَّ هَذِهِ القَاعِدَة وإنْ كَانَ لها صلة ببحث الألفاظ كأسلوب ومنهج فِي القُرآن الكريم إلَّا أنَّها أَلصق بعالم المعاني والمعنى.

الكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات

الجهة الأولى: المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لِكُلٍّ مِنْ:

* المِثْل * المَثَل * المِثال * المُثُل * المُثْلَةُ * المَثُلَة، المَثِل * الأمثل * المُثْلى.

أوَّلاً: المِثْلُ لُغَةً: الميم والثاء واللام أصلٌ صحيح يَدُلُّ عَلَى مناظَرَةِ الشيءِ للشيء.

وَهَذَا مِثْلُ هَذَا أيّ نظيرُه، والمِثْلُ المِثال فِي مَعْنَى واحد[1].

قَالَ الفيومي فِي المصباح المنير: ـ المِثْل بالكسر: ـ كلمة تسويةٍ وَهِيَ عَلَى ثلاثة أوجه:

أ) بمعنى التشبيه.

ب) وبمعنى نفس الشيء وذاته.

جـ) وَقِيلَ بمعنى الشِبه[2].

وجَمْعُ مِثْل: ـ أمثال:

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادَّة (م ث ل).

(٢) المصباح المنير للفيّومي.

والفرق بين المِثْل: أنَّ المثلَين ما تكافئا فِي الذات[١].

والفرق بين المِثْلُ النظير: ـ تَقَدَّمَ أنَّ المثلين ما تكافئا فِي الذات ... والنظير ما قابل نظيره فِي جنس أفعاله وَهُوَ متمكن مِنْهَا، كالنحوي نظير النحوي، وإنْ لَمْ يكن لَهُ مثل كلامه فِي النحو، أو كتبه، ولا يُقَال: ـ النحَوي مِثْل النَحْوي؛ لِأنَّ التماثل يَكُون حقيقة فِي أخصّ الأوصاف وَهُوَ الذات[٢].

ونقل الأزهري عَنْ أبي عُبَيد، عَنْ الفرّاء: يُقَال: ـ مَثَلٌ ومِثْلٌ، وشَبَهٌ وشِبْهٌ بمعنى واحد[٣].

ومِثْل كلمةُ تسوية يُقَال هَذَا مِثْلُهُ ومَثَلَهُ، كَمَا يُقَال شِبْهَهُ وشَبَهُهُ[٤].

المِثْلُ اصطلاحاً: المُرَاد مِنْ المِثْل فِي المصطلح العقلي: ـ هُمَا الشيئان المندرجان فِي الماهيّة الجنسيّة فيُقَال لهما مُتجانسان، أو ما اتّحد مَعَ الشيء فِي الماهيّة فِي نوعه وهويّته فيُقَال لَهُ مُتماثل، أو هُوَ الفرد مِنْ طبيعة مُشابهة لفرد آخر مِنْ نفس الطبيعة، أو مِنْ صنفه، أو مِنْ نوعه، أو مِنْ جنسه، كُلّ ذَلِكَ يُعبَّر عَنْهُ (مِثْل) ويختلفان فِي الصِّفات الفردية، فمثلاً الجماد مِثْل[٥] الإنسان فِي الجسميّة مَعَ أنَّهُ جنسٌ بعيد، وهكذا الإنسان مِثْل

---

(١) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص٤٨٠.

(٢) المصدر السابق: ص٤٨١.

(٣) معجم تهذيب اللغة للأزهري مادَّة (مثل) ص٣٣٤١.

(٤) لسان العرب لابن منظور: ج٤، ص٣٦٥٦.

(٥) مِثْل على وَزْن فِعْل بكسر الفاء وسكون العين.

الحيوان ـ والعكس ـ فِي الغريزة الجنسيّة الحيوانية، وكذا الإنسان مِثْل الحيوان فِي حُبّ أكل الطعام، وهكذا فِي سائر الغرائز الأُخْرَى، فتوجد بينهما مثليّة.

وكذا المَلَك مِثْلُ الإنسان ـ والعكس ـ بأصل طبيعة العقل وَالرُّوح، فَإِنَّ الإنسان فيه جنبة روح مِنْ النوع الملكوتي العالي، فإذا فَعَّلَها ونشَّطها مثلاً يَكُون مِثل الرُّوح الأمري، وإنْ كَانَ هَذَا لَيْسَ بمقدور كُلّ أفراد البشر، وَإِنَّما بعضهم خاصّة مَنْ اصطفاهم واجتباهم، وَلَيْسَ الأمر بالسهل.

وهكذا الإنسان مثل النبات فِي النمو، فَمِثْلَما النبات ينمو كَذَلِكَ بدن الإنسان فِي نمو، ولذا مِثْل هَذِهِ الأُمور تذْكَر فِي قانون الطب القديم؛ لِأَنَّ الإنسان يماثل كثير مِنْ الأجناس.

والخلاصة: فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ يُعبِّرون عَنْهُ بـ (المِثْل) بالكسر فالسكون الذي هُوَ عبارة عَنْ تشابه فردين تحت طبيعة ذاتية واحدة إمَّا مِنْ جانب النوع، أو الجنس أو الصنف.

وأمَّا قوله تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) فَهِيَ مِنْ مُحكمات القُرآن، فالله تَعَالَى لَيْسَ بنوع ولا جنس ولا صنف، وَلَيْسَ فِي ذَاتَ الله تَعَالَى تركب، ولا يشترك معه أحدٌ فِي الطبيعة والذات، فكمالاته لا تُحَدّ، وذاته

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

كَذَلِكَ لا تُحَدّ، وَإِلَّا كَانَ الباري ناقصاً تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علواً كبيراً؛ وَلَيْسَ لَهُ مِثل؛ لِأَنَّ المثل لابُدَّ لَهُ مِنْ توافق أمرين يوافقه فِي حدٍّ وفي مِثْلٍ، كذا وَرَدَ المثل فِي موردين فِي القُرآن الكريم:

الأوَّل: قوله تعَالَى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[1].

الثَّانِي: قوله تَعَالَى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾[2].

بتقريب: إنَّهُ عَلَى تقدير كون (مِنْ) بيانيّة، فَإِنَّ مَعْنَى الآيتين يَكُون مُتقارباً، وأمَّا عَلَى تقدير (مِنْ) نشوية فَيَكُون محصل مَعْنَى الآية المُبارَكَة: تحدّي السَّماء لهم بأنْ يأتوا بها دون مِثْل السورة، وَهُوَ الناشيء مِنْ المِثْل وإنْ لَمْ يكن عين المِثْل.

وقوله تَعَالَى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[3].

بتقريب: إنَّ المطلوب هُوَ التمحيص فِي موارد التماثل بالفعل أو الماهيّة وَهَذَا النوع يفتح باباً بأنَّ المِثْل بالكسر لا ينحصر بالاندراج بالماهيّة الواحدة، بَلْ فيما كَانَ هُنَاك تشابه فِي مقام الفعل وصفاته.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣.
(٢) سورة يونس: الآية ٣٨.
(٣) سورة المائدة: الآية ٣١.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مورد الآية هُوَ التشبيه بالمِثْل ـ بالكسر فالسكون ـ فِي مورد الفعل لا الذات مما يَدُلّ عَلَى توسّع المِثْل ـ بالكسر فالسكون ـ لذلك كَمَا وَرَدَ فِي أدعية اليوم الثَّانِي والعشرون مِنْ كُلّ شهر [... **لا حَدَّ لَهُ، وَلاَبُدَّ لَهُ ولا شبيه لَهُ، ولا ضِدَّ لَهُ، ولا حدود لَهُ ولا كفؤ لَهُ، ولا كُنهَ لَهُ، ولا مِثْلَ لَهُ، ولا شريك لَهُ فِي ملكه، ولا وزير لَهُ و ...**](١).

كَذَلِكَ ما وَرَدَ فِي باب أعمال خصوص يَوْم عرفة وليلتها [... **لا ضِدَّ لَهُ وَلانِدَّ لَهُ ولا وَلَدَ لَهُ، ولا سَمِيّ لَهُ ولا كفؤ لَهُ، ولا قريب لَهُ ولا شبيه لَهُ ولا نظير، ولا مُبَدِّل لكلماته، ولا يبلغ شيء مبلغه، ولا يقدر شيء قدرته، ولا يُدْرك شيء أحرزه، ولا يحولُ دونه شيء ...**](٢).

وما وَرَدَ فِي هذين الخبرين ضروبٌ مِنْ المِثْل العقلي فِي الأجناس، أو الانواع، أو فِي العوارض العارضة عَلَى الماهيّة، أو الوجود الخارجي، والجامع بين هَذِهِ الأنواع هُوَ تقرير الماهيّة للشيء فيتماثل معها فِي أحد درجاتها، كَمَا وَرَدَ فِي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما وَحَّده مَنْ كيَّفه، ولا حقيقته أصاب مَنْ مَثَّله، ولا إيّاه عَنَى مَنْ شَبَّهه، ولا صَمَده مَنْ أشار إليه وتوهّمه**»(٣).

وَعَنْ الإمام زين العابدين عليه السلام: «**والصَمَدُ الذي أبدع الأشياءَ**

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٤/ باب أعمال أيام مطلق الشهر ولياليه: ص٢٦٩.
(٢) بحار الأنوار: ج٩٥، باب أعمال خصوص يوم عرفة وليلتها: ص٢٢٩.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٤، باب خطبه المعروفة: ص٣١٠.

فَخَلَقَها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتَفَرَّدَ بالوحَدةِ بلا ضِدٍّ ولا شَكْلٍ ولا مِثْلٍ ولا نِدٍّ»[١].

ثانياً: المَثَل بفتحتين لُغَةً: ذكر ابن فارس فِي مقاييسه أنَّ المَثَل: المِثْل أيضاً، كَشَبَه وشِبْه، والمَثَل المَضروب مأخوذ مِنْ هَذَا؛ لِإِنَّهُ يُذْكر مورداً به عَنْ مِثْلِهِ فِي المعنى[٢].

والمَثَل بالتحريك: الصفة، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[٣].

أيّ صفة الجنَّة، وقولك: ضربتُ لفلان مثلاً معناه أَنَّكَ وصفت لَهُ شيئاً، وقولك: مَثَل هَذَا كمثَلِ هَذَا أيّ صفتُه كصفَتهِ، وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾[٤] وحاملوا التوراة لا يماثلون الحمار ولكنَّ جمعهم وإيّاه صفة فاشتركوا فيها[٥] ومَثَل الشيء أيضاً صفته ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[٦] والمَثَل: ـ الحديث نَفْسُه[٧] والمَثَل بمعنى الوصف وضَرَبَ الله مَثَلاً أيّ وصفاً ...

---

(١) التوحيد للصدوق: ص٤٨/ ح٤.
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادّة ـ مثل ـ ج٦، ص٢٩٦.
(٣) سورة الشورى: الآية ١١.
(٤) سورة الجمعة: الآية ٥.
(٥) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص٤٨٠.
(٦) الجوهري في صحاحه مادّة ـ مثل ـ.
(٧) معجم تهذيب اللغة.

قَالَ ابنُ السكيت: ـ المَثَلُ: ـ لفظٌ يُخالِفُ لفظَ المضروب لَهُ، ويوافق معناه مَعْنَى ذَلِكَ اللَّفْظ، شبَّهُوه بالمثال الذي يُعْمَلُ عَلَيْهِ غيرُه، وسُمِّيت الحِكَمُ القائمُ صدقُها فِي العقول أمثالاً لانتصاب صُوَرِها فِي العقول، مشتقةً مِنْ المثول الذي هُوَ الانتصاب.

وَقَالَ إبراهيم النظّام: ـ يجتمع فِي المَثَلِ أربع لا تجتمع فِي غيره مِنْ الكلام: إيجازُ اللفظِ، وإصابة المعنى، وحُسْنِ التشبيه، وجَوْدَة الكتابة، فَهُوَ نهاية البلاغة والمَثَل بفتحتين والمَثيل وزان كريم كَذَلِكَ، والمَثَل بمعنى الوصف ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ أيّ وصفاً.

وَقَالَ الميداني فِي مجمع أمثاله[1] أربعة أحرف سُمِعَ فيها فِعْلٌ وفَعَلٌ، وَهِيَ: ـ مِثْلَ ومَثَلَ، وشبْه وشَبَه، وبَدْلُ وبَدَل، ونِكْلُ ونكَلُ، فمَثَلُ الشيء ومِثْلُه وشَبَهُه وشِبْهُهُ ما يماثله ويُشابهه قدراً وصفةً، وبَدَلُ الشيء وبِدْلُه غيرُه، ورَجُلٌ نكَلٌ ونِكْل للذي ينكل بدا عداؤه.

وفعيلٌ لغةٌ فِي ثلاثةٍ مِنْ هَذِهِ الأربعة، يُقَال: ـ مَثيلُه وشبيهه وبَديلُه ولا يُقَال نكيلُه، فالمَثَلُ ما يُمَثَّلُ به الشيء أيّ يُشَبَّه، كالنْكَل مِنْ يُنَكَّلُ به عدوّه، غَيْر أنَّ المِثْل لا يوضع فِي موضع هَذَا المَثَل، وإنْ كَانَ المَثَل يوضَعُ موضعه، فَصَارَ المَثَل اسماً مُصَرحاً لهذا الذي يُضْرَب ثمَّ يُرَدُّ إلى أصله الذي كَانَ لَهُ مِنْ الصِّفَة؛ فيُقَال: مَثَلُكَ، ومَثَلُ فلان أيّ صفتكَ وصفته،

---

(١) مجمع الأمثال للميداني: ج١، ص٧٠ ـ ٧١ .

وَمِنْهُ قوله تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾(١) أيّ صفتها، ولشِدَّةِ امتزاج مَعْنَى الصفة به صَحَّ أنْ يُقَال: ـ جعلتُ زيداً مَثَلاً، والقومُ أمثالاً، وَمِنْهُ قوله تَعَالَى ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾(٢) أيّ جعل القوم أنفسهم مَثَلاً فِي أحد القولين(٣).

وجاءت كلمة المَثَل فِي القُرآن عَلَى عِدَّة وجوه: ـ

الوجه الأوَّل: المَثَل بمعنى الشبه، كقوله تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾(٤) أيّ نَصِفُها، وقوله تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾(٥) يعني: وَصَف الله شبهاً، وقوله تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾(٦).

الوجه الثَّانِي: المَثَل بمعنى سُنَنٌ، كقوله تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ﴾(٧) يعني سُنَنَ الَّذِيْنَ مِنْ قبلكم مِنْ الملأ، يعني مؤمني الأمم الخالية، وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾(٨) يعني سُنن

(١) سورة الرعد: الآية ٣٥.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٠.
(٣) المصباح المنير للفيومي: ص٤٣٨، مادَّة ـ مثل ـ.
(٤) سورة الحشر: الآية ٢١.
(٥) سورة النحل: الآية ٧٥.
(٦) سورة الفتح: الآية ٢٩.
(٧) سورة البقرة: الآية ٣٠.
(٨) سورة الزخرف: الآية ٨.

الأولين، وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾[١] يعني سنن العذاب مِنْ الأمم الخالية.

الوجه الثَّالِث: بمعنى عِبْرَة، قوله تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾[٢] يعني عِبْرَة.

الوجه الرَّابع: بمعنى العذاب كقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾[٣] يعني: وصَفْنا لكم العذاب إنه نازُلٌ بهم في الدُّنيا، يعني الأمم الخالية.

والمَثَل والمَثِلُ: كالمِثْل والجمع أمثال[٤].

وأما المَثَل: جمع أمثال، وهو بالأصل بمعنى نظير[٥].

وهكذا وَرَدَ (المَثَل) فِي إعمال قدرة الله تَعَالَى فِي خلقه كَما فِي قوله تَعَالَى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾[٦]، أيّ المَثَل بالفتح، ولَمْ يرد التعبير بالكسر فِي الآية المُبارَكَة أو التعبير مَثَل آدم ـ أو مَثَل عيسى إلى آدم؛ وَذلِكَ فيه احتمالات لِأنَّ الكلام فِي الآية حول قدرة الله تَعَالَى فِي عيسى عليه السلام فيَكُون شأن عيسى عليه السلام مَثَلٌ ـ بالفتح ـ لِقُدْرة الله تَعَالَى، وَمِنْ ثمَّ قُيِّدَ المَثَل ـ بالفتح ـ عِنْدَ الله

---

(١) سورة البقرة: لاآية ٢١٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٥٩.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٣٩.

(٤) لسان العرب: مادّة مثل.

(٥) مجمع البحرين للعلّامة الطريحي قدس سره مادّة ـ مَثَل ـ.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

لأجل التشبيه بين فعل الله وقدرته فِي الموردين ـ مورد آدم ومورد عيسى عليهما السلام.

المَثَلُ اصطلاحاً: هُوَ عبارة عَنْ الآية والتجلّي، بظهور، ويُطلق ـ المَثَلُ عَلَى المعلول بالإضافة إلى علّته، فَإِنَّهُ لا يُشارك علّته فِي ماهيّة، ولكنّه حاكي عَنْ كمال علّته فيُطلق عَلَى الرقيقة الحاكية عَنْ كمال الحقيقة، وَعَلَى الآية بالنسبة إلى ذي الآية، والوجود القائم بغيره، أيّ الوجود الحرفي، وتقدم أنَّ المَثَل لَهُ مُرادفات عقلية عديدة، وسيأتي المزيد فِي موضعه المُنَاسِب، ويُقَرِّر القُرآن الكريم ثبوت المَثَل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، بتقريب:ـ أنَّ المَثَل عَلَى درجات ولا يُحْمد ويُنحبس عَلَى مورد المثل، بَلْ يتعدّى إلى ما وراءه وَهُوَ الأعظم نظير ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ﴾[2] هَذَا مُضَافاً إلى أنَّ الآية المُبارَكَة وَرَدَ بها التعبير بصيغة المفرد لا الجمع حَيْثُ عبَّرت [المثل الأعلى] وَلَمْ تعبِّر [ولله الأمثال] فما هُوَ السِّر فِي هَذَا التعبير؟

هل المقصود مِنْ (المَثَل) أيّ جنس المَثَل أم شيء آخر؟ وسيأتي التعرُّض لهذه النكتة تحت عنوان [الغرض مِنْ مبحث الأسماء].

ثمَّ أنَّ القُرآن الكريم يذكر لِكُلِّ شيءٍ مثلاً وَلَمْ يعبِّر لله كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ بينما هُنَا عَبَّر [ولله الأمثال].

---

(١) سورة النحل: الآية ٦٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٢.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[١] فسَّرها صاحب مجمع البيان العلّامة الطبرسي بشِبْه حال الأولين، وكذا قوله تَعَالَى ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾[٢].

وَهَذَا نظير ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٣] بتقريب: ـ فَإِنَّ للأسم وللمثل وللآية وللتجلّي مَعْنَى واحد أو مُتقارب، ولا ربط للمَثَل بالتوافق بين شيئين فِي حَدٍّ، وَإِنَّما المَثَل هُوَ تجلّي لصاحبه، أو هُوَ الشيء الذي لا يشترك مَعَ الشيء المَمَثَّل لَهُ فِي النوع أو الجنس.

والمَثَل لَيْسَ فَقَطْ مقابل المِثْل وَإِنَّما يجري المَثَل فِي القِصَّة والقصص، وأنَّ القصص الَّتِي ذُكِرت فِي القُرآن الكريم هِيَ مَثَلٌ، وأنَّ الغاية مِنْ القصَّة ـ كَمَا مَرَّ ـ فِي القُرآن هِيَ العبور إلى الغير.

كَذَلِكَ الغاية مِنْ الأمثال فِي القُرآن هِيَ العِبْرَة والعبور إلى الغير، والترجمان فَإِنَّ المَثَل ترجمان للمُمثل لَهُ.

إِذَنْ هُنَاك ترابط وتلازم بين بحث القصَّة والأمثال والمَثَل والعبور والتذكّر والترجمان.

ثالثاً: المثال لغةً: والمِثْل والمِثالُ فِي معنىً واحداً[٤] وجمع المثال أمْثِلَةٌ،

---

(١) سورة الزُّخرف: الآية ٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

(٤) معجم المقاييس لابن فارس: ج٥.

والمثال: الفِراشُ والجمع مُثُل وَهُوَ شيء يُماثل ما تحته أو فوقه.

والمِثال: بالكسر اسمٌ مِنْ ماثَلَهُ مُماثَلَةً إذَا شابَهَهُ، وَقَدْ استعمل الناس (المِثال) بمعنى الوصف والصورة، فقالوا: مِثالُهُ كذا أيّ وَصْفَهُ وصورتُهُ، والجمع أَمْثِلَةٌ[1].

والفرق بين المِثْل والمِثال: المِثْل: هُوَ المشارك فِي تمام الحقيقة، ولذا نُفي عَنْ الله ـ سُبْحَانَهُ ـ المِثل كَمَا قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] والمِثال: المشارك فِي بَعْض الأغراض، فَإِنَّ الإنسان المنَقَش فِي الجدار، مثال للإنسان الطبيعي لمشاركته فِي المقدار، والجهة ونحوه، وَلَيْسَ مثلاً لَهُ[3].

والمِثال: صفة المقدار، والقصاص، والشيء، والفراش ينام عَلَيْهِ يُقَال «**فِي البيت مثالٌ رثّ**» أيّ فراشٌ خلق، وجمع المثال: أمثِلَةٌ ومُثُلٌ ومُثْل[4]، والمثال: المقدار وَهُوَ مِنْ الشِّبْه[5] القالب الذي يُقَدَّر عَلَى مثله صفة الشيء وصورته[6].

اصطلاحاً: المِثال:

---

(١) المصباح المنير للفيّومي، مادّة ـ مثل ـ.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص٤٨٠.

(٤) أقرب الموارد للشرتوني، مادّة ـ مثل ـ.

(٥) لسان العرب لابن منظور، مادّة ـ مثل ـ.

(٦) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا، مادّة ـ مثل ـ بتصرف.

رابعاً المُثُل لُغةً: هُوَ جمع المثال: والجمع : أمثِلَة ومُثُل[١].

وَقَدْ وَرَدَ فِي نهج البلاغة، قَالَ أمير المؤمنينعليه السلام: «**واعلم أنَّ لِكُلِّ ظاهر باطناً عَلَى مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه ...**»(نهج البلاغة).

واصطلاحاً:

خامساً: المُثْلَةُ: يُقال: مَثَّلَ بالرَجِلِ يَمْثَل مَثْلاً ومُثْلَةً ـ الاخيرة عَنْ ابن الإعرابي ـ ومَثَّلَ كلاهما: نكَّل به، وَهِيَ المَثُلَةَ والمُثْلةُ، قَالَ الزجَّاج: الضمَّة فيها عِوَضٌ مِنْ الحذف[٢]، والمُثلَة اسم وزان غُرْفة، من الفِعل مَثَلْتُ بالقتيل مَثْلاً من باب قَتَلَ وضَرَب إذا جَدَعْتَهُ وَظَهَرت آثارُ فِعْلك عليه تنكيلاً والتشديد مُبالغة[٢].

المُثلَةُ: ـ بالضّم: التنكيل أو آفة من قولهم (فلانٌ مُثْلَةٌ في الخير والشر) أي عَجَبٌ وآفة، وَهَذَا كَما يُقَال لمن كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفة فتنة وداهية، واسم مِنْ مَثَل به إذَا نُكِّلَ به[٣] والعَرَبُ تقول العقوبة: ـ مَثُلَةً، ومُثْلَة؛ فَمَنْ قَالَ (مَثُلَةً) جمعها عَلَى مَثُلات، وَمَنْ قَالَ: (مُثْلَةً) جمعها عَلَى مُثُلات ومُثَلات ومُثْلات[٤] والمُثْلَةُ والمُثُلَ: التشنيع والتشويه فِي العقوبة:

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادّة ـ مثل ـ.

(٢) المصباح المنير للفيّومي، بتصرّف.

(٣) أقرب الموارد مادّة ـ مثل ـ.

(٤) معجم تهذيب اللغة للأزهري.

التنكيل، تُجْمَع عَلَى مُثُلات ومَثلات ومَثُلات(١).

سادساً: المَثُلَة: ـ العقوبة، يُقَال: حَلَّتْ به المَثُلَة، وما أصابَ القرون الماضية مِنْ العذاب وَهِيَ عِبَرٌ يُعتبَرُ بها والجمعُ مَثُلات(٢).

سابعاً: المَثِيْل: الشِبْه والنظير والفاضل، جمع مُثُل، والمُثيل تصغير المِثْل(٣) الشبيه والنظير والفاضل فِي قومه(٤).

ثامناً: الأَمْثَل: ـ الأفضل فِي قومه أو الأشبه بالأفاضل، الادنى عَنْ الخير يجمع، أماثِل ومُثُل، وجاء فِي الحديث فِي جمعه: المياثل(٥) ذو الفضل الذي يَسْتَحق أنْ يُقَال لَهُ، هُوَ أَمْثَل قومه(٦) كالأَفْضَل زِنَةً ومعنىً و (زيد أَمْثَل مِنْ عمرٍو) أيّ: أفْضَل، و (هَذَا أَمْثَل قومه) أيّ أَفْضَلهم، قِيلَ هُوَ فِي الأصل بمعنى الأشبه، يُقَال هُوَ أَمْثَلُ بالأفاضل كَما يُقَال أشبه بالأفاضل، ثمَّ كثُر استعماله فصار بمعنى الأفضل وصُرِّف مِنْهُ فعلٌ، مؤنثه ـ الأمثل ـ مُثلى، تجمع أمَاثِل(٧).

تاسعاً: المُثْلَى: قَالَ الأخفش: ـ المُثْلَى تأنيث: ـ الأَمثَل، والطريقةُ

---

(١) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا.

(٢) أقرب الموارد مادّة ـ مثل ـ.

(٣) المصدر السابق.

(٤) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا.

(٥) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا.

(٦) معجم تهذيب اللغة للأزهري.

(٧) أقرب الموارد للشرتوني اللبناني بتصرف.

المُثْلَى أيّ الشبهى بالحق[١] مؤنث الأمثل، والطريقة المُثْلَى الَّتِي هِيَ أشبه بالحق، وَالَّتِي هِيَ أعدل[٢] ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾[٣] بتقريب: ـ إنَّ المُثْلى هُوَ الأشبه بالأفاضل والأقرب إلى الخير.

الجهة الثانية: نذكر فيها أمرين:

الأوَّل: الفرق بين المِثْل والمَثَل والمثال ـ حسب الاصطلاح.

الثَّانِي: مدرك القَاعِدَة، الآيات والروايات:

الأمر الأوَّل: الفرق الاصطلاحي بين : المِثْل والمَثَل والمثال.

المِثْل فِي المصطلح العقلي: ـ هُوَ الفرد مِنْ طبيعة مُتشابهة لفرد آخر مِنْ نفس الطبيعة أو مِنْ صنفه أو مِنْ نوعه أو مِنْ جنسه ويختلفان فِي الصفاة الفردية[٤].

المَثَل اصطلاحاً: هُوَ الآية والتجلّي والظهور، وَقَدْ قرَّرها القُرآن الكريم ثبوت المَثَل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٥].

الأمر الثانِي: مدرك القاعِدَة مِن الآيات والروايات:

أمَّا الآيات كقوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٦] بتقريب: ـ إنَّ

---

(١) معجم تهذيب اللغة للأزهري.

(٢) معجم متن اللغة، محمد رضا:

(٣) سورة طه: الآية ٦٣.

(٤) تقدَّم تعريف المِثْل اصطلاحاً.

(٥) تقدم مُفصَّلاً في تعريف المَثَل اصطلاحاً.

(٦) سورة الشورى: الآية ١١.

هَذِهِ الآية مِنْ مُحكمات القُرآن، وأنَّ الله تَعَالَى لَيْسَ بنوع ولا جنس ولا صنف، وَلَيْسَ فِي ذاته تَعَالَى تركب، ولا يشترك معه أَحَدٌ فِي الطبيعة والذات، فَكَمالاته تَعَالَى تُحَدّ وذاته لا تحدُّ كَذَلِكَ، وَإِلَّا كَانَ الباري ناقصاً تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علواً كبيراً، وَلَيْسَ لَهُ مِثل؛ لِأنَّ المِثْل لابُدَّ لَهُ مِنْ توافق أمرين: يوافقه فِي حَدٍ وفي مثلٍ.

وَوَرَدَ فِي الأدعية: «**لا حَدَّ لَهُ، ولا نِدَّ لَهُ، ولا شبيه لَهُ، ولا ضِدَّ لَهُ، ولا حدود لَهُ، ولا كفواً لَهُ، ولا كنه لَهُ، ولا مِثْل لَهُ، ولا شريك لَهُ فِي ملكه، ولا وزير لَهُ و ...**»(١).

وَوَرَدَ «**... لا ضِدَّ لَهُ، ولا نِدَّ لَهُ، ولا وَلَدَ لَهُ، ولا سَمِيَّ لَهُ، ولا كفو لَهُ، ولا قريب لَهُ، ولا شبيه لَهُ، ولا نظير، ولا مُبَدِّل لكلماته، ولا يَبْلُغ شيء مَبْلَغه، ولا بقدر شيء قدرته، ولا يُدْرك شيء أحرزه، ولا يحولُ دونه شيء ...**»(٢).

وما وَرَدَ فِي هذين الخبرين ضروب مِنْ المِثْل العقلي فِي الأجناس، أو الأنواع، أو العوارض العارضة عَلَى الماهيّة أو الوجود الخارجي، والجامع بين هَذِهِ الأنواع هُوَ تقرير الماهيّة للشيء فيتماثل معها فِي أحد درجاتها، كَما وَرَدَ فِي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما وَحَّدَه مَنْ كَيَّفَهُ، ولا حقيقته أصاب مَنْ مَثَّلَه، ولا إيّاه عَنى مَنْ شبَّهَهُ، ولا صَمَده مَنْ أشار إليه**

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٤، باب أعمال أيام مطلق الشهور ولياليه: ص٢٦٩.
(٢) بحار الأنوار: ج٩٥، باب أعمال خصوص يوم عرفة وليلتها ص٢٢٩.

وتوهّمه»[١].

وَعَنْ الإمام زين العابدين عليه السلام: **«والصمدُ الذي أبدعَ الأشياء فَخَلَقَها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتفَرَّدَ بالوِحْدَة بلا ضِدٍّ، ولا شَكْلٍ ولا مِثْلٍ ولا نِدٍّ»**[٢].

وكقوله تعالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٣].

وقوله تعَالَى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٤].

وقوله تعَالَى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٥].

وقوله تعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[٦].

بتقريب: ـ مضمون هَذِهِ الآيات المُبارَكَة تشير إلى:

أوّلاً: فَمِنْ جانب أنَّ الله تعَالَى ينفي أنْ يَكُون لَهُ مِثْل ـ بكسر فسكون ـ بينما يُثبت لَهُ تعَالَى المَثَل ـ بفتحتين.

ثانياً: يُسْنِد تعَالَى لنفسه ضَرْب الأمثال، وأنَّ الغاية مِنْهَا هُوَ التفكُّر، ثمَّ التعقُّل ثمَّ التذكُّر.

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٤، باب خطبه المعروفة: ص٣١٠.

(٢) التوحيد للصدوق: ص٤٨/ ح٤.

(٣) سورة النحل: الآية ٦٠.

(٤) سورة الروم: الآية ٢٧.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

(٦) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

ثالثاً: ينفي الله تَعَالَى قدرة البشر أنْ يضربوا الأمثال لله تَعَالَى، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[1]، بَلْ نفى قدرة البشر أنْ يضربوا الأمثال لسيِّد الأنبياء، فنفى عنهم إمكانية القدرة عَلَى ذَلِكَ، فكيف تكون لهم إمكانية ضرب الأمثال لله تَعَالَى، وسيأتي مزيد توضيح حول هَذِهِ الآية، بَعْدَ قليل فانتظر.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾[2].

رابعاً: وَمِنْ النقطة السابقة يتبيِّن أنَّ القدرة عَلَى معرفة المَثَل والأمْثال ينطوي عَلَى علم بحقائق الأشياء، وأنَّ لُغَة الأَمْثال والمَثَل ليست لغة خطابية، بَلْ هِيَ لُغَةٌ بُرهانية.

خامساً: إنَّ المَثَل ـ بفتحتين ـ مرادفٌ عقلاً لمعنى الآية والاسم، وإنْ لَمْ يكن مُرَادَفاً لَهُ لُغَةً، وَمِنْ ثَمَّ يتبيِّن أنَّ هُنَاكَ مُرادفات عقلية كثيرة للمَثَل كالحرف والكلمة والدالّ والتجلّي والظهور والاسم والنعت والوصف والإشارة والظهور والآية وغيرها مِنْ المُرادفات العقليّة، وَمِنْ ثَمَّ يتّضح أكثرفأكثر اشتراك حِكْمَة المثل مَعَ أحكام المُرادفات لها، فَكَمَا أنَّ الأسماء توقيفيّة وتوقيتيّة فكذلك لا يُضرَب لله المَثَل والأمثال، بَلْ هُوَ لَهُ تَعَالَى أنْ يتّخذ المَثَل الأعلى لنفسه كَمَا هُوَ الحال فِي الصِّفات فِي قوله تَعَالَى:

---

(١) سورة النحل: الآية ٧٤.

(٢) ذكرت الآية في موضعين في الإسراء: ٤٨، والفرقان: ٣٩.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[١]، وقوله تعالى ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢] وقوله تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[٣] وقوله تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[٤] وقوله تعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٥].

سادساً: حيث تبيَّن ممّا تقدّم ترادف المَثَل والأمثال مع الأسماء والآيات، تبيّن من ذلك أن المثل له تأويل، وله تعبير مترامي الى بطون عديدة، وَمِنْ ثمَّ يحتاج التدبُّر فِي المَثَل والأمثال إلى تَعَقُّل وتفكُّر، فإذا تَمَّ الوصول إلى مقامات البطون ومنازل المعاني التأويليّة حصل للإنسان درجات مِنْ الذكر والتذكّر، وَمِنْ ذَلِكَ تبيَّن أنَّ المَثَل والأمثال درجات وطبقات مُترامية ومتعاقبة طولاً ورتبةً، وبحذاء ذَلِكَ وموازاته تترامى درجات التعقُّب للأمثال ودرجات الذكر والتذكُّر.

ويتعدَّد التأويل والتعبير والعبور ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[٦].

بتقريب: ـ المُراد (مِنْ تأويل الأحاديث) أيّ مِنْ تعبير الرؤيا، تسمّى التعبير تأويلاً، لِإنَّهُ يؤول أمرُه إلى ما رأى فِي المنام، وسُمّي الرؤيا

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٩١.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.
(٣) سورة الصَّافات: الآية ١٥٩.
(٤) سورة الصَّافات: الآية ١٨٠.
(٥) سورة الزُّخرُف: الآية ٨٢.
(٦) سورة يوسف: الآية ٦.

أحاديث لأنّها أحاديث تلك الرؤيا إنْ كَانَتْ صادقة، وأحاديث النفس والشيطان إنْ كَانَتْ كاذبة[١] أو مِنْ تأويل غوامض كتب الله تَعَالَى، وسنن الأنبياء، وكلمات الحُكماء، ويمكن إرجاع تعبير الرؤيا إلى الأصل، فَإنَّ النَّوم أحاديث النفس إمَّا ملكية أو شيطانيّة، ويمكن أنْ يَكُون المُرَاد بالأحاديث مطلق أحاديث النفس، وخطوراتها أعم مِنْ النَّوم واليقظة، وتأويلها هُوَ الانتقال إلى ما يرتبط بها مِنْ الحوادث؛ فَإنَّ عامّة الحوادث مرتبطة بعضها ببعض[٢] وَقِيلَ المُرَاد مِنْ تأويل الاحاديث: أيّ تعبير الرُّؤيا، لِأنَّ يوسفعليه السلام قَدْ بلغ الغاية فِي تفسيرها ومعرفة مآلها، ولكن ظاهر اللَّفْظ أعم مِنْ ذَلِكَ، والأنسب بنبوَّة يوسفعليه السلام أنْ يَكُون تأويل الأحاديث كناية عَنْ معرفة الحقائق، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ سيعلمه ما لَمْ يكن يعلم[٣].

وَمِنْ كُلّ هَذَا يتلخَّص أنَّ التأويل هُوَ إرجاع الشيء، ونتيجة ومآل كُلّ عمل أو حديث تصل إلى الغاية والهدف النهاية تسمّى تأويل، وتحقّق الرؤيا فِي الخارج مصداق للتأويل.

وقوله تَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[٤].

---

(١) زبدة التفاسير، للفيض الكاشاني: ج٣، ص٣٤١.
(٢) تفسير البيان، لِلْسَّيِّد العلّامة الطباطبائي: ج٦، ص٢٣.
(٣) التفسير الكاشف، مُحَمَّد جواد مغنية: ج٤، ص٢٨٩.
(٤) سورة النحل: الآية ٧٤.

بتقريب: ـ إنَّ لَيسَ هُنَا نفي الأمثال لله امتناعاً ذاتيّاً، وَإنَّما نفي علم البشر والخَلْق بأمثال الله، بمعنى أنَّ الله تَعَالَى مالِكٌ للأمثال، ويتّضح مِنْ هَذَا المعنى إذَا تَقَرَّر أنَّ المَثَل ـ بالفتح ـ مرادفٌ عقليّ للاسم والآية، وَكَما أنَّ الأسماء توقيفية وتوقيتيّة، فكذلك الحال فِي المَثَل ـ بالفتح ـ والأمثال.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ كُلّ مَثَلٍ يمكن أنْ يَخْطُر عَلَى الإنسان هُوَ تعبيرٌ وآية لشيء ولما وراءه ودالّ عَلَى عموميّة الأمثال، فَهُوَ مقرّر وجوده فِي القُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فَإنَّ قَاعِدَة الأمثال ليست هِيَ قَاعِدَة أبعاض، وَإنَّما هِيَ دالَّةٌ عَلَى العموم.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ﴾[2].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[3].

وقوله تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[4].

بتقريب: ـ إنَّ الألف واللام فِي (الأمثال) للجمع والعموم الاستغراقي.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥٤.

(٢) سورة الروم: الآية ٥٨.

(٣) سورة الزمر: الآية ٢٧.

(٤) سورة الرعد: الآية ١٧.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[2].

قراءة الأمثال بلغة عقلية فكرية:

وَمِنْ خلال استعراض الآيات المُباركة الآنفة الذكر يتبيَّن: ـ أنَّ المثل فِي القُرآن الكريم لا يقتصر فيه عَلَى درجةٍ وسطحٍ نازلٍ الذي هُوَ المثل فِي علم البلاغة ـ المعاني والبيان و البديع ـ وَاللُّغَة، بَلْ أَكَّدَ القُرآن الكريم عَلَى قراءة المَثَل القرآني بقراءة علميّة وعقليّة عميقة ودقيقة يُبيِّن فيها لُبّ اللباب، وحاق وحقيقة المثل، وَهَذَا معناه أَنَّ الأديب وَالمُفسِّر والباحث وغيرهم عليهم أنْ لا يقرأوا المَثَلَ القُرآني بقراءة سطحيّة نازلة وبحسب درجات اللُّغَة الأدبيّة، وَإنَّما لابُدَّ أنْ تُقرأ بقراءة علميّة وعقليّة عميقة لا يعقلها إلَّا العالمون، كَمَا توهمه كثير مِنْ المُفَسِّرين وأنَّ قَاعِدَة الأمثال فِي القُرآن هِيَ قَاعِدَة أدبية لفظية لغوية استعمالية، والواقع أنَّها تحتاج إلى أنْ تقرأ بقراءة عقليّة علميّة عميقة وبحاجة إلى عُلَماء متخصّصون فِي علوم حَتّى يصلوا إلى نتائج علميّة وبرهانيّة لا يستطيع الأديب أو اللغوي أنْ يصل إلى تلك النتائج العلمية الَّتِي قَدْ توصل إليها مِنْ خلال القراءة العلمية العقليّة الفكريّة كالمتخصّص فِي علم الفيزياء

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

فَإِنَّهُ يقرأها بقراءة فيزياوية، والعالم بعلوم الفضاء يصل لها بلغة علوم، وهكذا صاحب كُلّ تخصّص يستطيع أنْ يقرأ الأمثال القُرآنية بحسب ما توفّرت لديه مِنْ آليات علمه.

وأمَّا الروايات الَّتِي تصلح كمدرك لقاعدة الأمثال فِي القُرآن فسنعرض بعضاً مِنْهَا كَمَا يلي:

فَقَدْ روي عَنْ أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**إنَّ أسماء الله الحُسْنى وأمثاله العُليا، وآياته الكُبرى**»[1].

عَنْ الصادق عليه السلام فِي وصف المعراج ... فَقَالَ تَعَالَى لي: «**يا مُحمَّد هَذَا الحَرَم وَأَنْتَ الحرام وَلِكُلِّ مَثَلٍ مثال ...**»[2] **الخ**.

... رواية تفسير الإمام عليه السلام فِي أحياء ستة بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: ـ قَدْ رأينا لـمُحمَّدٍ مثالاً عَلَى سرير عِنْدَ البيت المعمور وَعِنْدَ العرش، ولعليٍّ عليه السلام مثالاً عِنْدَ البيت المعمور وَعِنْدَ الكرسي، وأملاك السماوات والحُجُب، وأملاك العرش يحفّون بهما ويعظّمونهما، ويصلّون عليهما ويصدرون عَنْ أوامرهما، ويقسمون عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ لحوائجهم إذَا سألوه بهما[3].

وروى الشَّيْخ الطوسي فِي الأمالي عَنْ الصادق عليه السلام عَنْ النَّبيّ صلى الله عليه وآله قوله صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ إنَّ الله أشهدَك معي فِي سبعة مواطن حَتّى آنست بك،**

(١) مستدرك سفينة البحار للشيخ عَلَى النمازي: ج٩، ص٣١٨.

(٢) المصدر السابق: ٣١٥.

(٣) إحقاق الحقّ: ج٩، ص٤٦٨؛ ومستدرك سفينة البحار: ج٩، ص٣١٧.

وقوله لَهُ مكرَّراً: ومثالك معي»(١).

رواية العُيون بإسناده الصحيح عَنْ ياسر الخادم، عَنْ الرضاعليه السلام عَنْ آبائهعليهم السلام، قَالَ: قَالَ روسول اللهصلى الله عليه وآله لعلي: **يا علي أَنْتَ حجّة الله، وَأَنْتَ باب الله، وَأَنْتَ الطريق إلى الله، وَأَنْتَ النبأ العظيم، وَأَنْتَ الصراط المستقيم، وَأَنْتَ المَثَل الأعلى**(٢).

روى الصدوق فِي الأمالي بإسناده عَنْ الأصبغ بن نُباتة عَنْ أمير المؤمنينعليه السلام: ـ «**أنا خليفة رسول الله ووزيره ووارثه ... إلى أنَّ قَالَ: أنا الحجة العُظمى والآية الكُبرى، والمَثَل الأعلى**»(٣).

وفي خطبة لأمير المؤمنينعليه السلام: ـ **أعطانا الله عشر خصال لَمْ يكن لأحدٍ قبلنا، ولا يَكُون لأحدٍ بعدنا إلى أنْ قَالَ:ـ فَنَحْنُ كلمة التقوى، وسبيل الهُدَى، والمثل الأعلى والحجة العُظمى**(٤).

روى الصدوقرحمه الله بإسناده عَنْ الهيثم بن عبدالله الرمّاني عَنْ الرضاعليه السلام عَنْ آبائه، عَنْ أمير المؤمنينعليه السلام قوله فِي خطبةٍ لَهُ فِي وصف الله تَعَالَى: «**فلا إليه حدٌّ منسوب، ولا لَهُ مَثَلٌ مضروب، ولا شيءٌ عَنْهُ محجوب تَعَالَى عَنْ ضرب الأمثال والصِّفات المخلوقة علوّاً كبيراً**»(٥).

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ج٩، ص٣١٧.
(٢) المصدر السابق: ص٣١٨، إحقاق الحقّ: ج٤، ص٢٨٤.
(٣) المصدر السابق: ص٣١٨.
(٤) المصدر السابق: ص٣١٩.
(٥) عيون أخبار الرضا: ج١، ص١١٢.

... أبي العبّاس الفلكي، قَالَ عليٌّ عليه السلام: «ألا إنَّ الذِكرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وَنَحنُ أهله، وَنَحْنُ الراسخون فِي العلم، وَنَحْنُ منار الهُدَى وأعلام التُّقَى، ولنا ضُرِبَتْ الأمثال»(١).

الجهة الثالثة: القرآن الكريم اعتمد أسلوب المثل من ضمن أساليب عديدة اعتمدها، كما نبهت عليه روايات أهل البيت عليهم السلام.

ما مضمونه إنَّ أسلوب القُرآن: ـ السنن والأمثال، والفرائض والأحكام، والحكمة والجدل، والأخبار والأنباء، والمحكم والمتشابه، وزجرٌ وأمرٌ، وترغيب وترهيب، وجَدَلٌ وقصص ومَثْل وأمثال.

ورواه أصحابنا عَنْ أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ـ «إنَّ الله تبارَكَ وَتَعَالَى أنزل القُرآن عَلَى سبعة أقسام كُلّ قسم مِنْهَا كافٍ شافٍ وَهِيَ أمرٌ وزجرٌ وترغيب وترهيب، وجدل ومَثَل وقصصٌ»(٢).

ورواية مُحَمَّد بن مسلم عَنْ أبي جعفر عليه السلام فِي قول الله ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ①﴾ قَالَ: «الليل فِي هَذَا الموضع هُوَ الثَّانِي غشى أمير المؤمنين عليه السلام فِي دولته إلى أنْ قَالَ: ـ القُرآن ضُرِب فيه الأمثال للناس، وخاطب نبيه صلى الله عليه وآله

---

(١) بحار الأنوار: ج٣، ص٨٤، ح٥٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٠، ص٤.

به وَنَحْنُ نعلمه، فَلَيْسَ يعلمه غيرنا»[١].

الجهة الرابعة: ارتباط أسلوب المثل بالتعريض:

والكلام فيها يقع فِي نقاط:

النقطة الأولى: مِنْ الظاهر استعمال أسلوب المَثَل مِنْ أحد أساليب التعريض؛ لِأَنَّ المَثَل ـ كَمَا مَرَّ ـ هُوَ آيةٌ وعلامة لما وراءه، وَقَدْ تترامى طبقات الآيات والعلامات، فالمَثَل كـ (الكِن) الذي يَحْفَظ خَلْفَه المُراد الأصلي فيُعْبَر مِنْهُ إليه سواء بواسطة أو بوسائط، فَيَكُون المَثَل بمثابة وبمنزلة الكناية وأقسامها العديدة بالمعنى الأعم وبالتالي يتطرَّق التأويل بحسب طبقات المعنى ودرجاته.

نعم، لا ينحصر التعريض بأسلوب المثل، بَلْ يَعُمُّ بقيّة أبواب وأساليب القُرآن الكريم كأبواب القصص والحِكم والجَدَل و ... الخ.

النقطة الثَّانية: إنَّهُ رغم التفات جملةٍ مِنْ المُفسرين إلى أسلوب المَثَل فِي القُرآن، لا سيّما جملة مِنْ مُفسريّ الخاصّة، وأسلوب المَثَل ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ الغرض النهائي مِنْه هُوَ العبور مِنْ المَثَل إلى ما وارءه، وأَنَّ ما وراءه هُوَ المُرَاد كفاية فِي مراتب الجد، إلَّا أَنَّهُ يعكفون عَلَى المَثَل وخصوصياته ولا يتعدون مِنْهُ إلى وراءه، ويقصرون الأهميّة عَلَى سطح المَثَلِ نفسه، بينما ذَلِكَ إخلالٌ بقاعدة أسلوب المَثَل، بَلْ يجعلون مِنْ المثل مداراً وأساساً

---

(١) تفسير القُمّي: ج٢، ص٤٢٥، عَنْهُ البحار: ج٢٧، ص٢٠٥، ح٨٠.

ومهيمناً عَلَى ما سواه مِنْ المعاني وأمٌّ لها، بينما أسلوب المَثَل عَلَى العكس تماماً مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا ما هُوَ مشاهَدٌ فِي مناهج التفسير لدى غالب، أو جُلّ المُفَسِّرين وَمَنْ جَعَل التنزيل بهذه الصِّفات دون التأويل وأنَّ التنزيل مُحْكَمٌ والتأويل مُتشابهٌ، أو جعل المُحكم والمتشابه بحسب الدلالة وبنيتها لا بحسب بُنية المعنى وبُنيانه وأحكامه.

النقطة الثَّالثة: إنَّ تأكيد القُرآن وروايات أهل البيت عليهم السلام عَلَى أسلوب المثل فِي القُرآن برهانٌ بَيِّنٌ عَلَى قَاعِدَة التعريض الكُبرى فِي أسلوب القُرآن والوحي النازل عَلَى سيّد الأنبياء، بَلْ فِي الاحاديث النبوية وأحاديث المعصومين كَذَلِكَ، وبالتالي فَهُوَ بُرْهان عَلَى كون ظاهر القُرآن ودلالته ومدلولاته ذو طبقات ولا ينحصر بطبقة السطح، نعم تلك الطَّبقات والمراتب مِنْ بطون القُرآن بينها ترابط بموازين علوم اللُّغَة والعلوم الأُخْرَى، وأنَّ للمصحف العظيم طبقات مِنْ المعاني وبحور لا تتناهى عِنْدَ حدٍّ، وَهَذَا أصلٌ عظيم فِي منهج تفسير القُرآن.

المثل تسمية واسم ولقب وتوصيف وعِبر وآية:

الجهة الخامسة: هُنَاك ترادف عقلي فضلاً عَنْ الترادف الوجودي بين الاسم والتسمية ولأجل توضيح الفرق بين التراد اللغوي والترادف العقلي والتراد الوجودي هُوَ أنَّ يُقَال:

الترادف اللغوي:

أمَّا الترادف اللغوي: ـ والذي عادةً تكون مفرداته لغوية ـ فَإِنَّ اكتشافه لَمْ ينجز بشكل وافر وكامل فِي اللُّغَة لحدِّ الآن، لتوقّفه عَلَى الترادف المعنوي، والترادف المعنوي يتوقّف عَلَى تحليل علمي للمعاني الكثيرة، وَعَلَى تنقيب ونقض وإبرام وتأمُّل وتدبُّر فِي المواد الواصلة، وَعَلَى ذَلِكَ فالترادُف اللغوي متوقّف عَلَى الترادُف العقلي الآتي، إِذْ الترادف العقلي موطنه المعنى والمعاني، وَمِنْ ثَمَّ قَدْ يسمى بالترادف المعنوي.

كَمَا أنَّ لفصول الرجعة ومسلسل أحداثها أسماءٌ لَمْ تكتشف فيما كُتب عَنْ الرجعة، وَلَمْ ينقّح البحث عنها فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّها مقرّرة وموجودة فِي الروايات، نظير فصول مسلسل (دابة الأرض)، مَعَ أَنَّها مِنْ أخطر حلقات مسلسل الرجعة، وَقَدْ وصف هَذَا الحدث فِي روايات الفريقين المستفيضة والمتواترة أنّها طامّة وهولٌ عظيم، وَأَنَّهُ إِذَا قيس حدث ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى حدث ظهور دابة الأرض فَهُوَ كالقطرة فِي البحيرة، هَذَا بالقياس إلى المفاجئات الكونية الحاصلة عِنْدَ ذَلِكَ الحدث.

وَقَدْ أطلق عَلَيْهَا (الطامّة الكُبرى) أيضاً، أيّ نسبياً بالقياس إلى ما تقدمها مِنْ أحداث إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ أحداث وتفاصيل كثيرة لَمْ يقع الخوض والبحث والتنقيب فيها مليّاً، ولا زالت الكثير الكثير مِنْ المباحث كمواد خام غَيْر مُنقَّب عنها.

والعامّة لَمْ يلتفتوا إلى جملة مِنْ فصول الرجعة، مَعَ أنَّهم رووها بطرق مُستفيضة ومُتواترة، إلَّا أنَّها لَمْ تتضمّن لفظة الرجعة.

وَمِنْ أمثلة الترادف اللفظي المغفول عَنْهُ فِي الرجعة، ما أُشير إلهي فِي عِدَّة آيات مِنْ علامات الرجعة وإرهاصاتها، وَهُوَ مجيء آيات الرَّب.

وَهَذَا العنوان القُرآني للرجعة عنوان أصيل فِي كتب الحديث لدى الفريقين، لكنّه مغفول عَنْ كونه مِنْ فصول الرجعة المُهِمَّة، وَهَذَا نمط مِنْ أنماط الترادف اللفظي.

الترادف العقلي:

وأمَّا الترادف العقلي فَهُوَ اشتراك شيئين وذاتين وماهيتين وهويّتين فِي جزء مِنْ معنيهما كالجنس القريب المشترك أو الجنس البعيد أو الجنس المتوسّط أو فصل الفصل أو الفصل الفوقي، واللازم هُوَ وجود وتقرُّر جزء مشترك، فإذا تقرّر وجود ذَلِكَ الجزء المشترك فلا محالة تكون آثار ذَلِكَ الجزء وأحكامه التكوينية مشتركة بينهما، فَيَكُون ما دَلَّ عَلَى آثار وأحكام الشيء الأوّل دالاً عَلَى ترتبها عَلَى الثَّانِي أيضاً إذَا كَانَ ترتّب تلك الآثار مِنْ حيثية ذَلِكَ الجزء المشترك، فلا محالة يَكُون ذَلِكَ الدَّليل دالاً عَلَى تلك الآثار والأحكام فِي الشيء الثَّانِي.

وَمِنْ الواضح أنَّ هَذَا المنهج توسّع فِي استنطاق الأدلّة وتحليل مفادها ومعانيها بطريق أعمق وأغور، فلا يقتصر الاستدلال عَلَى الألفاظ

المشتركة، ولا عَلَى سطح المعاني، أيّ لا يقتصر عَلَى المعنى المتّحد فِي سطح الإدراك الأولي وَإنَّما يعتمد عَلَى المعنى المُتَّحد المطوي بخفاء فِي طيّات معاني مُتعدّدة، وَهَذَا يؤدّي إلى اكتشاف الأجزاء المشتركة بين المعاني كنظام موحِّد بينها، وَهُوَ اكتشافٌ لبنيان النظام فِي المعاني.

وَهَذَا بحث وتنقيح وتحرٍّ ثبوتي للواقعيات، وَلَيْسَ مُجَرَّد استكشاف دلالي وإثباتي.

وأحد ثمرات هَذَا المنهج ما مَرَّ مِنْ اكتشاف المعنى المتواتر النظري والمُستفيض والموثوق النظريين المُكتشف بقوة الاجتهاد والتحقيق، بَلْ كَمَا تبيَّن هُنَا أنَّ الفائدة فِي الترادف العقلي أعظم مِنْ اكتشاف مُجَرَّد التواتر، بَلْ ترجع الفائدة إلى اكتشاف نظام التوافق والموافقة مَعَ قَواعِد الكتاب والسنة كبنيان منظومي.

الترادف الوجودي:

وأمَّا الترادف الوجودي فَهُوَ يغاير كلاً مِنْ الترادف اللفظي والعقلي؛ لِإِنَّهُ لا يعتمد عَلَى وحدة تمام المعنى، أو المعنى الظاهر كَمَا فِي الترادف اللفظي، كَمَا أَنَّهُ لا يعتمد عَلَى الجزء المشترك مِنْ المعنى الخفي كَمَا فِي الترادف العقلي، بَلْ لا يعتمد عَلَى الوحدة فِي المعنى أصلاً، وَإنَّما يعتمد عَلَى وجود الرابطة الوجودية بين شيئين وإنْ لَمْ تكن بينهما رابطة وارتباط فِي المعنى أصلاً.

واكتشاف هَذَا الترادف أصعب كثير مِنْ اكتشاف التراد العقلي رغم صعوبة الترادف العقلي كَمَا مَرَّ، لا سيّما مَعَ اختلاف درجات الترادف العقلي فِي الخفاء، وَذَلِكَ لِأَنَّ الترادف الوجودي يتخطّى عالم المعنى إلى تقصّي العينية الواقعية وملاحظة الآثار والتأثيرات فِي الوجود، وملاحظة أنَّ التقارن بسبب الملازمة والتسبب فِي التأثير أم لا.

وبعبارة **أُخْرَى**: إنَّ منظومة الوجود وأنظمته أوسع ترابطاً بين الأشياء المختلفة مِنْ ترابط الأشياء فِي جانب معانيها اللغوية وذاتياتها، فَإِنَّ الترابط بين الأشياء فِي جانب المعنى مِنْ ناحية ذواتها ـ أجناساً أو أنواعاً أو أصنافاً ـ أضيق دائرةً مِنْ ترابطها فِي جانب الوجود العيني.

والمِثْل وا لمَثَل، وإنْ لَمْ يكن بينهما ترادفاً لغوياً، وَذَلِكَ لوجود جهة اشتراك فِي المعنى وَهِيَ إشارة كُلّ مِنْ الاسم والمَثَل إلى ما وراءه، وهكذا فِي بيانات القُرآن الكريم والروايات الواردة عَنْ أهل البيت عليهم السلام فِي خصوص الاسم الأعظم، وأنَّ للاسم اسم، ولاسم الاسم اسمٌ، وهكذا فَهُنَاكَ اسمٌ أعظم تتشعب مِنْهُ أسماء تشتق مِنْهُ أسماء، ويشتق مِنْ تلك الأسماء فِي الطبقة الأولى أسماء للطبقة الثَّانية، وَمِنْ الطبقة الثَّانية أسماء للطبقة الثالثة، وهكذا، كَذَلِكَ الآيات والأمثال تترامى طولاً ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[1]. فِي المثل الأعلى، ولذا يُعَبِّرون عَنْ هَذَا التسلسل والترامي والتبويب فِي كُلّ طبقة بأنَّه بابٌ للطبقة الَّتِي فوقها وهكذا.

---

(١) سورة الأعلى: الآية ١.

فالمَثَل والاسم وإنْ اشتركا فِي جهة إلَّا أنَّهما يختلفان فِي التفاصيل، فيندرج المثل فِي النعت والتوصيف أيضاً، وبالتالي يَكُون المثل نوع مِنْ اللقب.

كَمَا أنَّ هُنَاك جهة اشتراك أُخْرَى بينهما ـ الاسم والمَثَل ـ وَهِيَ أنَّ فِي كُلّ مِنْ المَثَل والتسمية بيانٌ لِصِفةٍ وحكاية لتوفّرها فِي المحكي عَنْهُ؛ إذْ جُلُّ الأسماء والتسميات كَمَا هُوَ معروف مأخوذٌ مِنْ أوصاف حَتّى ـ أسماء القلم، بَلْ قِيلَ فِي البحث العقلي، أنَّكَ لا تجد اسمٌ للجوهر إلَّا وَهُوَ مأخوذٌ مِنْ وصفٍ وحدث فعلي، فما يُحْتَسَب بأنه جوهرٌ فَهُوَ بالأصل وصفٌ حدثي.

ويشيرُ هَذَا الترادُف العقلي إلى ما وَرَدَ فِي الرُّواية، العياشي عَنْ مسعدة بن صدقة عَنْ أبي جعفر عَنْ أبيه، عَنْ جدّهعليه السلام قَالَ أمير المؤمنينعليه السلام: ـ «**سمّوهم بأحسن أمثال القُرآن ـ يعني عترة النَّبِيّصلى الله عليه وآله ـ هَذَا عَذْبٌ فراتٌ فاشربوا، وَهَذَا ملحٌ أُجاج فاجتنبوا**»[1].

رواية الشَّيْخ الطوسي بإسناده عَنْ الفضل بن شاذان عَنْ داود بن كثير، قَالَ: قلتُ لأبي عبداللهعليه السلام أنتم الصَّلاة. فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وأنتم الزكاة وأنتم الحجّ؟ فَقَالَ: «**يا داود نَحْنُ الصَّلاة وَنَحْنُ الزَّكاة وَنَحْنُ الصِّيام وَنَحْنُ الحجَّ...**»[2].

وَمِنْ هَذَا يظهر أنَّ قَاعِدَة المثل لا تقتصر عَلَى القصص، وما

---

(١) العيّاشي: ج١، ص٩٠، ح٧.
(٢) بحار الأنوار: ج٢٤ ص٣٠٣، ح١٤ ب٦٦.

ضُرِبَ مثلاً، بَلْ يتعدّى لِكُلِّ آيات القُرآن وجمله، بَعْدَ كون التوصيف والتسمية والنعت كُلَّهَا مِنْ التمثيل بالمعنى الأعم، وَهَذِهِ التوسعة فِي قَاعِدِة المثل والأمثلة يُبيِّن وجود أصول مشتركة وأصل مشترك فِي قَواعِد التفسير، الَّتِي أشار إليها أهل البيت عليهم السلام فِي بياناتهم وأشاروا إلى تقريرها فِي القُرآن الكريم، وبالتالي فَإِنَّ هُنَاكَ ترابط وطيدٌ ووثيق فيما بينها تداخلاً وتكميلاً وتناسُقاً.

وسيأتي فِي الجهة السابعة (الفرق بين ضرب المَثَل، وجعل المثل، وصَرَّف المثل، ويضرب الأمثال) الإشارة إلى أنَّ المثل آية والآية مثل.

تنبيه وفيه أمران:

الأمر الأوَّل: توسعة قَاعِدِة المثل لِكُلِّ القُرآن وَكُلّ آياته وجملة وَلِكُلِّ تأويل وعبور وعِبْرَة وعدم اقتصاره عَلَى ذكر القصص وما ضُرِبَ مثلاً.

ويُؤيِّد هَذَا ما رواه الشَّيْخ أبو جعفر الطوسي بإسناده إلى الفضل بن شاذان عَنْ داود بن كثير، قَالَ: قلت: لأبي عبدالله عليه السلام: ـ أنتم الصَّلاة فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنتم الزكاة ـ وأنتم الصِّيَام ـ وأنتم الحَجُ؟ فَقَالَ: **«يا داود نَحْنُ الصَّلاة فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ الزكاة، وَنَحْنُ الصِّيَام، وَنَحْنُ الحَجُّ، وَنَحْنُ الشهر الحرام، وَنَحْنُ البلد الحرام، وَنَحْنُ كعبة الله، وَنَحْنُ قبله الله، وَنَحْنُ وجه الله فِي قوله تَعَالَى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا**

فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾[١] وَنَحْنُ الآيات، وَنَحْنُ البيّنات، وعدوُّنا فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ: الفحشاء، والمنكر، والبغي، والخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، والأصنام، والأوثان، والجبت، والطاغوت، والميتة، والدَّم، ولحم الخنزير يا داود إنَّ الله خلقنا فأكرم خلقنا، وفضَّلَنا وجعلنا أُمناءه وحفظته وخُزّانه عَلَى ما فِي السموات وما فِي الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً، فسمّانا فِي كتابه، وكنّى عَنْ أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه تكنية عَنْ العدوِّ وسَمَّى أضدادنا وأعدائنا فِي كتابه وكنّى عَنْ أسماءهم وضَرَبَ لهم الأمثال فِي كتابه فِي أبغض الأسماء»[٢].

الأمر الثَّانِي: الإشارة إلى أنَّ بعضهم يعنون هَذِهِ القَاعِدَة بعنوان آخر، وَهِيَ قَاعِدة العِبْرة والأمثال باعتبار أنَّ المَثَل يُرادُ مِنْهُ عِبْرَة وعبور إلى غيره، وَهَذَا ما سنتعرّض لَهُ خلال طيّات البحث.

فائدة: وَمِنْ باب الفائدة والتنبيه، سوف نشير إلى وجود علاقة وصلة بين قَاعِدة الأمثال والتعبير والاسم والكلمة والآية والتجلّي والتأويل، فَإِنَّ الأمثال لها تأويل ومآل ومرجع ما وراء ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾[٣] وبتقريب: ـ أَنَّ كُلّ شيء لَهُ تأويل سواء كَانَ مِنْ عالم المعنى، أو عالم العين أو ... الخ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٥.

(٢) كنز الفوائد، تأويل الآيات الباهرات، لشرف الدِّين النجفي: ص٢١، ٢٢؛ بحار الأنوار: ج٤، ص٣٠٣.

(٣) سورة يوسف: الآية ٦.

وكذا علاقة الأمثال بالترجمان وَلَيْسَ المقصود مِنْهُ الترجمة اللفظية فِي اللُّغَة بأنْ يترجم مِنْ لفظ إلى آخر وَمِنْ لغة إلى أُخْرَى، وإنْ كَانَ مَعْنَى الترجمان والترجمة واحد إلَّا أنَّ مَعْنَى الترجمان أوسع وَهُوَ أحد أوصاف أئمة أهل البيتعليهم السلام، كَمَا وَرَدَ فِي حقّهم وأنّهمعليهم السلام ترجمان وحي الله (السَّلامُ عليكم يا ترجمان ـ تراجمة ـ وحي الله) وَمَعْنَى أنهمعليهم السلام أَنَّهُ قَدْ نشاهد ظواهر تكوينية معيّنة لا نعرف ولا نهتدي إلى ترجمتها وتُرْجمانها، بينما أهل البيتعليهم السلام بمجرَّد مشاهدتهم لها يعرفون ترجمانها فمثلاً قوله تَعَالَى قَالَ رسول اللهصلى الله عليه وآله: «... **اشتد غضب الله عَلَى اليهود حين قالوا عزيرٌ بن الله، واشتدّ غضب الله عَلَى النّصارى حين قالوا: المسيح ابن الله واشتدّ غضب الله عَلَى مَنْ أراق دمي وآذاني فِي عترتي**»[1] بتقريب: ـ أنَّ الاشتداد غضب الله تَعَالَى آيات يعرفها أهل البيتعليهم السلام حين مشاهدتها، بينما غَيْر المعصومعليهم السلام لا يُدْرِك كنهها وحقيقتها، وبالتالي فالترجمان وحيٌ مِنْ الله تَعَالَى.

كَذَلِكَ يأتي الترجمان بمعنى ترجمة مَعْنَى إلى مَعْنَى آخر، أيّ طبقات مِنْ المعنى تترجم طبقات مَعْنَى آخر، ولربما معاني ترجمة وترجمان لحقائق، أو حقائق ترجمة وترجمان الحقائق أعلى وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الترجمة والترجمان عبور.

كَذَلِكَ هُنَاك تشابك وتشابه بين بحث الأمثال والذكر والعبور

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٨٦، عَنْهُ بحار الأنوار: ج٢٧، ص٢٠٦، ح١٤.

والتعبير والقصص؛ لِأنَّ الغرض مِنْ القصص الَّتِي ذكرها القُرآن كقصة مريم وقصة يوسف وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام مَعَ أَنَّها قصص حقيقيّة وخارجيّة وواقعة، وَلَيْسَ حديث يُفترى، ولكن الغاية مِنْ العرض القصصي القُرآني هُوَ لأجل العبور والتعبير والمَثَل والتمثيل.

إذَنْ هُنَاك ترابط ذاتي عضوي بنيوي بين نظام القصَّة ونظام المَثَل والأمثال والتعبير فِي القُرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[(١)].

بتقريب: ـ إنَّ هدف القُرآن مِنْ ذكر القصص لا لأجل أنْ يُلْبَث عِنْدَ القصّة، أو لأجل الإصغاء إلى مَلاحتها وجاذبيتها، بَلْ لأجل التفكّر والتعقّل والتدبُّر والتحليل العلمي والعبور مِنْ مورد القصّة إلى غيره.

نعم، شأن الشِعْر والأدب غايته صرف الشعر والأدب ويمكن أنْ يُجْمَدَ ويُقصَر النظر عَلَى ظاهره، بخلاف القُرآن الذي يُنادي بالعبور مِنْ مورد إلى آخر وعدم الجمود والانحباس عَلَى مورد المثل والآية ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[(٢)].

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[(٣)].

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

وقوله تعالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ الهدف مِنْ ضرب الله الأمثال هُوَ لأجل غايات كثيرة، مِنْهَا: التفكّر والتذكّر والتعقّل والقصص اختلاف التعبير القُرآني، وأنَّ الذي يقف عَلَى ظاهر القصّة والمَثَل والمثال لَيْسَ مِنْ ذوي الألباب ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ وَلَيسَ المُراد مِنْ التَعَقُّل هُوَ الوقوف عَلَى ظاهر المَثَل والقصّة والآية، وَإنَّما العبور إلى ما وراء ولغاية أعظم، وَهَذِهِ حقيقة لابُدَّ مِنْ الوقوف عَلَيْهَا، فما أكثر العِبَر وأقل الاعتبار والمعتبر، فَهُنَاك منافذ كثيرة يمكنك أَيُّهَا الباحث أنْ تعبرها وتصل إلى الحقيقة، ولكن وللأسف قليل مَنْ يَسْلُك هَذِهِ الطرق ويعبر هَذِهِ الجسور والقنوات لأجل الوصول إلى أسرار تلك الكنوز وحقائقها، وَعَلَيْهِ فَمَعْنَى (ما أكثر العِبَر) أيّ ما أكثر المعابر والقنوات الَّتِي توصلك إلى سماء أرض الحقيقة، ولكن وللأسف (ما أقل المعتبر) أيّ ما أقل المتهيئون والجاهزون لعبور هَذِهِ القنوات والمعابر، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الخطأ يقتصر المُفَسِّر أو الباحث الكريم فِي مفردات القُرآن عَلَى مواردها، بَلْ لابُدَّ مِنْ العبور مِنْهَا إلى الحاضر والمستقبل.

كَذَلِكَ يُستفاد مِنْ بركة بيانات أهل البيت عليهم السلام أَنَّهُ لَيسَ المُراد مِنْ

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

القصص القُرآنيّة ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾(١) الاقتصار عَلَى سرد الحدث السابق الذي بيّنه القُرآن الكريم، بَلْ يُتَعَدَى بالقصص إلى سرد الأحداث وَلَيْسَ حدثاً واحداً، الماضية ولما سيأتي، بَلْ يتعدّى حَتّى لمثل الأحكام.

الأحكام الشرعية السابقة يمكن أن تكون مثلا:

إنَّ الأحكام الَّتِي بيَّنها وذكرها القُرآن للأُمم السابقة يمكن أنْ يُتعدَّى بها إلى ما وراء، وتصلح أنْ يَكُون ذَلِكَ الحكم الشرعي مثلاً كحرمة قتل النفس بغير ذنب وغيره مِنْ الأحكام فيمكن أنْ يُتعدَّى بها إلى الما وراء، فَيَكُون حال الأحكام الشرعية حال القصّة الَّتِي يذكرها القُرآن فِي خصوص نبي أو أُمَّة يتعدّى بها اى ما وراء ويؤيِّد هَذَا ما وَرَدَ فِي الروايات.

العيّاشي عَنْ أبي الجارود قَالَ: ـ سَمِعْت أبا جعفرعليه السلام يقول: نزل القُرآن عَلَى أربعة أرباع: «**ربعٌ فينا، ورُبْع فِي عدوّنا وربعٌ فرائض وأحكام، وربعٌ سُنَن وأمثال، ولنا كرائم القُرآن**»(٢).

... عَنْ الأصبغ بن نُباتة، قَالَ: ـ سمعتُ أمير المؤمنينعليه السلام يقول: «**نزل القُرآن أثلاثاً: ثُلُثٌ فينا وفي عدوّنا، وثُلُثٌ سنن وأمثال، وثلث**

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٨٤ عَنْهُ بحار الأنوار: ج٢، ص٢٤٤.

فرائضٌ وأحكام»[(١)].

الفرق بين المثل البلاغي والمثل القرآني:

يكمن الفرق بين المَثَل فِي علم البلاغة، والمثل القرآني فِي أنَّ المثل فِي علم البلاغة هُوَ أنْ المُمَثل لَهُ الذي ما وراء المُراد الجدّي لَيْسَ مُراداً أصلاً أيّ تشبيه لَيْسَ لَهُ حقيقة، وَإِنَّما المُراد فَقَطْ هُوَ ما ذُكِرَ مِنْ مصداق للممثل لَهُ ولا يُتَعَدَّى إلى ما وراءه، بخلاف المثل القُرآني بحسب بيانات أهل البيت عليهم السلام أنَّ الأمثال لا يقتصر فيها عَلَى ما ذُكِرَ مِنْ مصداق، وإنْ كَانَ ذَلِكَ المصداق المذكور مُراداً بالإرادة الجدّيّة، وَمَعَ ذَلِكَ يُتعدّى إلى ما وراءها ويُرادُ أيضاً بإرادة جدّيّة أعظم مِنْ الأولى؛ لِأنَّ مراتب المُراد الجدّي هِيَ عَلَى درجات فيها ما هُوَ عظيم، وما هُوَ أعظم، وما هُوَ أعظم وأعظم وأعظم وهكذا.

المثل فِي علم البلاغة تشبيه له حقيقة

حسب نظرية السيد العلامة الطباطبائي قدس سره:

تَقَدَّمَ ذكر الفوارق العلميّة بين منهج السَّيِّد العلّامة الطباطبائي قدس سره التفسير الموضوعي للقُرْآن وبين منهجنا أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فِي عِدَّة مواضع وَقَواعِد تقدَّمت، إلَّا أَنَّهُ وَمِنْ الإنصاف أنَّ السَّيِّد العلّامة قدس سره فِي مبحث المثل البلاغي بَلْ وَحَتّى القرآني هُوَ تشبيهٌ لَهُ حقيقة وَلَمْ يقصر

(١) المصدر السابق.

السَّيِّد العلّامة نظره عَلَى المعاني الكُلِّية بقطع النظر عَنْ المصاديق ـ كَمَا كَانَ يصنع فِي جملة مِنْ القَوَاعِد مِنْهَا ما تَقَدَّمَ فِي قَاعِدَة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير ـ بَلْ فِي هَذِهِ القَاعِدَة ـ كَمَا كَانَ يصنع فِي جملة مِنْ القَوَاعِد مِنْهَا ما تَقَدَّمَ فِي قَاعِدَة الجري وبمعنى التطبيق أو التعبير ـ بَلْ فِي هَذِهِ القَاعِدَة ـ الأمثال، جعل السَّيِّد العلّامة ﺭﺣﻤﻪ اﻟﻠﻪ المَثَل حقيقة، وَلَهُ مصداق، ويُعْبَر مِنْ هَذَا المصداق إلى حقيقة وغاية ما وراء أكبر وَلَمْ تنحبس وتنحسر فِي المعنى الكُلِّي، وَهَذَا ما أَكَّدَته الآية المُبارَكَة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1].

بتقريب: ـ أنَّ القُرآن جمع بين المطلبين.

الأوَّل: إنَّ ما ذُكر فِي قصص الأنبياء السابقين لَيْسَ خيالاً وحديثاً يُفترى. وَإِنَّمَا لَهُ حقيقة وراءهُ أعظم، فمثلاً ما ذُكِرَ مِنْ قصة فِي سورة يوسف هُوَ مَثَلٌ وحقيقة لما هُوَ أعظم مِنْ يوسف آل يعقوب ألا وَهُوَ يوسف آل مُحَمَّد ﷺ، وهكذا ما ذُكِرَ مِنْ قصة مريم بنت عمران عليها السلام هُوَ مثالاً لما هُوَ أعظم مِنْ مريم وعبوراً إلى فاطمة بنت مُحَمَّد ﷺ، وهكذا ما ذُكِر فِي قصة يعقوب آل إبراهيم عليه السلام أعبر مِنْهُ إلى يعقوب آل مُحَمَّد ﷺ علي بن الحسين عليهما السلام وما ذُكر لذي القرنين هُوَ عبور لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهكذا، وَهَذَا لَيْسَ مِنْ نسج الخيال، وَإِنَّمَا حقيقة اعتقادية.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

الثَّانِي: ما ذُكِرَ فِي الآية المُبارَكَة يصلح رَدّاً عَلَى ما ظَنَّه بَعْض العرفاء، أو الصوفية أو الفلاسفة أو بَعْض المُفَسِّرين مِنْ أنَّ ما ذُكِرَ مِنْ كلمة (مَثَل) فِي القُرآن لَيْسَ لَهُ حقيقة، والواقع هُوَ لَهُ حقيقة حسب بيانات القُرآن وأهل البيت عليهم السلام، ولكن هُنَاك حقيقة ما وراءه أعظم، لا أنَّ هَذِهِ حقيقة ـ أيّ الماوراء والغاية ـ وتلك ليست بحقيقة.

ويَدْعَم هَذَا ما ذكره القُرآن الكريم ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ الشيء الأكبر هُوَ الحقيقة والغاية وَالمُراد بالإرادة الجدّيّة، وما دونه والأصغر، لَهُ حقيقة أيضاً ومُراد بالإرادة الجدّيّة، والإرادة الجدّيّة كَما قُرِّرَ عَلَى مراتب، ولا تعارض بين الإرادتين الجدّيّتين لِأنَّ بينهما ترتّب طولي.

(١) سورة التوبة: الآية ٧٢.

العلاقة بين قاعدة المثل، وقاعدة الجري

فِي التعبير لا التطبيق

الجهة السادسة: نظام حقائق القرآن:

إنَّ هَذِهِ الجهة مُرتبطة بنظام حقائق القُرآن الذي سيأتي بحثه وَبَعْدَ أنْ تبيَّن مِنْ الجهة السَّابقة مِنْ أنَّ أسلوب المثل، وضرب المَثل فِي القُرآن الكريم هُوَ احد الأساليب والأبواب المُهِمَّة فِي القُرآن الكريم، يتبيَّن أنَّ قَاعِدة المثل برهانٌ عَلَى المعنى الذي قرَّرناه لقاعدة الجري، خلافاً للمعنى الذي التزم به جملة مِنْ الأعلام كالسيّد العلّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي قدس سره فِي الميزان وَالسَّيِّد الخوئي قدس سره فِي كتابه البيان، وَالسَّيِّد عبدالأعلى السبزواري قدس سره فِي مواهب الرحمن وغيرهم مِنْ أعلام العصر فِي التفسير، والذي بنى عَلَيْهِ جملة مِنْ مفسّري الجمهور أيضاً فِي القرن الأخير.

بيان ذَلِكَ: إنَّ قَاعِدة الجري والتطبيق بالمعنى الذي ذكروه جري المعنى الكُلِّي الواحد فِي تطبيق المصاديق، فجري حَرَكَة الآية فِي المصاديق ومقام التطبيق وَلَيْسَ جرياً فِي المعنى، وأنَّ المعنى الكُلِّي ذو شأنٍ.

بينما قَاعِدَة الجري الَّتِي قرَّرناها، والمُستفادة فِي الأصل، لدى كلا المبنيين ـ مبنى السَّيِّد العلّامة، ومبنى ـ أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فِي

تفسير القُرآن ـ مِنْ بيانات أئمة أهل البيتعليهم السلام، هِيَ جريٌ فِي طبقات المعنى المُرَاد ولا تنحصر فِي الجري فِي المصاديق، بَلْ الجري فِي المصاديق ـ كَمَا مَرَّ ـ أَنَّهُ نمطٌ مِنْ الجري فِي المعنى وَلَيْسَ المصداق بمنأى عَنْ المعنى المُرَاد كَمَا اصطُلح عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ مُتأخريّ عُلَمَاء البلاغة ومشهور عُلَمَاء أصول الفِقْه المُتأخّرين، بَلْ المعنى الكُلِّي رشحة مِنْ رشحات المصداق الأعظم وَلَيْسَ العكسن أيّ المعنى الكُلِّي اتّفاقاً رشحة انعكاس وتجلّي مِنْ نفس الوجود العيني العظيم لا العكس، وَهَذَا الذي يقع فيه اشتباه معرفي وعقائدي كثير، بَلْ وَحَتّى فِي علم التفسير.

وَعَلَى ضوء هَذَا المبنى العلمي يصير الوجود العيني العظيم حينئذٍ هُوَ المُرَاد الأصلي والمعنى الكُلِّي بالتّبع، وَهَذَا معناه أَنَّ المُرَاد الجِدّي عَلَى درجات: مِنْهُ الوجود العيني العظيم، وَمِنْهُ: المعنى الكُلِّي، وبين هَذِهِ المراتب الجِدّيّة درجات.

هَذَا كُلَّهُ حسب منهج أُمُومة الولاية عَلَى المُحْكَمات القائم عَلَى نظام المراتب وطبقات هندسته الطوليّة لا العرضيّة، وَهَذَا ما أكّدته روايات أهل البيتعليهم السلام.

وَمِنْ هَذَا اتّضح وجه دلالة قَاعِدِة المثل عَلَى المعنى الذي ذهبنا إليه فِي قَاعِدَة الجري هُوَ دلالة قَاعِدِة المَثَل عَلَى تعدّد طبقات المعنى المُرَاد، وعدم حصرها بمعنى واحد كُلِّي، وعدم حصر طبقات المعنى المُرَاد بالمصداق الكُلِّي، بَلْ المعاني المتلازمة الَّتِي ترتبط ببعضها البعض بالملازمة والملازمات

وأنواعها الكثيرة ليست نسبتها إلى بعضها البعض نسبة المصداق إلى الكُلِّي كي يَكُون نظير الترادف اللغوي أو العقلي الجلي عَلَى أحسن التقادير، بَلْ يشمل الترادف العقلي الخفي الوسيع.

وَمِنْ خلال هَذَا تبيَّن التطابق الواضح بين مَعْنَى قَاعِدَة الجري الَّتِي ذكَرناها وَقَاعِدِة المَثَل، كَمَا تبيَّن التدافع الواضح بين التزام الأعلام بقاعدة المثل كأسلوب مِنْ الأساليب المُهِمَّة فِي القُرآن الكريم مَعَ قَاعِدَة الجري والتطبيق مَعَ المعنى الذي التزموا به.

المثل منهج معرفي

الجهة السابعة: أساليب القرآن الثمانية

برهانية وليس لمجرد إقناع:

إنَّ أساليب القُرآن الثمانية هِيَ أساليب برهانيّة وَلَيْسَ لمجرد الإقناع، كَمَا ذهب إلى ذَلِكَ جملة مِنْ الأعلام ومنهم السَّيِّد العلّامة الطباطبائي ﷺ.

وبيان ذَلِكَ يقع ضمن نقاط:

عموم البرهان لِكل العلوم وقِوى النفس:

النقطة الأُولى: أَنَّهُ قَدْ حَرَّرْنا فِي المباحث العقليّة فِي منهج المعارف مِنْ شرح أصول الكافي فِي مبحث العقل والجهل أنَّ ما اشتُهِرَ لدى الفلاسفة مِنْ حصر البرهان بالعقل غيرُ تامٍّ، بَلْ البُرهان يتأتى بحسب كُلّ القِوى النفسانيّة والروحيّة، سواء كَانَتْ إدراكيّة أو عمليّة فضلاً عَنْ حصر البُرهان العقل النظري الذي بنى عَلَيْهِ ابن سينا وَمَنْ أتى مِنْ بعده إلى يومنا هَذَا، إلّا القليل مِنْ المُتأخّرين مِنْ فلاسفة الإماميّة، مَعَ أنَّ القُدماء منهم بنوا عَلَى عموم البُرهان إلى كُلّ مِنْ العقل النظري والعقل

العملي، كَمَا بيَّناه فِي كتاب العقل العملي[1].

وَعَلَى ضوء عموم البُرهان لِكُلِّ قِوى النفس يتبيَّن عموم البُرهان لِكُلِّ عِلْم ولُغَةٍ علميّة، كَمَا يتبيَّن عموم المُعجزة الإلهية إلى كُلّ علم وفن ومهارة، وَهِيَ بُرهان عياني أرقى مِنْ البُرهان العقلي الفكري الحصولي، كَمَا تَنوعَّت معاجز الأنبياء فِي كُلّ حَدْبٍ وصوبٍ، وَلَمْ تقتصر عَلَى الحكمة العقليّة.

النقطة الثَّانية: عَلَى ضوء ما تَقَدَّمَ فِي النقطة الأُولى يتبيَّن أنَّ بقيّة الصناعات الخمس مِنْ الجدل والخطابة والشعر والمغالطة، قابلة لأنْ يتشكَّل مِنْهَا بُرهانٌ، وكذلك بقيّة أساليب أبواب القُرآن الكريم بُرهانيّة، كباب الموعظة، وباب القصص وباب السُّنَنِ والأمثال والفرائض والأحكام، والأنباء بالملاحم.

وبعبارة أُخْرَى: إنَّ إدراك الحقيقة اللامُتَناهية مُتيسِرٌ ومُمكِنٌ عَبْر كُلّ قوّة مِنْ قوى النفس كَمَا مَرَّ، وبالتالي عَبْر كُلّ علم مِنْ العلوم المرتبط بنمط مِنْ قوى الإنسان، فلا يختصّ رؤية الثابت السرمدي الأزلي بقوّة العقل دون بَقيَّة القّوى، وكذا الحال فِي رؤية الكمالات اللامحدودة كالقدرة والعلم اللامحدودان، والأوليّة والأخرويّة، والجمال والبهاء والنور وغيرها مِنْ الكمالات اللامتناهية، وَكُلّ ذَلِكَ لَمعانٍ وعيانٍ للغيب المطلق.

---

(١) كتاب العقل العملي، للشيخ مُحمَّد السَّند.

عموم الكشف البرهاني والشهود

والبرهان العياني لكل قوى النفس:

النقطة الثَّالثة: يتبيَّن مِنْ النقطة السابقة أيضاً دفع ما تبنَّاه العُرفاء والصوفيّة مِنْ حصر الكشف والشهود بقوّة القلب وما فوقها مِنْ السِّرِّ الخفيّ والأخفى، وأنَّ الكشف والشهود للبُرهان العياني فضلاً عمّا دونه فَإنَّهُ لا ينحصر بتلك القِوى، بَلْ يعمّ كُلّ قِوى النَّفس.

ويوضح كُلّ ذَلِكَ ما فِي بيان الإمام الصادقعليه السلام، وَقَدْ ذكرنا عِنده الجدال فِي الدِّين، وأنَّ رسول اللهصلى الله عليه وآله والأئمةعليهم السلام قَدْ نهوا عَنْهُ، فَقَالَ الصادقعليه السلام: «**لَمْ ينه عَنْهُ مُطلقاً، ولكن نهى عَنْ الجدال بغير الَّتِي هِيَ أحسن أما تسمعون الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ـ** ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[2][3].

بتقريب: ـ إن مفاد بيانهعليه السلام هو أن القضيّة الصادقة الحَقَّة سواء كانت في هيئة الجدل أو الموعظة أو شاكله قوالب الحكمة هي بُرهانٌ، وهذا مُقتضى قوله تعالى، فَجُعل علم الصدق والإيمان بالبُرهان، وهل يُؤتى بالبُرهان إلا في الجِدال بالّتي هي أحسن، ثم فرَّقَ عليه السلام بين صناعة الجدل التي هي للتعصُّب، وبين

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٣) تفسير العسكري: ص٥٠١، ح٣٢٢.

صناعة الجدل التي لا يُنكر فيها حقٌّ، وإنْ استعان به الخصم، فحصل خلط لدى الفلاسفة والمناطقة بين الجدل بالتي هِيَ أحسن والجدل بالباطل فجعلوها مِنْ باب واحِدٍ وشاكلةٍ واحِدَةٍ، مَعَ وضوح الفوارق فِي الضوابط بينهما وَقَدْ بيَّنه بِعِدَّة ضوابط، وفوارق فِي أدناه.

الفوارق بين القسمين:

أوَّلاً: أنْ تُجادِل مُبْطِلاً بخلاف الجدل البُرهاني بأنْ تجادل مُحِقاً.

ثانياً: أنْ تُبْطل الباطل بالباطل، بخلاف الجدال البُرهاني وَهُوَ إبطال الباطل بالحق.

ثالثاً: إنَّ الجَدَل بالباطل يعتمد عَلَى الجحود مِنْ حَيْثُ هُوَ جحود، بينما الجدال البُرهاني يعتمد عَلَى صدق وحقّانيّة الحُجّة، وَمِنْ ثَمَّ كسرها للباطل.

رابعاً: إنَّ الجدل بالباطل يتضمَّن جحد الحقِ، ولو استعان المُبْطِل لأعانه به باطله، بخلاف الجدل الُبرهاني، فَإنَّهُ يُفَرِّق ما بين هُوَ حق فِي كلام المبطل فلا يجحده، وبين ما هُوَ باطل فِي كلامه فيجحده.

خامساً: إنَّ الجدل بالباطل لا يُفرق بين ما هُوَ حق وباطل لدى الخصم بخلاف الجدل البُرهاني فَإنَّهُ يقوم عَلَى الفرقة بين ما هُوَ حق، وبين ما هُوَ باطل فِي مقالة الخصم.

سادساً: إنَّ الجَدَل بالباطل يتساوى فيه المحق والمبطل، فَإنَّ المبطل

أصل مقالته باطلة جَحَدَ بها الحَقّ أصلاً، وأمَّا المحقّ فَهُوَ يجحد الحَقّ الذي يُغالِط به المبطل ليستعين به عَلَى باطله، فتساوى الاثنان فِي جَحْدِ الحَقّ، بخلاف الجدل البُرهاني فَإِنَّهُ يتجنب ويتوخّى عَنْ إبطال أيّ حق فِي البين.

فَهَذِهِ جملةٌ مِنْ الفوارق والضوابط الَّتِي بيَّنها الإمام الصادق عليه السلام فِي هَذَا الحديث الشريف للفرق بين الجدل التعصبي ـ بغير الَّتِي هِيَ أحسن ـ وبين الجدل البُرهاني ـ الجدل بالّتي هِيَ أحسن.

النقطة الرَّابعة: قَدْ تَنَقَّحَ فِي الجهات السابقة مِنْ بحث الأمثال، الترادف العقلي بين المَثَل والآية، وَقَدْ تقرَّر فِي مباحث المعرفة العقلية أنَّ منهج الآيات منهجٌ بُرْهاني فِي المعرفة، وبذلك يتبيَّن مِنْ ذَلِكَ فضلاً عمّا تَقَدَّمَ مِنْ النقاط السابقة أنَّ أسلوب المَثَل لغةٌ بُرهانيّة لإثبات الحقائق وإقامة الدلائل عَلَيْهَا.

كَذَلِكَ استفادة السَّيِّد العلّامة الطباطبائي قدس سره[1] فِي تفسير قوله تَعَالَى ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾[2]. إلى آخر الآية لا شكَّ أنَّه يستفاد مِنْ الآية أنَّ هَذِهِ الثلاثة، الحكمة والموعظة والمجادلة مِنْ طرق التكلُّم والمفاوضة فَقَدْ أُمِرَ بالدعوة بأحد هَذِهِ الأُمُور فَهِيَ مِنْ أنحاء الدعوة وطرقها وإنْ كَانَ الجِدال لا يُعَدُّ دعوة بمعناها الاخص.

---

(١) الميزان فِي تفسير القُرآن لِلْسَّيِّد الطباطبائي: ج١٢، ص٣٧١ ـ ص٣٧٤.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

وَقَدْ فَسَّرت الحكمة ـ كَمَا فِي المفردات ـ بأصالة الحَقّ بالعلم والعقل، والموعِظة كَمَا عَنْ الخليل بأنه التذكير بالخير فيما يرق لَهُ القلب، والجدال ـ كَمَا فِي المفردات ـ بالمفاوضة عَلَى سبيل المنازعة والمغالبة.

والتأمُّل فِي هَذِهِ المعاني يُعطي أنَّ المُرَاد بالحكمة ـ والله أعلم ـ الحجة الَّتِي تنتج الحَقّ الذي لا مريّة فيه ولا وَهُنَّ ولا إبهام، والموعِظَةُ هُوَ البيان الذي تلين به النفس ويرقّ لَهُ القلب، لما فيه مِنْ صلاح حال السامع مِنْ الغِبَر والعِبَر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذَلِكَ.

فينطبق ما ذكره تَعَالَى مِنْ الحكمة والموعظة والجدال بالترتيب عَلَى ما اصطلحوا عَلَيْهِ فِي فن الميزان بالبُرهان والخطابة والجدل ... الخ.

وكذلك ما ذكره السَّيِّد العلّامة فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾(1).

النقطة الخامسة: قَدْ نَبَّه القُرآن الكريم فِي آياتٍ وسورٍ عديدةٍ ومواطنٍ معرفيّةٍ مُتعدِّدة أنَّ أسلوب المَثَل منهج معرفي متقوِّم بموازين لمنظومة الحقائق وَأَنَّهُ مِنْ أوسع أبواب طُرق المَعْرِفة، كَمَا هُوَ الحال فِي منهج المعرفة للآية والآيات الذي أشاد به القُرآن الكريم فِي كُلّ السور كَمَا فِي الآيات التالية:

١) قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ

---

(١) الميزان فِي تفسير القُرآن لِلْسَّيِّد العلّامة: ج١٨ ص٢٢٩.

قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[1].

بتقريب: ـ أنَّ القُرآن الكريم فِي هَذِهِ الآية المُبارَكَة استدلَّ بمثل آدم كبُرهان لدحض دعوى النصارى الألوهيّة فِي عيسى عليه السلام بذريعة تخلّقه مِنْ غَيْر أبٍ.

٢) قوله تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[2] فصريح الآية أنَّ المَثَل بُرهانٌ ودلائلُ للإيمان أعظم مِنْ المعجزات الماديّة، بَلْ أعظم مِنْ تنزُّل كتاب ماديّ يُقرأ مِنْ السَّماء، كقوله تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٩ ـ ٦١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩ ـ ٩٣.

تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾(١).

والتقريب فيه كَمَا مَرَّ، وأُطلق عَلَى المثل بأنه هُدىً وهداية.

ومثل قوله تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾(٢).

بتقريب: ـ هُنَا ضربَ الله المثل المادّي لحقائق غيبيّة مِنْ نشأة النور مما يُنبِّه ويدلل عَلَى أنَّ النشاة المادّية فيها قابليّة المثل والآية والطريق للعلم بالغيوب.

٤) وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(٣).

٥) وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾(٤).

بتقريب: ـ إنَّ الآية المُبارَكَة تُبيِّن أنَّ المُنْزَل فِي القُرآن ثلاثة أصناف:

أ) آياتٌ مُبيّنات. ب) ومَثَلٌ أيّ قصص الَّذِيْنَ مِنْ قبلنا. جـ) وموعظة.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥٤ ـ ٥٥.
(٢) سورة النور: الآية ٣٥.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٣٣.
(٤) سورة النور: الآية ٣٤.

وَهِيَ صريحة فِي عظمة المَثَل وَأَنَّهُ بحذو نزول الآيات، كَمَا أَنَّ الآية المُبَارَكَة تُبيِّن أَنَّ قصص القُرآن كُلَّهَا مَثَل وعِبْرَة لما وراءها، وأَنَّ المَثَل عَلَى حذو البيان المبين والآيات والدلائل البُرهانيّة.

٦) قوله تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1].

بتقريب: ـ أنَّ الآية المُبَارَكَة صريحة فِي أنَّ المَثَل طريقٌ للتعقُّل، كَمَا أَنَّ تفصيل للآيات والتفصيل تمييزٌ وتُرْجمان للمُجمَل، وَهُوَ إشارة إلى أنَّ النفس بابٌ للمعارف أوجده الله للإنسان كمثل يُضْرَب لتحقق المعرفة.

٧) وكقوله تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[2].

بتقريب: ـ إنَّ دحض القُرآن لمثل ذَلِكَ المُشرك هُوَ العاص بن وائل أو عبدالله بن أُبي بن خلف لا مِنْ جهة المثل، بَلْ مِنْ جهة أنَّ هَذَا المَثَل لَيْسَ مثلاً لما يدّعيه ذَلِكَ المُشرِك، ولو لَمْ يكن الاستدلال بالمثل بحث معرفي لَمْ يَتَصَدّ القُرآن للجواب عَنْهُ.

٨) قوله تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا

---

(١) سورة الروم: الآية ٢٨.

(٢) سورة يس: الآية ٧٨.

سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ الآية فِي صدد إقامة البُرهان عَلَى نفي الشريك وإثبات الوحدانيّة لله تعَالَى، وَذَلِكَ بوحدة نظام عالم المخلوقات فَإِنَّ النُّظم يقتضي الوحدة والوحدة تقتضي وحدة الفاعل، فبُيِّن هَذَا البُرهان عِبْرَ هَذَا المَثَل.

٩) قوله تعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[2].

بتقريب: ـ إنَّ أسلوب المثل أسلوبٌ للتعقُّل، فالأمثال تحتاج إلى تعقُّل كي يُدْرِك العِبْرَة والغاية مِنْهَا وتعقّلها يتوقّف عَلَى العِلْم، وَهَذَا مما يُنبِّه عَلَى أنَّ المثل والأمثال متضمّنة لعلم جمٍ وتستلزم قابلية كبيرة فِي قدرة التعقُّل، وَأنَّها تستدعي تحليل وتركيب فيما بين المعاني وَأنَّها لغةٌ فِي التعقُّل وآثار العقل للتنبه إلى معانٍ وقواعدٍ فِي الدلائل.

١٠) قوله تعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

بتقريب: ـ إنَّ الآية المُبارَكَة تُبيِّن أنَّ الغاية مِنْ ضَرْب المثل هُوَ التفكُّر وتحريك الفكر لأجل إدراك الحقيقة والحقائق، فتبيّن الآية الكريمة أنَّ المثل بابٌ واسعٌ مِنْ أبواب الفكر ولغة عظيمة مِنْ لغات

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٩.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

(٣) سورة الحشر: الآية ٢١.

الفكر، وأنَّ الحقيقة والبُرهان والحكمة قَدْ يُسْهُلُ ويَسْلُسُ إيصالها بلغة المثل والأمثال أقربُ وأبين مِنْ اللغات العلميّة الأُخْرَى لا سيَّما وأنَّ المَثَل تَتنزَّل فيه الحقائق بنحو نازلٍ ملموس يَسْهُل تناوله والإمساك بالطريق فيه لكافة درجات وقابليات العقول.

الجهة الثامنة

الفرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وصرف المثل ويضرب الأمثال

قَدْ جرى فِي القُرآن إسناد عِدَّة أفعال إلى المثل.

الأوّل: الصَّرْف لُغَةً: بمعنى التغيير والإيجاد، وردُّ الشيء عَنْ وجهه[1].

وَقَدْ وَرَدَتْ كلمة (صَرَف) مسندة إلى الضمائر المختلفة فِي القُرآن كَمَا فِي:

١) قوله تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩)﴾[2].

٢) وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)﴾[3].

٣) وقوله تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾[4].

٤) وقوله تَعَالَى: ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧)﴾[1].

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادّة ـ صَرَف.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٤.

(٤) سورة طه: الآية ١١٣.

٥) وقوله تَعالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾(٢).

بتقريب: ـ إنَّ الآية المُبارَكَة استخدمت الصرف بمعنى المَثَل والعِبْرَة ولا يخفى الترادف العقلي بينهما ـ المَثَل والعِبْرَة كما تَقدَّمَ.

٦) وقوله تَعالَى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾(٣).

بتقريب: ـ إنَّ الآية هُنَا بمعنى المَثَل والعِبْرَة ولا يخفى الترادف العقلي بينهما.

٧) وقوله تَعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾(٤).

وَقَدْ روى فرات الكوفي فِي تفسير قوله تَعالَى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾(٥) بسنده عَنْ جابر قَالَ: قَالَ أبو جعفر عليه السلام: «**قَالَ الله تَعالَى** ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ » قَالَ

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٢٥.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٤٦.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٨.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٠٥.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٤١.

يعني، ولقد ذكرنا علياً فِي كُلّ آيةٍ فأبوا ولاية عليعليه السلام وما يزديهم إلّا نفوراً[١].

وروى فرات الكوفي بسنده عَنْ أبي حَمْزَة الثمالي: سألتُ أبا جعفرعليه السلام عَنْ قول الله تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾[٢] قَالَ ويعني (يعني) ولقد ذكرنا علياً فِي كُلّ القُرآن وَهُوَ الذكر وما يزيدهم إلّا نفوراً[٣].

وفي الرُّواية إشارة إلى ما ذكرنا مِنْ أنَّ المثل تسميةٌ واسم ولقب.

وذكر القُمّي فِي تفسير قوله تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾[٤] أنَّ صَرَّفنا الآيات أيّ بيّنا الآيات.

وفي تفسير الصّافي فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أيّ كرّرنا الدلائل وفَصَّلنا العِبَرَ فِي هَذَا القُرآن (ليذَّكروا) ليتّعضوا ويعتبروا وقرئ ليذّكروا مِنْ الذكر بمعنى التذكّر ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عَنْ الحقّ[٥].

وهكذا فِي تفسير قوله تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ كرَّرنا بوجوه مُخْتَلِفَة

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ج١، ص٢٤٠، ح٥، مِنْ سورة الإسراء، ط مؤسسة النعمان.
(٢) المصدر السابق: ص٢٤١ ح٦.
(٣)تفسير الصافي/ ملا محسن المعروف الفيض الكاشاني: ج٣، ص١٣٤ ذيل آية ٤١ الإسراء.
(٤) سورة الأحقاف: الآية ٢٧.
(٥) المصدر السابق تفسير آية ٨٩، الإسراء: ص١٥٠.

زيادة فِي التقرير والبيان ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يعني مِنْ كُلّ مَعْنَى كالمثل فِي غرابته أو وقوعه موقِعاً فِي الأنفس ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[1] إلَّا جحوداً فِي الكافي والعيّاشي عَنْ الباقر عليه السلام: «نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ بولاية علي عليه السلام إلّا كفوراً.

ولا يُبْعَد إرادة جَرْي المَثَل فِي المعنى المُمَثَّل لَهُ فتصريف المثل بمعنى جَرْيه.

وكذلك استعملت مادَّة الصَّرْف فِي القُرآن الكريم فِي عِدَّة موارد:

-

مِنْهَا: قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾[2].

مِنْهَا:ـ قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾[3].

وأمَّا [ضَرَب] فكثير ما ترد فِي الآيات كَمَا هُوَ فِي اللُّغَة بمعنى التمثيل والاعتبار والذكر والوصف والصَّرْف.

أمَّا التمثيل فكقوله تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾[4].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٩.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٠.
(٣) سورة الكهف: الآية ٥٤.
(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٤.

والاعتبار والذكر فكقوله تَعَالَى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾(١).

وأمَّا الوصف فكقوله تَعَالَى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟﴾(٢).

كذا فِي الوصف كقوله تَعَالَى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(٣).

وكذا فِي الوصف قوله تَعَالَى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾(٤).

وفي بَعْض الموارد استعملت (ضَرَبَ) مِنْ دون إسنادها صريحاً إلى المثل نظير قوله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ﴾(٥).

وأمَّا الصَّرْف فكقوله تَعَالَى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾(٦).

الفرق بين ضرب المثل وصرف المثل:

فيشتركان فِي أصل التمثيل، ويفترقان فِي أنَّ (صرف المثل) يَكُون التركيز عَلَى المُمَثل به والمجيء بالمثل للعبور إلى الممثْل به.

وأمَّا فِي (ضرب المثل) فَيَكُون التركيز عَلَى نفس المَثَل وَيَكُون

---

(١) سورة يس: الآية ١٣.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٨.
(٣) سورة الكهف: الآية ٤٥.
(٤) سورة يس: الآية ١٣.
(٥) سورة الزخرف: الآية ٥٧ ـ ٥٨.
(٦) سورة الزخرف: الآية ٥.

المُمَثّل به غَيْر مغفول عَنْهُ، بَلْ هُنَاك عُقْدَة وإبهام فِي الممثل به يُرْفع هَذَا الإبهام والاعتراض والإشكال بوضوح.

ويُجاب عَنْهُ: إنَّ جهة الاشتراك بينهما فِي المَثَل.

وَهَذَا الفرق بينهما يقتضي أمران:

أوَّلاً: يقتضي أنَّ كيفية سبك المثل فِي ضَرْب المثل يختلف عَنْ سبك المثل فِي صَرْف المثل، وَلَيْسَ ذَلِكَ يقتصر عَلَى ذَلِكَ، بَلْ الافتراق مِنْ حَيْثُ سبك المعنى أيضاً، فَإنَّ فِي صَرْف المثل محطّ النظر إلى الممثل به مِنْ دون التقييد بحدود المَثَل.

وأمَّا فِي ضرب المَثل فالتركيز ـ كَمَا مَرَّ ـ فِي المَثَل وماله مِنْ خصوصية بيانيّة فلا يُنطلق فيه إلى كُلّ جهات المُمَثّل لَهُ.

ثانياً: وكذا ينبغي فِي موارد (ضرب المثل) فِي القُرآن والوحي التركيز عَلَى المثل كَحَلْحَلَة الإبهام أو الغموض فِي الممثل لَهُ، وبخلاف ذَلِكَ فِي موارد صرف المثل.

وأمَّا: [جعل المثل] فَقَدْ وَرَدَ فِي قوله تَعَالَى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾**﴾[1].

وقوله تَعَالَى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾**﴾[2].

---

(١) سورة الزُّخرف: الآية ٥٩.
(٢) سورة الزُّخرف: الآية ٥٦.

بتقريب: ـ الظاهر المُرَاد به ـ جعل المثل ـ موارد الجعل التكويني لا التمثيل فِي البيان اللفظي وَيَكُون حينئذٍ عَلَى وزان جعل الآية التكوينية، وباب جعل المثل حينئذٍ يَكُون الخِلْقة التكوينية لَهُ تَعَالَى وما تصرَّم مِنْ سنن القدر والقضاء الإلهي فِي الأُمم السابقة، فيتّسع باتّساع الجعل التكويني إذْ يساوق الآية، إلَّا أنَّ بين جعل الآية وجعل المثل افتراق، وَذَلِكَ: فِي جعل الآية: فَإنَّ الملحوظ فيها البُرهان والدلالة التصديقية لذي الآية.

وأمَّا فِي جعل المثل: ـ فالمطلوب فيه أصل التنبّه والتصوّر.

الجهة التاسعة: حقيقة استعمال المثل

فِي القرآن الكريم والحقائق القرآنية:

إنَّ مِنْ البحوث الَّتِي تجاذب فيها الاختلاف بين المُفَسِّرين ذوي المشارب المختلفة مِنْ الأدبيّة والكلاميّة والفلسفيّة والعرفانيّة وغيرها مِنْ أنَّ القصص فِي القُرآن والمَثَل والإخبارات، هل هِيَ حقائق وقعت أو حقائق ستقع، أم أنَّها قصص خياليّة يُرْمَز بها إلى حقائق وراءها، لا أنَّها حقائق وقعت وستقع وانسحب كلامهم إلى ما أنبأ به القُرآن مِنْ الجنة والنار والصراط والبرزخ، وَكُلّ حقائق الآخِرَة.

ولتنقيح الحال نذكر نقاطاً: ـ

النقطة الأولى: إنَّ وجود التشبيه والمثل التشبيهي أُسلوب مُتكرِّرٌ

وقوعُه فِي القُرآن الكريم كقوله تَعالَى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾[١].

وقوله تَعالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾[٢].

وقوله تَعالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾[٣].

فوجود مثل هَذَا النَّمط مِنْ التمثيل فِي القُرآن لا يُنكر، والعِبْرَة فيه والمدار عَلَى وجه الشبه، فَلَيْسَ الكلام فِي وقوعه أسلوباً مِنْ أساليب القُرآن الكريم، وَهُوَ أُسلوبٌ بلاغيٌّ مُعتمدٌ فِي كُلّ اللغات، إنَّما الكلام فِي بقيّة أنواع الأمثال فِي القُرآن وعدم حصرها فِي هَذَا النوع كَما تُوهِم.

النقطة الثَّانية: إنَّ هُناك جملة مِنْ الأمثال الحقيقة اتّخذها وضربها القُرآن مثلاً وَهَذَا ما يُبرهن أنَّ باب المَثَل والأمثال بالقرآن لا ينحصر بالنوع السابق مِنْ المثل والتمثيل السابق الذي يندرج فِي التشبيه نظير

---

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) سورة النحل: الآية ٧٥.

قوله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧﴾(١).

وقوله تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ﴾(٢).

وقوله تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾(٣).

وقوله تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ﴾(٤).

وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾(٥).

وغيرها مِنْ الآيات المُبارَكَة الَّتِي هِيَ موارد أمثلة ومَثَل لِأُمُور متحقّقة وواقعة، وقصص حقيقيّة لكنَّ الله أوردها عِبْرَة وعبوراً لما وراءها، فليست هِيَ قصّة مسبوكة مِنْ نسيج الفرض والافتراض وَأَنَّهُ لا

---

(١) سورة الزُّخرف: الآية ٥٧.

(٢) سورة التحريم: الآية ١٠.

(٣) سورة الروم: الآية ٢٨.

(٤) سورة التحريم: الآية ١١ ـ ١٢.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

حقيقة لها ما وراءها فكون الشيء حقيقة لا ينفي كونه مثلاً يُعْبَر مِنْهُ وبه إلى حقيقة أعظم وأهم مِنْهُ، وَهَذَا الخلط الذي وقع فيه كثير مِنْ الفلاسفة والعُرفاء، أو بَعْض المُفَسِّرين مَنْ توهَّم كون باب المثل والأمثال لَيسَ لَهُ حقيقة إلَّا ما وراءه مِنْ العِبْرَة، وَمِنْ ثمَّ ينبثق بابٌ عظيم فِي الأُمُور والحقائق التكوينية أنَّها مَثَل وأمثال لحقائق غيبيَّة ملكوتية أعظم مِنْهَا.

وَمِنْ ثمَّ وَرَدَ تنبيه وبيان فِي رواياتهم عليهم السلام بنحو مُستفيض أنَّ ما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سيرة الأنبياء والمُرسلين السابقين أو الأوصياء والمصطفين مَثَلٌ ضربه الله عَزَّ وَجَلَّ للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأنهم المعنيّون بتلك القصص وأنَّ مريم عليها السلام مَثَلٌ ضربه الله لفاطمة عليها السلام وأنَّ فاطمة عليها السلام هِيَ مريم الكُبرى عليها السلام ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ.

النقطة الثَّانية: أنَّ هُنَاك نوعٌ ثالث مِنْ الأمثال فِي القُرآن لَيسَ كالأوَّل ـ كَمَا فِي النقطة الأُولى ـ افتراضي محض مِنْ باب التشبيه، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ النوع الثَّانِي فِي الأمثال الحقيقية لحقيقة ما وراءه أعظم، بَلْ هُوَ مَثَلٌ تقديري أيّ لَيسَ افتراضي محض ولا واقع متحقّق، بَلْ مَعْنَى كُلِّي ممكن التحقُّق تقديراً، كقوله تَعالَى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

(١) سورة الحشر: الآية ٢١.

وَكَقَوْله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾(١).

الجهة العاشرة: [ليس كمثله شيء](٢).

قَدْ يُتساءل فِي مَعْنَى الآية فِي عِدَّة زوايا:ـ

الأُولى: هل الكاف زائدة أو أصليَّة.

الثَّانية: هل الآية في صدد نفي المِثل بالكسر.

الثَّالثة: كيف التوفيق بين مفاد الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾(٣).

الرَّابعة: كيف يُقرِّر مفاد الآية المُباركة عَلَى مسلك بَعْض اللغويين الَّذِيْنَ يذهبون إلى وحدة مَعْنَى المِثْل والمَثَل: حَيْثُ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾(٤).

وفي البدء نمحّص الحال فِي تنقيح الحال بهذه الزوايا بمجموعة نقاط:ـ

النقطة الأُولى: قَدْ ذكر المُفَسِّرون فِي شرح قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ أيّ ولا يخبرك بالأمر مُخْبِرٌ مِثْلُ خبير عالمٌ به أخبرك وَهُوَ

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) سورة فاطر: الآية ١٤.

(٤) سورة النحل: الآية ٦٠.

الله سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُ الخبير به عَلَى الحقيقة دون سائر المُخبرين.

وَقَالَ بعضهم: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ مِنْ القُرآن العزيز أيّ ولا يُخبْرك بالأمور أحدٌ عَلَى حقائقها كالعارف بها العالم بكنهها.

وَقَالَ الشَّيْخ الطوسي فِي التبيان فِي تفسير الآية [أيّ ولا يُنبئك يا مُحمَّد بالشيء عَلَى حقيقته مِثل خبير عالمٌ بها أخبر والله تَعَالَى عالمٍ بالأشياء عَلَى حقائقها].

وَقَالَ فِي مجمع البيان: أيّ لا يُخبرك بما فيه الصلاح والفساد والمنافع والمضار مِثل الله سُبْحَانَهُ العليم بالأشياء كُلَّهَا.

وفي زُبدة التفاسير ـ فتح الله الكاشاني: ـ ولا يَخْبُرك بالأمر مُخْبرٌ مِثْلُ خبير عالمٌ به أخبرك وَهُوَ الله تَعَالَى فَإِنَّهُ هُوَ الخبير به عَلَى الحقيقة دون سائر المخبرين، وَالمُرَاد تحقيق ما أخبرَ به مِنْ حال آلهتهم ونفيُ ما يدّعون لهم كَأَنَّهُ قَالَ: إنَّ هَذَا الذي أخبرتكم مِنْ حال الأوثان هُوَ الحَقّ لأنِّي خبيرٌ بما أَخبرتُ به.

وَقَالَ السَّيِّد عبدالله شبر رحمه الله فِي تفسيره: ـ أيّ بما يُخبرك وَهُوَ الله العليم بالحقائق.

وَقَالَ الطباطبائي فِي الميزان: ـ أيّ لا يُخبرك عَنْ حقيقة الأمر مُخبرٌ مثل مخبرٍ الخبير.

وَقَالَ الطبري فِي جامع البيان: مِثْلُ ذي خبرةٍ يأمرها وأمرهم وَذَلِكَ الخبير هُوَ الله الذي لا يخفى عَلَيْهِ شيء كَانَ أو يَكُون ... والله هُوَ

الخبير أَنَّهُ سيكون هَذَا منهم يَوُم القيامة.

وَقَالَ السَمْعاني فِي تفسيره: ولا يُنبئك بِهَذَا أحد مِثْلي والخبير هُوَ الله تَعَالَى.

والمُحَصَّل مِنْ كلماتهم: ـ أنَّ هَذِهِ الآية المُبَارَكَة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ تنفي المِثل أي أن مِثْل وصف للمقدّر وهو أحدٌ، أي نفي مماثلة غير الخبير بالخبير لا نفي المثل مُطلقاً، فنفي المثليّة في الصِّفات الفعليّة، مَثَل ـ بالفتح ـ لله تَعَالَى والمَثَلُ الأعلى لَهُ تَعَالَى دون غيره، فلا تكون الصِّفة العليا لغيره تَعَالَى، فَيَكُون المعنى: ـ لَيْسَ هُنَاك مِثْلَ ـ بالكسرة ـ لِـمَثَلِه ـ بالفتح.

فيتحصَّل نفي المِثْليّة ـ بالكسر ـ عَنْ مَثَلِة بالفتح ـ تَعَالَى فضلاً عَنْ مَقام حريم ذاته.

وَمَنْ فَسَّرَ المِثْل ـ بالكسر ـ فِي قوله تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) فقد جعل المِثْل بالكسر، بمعنى المَثَل فلا يشابه مَثَله ـ بالفتح ـ شيءٌ.

روى الكليني فِي الكافي فِي مرسل علي بن مُحَمَّد عَنْ أبي الحسن الرضاعليه السلام فِي حديث عَنْ صفات الله وأسمائه ... ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَه تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأسماء دعا الخَلْق إذْ خلقهم وتعبّدهم وابتلاهم إلى أنْ يدعوه بها فَسَمّى نفسه سميعاً بصيراً قادراً قائماً ناطقاً ظاهراً باطناً لطيفاً خبيراً قويّاً عزيزاً حكيماً حليماً عليماً وما أشبه هَذِهِ الأسماء، فلَمَّا رأى ذَلِكَ مِنْ أسمائه

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

الغالون المكذّبون وَقَدْ سمعونا نُحَدِّث عَنْ الله أَنَّهُ لا شيء مِثْلَه، ولا شيء مِنْ الخَلْق فِي حالِه، قالوا: أخبرونا، إذَا زعمتم أَنَّهُ لا مِثْل لله ولا شَبه لَهُ كيف شاركتموه فِي أسمائه الحُسْنى فتسَمَّيتم بجميعها؟ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ دليلاً عَلَى أَنَّكم مثله فِي حالاته كُلِّهَا أو فِي بعضها دون بَعْض، إذْ جمعتم الأسماء الطّيِّبة؟ قِيلَ لهم: ـ إنَّ الله تبَارَكَ وَتَعَالَى ألزم العِباد أسماء مِنْ أسمائه عَلَى اختلاف المعاني، وَذَلِكَ ما يُجمع الاسم الواحد معنيين مُختلفين.

والدليل عَلَى ذَلِكَ قول الناس الجائز عندهم الشائع، وَهُوَ الذي خاطب الله به الخلق فكلَّمهم بما يعقلون ليكون عليهم حجَّة فِي تضييع ما ضيّعوا(١).

وَهَذِهِ الرُّواية تُركِّز عَلَى نفي المِثليَّة لَهُ تَعَالَى فِي مقام الأسماء والأفعال فلا يختصّ نفي المِثْليَّة عَلَى مقام الذات، كَمَا أُشير ذَلِكَ فِي بيانات أهل البيت عليهم السلام مِنْ أنَّ الأحديَّة والصمديَّة ونفي الكفؤ ونفي الشريك المذكور فِي سورة التوحيد لا يختصّ بمقام الذات، بَلْ هَذِهِ الصِّفات لَهُ تَعَالَى فِي مقام الفعل أيضاً.

وَعَلَى ضوء ذَلِكَ فَكَمَا أَنَّ الأسماء الحُسْنَى لَهُ تَعَالَى خاصّة به فكذلك المثل الأعلى لَهُ تَعَالَى مُـخْتصّ به.

النقطة الثَّانية: هُنَاك عِدَّة احتمالات فِي الكاف فِي قوله تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

---

(١) الكافي للكليني: ج١، ص١٧١ ب٣٩، مِنْ كتاب التوحيد باب آخر وَهُوَ الباب الأوَّل المذكور فيه معاني الأسماء واشتقاقها، الحديث ٢.

الأَوَّل: أَنَّها زائدة.

الثَّانِي: إِنَّها أصليّةِ وَأَنَّها حرفُ جرٍّ.

الثَّالِث: أَنَّها اسمٌ بمعنى المِثل.

النقطة الثَّالثة: الفرق بين قوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] وبين الرُّواية «**لا مِثْل لَهُ**» فَإِنَّ الأَوَّل لَيْسَ كمثله شيء ـ ينفي التطابق بين المثلية والشيء بينما الثَّانِي ـ لا مِثْل لَهُ ـ ينفي وجودَ المِثْل نفسه، فإذا أُضيفت الكاف يَتسع النفي ولا يقتصر عَلَى نفي التطابق بين الشيء والمِثْل، بَلْ يتسع إلى نفي المقارنة فِي الشبه بين الشيء والمِثْل، ونفي مُطلق المقاربة، ومُطلق الشبه شامِلٌ للأوصاف الفعليّة.

النقطة الرَّابعة: قَدْ مَرَّتْ الإشارة، أَنَّ سورة التوحيد يمكن أَنْ تُقَرَّرَ عَلَى صعيد الصِّفات الذاتية، وَقَدْ تُقَرَّرَ عَلَى صعيد الصِّفات الفعليّة، فَكَمَا يُنفَى عَنْهُ تَعَالَى الشّريك والكفؤ فِي الذَّات يُنْفَى عَنْهُ الشَّريك والكفؤ فِي مقام الفعل أيضاً، فلا مِثْلَ لَهُ فِي مقام فِعْلِه، وَمِنْ ثَمَّ حُصِرَت الأسماء الحُسنى بحصر إضافتها إليه تَعَالَى كَمَا فِي قوله تعالَى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2] وقوله تعالَى ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[١].

وقوله تَعَالَى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ﴾[٢] وقوله تَعَالَى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾[٣].

وَمِنْ ثَمَّ إذَا فُسِّرَ المِثْل فِي قوله تَعَالَى بالصفة وأُريد نفي التشابه فِي مقام الفعل وصفاته كَانَ المنفي التّطابق والتّشابه مَعَ المُمَثَّل لَهُ، والتشابه فِي الشريك، أو النِّدّ، أو الكفؤ، أو المجانس فَإِنَّهُ منفي عَنْهُ تَعَالَى سواء فِي مقام الصِّفات الذَّاتيّة أو الصِّفات الفعليَّة.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٨٤ـ٨٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

الأوصاف القرآنية للجنة حقائق أم تمثيل

الجهة الحادية عشر:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾[1]

والتساؤل الذي يُطّرح هو: ـ لماذا اختصَّتْ هَذِهِ الآية المُبارَكَة بنعت الجنّة بالمثل، بينما فِي الآيات الأُخْرَى لَمْ تنعت الجنَّة بالمثل، بَلْ نعتتها بتحقيق هَذِهِ الأُمُور لا أنَّها مَثَل، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ فِي الآية الكريمة أنَّها فِي صدد بيان أنَّ هَذِهِ الأوصاف للجنّة ليست عَلَى نحو الحقيقة، بَلْ إشارة إلى ما هُوَ أعظم مِنْ ذَلِكَ مدعوماً بقوله تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[2] فِي قِبال مَنْ فَسَّرَ المَثَل بالصِّفة.

وتنقيح هَذِهِ الجهة يَتِمُّ عِبر نقاط:

النقطة الأُولى: ولا يخفى أنَّ تمحيص البحث فِي هَذِهِ الجهة قَدْ تَقَدَّمَ شطر مِنْهُ فِي الجهة التَّاسعة ـ استعمال المثل فِي القُرآن الكريم والحقائق القُرآنية ـ .

---

(١) سورة مُحَمَّد: الآية ١٥.

(٢) سورة السجدة: الآية ١٧.

النقطة الثَّانية: إنَّ الجنان والحقائق الغيبيّة ذَاتَ مراتب كَمَا هُوَ الحال فِي النَّار والنيران لا سيّما وأنَّ العوالم الأخرويّة ليست عالماً واحِداً فَهُنَاك عالَم البرزخ وعالم الرجعة ثمَّ عالَم القيامة وَهُوَ عالم أطول عمراً وأقوى شِدَّة ممّا سبقه بأضعاف مضاعفة، وَقَدْ قامت الدلائل والبراهين العديدة عَلَى جسمانيّة هَذَا العالم فضلاً عَنْ الرَّجعة، والبرزخ، بَلْ وكذلك الحال فِي عالَم الجنَّة والنَّار، وَهُوَ ما بَعْدَ عالَم القيامة، وإنْ اختلفت الأجسام فِي درجات المواد لطافةً وغِلْظَةً.

النقطة الثَّالِثة: إنَّ هُنَاك جملة مِنْ الآيات فِي وصف الجنَّة أو الجِنان ما يُعَزِّز كون تلك الأوصاف حقيقية ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1] ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾[2].

بتقريب: ـ أنَّ كُلّ ما ذُكِرَ فِي هَذِهِ الآية المُبارَكَة، والآية السَّابقة مِنْ أنهار مِنْ عسل وخمر وأشجار وفواكه وأثمار وغيرها هُوَ مَثَلٌ للجنَّةِ، أو أنَّ الجنَّة فيها هَذَا الذي ذُكِر، وبقطع النظر عَنْ الخلاف واللغط الذي

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.
(٢) سورة الرعد: الآية ٣٥.

حَصَل بين مَنْ يذهب إلى أنَّ الجنَّة هِيَ جنَّة جسمانيّة، وَهُوَ ما يذهب إليه جمهور المُتكلّمين وغيرهم، وبين مذهب جملة مِنْ الفلاسفة الّذين أنكروا هَذَا الضروري، وَهُوَ أنَّ الجنَّة جسمانيّة، وَإِنَّما ادّعوا كون الجنَّة جنَّة عقليَّة أو روحيّة ومعنويّة وَهِيَ ليست جنَّة جسمانيّة، وأنَّ ما ذُكِرَ فِي الآيتين وغيرهما مِنْ وصف للجنَّة وَأَنَّهُ فيها سُررٌ متقابلين مُتكئين عَلَيْهَا، وفيها الحور العين وكواعب أتراباً وكأساً دهاقاً وغيرها، هَذِهِ كُلَّهَا مَثَل للجنَّة وَلَيْسَ هِيَ الحقيقة، حسب دعوى هؤلاء الفلاسفة، وكلتا الآيتين مِنْ قسم المُحكم ولا تتنافى مَعَ سائر المُحْكَمات.

[قاعدةِ المثل ونظرية المعاد]:

إنَّ القائلين بالمعاد الجسماني لا ينكرون ضرورة وجود المعاد الروحاني المعنويّ، فَكَمَا أنَّ هُنَاك جزاء وعقاب جسماني، كَذَلِكَ هُنَاك جزاء وعقاب روحي ومعنوي، علماً أنَّ هَذِهِ المعيّة بين المعاد الجسماني وَالرُّوحي ليست معيّة عرضيّة، أو معيّة ظرفيّة بمعنى هيمنة، وَإِنَّما المعاد الجسماني معادٌ روحاني.

هَذَا ما ذهب إليه الصدوق فِي كتابه الاعتقادات وأنَّ الجزاء فِي الآخرة لا ينحصر بالمعاد والجزاء الجسماني، وَإِنَّما هُنَاك جزاء معنوي طبقاً لما جاء فِي الآيات والروايات، وأنَّ هُنَاك تنعم ببحر الحمد الإلهي، وبحر التسبيح وبحر التهليل وغيرها.

وإنْ كَانَ الشَّيْخ المفيد رحمه الله أشكل عَلَى الشَّيْخ الصَّدوق رحمه الله وأنَّ ما ذهب إليه الصَّدوق هُوَ مِنْ أقاويل النصارى وينبغي طرح هَذِهِ الروايات إلَّا أنَّ مَعَ تحقيقات المُتأخِّرين تبيَّن الحقّ مَعَ الشَّيْخ الصَّدوق؛ لِأنَّ المعاد الجسماني لا يتناقض ولا يتدافع مَعَ المعاد الروحاني المعنوي، وتدلّ عَلَيْهِ روايات عديدة فِي بحث المعاد.

مِنْهَا: ما رواه أبو بصير، قَالَ: قَالَ أبو جعفر عليه السلام ينكر أهل العراق الرجعة؟ قلت: نعم قَالَ: «**أما يقرؤن القُرآن ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾**[1] **وَعَنْ الأصبغ بن نباتة: أنَّ ابن الكوا سأل علياً عليه السلام عَنْ الرجعة، فأجابه الإمام بأنَّها حقّ واستدلَّ عَلَيْهَا بآيات مِنْهَا ... حَيْثُ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ وقوله تَعَالَى أيضاً فِي عزير حَيْثُ أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ فقَالَ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ وأخذه بذلك الذنب (مأة عام ثمَّ بعثه) وردّه إلى الدُّنْيَا ثمَّ قَالَ فلا تشكنّ يا بن الكوا فِي قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ**[2].

وَعَنْ عبدالرحمن القصير عَنْ أبي جعفر عليه السلام، قَالَ: قرأ هَذِهِ الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ فَقَالَ هل تدري مَنْ يعني؟ فقلت يقاتل المؤمنون فيقتلون ويقتلون ، فَقَالَ: لا، ولكن مَنْ قتل

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٣.

(٢) تفسير البرهان: للفتنوني، المقدمة: ٥٦٨ ح١.

مِنْ المؤمنين ردَّ حَتّى يموت وَمَنْ مات ردّ حَتّى يقتل تلك القدرة فلا تنكرها»[١].

الجهة الثانية عشر: إن قصص الأنبياء والمرسلين والمصطفين مثل لآل محمد ﷺ فِي القرآن الكريم:

هُناك نُكتة أَكَّدَ عَلَيْهَا القُرآن الكريم فِي آياته وسوره وبيَّنها أهل البيت عليهم السلام كَذَلِكَ وَهِيَ أنَّ كُلّ القصص الإلهية الَّتِي ذكرها القُرآن الكريم للحجج مِنْ الأنبياء والمُرسلين فِي الأُمم السَّابقة هِيَ مَثَل ضربه الله لآل مُحَمَّد عليهم السلام، إلّا أنَّ الكثير مِنْ المُفَسِّرين غفلوا عنها، وَأَنَّهُ لَيْسَ المقصود مِنْ ذكر تلك القصص المذكورين مِنْ أهل ذَلِكَ الزمان الماضي والذي تصرَّم ـ كَمَا يفهمه الكثير ـ إلّا أنَّ هَذَا مَعْنَى خاطئ فَإنَّ القُرآن الكريم كتاب إلهي لَيْسَ فَقَطْ للزمان الماضي، بَلْ وَهُوَ الصحيح للزمان الحاضر وللمستقبل، فَإنَّ الباب الواحد فِي القُرآن الكريم حسب بيانات أهل البيت عليهم السلام يفتح مِنْه ألف باب، وَهَذَا معناه أنَّ القُرآن الكريم فيه عبور للأزمنة التالية مِنْ الحاضر و المستقبل ولا يقتصر فيه عَلَى الزمان الماضي، كَمَا فِي الموارد التالية:

أوَّلاً: قوله تعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[٢] فَإنَّ

---

(١) المصدر السابق: ح٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ١١١.

الآية المُبَارَكَة فيها تصريح بأنَّ قصص الأنبياء والمُرسلين والصفوة الَّتِي ذكرها فِي القُرآن يُراد بها مَعْنَى وغاية وراءها ولا يقتصر المُرَاد عَلَى الوقوف عَلَى شؤونهم وشخصهم رغم تأكيد القُرآن بلزوم الإيمان بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم، إلَّا أنَّه رغم ذَلِكَ يُطالبنا القُرآن الكريم بالتركيز والاهتمام بما ورائهم بما هُوَ أهم منهم وَهَذَا نظير توصية القُرآن وتعليمه وتأكيده عَلَى التفضيل بين الرسل فِي قوله تَعَالَى ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1] وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2] ففي حين يُؤكِّد القُرآن الكريم عَلَى عدم التفرقة بين الرسل فِي أصل النهج وَالدِّين وفي نفس الوقت يُؤكِّد عَلَى مُراعاة التفضيل والتفاضل، وإعطاء الأهميّة والأولويّة للأفضل، وَأَنَّهُ غاية أعلى، كَذَلِكَ مفاد هَذِهِ الآية مِنْ سورة يوسف تُبيِّن أنَّ الغاية مما استعرضه القُرآن الكريم مِنْ قصص الأنبياء غايةٌ أهم وهَدَفٌ أسمى فذكرها عبورٌ يُعْبَر مِنْهُ إلى الغاية الأصليّة.

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ قَاعِدَة قُرآنية عظيمة ـ أيّ العبور مِنْ الماضي إلى الحاضر والمستقبل فِي البعض ـ تُؤسس لكون الغاية الأصليّة مِنْ استعراض وسرد القُرآن لشؤون الأنبياء والمُرسلين والأوصياء وأئمة الدِّين فِي القُرآن الكريم لها مغزى وهدَف وراء ذَلِكَ، أيّ أنَّ هَذِهِ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

الشؤون وَالأُمُور هِيَ حالات وشؤون ومقامات النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الَّذِيْنَ شهد لهم القُرآن الكريم بالطهارة، فلا يقف المُفسِّر والباحث فِي علم الكلام ولا غيرهما مِنْ بُحّاث العلوم الدِّينية عَلَى النَّوع عَلَى قصص الأنبياء بنحو موضوعي وذاتي أصالة لشخوصهم، بَلْ لابُدَّ أنْ يتجاوز النظر ويُعْتَبر مِنْهُ كطريق لمعرفة شؤون سيد الأنبياء وأهل بيته عليهم السلام، وَمِنْ ثمَّ لَمْ يستعرض القُرآن الكريم كُلّ صغيرة وكبيرة فِي شؤون وحياة الأنبياء والمُصطفين، بَلْ تَعَرَّضَ إلى ما هُوَ قمّة فِي حياتهم وسيرتهم ممّا تُعَبِّدُ الطريق لِفَهْم أحوال النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وَالَّتِي هِيَ أعظم شأناً مما حَصَل لبقيّة الأنبياء والأوصياء، كَمَا نبّه القُرآن عَلَى تعظيم شأن أهل البيت عليهم السلام عَلَى سائر الأنبياء، أو عَلَى بقيّة الأنبياء وَمِنْ ثمَّ أَكَّدَ الباري تَعَالَى عَلَى هَذِهِ القَاعِدَة القُرآنيّة المعرفيّة: ـ بأنَّ مَنْ يتّخذ قصص الأنبياء عبرة لواقع الحال الراهن للأُمَّة الإسلاميّة أيّ لوجود ثلة بهذه المواصفات هُمْ أُولُوا الألباب أيّ الَّذِيْنَ يتعقّلون ويُدْرِكون وينالون المعنى وَالمُراد الجدِّي مِنْ وراء ذَلِكَ، دون مَنْ يقف ويَجْمُد عَلَى ظاهر صورة القصص، ثمَّ أَكَّدَ القُرآن عَلَى هَذِهِ القَاعِدَة بأنَّ هَذِهِ الشؤون والأحوال فِي الأنبياء والأوصياء وأهل الصفوة ليست مِنْ مصنع الخيال وتوليد المُخَيَّلَة أو اصطناع اللسان والقريحة التخيُّليّة أو الشعريّة، بَلْ هُوَ تصديقٌ لما ذكرته الكُتُب السماويّة السابقة ـ الَّتِي تعرَّضت إلى تلك الشؤون والأحوال فِي الأنبياء.

بيان القرآن لحقيقة عظيمة فِي قصص الأنبياء:

ثُمَّ يذكر القُرآن حقيقة عظيمة فِي قصص الأنبياء بأنَّ فيها جواب لِكُلِّ سؤال وتساؤل لمعرفة كُلّ شيء مما يَهُمُّ شؤون الدُّنْيَا ومسيرتهم ومسارهم وَذَلِكَ بقوله ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[١] أيّ فِي قصصهم تفصيل كُلّ شيء، وأنَّ فِي قصصهم هداية عَنْ كُلّ ضلال ورحمة عَنْ الوقوع فِي الغضب والسخط الإلهي، وَهَذَا تأصيل قُرآني أنَّ كُلّ ما تحتاجه أُمَّة الإسلام والمسلمين ممّا اختلفت به وتنازعت فيه مِنْ الخلافة والإمامة فِي الدِّين.

فَإنَّ جوابه وصوابه وسداده قَدْ ذكره القُرآن الكريم فِي شؤون قصص الأنبياء، وَهَذَا أمرٌ بالغ الخطورة فِي أهميّة قصص الأنبياء المُسْتَعْرَضَة فِي القُرآن الكريم، فَإنَّهُ تعهدٌ مِنْ القُرآن الكريم بوجود جواب أيِّ اختلاف يقع فِي إمامة الدِّين والخلافة، لا سيّما وأنَّ الشأن الأوَّل والأهم فِي شؤون الأنبياء والأوصياء هُوَ الإمامة فِي الدِّين وَالدُّنْيَا وحجّيتهم وهدايتهم للبشر، وَمِنْ ثمَّ استدلَّ أهل البيت عليهم السلام بحجج عَلَى إمامتهم وشؤونهم فِي الدِّين ومناصبهم بما وَرَدَ مِنْ قصص للأنبياء والأوصياء وأهل الصفوة فِي القُرآن الكريم.

ثانياً: قوله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾[٢].

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.
(٢) سورة يوسف: الآية ٧.

بتقريب: ـ تُؤكِّد هَذِهِ الآية المُبارَكَة العموم المُتقدِّم فِي الآية السابقة وتُصَرِّح بأنَّ كُلّ ما ذكره القُرآن مِنْ قصَّة يوسف عليه السلام وقصّة أخوته هُوَ آية ودلالة للعبور مِنْهَا إلى ما وراء وَهُوَ ذي الآية، وأنَّ الغرض مِنْ ذكر القُرآن للنبي يوسف عليه السلام لَيْسَ هُوَ يوسف بَلْ هُنَاك يوسف أعظم وَهُوَ أهل البيت عليهم السلام لا سيّما المهدي عجل الله فرجه، إنَّ التعميم المذكور فِي السائلين دالٌّ عَلَى عموم السؤال، أيّ عموم الجواب لِكُلِّ سؤال يُطّرح أو يُذكر حول حُجج الله تَعَالَى، وأنَّ العِبَرَ الموجدة فِي قصص الأنبياء ويوسف عليه السلام لا تقتصر عَلَى دلالة واحدة أو دلالتين، بَلْ دلالات كثيرة، عَلَى مختلف شؤون الحجج الإلهية، وَقَدْ احتجَّ أهل البيت عليهم السلام فِي مجمل شؤونهم ومواقفهم وسُننهم بما سَرَده القُرآن مِنْ قصص الأنبياء.

ثالثاً: قوله تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾[١].

بتقريب: ـ إنَّ هَذِهِ الآية المُبارَكَة دالَّة بعمومها عَلَى أنَّ كُلّ ما ذكره القُرآن مِنْ قصص للأُمم السَّابقة سواء سائر الناس أو الأنبياء والمُرسلين هُوَ مَثَلٌ وعِبْرَةٌ يُعْبَر ويُتجاوز مِنْهُ إلى ما هُوَ غاية وأهم مِنْهُ.

وَهَذِهِ توسعة وتعميم للقاعدة لِكُلِّ ما قصَّهُ القُرآن مِنْ قصص للأنبياء وغيرهم.

---

(١) سورة النور: الآية ٣٤.

رابعاً: إنَّ القُرآن الكريم قَدْ ذكر لأهل البيت عليهم السلام صفات تفوق الصِّفات الَّتِي ذكرها لبقية الأنبياء مِنْ أُولي العزم فضلاً عَنْ غيرهم، كَمَا سنستعرض نماذج مِنْ ذَلِكَ، وَمُقْتَضَى هَذَا التفضيل القُرآني لهم هُوَ أنَّ ما يذكره مِنْ مناقب وفضائل وشؤون للأنبياء والمُرسلين والأوصياء وأهل الصَّفوة ثابتٌ لأهل البيت عليهم السلام بمقتضى قَاعِدَة الأفضلية الَّتِي أنبأ وأخبر عنها القُرآن.

نماذج التفضيل القرآني لأهل البيت عليهم السلام

على بقية أنبياء أولي العزم عليهم السلام:

نذكر بَعْض نماذج تفضيل القُرآن الكريم لأهل البيت عليهم السلام عَلَى بقيّة أنبياء أُولي العزم، كَمَا يلي: ـ

١) وصف القُرآن ـ أَنَّهُ مُهيمنٌ عَلَى الكتب السماوية، وأنَّ علم القُرآن بَعْدَ سيِّد الأنبياء قَدْ ورَّثه الله المطهرون مِنْ أهل بيته ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ هَذَا يقتضي هيمنة علم أهل البيت عليهم السلام عَلَى علوم بقيَّة الأنبياء ولا ريب أنَّ العلم اللَّدني والعلم الوحياني مِنْ أكمل الفضائل بَلْ أُمَّها.

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

٢) وَمِنْهَا وصف القُرآن لأمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ عليه السلام نفس النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وَهَذَا وصفٌ لَمْ يَنْحَلْهُ القُرآن لبقيَّة الأنبياء مِنْ أُولي العزم.

٣) وَمِنْهَا: إنَّ الله تَعَالَى أشرك أهل البيت عليهم السلام بتبع النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي جُملة مِنْ المقامات وَلَمْ يُشارك معه بَقيَّة الأنبياء، كَما هُوَ الحال فِي آية التطهير، فَإنَّ الله تَعَالَى قَدْ ضَمَّ إلى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والتسعة المعصومين عليهم السلام وَلَمْ يضمّ إليه بَقيَّة الأنبياء.

وكذلك فِي آية الولاية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[1].

وآية الطَّاعة ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[2] وآية الفيء ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾[3] وغيرها مِنْ المقامات والمناصب الَّتي أُسندت إلى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وقرباه.

٤) وَمِنْهَا آية المودَّة فِي قوله تَعَالَى ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[4].

بتقريب: ـ إنَّ الله جعل أيضاً غاية عِدْل الدِّين مودَّة القُربى، وَالدِّين يُغاير الشريعة، فَإنَّ الدِّين قَدْ بُعِث به جميع الأنبياء، ومودَّة القُربى تتضمّن مَوَدَّة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله كَما أنَّ مودَّة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله تتضمّن مودّة الله عَزَّ وَجَلَّ،

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٦.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٤١.
(٤) سورة الشورى: الآية ٢٣.

وَلَمْ يُجْعل مودَّةَ بَقيَّة الأنبياء كغاية عُظمى، وإنْ كَانَتْ مودَّة الأنبياء وأهل الصفوة فريضة هامَّة فِي القُرآن وَالدِّين، إلَّا أنَّها لَمْ تُجْعل لدرجة الغاية القصوى.

خامساً: قوله تَعَالَى ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ المقصود الأهم للقُرآن والغاية العُظمى هُوَ: ـ مَنْ فرعون وهامان الأُمَّة الإسّلاميَّة؟ وَمَنْ جنودهما؟ وَلَيْسَ المقصود فَقَطْ فرعون وهامان اللَّذان مضيا.

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾[2].

بتقريب: ـ إنَّ هَذَا الخطاب القُرآني لَيْسَ موجهاً فَقَطْ إلى النَّبِيّ موسى عليه السلام وهارون عليه السلام وبني إسرائيل وَإنَّما المُراد به هُوَ العبور لهذه الأُمَّة.

وهكذا مخاطبة القُرآن لبني إسرائيل ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[3].

بتقريب: ـ إنَّ الفساد والعلو لَيْسَ مُختصَّاً ببني إسرائيل فَقَطْ، وَإنَّما

---

(١) سورة القصص: الآية ٦.
(٢) سورة القصص: الآية ٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٤.

هُوَ عبورٌ فِي هَذَا الخطاب إلى الأُمَّة الإسّلاميَّة مِنْ أَنَّها تفسد فِي الأرض مرتين ولتعلون علوًّا كبيراً بقتل الحسين عليه السلام.

وهكذا ما يرتبط بقصَّة مريم فِي سور عديدة، فَإِنَّهُ حسب بيانات أهل البيت عليهم السلام هُوَ مَثَلٌ ضربه القُرآن لمريم الكبرى وَهِيَ فاطمة الزهراء عليها السلام ليتعرَّف الناس عَلَى وظائف اعتقاديّة ومعرفيّة أكثر تجاه فاطمة الزهراء عليها السلام، فمريم عليها السلام قَدْ تكون لها موضوعيّة فِي القصَّة والمَثَل، ولكن لا يعني ذَلِكَ الوقوف عندها، وذا القرنين مَثَل ضربه الله لعليّ عليه السلام وهلم جرا.

ولذا عِنْدَمَا سُئِل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما هُوَ مثلكم فِي القُرآن؟ قَالَ مَثَل طالوت وذا القرنين وصاحب سليمان وغيره، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل مريم وذا القرنين وطالوت وصاحب سليمان وغيره، فَإِنَّ الغرض مِنْ استعراض القُرآن لهؤلاء لَيْسَ الغاية ذواتهم وأشخاصهم، وَإِنَّما الغاية العبور والرمزيّة لغيرهم.

ولذا ما وَرَدَ مِنْ طرق الطرفين ـ خاصة طرق العامة ـ قول النَّبيّ صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام «**أَنْتِ مريم الكبرى**» وَلَمْ يقل لغيرها مِنْ النساء كزوجاته صلى الله عليه وآله وغيرهنَّ: إِنَّما هِيَ مريم الصغرى وَأَنْتَ فاطمة مريم الكبرى، فَلَيْسَ المُرَاد مِنْ مريم الاسم وَإِنَّما النعت والصِّفة.

وهكذا قصَّة آدم عليه السلام مَثَلٌ، وقصَّة إبراهيم عليه السلام مَثَلٌ، قَدْ تكون لَهُ موضوعية ولكنَّه أيضاً مَثَل.

وهكذا نوح عليه السلام وطول عمره مَثَلٌ، وموسى عليه السلام مثلٌ وعيسى مَثَل، وَهَذَا ما يُسَمَّى بترامي الأمثال، وَهَذَا ما يُدلِّل عَلَى أنَّ منظومة ونظام الأمثال فِي القُرآن الكريم والقصص هِيَ ذَاتَ ترامي وحلقات تتلو وراء بعضها البعض.

وَهَذَا نظير ما فِي عالم الأسماء والآيات ـ كَمَا مَرَّ ـ فَكَمَا أنَّ المَثَل يتطابق مَعَ الآية والتجلّي، وكذلك يتطابق مَعَ الاسم وأنَّ الأسم مِنْ السِمَة والعلامة عَلَى المسمّى ويشير إليه، وأنَّ الحرف يشير إلى ما وراءه، والكلمة تشير إلى ما وراءها كَذَلِكَ المثل يُضْرَب ليشير إلى مغزى وراءه، كَذَلِكَ فِي الأسماء وَأنَّها عَلَى طبقات.

الأمثال على طبقات كذلك الأسماء:

هُنَاك روايات مُستفيضة ـ والظاهر أنَّها حَتّى مِنْ طرق العامَّة ـ عَنْ أهل البيت عليهم السلام «**أوَّل ما خلق الله أربعة أسماء الله تبَارَكَ وَتَعَالَى واسم خفي مستأثِر ...**».

وتُسَمَّى هَذِهِ الأسماء الأربعة بالأركان الأربعة، ثمَّ اشتقَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأسماء الأربع طبقة أُخْرَى مِنْ الأسماء فِي الطبقة الثَّانية ـ كَمَا هُوَ فِي الروايات ثمَّ اشتقَّ مِنْ أسماء الطبقة الثَّانية أسماء الطبقة الثالثة، ويشتق مِنْ أسماء الطبقة الثالثة أسماء الطبقة الرابعة وهكذا، مِثْلُ اشتقاق اسم الرزَّاق، أو الحيّ أو المُحيي أو المميت أو الودود وغيرها فَهَذِهِ أسماء أشبه ما تكون بالشذرة النوريّة فِي البِداية لها أغصان وأفرع أربعة، ثمَّ

تتشعَّب الفروع أكثر فأكثر، وَمَعْنَى اشتقاق الأسماء وتفرّعها هُوَ أنَّ هَٰذِهِ الأسماء علامة عَلَى طبقة أسماء قبلها، وَالَّتِي قبلها علامة عَلَى طبقة أسماء قبلها وهلم جرا، ولذا فمثل اسم الرزَّاق لَيْسَ أسماً مُبَاشَرَة للذات المقدَّسة وبلا واسطة، بَلْ هُوَ اسم لاسم الاسم وَهُوَ اسم الله.

حالات الأسماء:

تنبيه: مما تَقَدَّمَ يظهر إنَّ الاسم لَهُ أكثر مِنْ حالة: ـ

الحالة الأُولى: طبقات الأسماء العرضيّة، فتارةً: ـ يَكُون الاسم علامة ظهور للمسمّى، ثمَّ أنَّ هَذَا المُسَمَّى تارة مُسَمَّى واحدٌ وَلَهُ أسماء عديدة، وَأُخْرَى المسمّى لَهُ اسم ولاسمه اسمٌ، ولاسم الاسم اسم وَهَٰذِهِ كُلَّهَا أسماء فِي عَرَضٍ واحد لمسمى واحد.

الحالة الثَّانية: إنَّ طبقات الأسماء طوليّة لا عرضيّة.

حقيقة الاسم الإلهي:

والاسم الإلهي فِي حقيقته لَيْسَ هُوَ الصوت الذي يتلفّظ به، بَلْ حقيقة الاسم هُوَ الشيء التكويني الدالّ عَلَى ما وراءه، فمثلاً نور الشمس اسم لها وكاشف عَنْ وجود الشمس بكشف حقيقي تكويني، وَلَيْسَ كشفاً اعتبارياً، فالنور اسم للشمس بِهَٰذَا المعنى.

أمَّا مثل الحرارة مِنْ النور فَهِيَ اسم لَهُ أيّ علامة دالَّة، والنور

علامة عَلَى وجود الشمس والاحتراق للحرارة و ... الخ وحينئذٍ فنور الشمس اسم لاسم الاسم، وهكذا الجفاف معناه: ـ أنَّ أشعة الشمس شديدةٌ، فالجفاف سببه الحرارة، والحرارة سببها نور أشعة الشمس، وأشعة الشمس سببها كُلّ مُسبب اسم للسبب، فالاسم علامةٌ وكاشف، وهكذا تترامى المُسببات يعني تترامى الأسباب وَكُلَّهَا أسماء تكوينية وليست اعتباريّة فرضيّة وافتراضيّة جعليّة مُخْتَلِفَة بَلْ أسباب ومُسببات تكوينيّة وحقيقيّة، فالحرارة ليست كاشفة مُبَاشَرَة عَنْ النار، بَلْ الحرارة كاشفة عَنْ النور، والنور كاشف عَنْ الشمس، وهكذا الجفاف لَيْسَ كاشفاً مباشراً عَنْ أشعة الشمس، بَلْ كاشف عَنْ الكاشف والكاشف كاشف عَنْ كاشف، وهكذا، فالجفاف اسم للحرارة والحرارة اسم لنور أشعة الشمس، ونور أشعة الشمس اسم للشمس وهكذا، فالنَّار تُسَمَّى مُحرقة أو مُجففة إلَّا أنَّها بالدقَّة مُجَفّفة بالواسطة وَهِيَ الحرارة والشمس، أو الحَرُّ هُوَ النور والمنير هُوَ الشمس.

وَمِنْ هَذَا صار الشمس لها عِدَّة أسماء وطبقات: ـ المنيرة، والحارّة، والمُحْرِقة ، والمجففة، وَهَذِهِ كُلَّهَا أسماء فِي سلسلة مراتب طوليّة لا عَرْضَيّة.

الغرض مِن مبحث الأسماء:

والخلاصة: لَيْسَ غرضنا بسط الكلام والخوض فِي عالم نظام الأسماء، وَإنَّما يأتي التعرُّض لَهُ حسب موضعه، المُنَاسِب، علماً أنَّ بحث الأسماء

مِنْ المباحث المعرفيّة العقائديّة المشكلة والصعبة، وَإِنَّما الغرض مِنْ التعرُّض لبحث الأسماء هُوَ لأجل بيان أَنَّهُ يجب التدقيق فِي أنَّ للاسم طبقات، وَلَيْسَ عَلَى طبقة واحدة، وأنَّ تلك الطَّبقات ليست عرضيّة فَقَطْ وَإِنَّما مِنْهَا ما هُوَ مُترتِّب طولياً.

وتبيَّن أنَّ المُترامي والمُتلاحق اسم للاسم، وَلَيْسَ أسماً للمسمّى مباشرةً، وَإِنَّما هُوَ بالواسطة، وَهَذَا الاسم لَهُ أسماء، وَهَذِهِ الأسماء اسم للمسمّى فتكون عَلَى طبقات.

كَذَلِكَ الآيات مثل المرآة فِي عالم البصريّات والحدسيات الَّتِي تعكس صورة شخص واقِف أمام مرآة، فَإِنَّ المرآة الثَّانية سوف تعكس صورة الرجل الواقف أمام المرآة الأولى بالواسطة، وهكذا لو فُرِض وجود مرآة ثالثة غَيْر موجّهة لا للمرآة الأولى ولا لشخص، وَإِنَّما موجّهة إلى المرآة الثَّانية بشكل هندسي مُعيَّن، فَإِنَّ المرآة الثالثة ستعكس صورة أُخْرَى، أيّ صورة الصورة لعين الحقيقة، هكذا ينعكس هَذَا الترامي وا لتلاحق والتعاقُب، ويمتدّ إلى ما شاء الله مِنْ الصور إلى الوراء، ولكن كيفية هَذِهِ الصورة سوف تضعف كثيراً، وأشير إلى ذَلِك في رواية عَنْ الإمام الرضا عليه السلام: «... **خلق الله المرآة وأودع فيها أسراراً**».

بتقريب: ـ إنَّك تستطيع أنْ تفهم كثيراً مِنْ الأسرار الغيبيّة الصعبة والمعقّدة مِنْ خلال المرآة: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِىۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ

جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

بتقريب: ـ فإذا لَمْ يتحمّل أحدٌ نور المرآة الألف فكيف يتحمَّل النور الشديد الصادر مِنْ المرآة الثَّانية أو الثَّالثة أو الرَّابعة أو الخامسة أو ... الخ نظير الألواح العاكسة للأشعة، كالأشعة الليزرية الحمراء أو الصفراء أو الخضراء أو السرطانية أو ... الخ الَّتِي لا يستطيع الإنسان أنْ يقف أمام مصدر هَذِهِ الأشعة.

وَهَذِهِ وغيرها مُجَرَّد أمثلة حسيّة حَتّى تقرِّب لنا الفكرة مثل المرايا والنور وغيرها، فَإِنَّها تنعكس ثمَّ تنعكس ثمَّ تنعكس، ثمَّ ينعكس مثلاً، لانعكاس الخمسين ويتخفَّف ثمَّ يتخفَّف ثمَّ يتخفَّف إلى أنْ يصل مرحلة قدرة وقابلية تحمّل طاقة بدنه.

ولذلك الوارد فِي الروايات: «**إنَّ الذي تجَلَّى لموسى عليه السلام لَيسَ تجلّي الله تَعالَى مُباشَرَة بَلْ تجلّي آية، وَمِنْ آية إلى آية ... الخ** ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[2]».

إذَنْ فَهُوَ بالدقَّة تعدّد آيات وَلَيْسَ المرآة مُباشَرَة والتجلّي مُباشَرَة وَإِنَّما هُوَ انعكاس صورة الصورة وتجلّي آية الآية، كَذلِكَ الحال بالنسبة إلى

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٤.

الأمثال هُوَ عَلَى طبقات.

وَهَذَا جواب لما تَقَدَّمَ الاستفسار عَنْهُ وَأَنَّهُ لماذا قِيلَ فِي الأسماء ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وفي المثل ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فَإِنَّ المَثَل عَلَى درجات وطبقات.

وأمّا الروايات الَّتِي أكَّدَتْ عَلَى أنَّ قصص القُرآن هِيَ ظهرٌ بطنه آل مُحَمَّدصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه:

فلِما رواه الكليني[1] بسنده عَنْ يعقوب بن جعفر، قَالَ: كُنْت عِنْدَ أبي إبراهيمعَلَيْهِالسَّلَامُ[2] وأتاه رجلٌ مِنْ أهل نجران اليمن مِنْ الرُّهبان، ثمَّ ذكر الراهب النصراني قصَّته لَهُعَلَيْهِالسَّلَامُ فِي البحث عَنْ رجل فِي الهند إذا شاء حَجَّ إلى بيتِ المُقَدَّس فِي يَوُم وليلة ثمَّ يرجع إلى منزله فِي أرض الهند فقصده والتقى به، فقلت لَهُ: أُخبرت أنَّ عندك أسماً مِنْ أسماء الله تبلغ به كُلّ يَوُم وليلة بيت المُقَدَّس وترجع إلى بيتك، فَقَالَ لي وهل تعرف بيت المُقَدَّس؟ قلت لا أعرف إلّا بيت المُقَدَّس الّذي بالشام؟ قَالَ لَيْسَ بيت المُقَدَّس، ولكنه البيت المُقدَّس، وَهُوَ بيت آل مُحَمَّدصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه فقلت لَهُ: أمَّا ما سمعته به إلى يومي هَذَا فَهُوَ بيت المُقَدَّس، فَقَالَ لي تلك محاريب الأنبياء، وَإنَّما يُقَال لها خطيرة المحاريب حَتّى جاءت الفترة الَّتِي كَانَتْ بين مُحَمَّدصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه وعيسىعَلَيْهِالسَّلَامُ وقرب البلاء مِنْ أهل الشرك، وحلَّت النقمات مِنْ دور

---

(١) الكافي: ج١، ص٥٥٥ كتاب الحجة: ب١٧٧، مولد أبي الحسن موسى بن جعفرعَلَيْهِالسَّلَامُ ح٥.
(٢) أيّ الإمام موسى بن جعفرعَلَيْهِالسَّلَامُ.

الشياطين فحوَّلوا وبدَّلوا ونقلوا تلك الأسماء وَهُوَ قول الله تبارَكَ وَتَعالَى ـ البطن لآل مُحمَّد والظَهْرُ مَثَلٌ ـ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾(١).

والشَّاهِد هُوَ البطن لآل مُحمَّد والظهر مَثَلٌ. وتشير هَذِهِ الرُّواية إلى أنَّ القصص الواردة فِي الأنبياء ظَهْرُه فِي الأنبياء وبطنه تأويله الذي هُوَ لُبُّه ولُبابُه آل مُحمَّد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

كَذَلِكَ تشير الرّواية إلى أنَّ أعظم تقديس لبيتٍ عِنْدَ الله هُمْ آل مُحمَّد صلى الله عليه وآله، وَهُمْ أحقّ الأصفياء بالتقديس، وأنَّ ما وَرَدَ مِنْ تقديس وتعظيم لبقيَّة الأنبياء إنَّما هُوَ بتبعهم، وَهَذَا بعينه وَرَدَ فِي روايات الفريقين فِي ذيل قوله تعالَى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾(٢) روى الفريقان عَنْ النَّبيّ صلى الله عليه وآله أنَّ مِنْ أفاضل تلك البيوت الَّتِي تُقدَّس وتُعَظَّم هُوَ بيت علي وفاطمة، وَهَذَا الوجه بعينه تَقَدَّمَ فِي تفضيل القُرآن لأهل البيت عليهم السلام عَلَى بَقيَّة الأنبياء، وأنَّ مُقتضاه أنَّ ما وَرَدَ فيه مِنْ شؤون الأنبياء هُوَ آية لشؤون أهل البيت عليهم السلام، وَمِنْهَا ما وَرَدَ فِي ذيل سورة التحريم ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾(٣) عَنْ أبي عبدالله عليه السلام: أنَّهُ قَالَ: هَذَا مَثَل ضرب الله لرقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة النجم: الآية ٢٣.
(٢) سورة النور: الآية ٣٦.
(٣) سورة التحريم: الآية ١١.

الَّتِي تزوَّجها عُثمان بن عفَّان(١).

وَمِنْهَا ... عَنْ أبي عبدالله عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ـ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ مثلاً ضَرب الله لفاطمة عليها السلام وَقَالَ: «**إنَّ فاطمة أحصنت فَرْجَها فحرَّم الله ذريّتها عَلَى النَّار**»(٢).

فَإِنَّ روايات أهل البيت عليهم السلام أشارت إلى روايات فِي باب المعارف وأنَّ كُلّ ما ذُكر فِي القُرآن الكريم فِي حق الأنبياء والرُسُل والأُوصياء والحُجج وما لهم مِنْ مقامات ومناصب وشؤون إلهيّة، مِنْ غاياته الْمُهِمَّة كونه مثلاً ضربه الله تَعَالَى لمقامات وشؤون الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وَهَذِهِ القَاعِدَة باب ينفتح مِنْهُ أبواب عديدة(٣).

صلة وطيدة بين حقيقة الإمامة والولاية

وحقيقة القرآن وعلاقتها بقاعدة الأمثال:

سنُبيِّن إنْ شاء الله تَعَالَى فِي مبحث قَواعِد نظام حقائق القُرآن أنَّ هُنَاك صِلَة وطيدة بين حقيقة القُرآن وحقيقة الإمامة، وأحد تفاسير حديث الثقلين، أو أحد القراءات الَّتِي نستطيع أنْ نبيِّنها فِي حديث الثقلين هُوَ أنَّ حقيقة القُرآن لها صلة وطيدة بحقيقة الإمامة، وأنّهما لن

---

(١) تأويل الآيات عَنْهُ تفسير البرهان لِلْسَّيِّد هاشم البحراني، المجلد٨، ص٦٢، ح٤.

(٢) البُرهان فِي تفسير القُرآن: ج٤، ص٣٥٨.

(٣) مَنْ أراد المزيد فليراجع كتاب مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام فِي الكتاب والسنة للشيخ السند حفظه الله.

يفترقا، وَهُوَ الأثنينية فِي الصورة الظاهرة، وَإِلَّا ففي أعماق الملكوت والحقيقة هُمَا ـ القُرآن والإمامة ـ حقيقة واحِدة، ولذا فَإِنَّ صفاتهما وشؤونهما واحِدَة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هَذَا المبحث مِنْ المباحث المُهِمَّة والمُرتبطة بالولاية، وكيف يَكُون مدار التفسير للولاية عَلَى مُحْكمات القُرآن، ولذا وَرَدَ عنهم عليهم السلام فِي مقام بيان جُلِّ فضائلهم ومقاماتهم إذَا أراد الإنسان التعرُّف عَلَيْهَا هِيَ فِي القُرآن: «**ولو أنَّ شيعتنا أو المؤمنين عرفوا فضلنا مِنْ القُرآن لما ارتابوا قط**.

ورواية يرويها البرقي فِي محاسنه عَنْ مُحَمَّد بن مسلم عَنْ أبي عبدالله عليه السلام فِي حديث قَالَ: هَذَا الأمر ـ أيّ نور الإمامة ـ يجري كَمَا يجري الليل والنَّهار، قَالَ فَأَنْتَ جُعلتُ فداك قَالَ هَذَا الأمر يجري كَمَا يجري حدّ الزاني والسارق ... قلت فَأَنْتَ جعلت فداك، قَالَ القُرآن نزل فِي أقوام وَهِيَ تجري فِي الناس إلى يَوُم القيامة[1] **بتقريب**: ـ أنَّ هَذَا الأمر قضية عامَّة وليست خاصّة وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الجري الَّتِي تقدَّمت فِي القَاعِدَة الخامسة باسم الجري والتطبيق.

وأمَّا بيان الصِّلة بين حقيقة الإمامة وحقيقة القُرآن مَعَ مبحث الأمثال هُوَ أَنَّهُ مثلما الأمثال هِيَ تأويلٌ وعبور مِنْ موضع إلى آخر، كَذَلِكَ فِي الإمامة وَأَنَّها تسري وتجري فِي الأئمة الاثني عشر وأنَّ حقيقتها كمنصب ومقام وحبل ملكوتي مُتَّصل بين فرد بشري قَدْ اصطفي مِنْ

(١) المحاسن للبرقي: ص٢٨٩ ب٤٧.

قبل الله عَزَّ وَجَلَّ وبين سماء عرش الرحمن.

وفي مصحح الفضيل بن يسار قَالَ سألتُ أبا جعفرعليه السلام عَنْ هَذِهِ الرُّواية: «**ما مِنْ القُرآن آية إلَّا ولها ظهر وبطن؛ ظهره تنزيله، وبطنه تأويله مِنْهُ ما قَدْ مَضَى وَمِنْهُ لَمْ يكن يجري كَمَا تجري الشمس والقمر، كَمَا جاء تأويل شيء مِنْهُ يَكُون عَلَى الأموات كَمَا يَكُون عَلَى الأحياء**». قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ**﴾ **نَحْنُ نعلمه**»(١).

بتقريب: ـ إنَّ (ما) نافية وحصر مطلق واستيعاب، وَهَذِهِ ضابطة منهجية تفسيريّة لا يمكن تجاوزها لأنَّها تعتبر مُعادلة وموازنة عظيمة فِي بناء هندسة الدِّين وَهَذِهِ الضابطة هِيَ: ـ أنَّ لِكُلِّ آية ظاهر بَلْ ظهور، وباطن بَلْ بطون، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الآية الواحدة منصَّة سطح واحِدَة تعبر مِنْهَا إلى بطن خفي، بَلْ هُنَاك ظهور وبطون بهايُعْبد الله ودينُ يُدين به العبد ربَّه، ولا يمكن تجاوزه وتركه بحال مِنْ الأحوال، وَعَلَيْهِ فيمكن العبور مِنْ الظاهر إلى الباطن مَعَ عدم التخلّي عَنْ الظاهر، ولكن هَذَا الظاهر مرتبته سطحٌ، والباطن والخفاء مرتبته أعمق، وَمَنْ زعم أنَّ الدِّين والآية لها سطح الظاهر فَقَطْ فَقَدْ كفر؛ لِأنَّ الدِّين أيضاً فيه ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ**﴾ أو لَيْسَ التأويل مِنْ الدِّين، كَذَلِكَ مَنْ زعم أنَّ الدِّين هُوَ الباطن فَقَطْ فَقَدْ كفر.

وكذلك نستفيد مِنْ الرُّواية «**ما مِنْ آية فِي القُرآن إلَّا ولها ظهرٌ**

---

(١) بصائر الدرجات: ص٢١٦/ ٧، عَنْهُ بحار الأنوار: ج٢٧ ب١٣ مِنْ أبواب صفات القاضي: ح٤٩، ص١٩٦.

وبطنٌ ...» أنَّ التأويل عَلَى طبقات وأقسام: ـ تأويلُ مَرَّ، وتأويل يأتي ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ وَهَذِهِ الرواية وغيرها تُفسِّر الآية بأنَّ أهل البيت عليهم السلام هُمْ الَّذِيْنَ يعلمون القُرآن وأنَّ الواو فِي الآية (... والراسخون) هِيَ عاطفة وليست استئنائية، بَلْ حَتّى القُرآن يُبيِّن فِي موارد أُخْرَى أنَّ هَذِهِ الواو عاطفة لا استئنافية.

أحادية البعد والقول فِي النظر

سبب انحراف بعض الفرق المحسوبة على الإسلام:

ولذا كَانَ سبب انحراف بَعْض الفرق الضالَّة عَنْ جادَّة الدِّين المُستقيمة هُوَ لسبب أحاديّة البُعْد والقول كَما هِيَ نظرة الوهابيّة والسلفيّة الَّذِيْنَ نظروا إلى الدِّين مِنْ بُعْد الظاهر فَقَطْ، وكأنَّما الدِّين فَقَطْ هُوَ تنزيل وتفسير ظاهر مِنْ دون التأويل والخفاء والباطن، وَهَذَا كفرٌ ـ والعياذ بالله مِنْهُ ـ وَهَذَا ما صَرَّحت به رواية البصائر بإسناده عَنْ أحمد بن مُحَمَّد بن عيسى عَنْ آدم بن إسحاق عَنْ هشام عَنْ الهيثم التميمي، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السلام: **«يا هيثم إنَّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً ولا إيمان بظاهر إلَّا بباطن ولا بباطن إلَّا بظاهر»**[١].

ولذا أمثال هؤلاء ـ والعياذ بالله ـ يتركون معالم وشعائر شريعة

---

(١) مقدمة تفسير البرهان عَنْ البصائر: ص٢٢.

الدِّين مِنْ الصَّلاة وَالصَّوم والحج وغيرها بسبب أحادية البُعْد والقول.

وَمِنْ خلال هَذَا يتبيَّن أنَّ قَاعِدَة الأمثال قَاعِدَة قُرآنية فِي كُلّ الآيات حسب الروايات المستفيضة الَّتِي تَقَدَّمَ ذكر نماذجاً مِنْهَا، ولا يتعارض هَذَا مَعَ الروايات الَّتِي ذكرت أنَّ القُرآن الكريم عَلَى أقسام مِنْهُ أمثال وَمِنْهُ قَصص وحِكَمٌ ومعارف وعقائدُ وغيرها فَإنَّ هَذِهِ وغيرها أقسام موجودة ولا تُنْفَى، ولكن فِي نفس الوقت أنَّ المُرَاد الأصلي هُوَ أنَّ القُرآن عَلَى أقسام بلحاظ الطَّبقات، وعدم إدراكنا لبعض طبقاته وأقسامه لا يعني إنّنا ننفيها، فمثلاً يدّعي البعض أنَّ مثل مقام ومرتبة أم الكتاب، أو الكتاب المكنون، أو اللوح المحفوظ أو الكتاب المسطور وغيرها ليست مِنْ القُرآن.

فَإنَّ مسألة ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ ولا يناله بشر لا يعني أنَّهُ لَيْسَ مِنْ القُرآن، فَإنَّ البشر عاجزٌ عَنْ كثير من الأُمُور فِي القُرآن، ولا تكون عدم معرفة الشيء مُبرِّراً لإنكاره، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَتْ نظرة المُفَسِّر لآيات وسور القُرآن تحتانية وتُسَلِّطُ الأضواء فَقَطْ عَلَى التنزيل، وَالَّتِي قَدْ لا ينجو احدٌ مِنْهَا، حَتّى الَّذِيْنَ استفادوا عنوان منهجيتهم مِنْ بيانات أهل البيتعليهم السلام أيضاً مبتلون بِهَذَا النقد واقعاً يعني الإحاطة به أو مراعاته مِنْ قبل المعصومين بشكل سديد تام، ولذا يترجّل الكل ويتلكأ فِي تفسير القُرآن، ولذا أكَّدت بيانات أهل البيتعليهم السلام عَلَى أنَّ مجموع القُرآن هُوَ تنزيل وتأويل وللظهر وللبطن، ولا ينحصر بأحدهما دون الآخر، كَمَا قَدْ

بات أمراً واضحاً فِي أذهان كثير مِنْ المُفَسِّرين والباحثين مَنْ حَصَرَ القُرآن بالتنزيل، والحال أَنَّهُ فِي منطق أهل البيت عليهم السلام أَنَّ التنزيل هُوَ درجة مِنْ القُرآن وبعضه، وَلَيْسَ كُلّ القُرآن، ولا يفهم أَنَّهُ عِنْدَمَا يُقَال بَعْض القُرآن أَنَّ هُنَاك مصحف آخر وتنزيل آخر، وَإِنَّما المقصود مِنْ الأبعاض أيّ وجود أبعاض أُخْرَى للقُرْآن بمعنى درجات غيبيّة، وأَنَّ كلاً مِنْ التنزيل والتأويل هُوَ مِنْ الوحي وكلاهما عَلَى حدٍّ واحِدٍ فِي العظمة والقدسيّة وكلاهما قرآن.

والسبب فِي ذكر هَذَا البيان هُوَ لأجل أَنَّ البعض حصر حقيقة القُرآن الكريم كُلَّهُ بالتنزيل، والحال أَنَّ القُرآن يُنادي أَنَّ بعضه تنزيل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا﴾ وبعضه الآخر تأويل، ﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ علماً أَنَّ هَذِهِ الروايات موجودة فِي المصادر التفسيريّة لكلا الطرفين عَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، ولكن أنّى وكيف ومَتَى يفهمونها؟! مِنْ دون الاستعانة بالثِقْل الثَّانِي أيّ أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا تعامل الأئمة عليهم السلام ومنهم الإمام الصادق عليه السلام مَعَ الصحيفة السجّاديّة زبور آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله أَنَّها كتابٌ قدسي، لا كتاب عادي مِنْ تعبير بشر، وَإِنَّما كتاب قدسي ظهرهُ تنزيله، وبطنه تأويله مِنْهُ ما قَدْ مضى، وَمِنْهُ ما لَمْ يكن يجري كَما يجري الشمس والقمر، كَما جاء تأويل شيء مِنْهُ يَكُون عَلَى الأموات كَما يَكُون عَلَى الأحياء، وما يعلم تأويله إِلَّا الله والراسخون فِي العلم، نَحْنُ نعلمه.

هَذَا كُلُّهُ بحسب منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات بخلاف باقي المناهج التفسيرية كمنهج تفسيري القُرآن بالقرآن، أو التفسير الموضوعي أو التجزئيي أو غيرها، فإنَّهم لا يرسمون خارطة للقُرْآن الكريم فيها طبقات ودرجات ومهم وأهم، علماً أنَّ نفس هَذِهِ الرُّواية تقول «**إلَّا ولها ظهر وبطنٌ**» فَالطَّبقات والمراتب القُرآن ليست عَلَى درجة واحدة وليست فِي عرض واحد.

هَذَا مُضافاً إلى ضرورة التفات المُفَسِّر الكريم والباحث الفطن إلى أنَّ آيات القُرآن وسوره لها مراتب وطبقات، علاوةً عَلَى تعدّد معانيه ومداليله ومصاديقه وغيرها، فالتعدّد والماوراء لِكُلٍّ مِنْ طبقة الظاهر والباطن وَهَذَا ما تميَّز به منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات عَنْ باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى.

الأمثال على طبقات:

تنبيه: إنَّ الأمثال فيها طبقية لا طبقة ودرجة واحدة، وأنَّ القُرآن الكريم ظاهِره كُلَّهُ مثل وأمثال، وَهَذَا منبّه للمُفسِّر الكريم إذَا أراد أنْ يعرف منهجيته فِي فَهُمْ تفسير القُرآن فَلابُدَّ أنْ يلتفت إلى أنَّ القُرآن الكريم لَيْسَ أرضاً مسطّحة فَقَطْ، وَإنَّما منهجية القُرآن كَما بيَّنها النَّبيّ صلى الله عليه وآله هِيَ حبل ممدود طرف مِنْهُ علوي عِنْدَ الله، وطرف نازل عِنْدَ الناس، وَعَلَيْهِ إذَا بنى المُفَسِّر منهجيته التفسيرية عَلَى ضوء ووفق الهندسة النبويّة الوحيانيّة فآنذاك تصبح لديه قَواعِد المنهج التفسيري.

صلة قاعدة الأمثال بأقسام الوحي وأنواعه وأسراره

مِنْ المباحث المُهِمَّة فِي قَواعِد التفسير هِيَ معرفة قَاعِدَة الوحي وأقسامه وأنواعه وأسراره وَهَذِهِ قَاعِدَة يأتي التعرّض إليها فِي قَواعِد نظام حقائق القُرآن، وليست مِنْ قَواعِد نظام المعنى فِي القُرآن، ولا مِنْ قَواعِد النظام الاستعمالي اللفظي، وَعَلَيْهِ فالمُفسِّر الذي لا يعرف ولا يعي أقسام الوحي يَكُون أُمياً فِي علم تفسير القُرآن حسب ما أكَّدت عَلَيْهِ روايات وبيانات أهل البيت عليهم السلام، ومما يُؤسَف لَهُ أنَّ أكثر المُفَسِّرين ليسوا عَلَى يقظة وانتباه مِنْ أقسام الوحي الَّتِي بيَّنها أهل البيت ونبَّهوا عَلَيْهَا فِي تعاليم القُرآن الكريم.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أنَّ القُرآن الكريم لَهُ تفسير وتعبير وتأويل وكلمات وأمثال، وكذا هَذَا العالم التكويني لله تَعَالَى الذي عَبَّرَ تَعَالَى فيه عَنْ عظمته فِي كُلّ مخلوق فيه كلمة مِنْ الكلمات وحرفٌ مِنْ الحروف، فإذا أردنا أنْ نصغي إلى كلام الله الذي فيه هَذِهِ المخلوقات والكلمات فَإِنَّهُ فيها إيحاءٌ ووحيٌ وتأويل وتعبير وتفسير و ... والوحي إشارة خفيّة فَإِنَّ العبور مِنْ الآية والمثل والوصول إلى غيره عبر قنوات خفيّة وَهَذِهِ القنوات الخفيّة

هِيَ الوحي وَهِيَ التأويل.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قراءة النَّبِيّ عليه وأهل بيته لهذا الكتاب التكويني أيّ المصحف الشريف عبارة عَنْ وحي إلهي يهتف بعقولهم وأسماعهم وَعَلَى ألسنتهم، فَإِنَّ نفس عالم التكوين وعالم الخِلقة هُوَ احد قنوات الاتّصال بينهم وبين الله؛ لِأَنَّ آيات القُرآن آيات فِي كتاب مُدَوَّن تكويني يقرؤونه ويعبرون مِنْهُ ويعلمون مآله وفيه إيحاء لما وراءه.

إذَنْ هَذَا الكتاب التكويني هُوَ وحيٌ، وَهَذِهِ العوالِم التكوينية هِيَ وحيٌ، ومَثَلٌ وتأويل وعبورٌ ما وراءه والمآل، وأَنَّ هَذَا الكتاب التكويني هُوَ أحد أقسام الوحي المُهِمَّة الذي يُلتفت إليه فِي قَاعِدَة الأمثال، وَهَذَا ما يذكره الإمام الرضاعليه فِي الرُّواية «**إنّما يُعلم ما ها هُنَاك بما ها هُنَا**».

وَهَذَا فيه إشارة إلى عظمة غيب مِنْ الغيوب أيّ يُعْلم بما ها هُنَا بنفس هَذَا المشهد والشهادة يُعْلَم بما ها هُنَاك، وعالَم الشهادة مَثَل وآية لعالَم الغيب، وإذا عبرت مِنْ عالم الشهادة إلى عالم الغيب فآنذاك تدرك عالم الغيب ولا يمكن بحال مِنْ الأحوال انفكاك عالم الشهادة عَنْ عالم الغيب، أو انفكاك الظاهر عَنْ الباطن فَإِنَّهُ لا يوجد هُنَاك باطنٌ محضٌ، أو ظاهِرٌ محض ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ وَإِنَّما تمام الظاهر بالباطن وتمام الباطن بالظاهر.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ بحث قَاعِدَة المَثَل والأمثال فِي ظل مَعْنَى الوحي شيءٌ مهم جدّاً، فَإِنَّ لغة الوحي بين الله وبين كثير مِنْ الأنبياء مِنْ ذوي

المستوى فِي النبوة ـ تلك الرسل فضلنا بعضهم عَلَى بَعْض بحسب تفاضلهم، فَإِنَّ كثيراً مِنْ الأنبياء يتلقون الوحي عِبْرَ مشاهدة ظواهر تكوينية يقرؤون مِنْ خلالها ما يريده الرحمن منهم.

وَمِنْ هَذَا يُعْلَم مدى أهمّيّة ارتباط قَاعِدَة الأمثال بعلم التعبير وبعلم التأويل والتفسير والترجمان والتجلّي والتجلّيات والظهور، بَلْ وَحَتّى أسلوب القصص القرآني برمّته ينضبط بإطار المَثَل والأمثال، وإنْ كَانَ المصداق مُراداً فِي القصَّة القرآنية حقيقة وواقعاً، ولكنَّه لا يُنافي أَنَّهُ ينضبط بإطار وقعَ كمَثَل ـ كَمَا فِي مَثَل مريم بن عمران مَثَلٌ ضربه الله لفاطمة بنت مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ولا مانع مِنْ العبور مِنْ مريم إلى فاطمة عليها السلام وإنْ كَانَ المُراد بالقصَّة مريم عليها السلام وَمِنْ ثمَّ تكون فاطمة عليها السلام أعظم مِنْ مريم ولا مانع مِنْ أنَّ ما يضربه الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أمثال وقصص عَنْ الأنبياء يَكُون لما هُوَ أعظم شأناً مِنْ الأنبياء السابقين والأوصياء ومَثَلٌ يُعْبَر مِنْهُ إلى غيره، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ فِي (قصصهم عبرة) قَاعِدَة مطردة.

صلة أن للقرآن ظهر وبطن بمبحث الأمثال:

تَقَدَّمَ أَنَّ المثل هُوَ نوع مِنْ الدلالة ـ ولله المثل الأعلى ـ وأَنَّ الغاية مِنْ المثل هُوَ لشيء وراءه، فالمثل مَعَ الآية والعلامة والاسم والحرف والجري والعبور والترجمان والكلمة وغيرها لَيْسَ المطلوب مِنْ المثل مَعَ المذكورات الوقوف والمكث عنده، بَلْ المطلوب فيه أَنَّ تتّخذ المثل وسيلة

للعبور مِنْهُ إلى الجهة الممثل لها ... فالمثل ظاهرٌ والممثل لَهُ خفي وأنَّ المَثَل مروي فِي القُرآن والممثل لَهُ غاية المثل وأنَّ المثل هُوَ نفسه غاية لو يُضْرَب لشيء وراءه.

إذَنْ مثلما القُرآن لَهُ ظهور وبطون وعبور وعبرة وجري، كَذَلِكَ الأمثال فيه عبور لما ورائه.

لماذا لم تذكر دلائل إمامة أهل البيت عليهم السلام

فِي القرآن كما فِي ذكر موسى وعيسى عليهم السلام:

نتفة عقائدية:

وللجواب عَنْ هَذَا الاستفسار هُوَ أنَّ الغاية مِنْ ذكر عيسى عليه السلام ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ لَيْسَ المُرَاد شخص عيسى عليه السلام وإنْ كَانَ لشخص عيسى عليه السلام موضوعيّة، إلّا أنَّ الغاية والماوراء مصداق الآية هُمْ أهل البيت عليهم السلام وَهَذِهِ هِيَ وظيفة المثل وَهِيَ العبور وعدم التوقُّف والاقتصار عَلَى المثال الذي ذُكِرَ فِي الآية، وَهَذَا البُرهان دليل عظيم عَلَى إمامة أهل البيت عليهم السلام ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]. ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ وهكذا فِي قصَّة يوسف عليه السلام وبكاء الأب النَّبِيّ يعقوب عليه السلام عَلَى ولده سنين مِنْ الزمان، وما صرَّحت به البيانات القُرآنيّة والروائيّة بأنَّ يعقوب

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

النَّبيّ عليه السلام يعلم بأنَّ ولده يوسف عليه السلام لَمْ يُقتل حَتّى يحبيه الله شأناً عظيماً ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ يعقوب عليه السلام يعلم بأنَّ يوسف سيلقى شأناً عظيماً حسب رؤياه هَذِهِ؛ لِأَنَّ رؤيا الأنبياء وحيٌ، وَعَلَيْهِ فبكاء يعقوب مِنْ ماذا؟ مِنْ فراق يوسف عليه السلام جعل يبكي عَلَيْهِ ليل نهار، فلا تقف فِي موضوع البكاء وتقصر بكاء يعقوب عليه السلام عَلَى ولده يوسف عليه السلام بَلْ تعدّاه إلى ما هُوَ أعظم مِنْهُ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾[2] ألا وَهُوَ بكاء رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى الحسين عليه السلام، وَهَذَا عبورٌ لما هُوَ أعظم مما فِي مصاب يعقوب عليه السلام بولده يوسف عليه السلام.

لِمِ يصرح القرآن الكريم بأن قصص الأنبياء عبرة:

صَرَّحَ القُرآن الكريم بأنَّ قصص الأنبياء والمُرسلين هِيَ عِبْرَةُ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ فَأيّ شيء أعظم مِنْ الأنبياء بحيث تجعل الأنبياء معبر وجسر عبور لشيء أعظم، وَمِنْ هَذَا يُفهم أَنَّ هُنَاك أشخاصاً وحججاً أعظم مِنْ الأنبياء السابقين ألا وَهُوَ مُحمَّد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين عليهم السلام.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٤ ـ ٥.

(٢) سورة يوسف: الآية ١١١.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ الغاية والعبور هِيَ لأهم مما ذُكِرَ فِي القصَّة وإنْ كَانَتْ لَهُ موقعيّة موضوعيّة ولكن الأسلوب القصصي فِي القُرآن وَقَاعِدَة الأمثال تَعْبر بك إلى ما هُوَ الغاية والأهم.

وَهَذِهِ ملحمة منهجيّة عظيمة فِي القُرآن، وأنَّ المُرَاد مِنْ أسلوب القصص فِي القُرآن هُوَ أسلوب الأمثال.

فَإنَّ هَذِهِ الآية ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾مِنْ المُحْكَمات وأنَّ كُلّ ما ذُكِرَ فيها مِنْ السابقين هُوَ مَثَل لما هُوَ أعظم مِنْهُ وَهُوَ الغاية ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾[1].

فالإيمان لابُدَّ أنْ يتقوَّم بالأنبياء السابقين وَأنَّهُ مثل لشيء أعظم وراءه.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ يتَّضح الجواب للسائل عَنْ سبب عدم تصريح القُرآن باسم فاطمةعليها السلام وباسم عليعليه السلام، وباسم الأئمة المعصومينعليهم السلام، وتصريحه وإفصاحه عَنْ مثل مريمعليها السلام وباقي أسماء الأنبياءعليهم السلام، وأنَّ عَدَم الإفصاح هُوَ إعظام لهم؛ لِأنَّ العبور مِنْ المصداق الذي ذُكِر فِي الآية لما ورائه هُوَ أعظم وأعلى درجة وشأناً، وبالتالي ففي قصص الأنبياء السابقين عِبْرَة ومغزى وغاية لما هُوَ أعظم مِنْهَا.

تنبيه: وفيه أمران:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

الأوَّل: أكَّدت بيانات مدرسة أهل البيت عليهم السلام عَلَى: ـ ما مِنْ تساؤُل حول سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله أو حول شأن مِنْ شؤونه، أو حول عترته، إلَّا وتجد لَهُ جواباً بالمثل فِي القُرآن،وَهَذِهِ ملحمة قُرآنيّة عظيمة فِي مبحث قَاعِدة الأمثال القُرآنيّة.

وهكذا التساؤل الذي يُطرح حول غيبة الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف فَإنَّ كُلّ أجوبتها موجودة كأمثال فِي القُرآن الكريم مِنْ غيبة الخضر عليه السلام ورَفْعِ عيسى عليه السلام ويحيى عليه السلام وغيبة موسى عليه السلام عَنْ قومه وغيرها، وبهذه الأمثال القُرآنيّة نجيب عَنْ كُلّ الاعتراضات والشُّبهات الَّتِي تُطرح حول غيبة الإمام الثَّانِي عشر الحُجَّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وَمِنْ هَذَا يُعْرَف الردّ عَلَى نظريّة السَّيِّد العلّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي رحمه الله صاحب تفسير الميزان فِي القُرآن وأنَّ المصاديق كُلَّهَا عَلَى حَدٍّ واحِدٍ وسواء ومُتساوية فِي المدلول والإرادة والما وراء عَلَى مبنى السَّيِّد العلّامة، وَلَيْسَ الأمر كَذَلِكَ عَلَى مُختار منهج أمومة الولاية فَإنَّ الما وراء يَكُون أعظم وأهم وَهُوَ اللب اللباب وكأنَّه هُوَ المُرَاد الجدّي الأوَّل والأصلي، وأنَّ هَذَا التنزيل إنَّما يُرَاد بإرادة ابتدائيّة أوليّة وأنَّ الغاية هِيَ المُرَاد الجدّي وَهِيَ الأهم.

إذَنْ طبيعة القُرآن هِيَ طبيعة مراتب وتسلسل وطوليّة لا أنَّ طبيعته عرضية وأنَّ المناهج التفسيرية الأُخْرَى كتفسير القُرآن بالقرآن، أو التفسير الموضوعي أو التفسير التجزيئي وغيرها لَمْ يُرَاعَ فيها سلسلة المراتب، بينما القُرآن

الكريم وروايات وبيانات أهل البيت عليهم السلام تُنادي بأنَّ قِوام تفسير القُرآن هُوَ بالمراتب يعني الامومة كَمَا فِي الرُّواية عَنْ الإمام الصادق: «**إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القُرآن، وبها نوَّهت الكتب ويستبين القُرآن**»(١).

بتقريب: ـ إنَّ هُنَاكَ أقطاب ومدارات متعدِّدة طوليّة لا أنَّها عَرْضيّة وفي مرتبة واحدة، وَعَلَيْهِ إذَا لَمْ تُلْمِس أمومة ولاية أهل البيت عليهم السلام عَلَى المُحْكَمات فِي قواعِد التفسير ضاع المنهج المهيمن الأم.

الثَّانِي: إنَّ قراءة قَاعِدَة الأمثال فِي القُرآن الكريم تحتاج إلى تعقُّل وقراءة عقليّة وقراءة علميّة مِنْ علوم شتّى، كي يصل الإنسان إلى ما وراء هَذِهِ الجهة الَّتِي طالما أَكَّدَ عَلَيْهَا القُرآن الكريم وبِعِدَّة مواضع قُرآنيّة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ «**لعلهم يعقلون**» «**لعلهم يتدبّرون**» وَهَذَا التعقُّل والتذكّر والتولّد والتدبّر فِي قَاعِدة الأمثال فِي القُرآن يحتاج إلى تطهير روحي ونفسي وذكر قلبي كي يلتفت الإنسان إلى الأمثال فِي القُرآن.

هَذَا مُضَافاً إلى أنَّ قراءة الأمثال فِي القُرآن قراءة ذكريّة، أيّ إذَا صار القلب متذكِّراً يفطن ويَدْرُك أنَّ الأمثال آيات، يُعْبَر مِنْهَا إلى ما وراء الممثل لَهُ صاحب المثل الأصلي، وَلَمْ يقف ويُحَجَّم عِنْدَ مَنْ مُثِّل لَهُ عَنْ الغاية وصاحب المَثل الأصلي ـ وَكَمَا تَقَدَّمَ بحثه ـ.

إذَنْ قَاعِدة الأمثال فيها طبقات عُليا فِي القُرآن لا تدرك بسهولة،

(١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٨ ح٨.

بَلْ هِيَ عَلَى درجات وطبقات تحتاج إلى إمكانيّة علميّة عقليّة عميقة ودقيقة حَتّى يستطيع الوقوف عَلَى بَعْض نكاتها الخفيّة.

الجهة الثالثة عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السلام

وأعداؤهم فِي القرآن:

وتوضيح ذَلِكَ يقع ضمن نقاط:

النقطة الأُولى:

البرهان الأول: برهان العِبرة فِي المثل:

مُقْتَضَى ما تَقَدَّمَ فِي الجهة السَّابقة بَلْ والجهات المُتقدِّمة عَلَيْهَا أَنَّ ما ذُكِر فِي القُرآن الكريم مِنْ قصص وأمثال لأهل الحقّ وطريق الخير وعِبْرَة لأئمة الحقّ وراء أولئك المذكورة قصصهم بأسمائهم وإنْ كانوا مِنْ الأنبياء والمُرسلين والأوصياء والصُّلحاء السابقين ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[1]. وأَنَّ المُراد الجدّي والأصلي والأعظم هُوَ المعنى التأويلي لا المعنى التنزيلي وَكُلّ ما ذُكِر مِنْ سيد الصالحين والمصطفين والشُّهداء هِيَ عِبْرة وعبورٌ لأشخاص وراءهم يُقيمون بحياة راهنة تتعاطى الأُمَّة معهم، فَكُلّ ما ذُكِر مِنْ نجوم وروّاد وأئمة الحَقّ عِبْرَة وعبور إلى مَنْ هُمْ مقصودون وراء ذَلِكَ، ويَنْصَّبُ محط القصد وَالمُرادأصالة بلحاظهم، فَمِنْ ثَمَّ مَرَّت

(١) سورة النحل: الآية ٦٠.

القَاعِدَة فِي الجهة السابقة، وأنَّ كُلّ ما ذُكِر، مِنْ أصفياء وأنبياء ومرسلين هُمْ مَثَلٌ لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك العكس، فَإنَّ كُلّ ما ذُكِرَ مِنْ أئمة الشرّ والباطل والغيّ والضَّلال فَهُوَ عِبْرَة وعبور إلى مَنْ هُمْ أشدّهم فِي الباطل والغيّ والضَّلال مِنْ أئمة الباطل الَّذِيْنَ تُبْلى الأُمَّةُ بهم، إذْ هُوَ مُقْتَضَى كون القصص فِي الطرفين عِبْرة ومثل ضربه الله لما هُوَ ورائه.

وَهَذَا ما أكَّدته الآية المُبارَكَة ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

النقطة الثَّانية: مِنْ خلال النقطة الأُولى يتبيَّن حقيقة ما وَرَدَ فِي الروايات المُستفيضة عِنْدَ الفريقين كالذي رواه ابن المغازلي عَنْ الشافعي عَنْ ابن عباس عَنْ النَّبيّ صلى الله عليه وآله، قَالَ: ـ قَالَ: «**نُزِّل القُرآن أرباعاً ربع فينا وربع فِي عدوّنا وربعُ سنن وأمثال وربع فرائض وأحكام ولنا كرائم القُرآن**»[1].

النقطة الثَّالثة:

البَرهان الثانِي: برهان الجري:

روى العيّاشي عَنْ مُحمَّد بن مسلم، قَالَ: قَالَ أبو جعفر عليه السلام يا مُحمَّد إذَا سمعت الله ذَكَرَ أحداً مِنْ هَذِهِ الأُمَّة بخير فَهُمْ نَحْنُ، وإذا سمعت الله

(١) ابن المغازلي فِي مناقبه: ص٣٢٨ ح٣٧٥ وغيره، تأويل الآيات الظاهرة لِلْسَّيِّد علي الحسيني الاسترآبادي: ص٢١.

ذكر قوماً بسوء ممن مَضَى فَهُمْ عَدوُّنا[١].

وروى العيّاشي: أيضاً عَنْ مُحَمَّد بن خالد الحجّاج الكرخي عَنْ بَعْض أصحابه رفعه إلى خيثمة، قَالَ: قَالَ أبو جعفر عليه السلام **يا خيثمة القُرآن نزل أثلاثاً: ثُلثٌ فينا وفي أحبائنا، وثلثٌ فِي أعدائنا وعدوّ مَنْ كَانَ قبلنا، وثُلثٌ سُنة ومَثَل، ولو أنَّ الآية إذَا نزلت فِي قوم ثمَّ مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي مِنْ القُرآن شيء، ولكن القُرآن يجري أوله عَلَى آخره ما دامت السماوات والأرض، وَلِكُلِّ قوم آية يتلونها هُمْ مِنْهَا مِنْ خيرٍ أو شرٍّ**[٢].

وتشير هَذِهِ الرُّواية إلى دليل آخر عَلَى هَذِهِ الجهة وَالقَاعِدَة غَيْر ما مَرَّ مِنْ الدَّليل المُشار إليه مِنْ قَاعِدَة العِبْرَة والأمثال وَهِيَ قَاعِدَة الجري وَإلى ما هُوَ أصلٌ وبُرهانٌ لقاعدة الجري وَهُوَ كون القُرآن حيٌّ وحجّة[٣] حيَّة فعليّة عَلَى العباد فِي كُلّ زمان فِي كُلّ آية آية مِنْهُ، بَلْ فِي كُلّ جملة جملة مِنْهُ ولا يستقيم ذَلِكَ إلَّا بقاعدة الجري أيّ يجري ما ذكره القُرآن فِي أنَّهُ الحقّ وأهله مما مَضَى يجري فِي أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم وما ذكره القُرآن فِي أهل البيت عليهم السلام فِي أهل الباطل والشرِّ يجري فِي أعدائهم[٤].

وروى الكليني بسند مُعتبر عَنْ الأصبغ بن نُباتة قَالَ سمعت أمير المؤمنين عليه السلام أنزل القُرآن أثلاثاً ثلثٌ فينا، وفي عدوّنا، وثلث سنن وأمثال

(١) العيّاشي: ج١، ص٢٤؛ البرهان لِلْسَّيِّد هاشم البحراني: ج١، ص٥٦.
(٢) المصدر السابق: ص٥٨ باب ما أُنزل القُرآن: ح٧.
(٣) يلاحظ فِي قَاعِدَة الجري.
(٤) الكافي: ج٢، ص٦٢٧؛ العيّاشي: ج١، ص٨٤ باب ما نزل فِي القُرآن ح٣.

وثلث فرائض وأحكام.

ونظيره ما رواه فِي موثّق أبو بصير عَنْ أبي جعفرعليه السلام قَالَ: ـ نزل القُرآن أربعة أرباع: ربعٌ فينا، وربع فِي عدوّنا وربعٌ سنن وأمثال، وربعٌ فرائض وأحكام[1].

(١) الكافي: ج٢، ص٦٢٧؛ العياشي: ج١، ص٨٤ باب ما نزل فِي القُرآن: ح٣.

توسعة القاعِدة عمومية الجهة والقاعدة

النقطة الرابعة: الروايات المتقدمة فِي النقطة الثَّالثة وغيرها مِنْ الروايات الواردة فِي هَذَا الباب، بَلْ يظهر مِنْ روايات عديدة أُخْرَى أوسعيّة هَذِهِ القَاعِدَة بكثير أيّ عمومها، لِكُلِّ مَثَلٍ حَسَنٍ، وإنْ لَمْ يَرِد فِي أشخاص وأُناس مِنْ أهل الخير أو أهل الشرّ، كَمَا روى العيّاشي عَنْ مسعدة بن صدقة عَنْ أبي جعفر عليه السلام عَنْ أبيه عَنْ جدّه، قَالَ: قَالَ أمير المؤمنين عليه السلام: **«سمّوه بأحسن أمثالِ القُرآن يعني عترة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله هَذَا عذبٌ فراتٌ فاشربوا، وَهَذَا ملحٌ أُجاج فاجتنبوا»**[1].

وما رواه فرات الكوفي فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾[2]. بسنده عَنْ جابر، قَالَ أبو جعفر عليه السلام قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ يعني ذكرنا علياً فِي كُلّ آية فأبوا ولاية علي عليه السلام وما يزيدهم إلّا نفوراً[3].

وكذا ما ذُكِرَ فِي الكافي بسنده عَنْ أبي حمزة عَنْ أبي جعفر عليه السلام قَالَ:

---

(١) العيّاشي: ج١، ص٩٠ ح٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤١.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ص٣٢٥ ح٥ مِنْ سورة الإسراء؛ تفسير الصافي: ج٤، ص٢٠١.

نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ (بولاية علي) إِلَّا كُفُورًا﴾[١].

قَالَ ونزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية هكذا ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ (في ولاية عليّ) فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ (آل مُحمَّد) نَارًا﴾[٢].

وما رواه العيّاشي بسنده عَنْ علي بن أبي حمزة، عَنْ أبي جعفر عليه السلام: **«وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القران ليذَّكروا يعني ولقد ذكرنا علياً فِي القُرآن وَهُوَ الذكر فما زادهم إلّا نفوراً»**[٣].

النقطة الخامسة:

البرهان الثالث: المثل والأمثال

اسم وتسمية وتوصيف ووصف:

ما تَقَدَّمَ مِنْ الروايات فيها تبيان وتصريحٌ بأنَّ الأمثال نعوت وأوصاف، وألقاب وأسماء بلحاظ العِبْرَة الَّتِي فيها، وإنْ كَانَتْ فِي جمادات أو كائنات مِنْ سائر ما خلق الله وأنَّ الأمثال تسميةٌ ونعتٌ ووصف لمسميات هِيَ المعنى التأويلي، وما دام المَثَل عِبْرَة وعبور إلى ما وراءه فلا يقتصر ذَلِكَ عَلَى القصص بَلْ يعمّ كُلّ أمثال القُرآن الحَسَنَة

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

(٢) الكافي: ج١ كتاب الحجة: ب١٦٥ ح٦٤ ص٤٩٣.

(٣) العيّاشي: ج٣، ص٥٣، ح٧٨.

لِـمَنْ هُوَ حَسَنٌ، والسيئة لِـمَنْ هُوَ سيّء.

النقطة السَّادسة:

البرهان الرابع:

ثمَّ إنَّ ما تَقَدَّمَ فِي الروايات السابقة إشارة إلى قَاعِدَة مُهمّة وَهِيَ أنَّ المثل والأمثال اسمٌ وتسمية وتوصيف ووصف.

ونظير ما تَقَدَّمَ ما رواه صاحب كنز الفوائد، تأويل الآيات الباهرة عَنْ أبي جعفر الطوسي بإسناده عَنْ الفضل بن شاذان عَنْ داود بن كثير، قَالَ: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أنتم الصَّلاة فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟ فَقَالَ: **«يا داود نَحْنُ الصَّلاة فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وَنَحْنُ الزَّكاة وَنَحْنُ الصِّيَام وَنَحْنُ الحجّ وَنَحْنُ الشَّهر الحرام وَنَحْنُ البلد الحرام، وَنَحْنُ كعبة الله، وَنَحْنُ قبلة الله، وَنَحْنُ وجه الله، قَالَ الله تَعَالَى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ وَنَحْنُ اللآيات وَنَحْنُ البيّنات، وعدوَّنا فِي كتاب الله الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدَّم ولحم الخنزير، يا داود إنَّ الله خلقنا وأكرمَ خَلْقَنا وفَضَّلَنا، وجعلنا أُمنائه وحفظته وخزّانه عَلَى ما فِي السموات والأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً فسمّانا فِي كتابه، وكَنّى عَنْ أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه تكنية عَنْ العدو، وسمّى أضدادنا وأعدائنا فِي كتبه وكَنّى عَنْ أسمائهم، وضرب لهم الأمثال**

فِي كتابه فِي أبغض الأسماء إليه وَإلى عباده المتقين»[(١)].

كَما بيَّنا فِي قَاعِدَة المثل فِي ما مَرَّ مِنْ الجهات أنَّها لا تقتصر عَلَى القصص وما ضُرِبت مثلاً وتمثيلاً، بَلْ كُلّ القُرآن بكُلِّ آياته وجُملِهِ مَثَلٌ وأمثال لما ورائه مِنْ معاني تأويلية، فَكُلّ تنزيل مَثَلٌ للتأويل وَكُلّ مَعْنَى تأويلي مَثَلٌ للمعنى التأويلي الذي هُوَ أبطن مِنْهُ فِي البطون وهلم جرّا.

وبذلك تتّسع قَاعِدَة المثل فِي القُرآن، وَهَذَا البُرهان عَلَى هَذِهِ القَاعِدَة والجهة فِي الأمثال أيّ مِنْ توسعة المثل لِكُلِّ آيات وسور وجُمَل القُرآن، وَهُوَ بُرْهانٌ أنَّهم صلوات الله عليهم أصل كُلّ خير وفروعه وعدوَّهم أصل كُلّ شرٍّ وفروعه.

بيان ذَلِكَ:

أوَّلاً: إنَّ هَذِهِ الرُّواية تشير إلى قَاعِدَة أنَّ الأمثال أسماءٌ وتوصيفٌ ووصفٌ.

ثانياً: إنَّ فِي الرُّواية بُرهانٌ عَلَى أنَّ كُلّ خير وكمال هُوَ آية وتجلّي لأصول وجودهم فِي مراتبهم العلويّة لكونها المواد الأولى فِي عالم الخِلْقة؛ إذْ بمُقْتَضَى أنَّ كُلّ معلول كمالٌ مُقَرَّرٌ فِي علته بنحو أكمل وأشرف، وإنْ كَانَتْ تلك العلّة واسطة فِي الفيض، نظير ما يُقرر عقلاً بأنَّ نظام المخلوقات انعكاسٌ كجمال وعظمة النظام الذاتي الربوبي، فَكُلّ كمالٌ فِي

---

(١) تأويل الآيات الباهرات، علي الحسني الأسترابادي: ص٢١؛ البحار: ج٢٤، ص٣٠٣.

المخلوقات آيةٌ متنزَلة ونازلةٌ عَنْ كمالٍ ربوبي فِي النظام الذاتي الإلهي، بَلْ إنَّهُ هُنَاكَ بنحو أكمل وأرفع وأشرف وأعلى، فوجود ذَلِكَ الجمال والكمال والعظمة فِي واقع الذاتي الأزلي السَّرمدي أعظم مِنْهُ فِي وجوده فِي كمال المخلوق، بَلْ إنَّ أصل ذَلِكَ الكمال هُوَ فِي التقرُّر الواقعي الربوبي، وما يشاهَد فِي المخلوق إنَّما هُوَ فرعه، وهكذا الحال فِي سلسلة ترتُّب المخلوقات فَإنَّ الصوادر الأُولى مِنْهَا واجِدَة لِكُلِّ الكلمات المُتحققِّة والمُتقرِّرة فيما دونها.

وَمِنْ ثَمَّ يتبيَّن أنَّ وجودهم عليهم السلام بلحاظ المراتب العلويّة أصل كُلّ خير وَكُلّ برٍّ، وبذلك يتبيَّن أنَّ كُلّ خيرٍ وَكُلّ برٍّ هُوَ اسمٌ ووصفٌ لهم عليهم السلام لِإنَّهُ آية التجلّي لما هُوَ لديهم مِنْ كمالات بنحو أعلى وأرفع.

وبذلك اتّضح مَعْنَى قوله عليه السلام فِي صدر الرُّواية المُتقدِّمة[1].

وأمَّا أنَّ أعداءهم ـ أيّ أعداء الأئمة عليهم السلام ـ أصل كُلّ شر وسوء وأنَّ كُلّ الشرور فَرْع وفروع لأعدائهم.

فتقريبه: ما وَرَدَ مِنْ خلق الجهل وخلق الظلمة وجنود الجهل كخلق شجرة الزقّوم فِي مقابل خلق شجرة طوبى، ونظير خَلْق الطِّينة مِنْ عليين وما فوقه، وطينة سجّين، ونظير أسماء الجمال الأُولى المُهيمنة الأم المتجلّية فِي طبقات أسماء الجمال اللاحقة فِي منظومة أسماء الجمال فِي

(١) تأويل الآيات الباهرات، علي الحسني الاسترابادي: ص٢١؛ البحار: ج٢٤، ص٣٠٣.

مقابل منظومة أسماء الجلال وطبقاتها وتجلياتها فِي أسماء أُخْرَى.

وبعبارة **أُخْرَى**: فَإِنَّ النفوس الشريرة تُدبر مِنْ قبل نفوس وأرواح كُلّيّة شريرة، وَهِيَ ذَاتَ طبقات تتصاعد إلى طبقة روح شجرة الزقّوم فِي قِبال طبقات أرواح النُّور الَّتِي تتصاعد إلى روح طبقة شجرة طوبى، كَمَا وَرَدَ فِي زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «... **السَّلامُ عَلَى شجرة طوبى وسدرة المُنتهى**»(١).

وما رواه الفضل بن شاذان بإسناده عَنْ أبي عبدالله عليه السلام **أَنَّهُ قَالَ**: «**نَحْنُ أصل كُلّ برٍّ وَمِنْ فروعنا كُلّ بُرٍّ وَمِنْ البرّ التوحيد وَالصَّلاة وَالصِّيَام وكظم الغيظ والعفو عَنْ المُسيء ورحمة الفقير وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله، وعدوِّنا أصل كُلّ شرٍّ وَمِنْ فروعهم كُلّ قبيح وفاحشة فَهُمْ الكذب والنميمة، والبخل، والقطيعة وأكل الرِّبا وأكل مال اليتيم بغير حق ...**»(٢).

وَمِنْ ذَلِكَ يتبيَّن أَنَّ الأمثال الحَسَنَة والخيِّرَة فروع لهم، فَكُلّ مَثَل حَسَنٍ والأمثال الحُسْنى آياتُ وتجلّيات لهم عليهم السلام، كَمَا أَنَّهم هُمْ عليهم السلام الآيات الكبرى لله تَعَالَى، وَهَذَا مِنْ قبيل الطَّبقات فِي منظومة الآيات ومنظومة الأسماء ومنظومة الصِّفات ومنظومة الأمثال، فَالطَّبقات اللاحقة كَمَا تُسْنَد بوجه إليه تَعَالَى مَعَ محو الواسطة فِي الحكاية كَذَلِكَ تُسْنَد إلى

---

(١) بحار الأنوار: للعلّامة المجلسي: ج١٠٠ ص٣٠٦.
(٢) البُرهان فِي تفسير القُرآن: ج١، ص٥٧، ح١١.

الواسطة والوسائط مَعَ ملاحظة وساطة الواسطة، كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[1] وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾[2].

بتقريب:ـ إنَّ الوَصْف تارةً جُعِل للوجه وَأُخْرَى للربِّ، والوجه بمثابة الآية والاسم والصِّفة واللقب فِي كون يُتوجّه به وإليه إلى الله تَعَالَى.

ويستحصل مِنْ هَذِهِ الجهة تقرير قَاعِدَة عظيمة الشَّأن فِي علم التفسير كَمَا أشار إليها أهل البيت عليهم السلام فِي الروايات المُتقدِّمة فِي صدر الجهة.

الجهة الرابعة عشر:

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨﴾[3]:

بتقريب: ـ إنَّ القُرآن الكريم لماذا أسند المعنى إلى المثل وَلَمْ يسنده إلى الأولين ـ وَمَعْنَى مثل الأولين ـ مما يُنبِّه عَلَى أنَّ الأهميَّة فِي العِبْرَة لا فِي شخص الحادثة والأشخاص.

وهكذا قوله تَعَالَى فِي مورد آخر ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[4].

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٧.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٧٨.

(٣) سورة الزُّخرف: الآية ٨.

(٤) سورة الجمعة: الآية ٥.

بتقريب: ـ إنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُسْنِد البأس إلى القوم الَّذِيْنَ كذَّبوا، بَلْ أسندها إلى المَثَل.

وقوله تَعَالَى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّهُ تَعَالَى أسند الإساءة إلى المثل مباشرةً دون القوم.

وقوله تَعَالَى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[2].

بتقريب: ـ إنَّهُ تَعَالَى أسند نفي الاستواء إلى المثل لا إلى عين الأعمى والبصير والأصمّ والسَّميع.

ويُحتمل أنَّ الأصل فِي الكافرين لَيْسَ كينونة أبدانهم، بَلْ كينونة أرواحهم وأظلّتهم، وأنَّ أرواح الكافرين أشرّ مِنْ أبدانهم كَمَا وَرَدَ عَنْهُ صلى الله عليه وآله: «**نيّة المؤمن خيرٌ مِنْ عمله، ونيّة الكافر شرٌّ مِنْ عمله، ونيّة الكافر شرّ مِنْ عمله وَكُلّ عامل يعمل عَلَى نيّته**»[3].

فأبدان الكافرين آية لأرواحهم فالحكم عَلَى الأُمم بلحاظ هويّة أرواحهم فالمضي والسَوْءِ والاستواء العُمْدَة فيه شأن الأرواح وأفعالها لا أحوال الأبدان.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٧.

(٢) سورة هود: الآية ٢٤.

(٣) الوسائل: ج١، كتاب الطهارة أبواب مُقدِّمات العبادات: ب٦، ص٥٠ ح٣.

المثل الأعلى ومثل السوء

الجهة الخامسة عشرة:

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[(١)]:

هُناك عِدَّة آياتٍ ذُكِرَت فيها المثل:

١) كقوله تعالَى: ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[(٢)].

٢) وقوله تعالَى: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[(٣)].

٣) وقوله تعالَى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[(٤)].

---

(١) سورة النحل: الآية ٦٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٧.

(٤) سورة هود: الآية ٢٤.

٤) وقوله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[1].

٥) وقوله تَعَالَى: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾[2].

بتقريب: ـ إنَّ مفاد الآية ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إنَّ فِي عالم السماوات والأرض أمثال عديدة ذَاتَ درجات متفاوتة وأنَّ خصوص المَثَل الأعلى لله تَعَالَى أيّ المُناسب لشأنه تَعَالَى دون المثل العالي فضلاً عَنْ المتوسّط والدّاني.

ثمَّ إنَّ الملاحظ فِي سورة النحل عدم تقييد المثل الاعلى لله بالسماوات والأرض بينما قُيِّد فِي سورة الروم بالسماوات والأرض، وعُلِّل فِي كلا السورتين بـ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وَهُوَ كالبُرهان، وفي هَذَا التعليل بيان لقاعِدة عقليّة وتكوينيّة أنَّ المَثَل حَيْثُ أَنَّهُ بمثابة الآية، إلَّا أَنَّهُ حاكي للأسماء الإلهيّة العُليا فكَما أنَّ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[3] وقوله تَعَالَى ﴿ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[4].

---

(١) سورة الروم: الآية ٢٧.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٥.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

(٤) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

وقوله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[١].

وقوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٢].

وَهَذَا يُعطي ضابطة أنَّ المثل لا يُطلَق عَلَى الأسماء العُليا، بَلْ هُوَ آيةٌ لتجلّي الأسماء، فكُلّ مِنْ المَثَل والاسم وإنْ اشتركا فِي الحكاية إلَّا أنَّ الأسماء العُليا تجلّي فِي الساحة الربوبيّة بخلاف المَثَل فَإِنَّهُ مِنْ الآيات فِي عوالِمِ الخِلْقة، وَهَذِهِ ضابطة فاصلة مُهمّة جدّاً فِي الفرق بين قَاعِدَة المثل وَقَاعِدَة الأسماء الحُسْنَى.

وَمِنْ ثَمَّ قُرِن المَثَل الأعلى لَهُ تَعَالَى بفعل الخلق لَهُ تَعَالَى وبالكينونة فِي السموات والأرض.

ثمَّ إنَّ فِي جملة الآيات المُتقدِّمة أُسند البأس والسوء إلى مَثَل المُكذِّبين كَمَا أنَّ فِي سورة هود ضابطة أنَّ الأمثال لا تتساوى بَعْدَ عدم تساوي أصحاب الأمثال، فأهل السوء مثلهم سيءٌّ وبئيس، وأهل الحُسْنى مَثَلُهم حَسَنٌ.

---

(١) سورة طه: الآية ٨.

(٢) سورة الحشر: الآية ٢٤.

السير في المعرفة لا ينتهي

والرجوع والأوبة إلى الله لا تقف عند حدٍّ

الجهة السادسة عشر: أن الذي لا يعتبر

ولا يعبر بالمثل إلى ما وراء يضِل:

يظهر مِنْ قوله تَعَالَى ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ﴾[1] وَمِنْ قوله تَعَالَى ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[2].

إنَّ الوقوف عَلَى المثل ضلال مِنْ دون عبور مِنْهُ إلى ما وراء وَيَكُون افتتان بالمَثَل بدلاً أنْ يَكُون اهتداء به إلى ما وراءه.

إذَنْ المثل تارة يَكُون فتنة إذَا وقف عَلَيْهِ وجُمِد وعُمِيَ، وَأُخْرَى يَكُون بصيرةً ونوراً إذَا أُبصرَ به، ويستنتج مِنْ ذَلِكَ قَاعِدَة أُخْرَى وَهِيَ: «**إنَّ السير فِي المعرفة لا ينتهي والرجوع فِي المعرفة لا ينتهي والرجوع والأوبة إلى الله لا تقف عِنْدَ حَدٍّ**».

وَهَذِهِ قَاعِدَة مُهمّة فِي مبحث المثل مِنْ أنَّ المثل حَيْثُ أريد مِنْ ضَرْبه وذكره وجعله هُوَ إيصال مَعْنَى وراءه، فَلِكُلِّ تأويل ومآل إنْ

---

(١) سورة المُدّثر: الآية ٣١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦.

أخطأه الإنسان ضَلَّ عَنْ الغاية المقصودة وَعَنْ المَثَل وبدل أنْ يَكُون المثل طريق هداية فسيكون طريق غواية، وَقَدْ بُيِّنَ فِي الآيتين أنَّ التقوى والمُتقين يهتدون به، بخلاف الفاسقين والكافرين وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ نظير قوله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾(١).

فبيَّنت الآية الكريمة شرائط الهداية بالكتاب، وأنَّ الهداية والضلالة ليست مرهونة بالقوّة الفكريّة بقدر ارتهانها بالتّقوى والإيمان.

الجهة السابعة عشر: الثمرة الكبرى لقاعدة المثل:

إنَّ كُلّ ما ذُكِرَ فِي القُرآن الكريم شيءٌ حَسَنٌ هُوَ حَقٌّ وهُدىً فَهُوَ مَثَل لأهل البيت عليهم السلام، وَكُلّ ما ذُكِرَ فيه مِنْ شرٍّ وباطل وزيغ وضلال فَهُوَ مَثَلٌ لأعدائهم، فالتمثيل والمثل والأمثلة يُترامى مِنْ مرتبة أولى إلى أُخْرَى، كَمَا هُوَ الحال فِي نظام الآيات ونظام الأسماء إلى أنْ يتّصل بالآيات الكُبْرى والعُظمى والأسماء العُليا والاسم الأعظم الأعظم الأعظم، ثمَّ تلك الآيات الكبرى والاسم الأعظم بدوره يَكُون أيضاً تجلّي للذات الإلهيّة، وهكذا الحال فِي المَثَل والأَمْثِلةِ، وَهَذَا بمثابة البُرهان العقلي إجمالاً لهذه الثمرة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢ ـ ٥.

روى صاحب تأويل الآيات الظاهرة فِي فضائل العترة الطاهرة[١] ما رواه الشَّيْخ الطّوسي بإسناده إلى الفضل بن شاذان عَنْ داود بن كثير، قَالَ: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أنتم الصَّلاة فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنتم الزَّكاة [وأنتم الصِّيام] وأنتم الحج فَقَالَ: «**يا داود نَحْنُ الصَّلاة فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ الزَّكاة وَنَحْنُ الصِّيام وَنَحْنُ الحجَّ**» وَنَحْنُ الشهر الحرام وَنَحْنُ البلد الحرام وَنَحْنُ كعبة الله وَنَحْنُ قبلة الله وَنَحْنُ وجه الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ**﴾ ، وَنَحْنُ الآيات، وَنَحْنُ البيّنات، وعدوّنا فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ الفحشاء، والمنكر والبغي، والخمر، والمَيْسَرُ والأنصاب، والأزلام والأصنام، والأوثان، والجبت، والطاغوت والميتة والدَّمَ ولحم الخنزير، يا داود إنَّ الله خلقنا فأكرم خَلْقِنا وفَضَّلنا وجَعَلنا أمنائه وحفظته وخزّانه عَلَى ما فِي السماوات وما فِي الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً فَسَمّانا فِي كتابه، وكَنّى عَنْ أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه تكنيّة عَنْ العدوِّ، وتُسمَّى أضدادنا وأعداءنا

---

(١) وَهُوَ السَّيِّد شرف الدِّين علي الحُسيني الاسترابادي الغروي مِنْ عُلَماء النصف الثَّانِي مِنْ القرن العاشر الهجري: ص٢١؛ وكذا رواه البياضي العاملي فِي الصراط المستقيم: ت٨٧٧هج ص٧٥، رواه عَنْ ابن جبر فِي نخبه بإسناده إلى الصادق عليه السلام، ورواه زين الدِّين علي بن يوسف بن جبر مِنْ أعلام القرن السَّابع، ورواه ابن جبر أيضاً فِي نهج الإيمان، قَالَ زين الدِّين علي بن يوسف بن جبر روى جدّي فِي نخبه حديثاً مرفوعاً عَنْ أبي عبدالله عليه السلام ... الخ نهج الإيمان ص٦٥٩، وابن جبر يروي عَنْ ابن شهراشوب بواسطة واحدة وَهُوَ الشَّيْخ ابن الفرج، واسم الجدّ أبو عبدالله الحسين بن جبر يروي كتاب المناقب لآل أبي طالب لابن شهراشوب واختار مِنْهُ المهم مِنْ أحاديثه وسمّاه بنخب المناقب لآل أبي طالب.

فِي كتابه وكنّى عَنْ أسمائهم، وضرب لهم الأمثال فِي كتابه فِي أبغض الأسماء إليه إلى عبادة المُتّقين[(١)].

ويُؤيِّد هَذَا ما رواه أيضاً عَنْ الفضل بن شاذان بإسناده عَنْ أبي عبدالله عليه السلام إنَّهُ قَالَ: «**نَحْنُ أصل كُلّ خير، وَمِنْ فروعنا كُلّ برٍّ، وَمِنْ البرِّ التوحيد، وَالصَّلاة وَالصِّيَام وكظم الغيظ، والعفو عَنْ المُسيء، ورحمة الفقير، وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله، وعدوّنا أصل كُلّ شرٍّ، وَمِنْ فروعهم كُلّ قبيح وفاحشة، فمنهم الكذب، والنميمة، والبخل، والقطيعة، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم بغير حقِّه، وتعدِّي الحدود الَّتِي أمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وركوب الفواحش ما ظهر مِنْهَا وما بطن مِنْ الزِّنا والسِّرقة، وَكُلّ ما وافق ذَلِكَ مِنْ القبيح، وكذب مَنْ قَالَ إنَّهُ معنا وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بفرع غيرنا**»[(٢)].

وروى فِي بصائر الدرجات[(٣)] بسنده عَنْ المفضل بن عمر أَنَّهُ كتب إلى أبي عبدالله عليه السلام فجاء الجواب مِنْهُ بقوله عليه السلام: «**وبَلَغَكَ أَنَّهم يزعمون أنَّ الدِّين إنَّما هُوَ معرفة الرجال ... وذكرتَ أَنَّكَ قَدْ عرفت أنَّ أصل الدِّين معرفة الرجال، وذكرت أَنَّهُ بلغك أَنَّهُ يزعمون الصَّلاة والزَّكاة وصوم شهر رمضان والحجّ والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشهد**

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، للسَّيِّد شرف الدِّين الغروي.

(٢) تأويل الآيات: ص٢٢، لِلْسَّيِّد شرف الدِّين الغروي.

(٣) بصائر الدرجات، للصفّار: ج٢، ب٢١، شرح أُمُور النَّبِيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام فِي أنفسهم: ص٤٩٩، ح١.

الحرام والشهر الحرام هُوَ رَجُل وأَنَّ الطُّهْرَ والاغتسال مِنْ الجنابة هُوَ رَجُلٌ، وَكُلّ فريضة افترضها الله عَلَى عباده هُوَ رَجُلٌ ... وَأَنَّهُ بلغك أَنَّهم يزعمون أَنَّ الفواحش الَّتِي نهى الله عنها الخمر والميسر والزِّنى والرِّياء والدَّم والميتة ولحم الخنزير هُوَ رَجُلٌ ... وأُخْبِرُكَ أَنَّ الله تَعَالَى أحلَّ حلالاً وحَرَّمَ حَراماً فجعل حلاله حلالاً إلى يَوُم القيامة، وجعل حرامه حراماً إلى يَوُم القيامة، فمعرفة الرُّسُل وولايتهم وطاعتهم هُوَ الحلال، فالمحلل ما حَلّلوه والمُحرَّم ما حَرَّموه وَهُمْ أصلُهُ وَمِنْهُم الفروع الحلال وَذَلِكَ سَعْيَهم، وَمِنْ فروعهم أمرُهم شيعتُهم وأهل ولايتهم للحلال مِنْ إقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة وصوم شهر رمضان وحجّ البيت والعُمْرَة وتعظيم حُرُمات الله وشعائره ومشاعِره، وتعظيم البيت الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام، والطهور والاغتسال مِنْ الجنابة ومكارم الأخلاق ومحاسنها وجميع البرّ»، ثُمَّ ذكر بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «فِي كتابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ فَعدوّهم الحرام المحرَّم، وأولياءهم الداخلون فِي أمرهم إلى يَوُم القيامة، فَهُمْ الفواحش ما ظهر مِنْهَا وما بطن، والخمر والميسر والزِّنا، والرِّبا والدم والميتة ولحم الخنزير، فَهُمْ الحرام المحرَّم وأصل كُلّ حرام، وَهُمْ الشرّ وأصل كُلّ شر، ومنهم فروع الشرّ كُلُّهُ، وَمِنْ ذَلِكَ الفروع الحرام واستحلالهم إيّاها، وَمِنْ فروعهم تكذيب الأنبياء وجحود الأوصياء وركوب الفواحش: الزنا

والسرقة وشرب الخمر والمسكر وأكل مال اليتيم وأكل الرِّبا والخدعة والخيانة وركوب الحرام كُلَّهَا وانتهاك المعاصي وَإِنَّما يأمر الله بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي (فالأنبياء وأوصياؤهم العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى يعني مودّة ذي القربى وابتغاء طاعتهم، وينهى عَنْ الفحشاء والمنكر والبغي وَهُمْ أعداء الأنبياء وأوصياء الأنبياء، وَهُمْ المنهي عَنْ مَودَّتهم وطاعتهم، يعظكم بهذه لعلكم تذكرون.

وأخبرك أَنِّي لو قلت لك أَنَّ الفاحشة والخمر والميسر والزِّنا والميتة والدم ولحم الخنزير هُوَ رجل وأنا أعلم أَنَّ الله قَدْ حرَّم هَذَا الأصل وحرَّم فرعه ونهى عَنْهُ، وجعل ولايته كَمَنْ عبد مِنْ دون الله وثناً وشركاء[١] وَمَنْ دعا إلى عبادة نفسه فَهُوَ كفرعون إذْ قَالَ: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٢] فهذا كُلَّهُ على وجه إن شئت قلت هو رجل وهو إلى جهنم ومن شايعه على ذلك فَإِنَّهُم[٣] مثل قول الله ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾[٤][٥] لصدقت ثم لو أني قلت إنه فلان ذلك كله لصدقت إن فلانا هو المعبود المتعدي حدود الله التي نهى عنها أن يتعدى[٦].

---

(١) فِي «ط» والبحار: وشركاً، والمثبت عَنْ «م».
(٢) سورة النازعات: الآية ٢٤.
(٣) فِي «ط» فافهم، والمثبت عَنْ «م» والبحار.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٣.
(٥) فِي «ط» هُنَا زيادة: «و».
(٦) فِي «ط» والبحار: يتعدّى، والمثبت عَنْ «م».

ثم إني أخبرك أن الدين وأصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمام أمته وأهل زمانه فمن عرفه عرف الله ودينه ومن أنكره أنكر الله ودينه[١] ومن جهله جهل الله ودينه «**ولا يعرف الله ودينه**»[٢] وحدوده وشرائعه بغير ذلك الإمام كذلك جرى بأن معرفة الرجال دين الله.

والمعرفة على وجهين[٣] معرفة ثابتة على بصيرة يعرف بها دين الله ويوصل بها إلى معرفة الله فهذه المعرفة الباطنة الثابتة بعينها الموجبة حقها المستوجب أهلها عليها الشكر لله التي من عليهم بها من من الله يمن به على من يشاء مع المعرفة الظاهرة ومعرفة في الظاهر فأهل المعرفة في الظاهر الذين علموا أمرنا بالحق على غير علم لا تلحق[٤] بأهل المعرفة في الباطن على بصيرتهم ولا يصلوا[٥] بتلك المعرفة المقصرة إلى حق معرفة الله كما قال في كتابه ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾[٦] ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٧] فمن شهد شهادة الحق لا يعقد عليه

---

(١) أضفناه مِنْ «م» والبحار.
(٢) أضفناه مِنْ «م».
(٣) فِي «ط»: وجهه، والمثبت عَنْ «م» والبحار.
(٤) فِي «ط»: الظاهرة، والمثبت عَنْ «م» والبحار.
(٥) فِي «ط» و «م»: يلحق، والمثبت عَنْ البحار.
(٦) فِي «ط»: ولا يضلّوا، وفي البحار: ولا يصلون، والمثبت عَنْ «م».
(٧) ليست فِي «م» والبحار.

قلبه ولا يبصر ما يتكلَّم[١] به لا يثاب عليه مثل ثواب من عقد عليه قلبه على بصيرة فيه كذلك من تكلم بجورٍ[٢] لا يعقد عليه قلبه لا يعاقب عليه عقوبة من عقد عليه قلبه وثبت على بصيرة.

فقد عرفت[٣] كيف كان حال رجال أهل المعرفة فِي الظاهر، [illegible] إلى نبيّ الله وبعده إلى من صاروا[٤] و[٥] إلى من انتهت إليه معرفتهم وإنما عرفوا بمعرفة أعمالهم ودينهم الذي دان الله به المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وَقَدْ يُقَال إِنَّهُ من دخل في هذا الأمر بغير يقين ولا بصيرة خرج منه كما دخل فيه رزقنا الله وإياك معرفة ثابتة على بصيرة.

وأُخبرك أنَّي لو قلت إن الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والطهور [illegible] من[٦] عند ربه لصدقت لِأنَّ[٧] ذلك كله إنما يعرف بالنبي، ولو لا معرفة ذلك النبي والإيمان به والتسليم له ما عُرِف ذلك فذلك مَنٌّ مِنْ الله على

---

(١) ما بين القوسين ليست فِي «م».

(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٦.

(٣) فِي البحار: يتكلّم.

(٤) أضفنا ما ما بين القوسين مِنْ «م» والبحار.

(٥) أضفناه مِنْ «م» والبحار.

(٦) فِي «م»: عرف.

(٧) فِي «ط»: صار، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

مَنْ يمنّ[1] عَلَيْهِ، ولو لا ذلك لم يُعرف شيئاً من هَذَا، فهذا كله ذلك النبي وأصله، وهو فرعه، وهو دعاني إليه، ودلّني عَلَيْهِ، وعرّفنيه، وأمرني [illegible]

(جهل من هُوَ) فيما بيني وبين الله؟ وكيف يستقيم[2] لي لو لا أنّي أصف أن ديني هو الذي أتاني به ذلك النَّبِيّ أن أصف أن الدين غيره؟ وكيف لا [illegible] ذاك [illegible] إنما هو الذي جاء به عن الله [illegible] أنكر الدين[3] من [illegible] ﴿[illegible]﴾[4] ثم قالوا: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[5] [illegible] بذلك الرجل وكذّبوا به وقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾[6] [illegible] ﴿[illegible] ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾[7] ثم قال في آية أُخْرَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[8] (إنّ الله تبَارَكَ وَتَعَالَى)[9] إنّما أحبّ أنْ يُعرف بالرجال وأنء يطاع بطاعتهم فجعلهم سبيله ووجهه الذي يؤتى مِنْه ولا يقل الله مِنْ العباد غَيْر ذَلِكَ

---

(١) أضفناه مِنْ «م».

(٢) أضفناه مِنْ «م» والبحار.

(٣) فِي «ط» أنّ، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

(٤) فِي «م»: مَنْ سورة الإسراء: الآية ٩٤.

(٥) فِي «ط» بدل ما فِي القوسين: جهله وَمِنْ هُوَ، والمثبت عَنْ «م» والبحار. سورة التغابن: الآية ٦.

(٦) فِي «ط»: تستقيم، والمثبت عَنْ «م» والبحار. سورة الأنعام: الآية ٨.

(٧) أضفنا مِنْ (م) والبحار.

(٨) سورة الأنعام: الآية ٨ و ٩.

(٩) فِي (م) بدل ما فِي القوسين: تبَارَكَ الله وَتَعَالَى.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾[١] فَقَالَ فيمن[٢] أوجب مِنْ محبّته لذلك: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾[٣].

فَـمَنْ قَالَ لك أنَّ هَذِهِ الفريضة كُلَّهَا إنَّما هِيَ رجل وَهُوَ يعرف حدّ ما يتكلّم به فَقَدْ صدق، وَمَنْ قَالَ عَلَى الصّفة الَّتِي ذكرت بغير الطاعة فلا يغني[٤] التمسُّك فِي الأصل بترك الفروع، كَما لا تغني شهادة[٥] أنَّ لا إله إلَّا بترك شهادة أنَّ مُحمَّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وَلَمْ يبعث الله نبيّاً قطّ إلَّا بالبرِّ والعدل والمكارم ومحاسن الأعمال والنهي عَنْ الفواحش ما ظهر مِنْهَا وما بطن؛ فالباطن مِنْهُ ولاية أهل الباطن، والظاهر مِنْهُ فروعهم وَلَمْ يبعث الله نبيّاً قطّ يدعو إلى معرفة لَيْسَ معها طاعة فِي أمرٍ ونهي، فَإنَّما يقبل الله مِنْ العباد العمل بالفرائض الَّتِي افترضها الله عَلَى حدودها مَعَ معرفة مِنْ جاءهم به مِنْ عنده ودعاهم إليه، فأوّل مِنْ ذَلِكَ معرفة مِنْ دعا إليه ثمَّ طاعته فيما (يقرّبه بمنء الطاعة لَهُ)، وَأَنَّهُ مَنْ عرف أطاع، وَمَنْ أطاع حرّم الحرام ظاهره وباطنه، ولا يَكُون تحريم الباطن واستحلال الظاهر، إنَّما حرَّم الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر معاً جميعاً،

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٢) فِي (م) والبحار: ت فيما

(٣) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٤) فِي (ط) لا يعني، وفي (م) لا يغني والمثبت عَنْ البحار.

(٥) فِي (م) لا يُغنى بشهادة بدل (لا تغني شهادة).

ولا يَكُون الأصل والفروع وباطن الحرام حرام وظاهره حلال، لا يحرّم الباطن ويستحل الظاهر.

كَذَلِكَ لا يستقيم أنْ يعرف صلاة الباطن ولا يعرف صلاة الظاهر، ولا الزَّكاة ولا الصَّوم ولا الحجّ ولا العمرة ولا المسجد الحرام وجميع حرمات الله وشعائره (وأنىء تُترك لمعرفة الباطن) لِأنَّ بطنه ظهر، ولا يستقيم أنْ تُتْرك واحدة مها إذَا كَانَ الباطن حراماً خبثاً، فالظاهر مِنْهُ إنَّما يشبه الباطن بالظاهر.

وروى الصفّار فِي بصائر الدرجات عَنْ علي بن إبراهيم بن هاشم عَنْ القاسم بن الربيع الورّاق، أَنَّهُ كتب المفضّل إلى أبي عبدالله عليه السلام يسأله عَنْ قوم يعرفهم الإمام عليه السلام وَكَانَ يعجب المفضّل نحوهم وشأنهم، وأنَّ المفضّل أبلغ عنهم أموراً تروى عنهم كرهها المفضّل لهم. مَعَ أم المفضل لَمْ ير بهم إلَّا هدياً حسناً وورعاً وتخشّعاً.

والظاهر أنَّ مُراد المفضّل مِنْ هؤلاء القوم هُوَ ابن أبي زينب المقلاص وخاصّته لا جميع مِنْ انتسب إلى الخطّابية.

فبدأ عليه السلام بجواب المفضّل عَنْ أسئلته ويُفسِّر لَهُ ما التبس علهي مِنْ أمر هَذِهِ الجماعة ومقالاتهم، مَعَ أنَّ مقالاتهم فِي بدو النظر ينطبع مِنْهَا فِي الأذهان غَيْر حدودها الحقيقية، أيّ ينطبع مِنْهَا الغو والإفراط مِنْ التأليه ونحوه واستحلال المُحرّمات والتهتك للدّين مَعَ أنَّ حقائقها هِيَ عَلَى

غَيْر هَذَا الوجه.

الطعون الواردة عليهِم مما أثار إعجاب المفضل:

فَقَالَ عليه السلام: «كتبت تذكر أَنَّ قوماً أنا أعرفهم كَانَ أعجبك نحوهم وشأنهم وَأَنَّكَ أبلغت عنهم أموراً تروى عنهم كرهتها لهم، وَلَمْ تر بهم إِلَّا طريقاً هدياً حسناًوورعاً وتخشّعاً، وبلغك أنهم يزعمون أَنَّ الدِّين إِنَّما هُوَ معرفة الرجال ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا عرفتهم فاعمل ماشئت، وذكرت أَنَّكَ قَدْ عرفت أَنَّ أصل الدِّين معرفة الرجال فوفّقك الله، وذكرت أنهم يزعمون أَنَّ الصَّلاة والزَّكاة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام هُمْ رجال (هُوَ رجل)[1]، و ان الطُّهر والاغتسال مِنْ الجنابة هُوَ رجل، وَكُلّ فريضة افترض الله عَلَى عباده هُوَ رجل، وأنهم ذكروا ذَلِكَ بزعمهم أَنَّ مَنْ عرف ذَلِكَ الرجل فَقَدْ اكتفى بعلمه به مِنْ غَيْر عمل وَقَدْ صلّى وآتى الزَّكاة وصام وحجّ واعتمر واغتسل مِنْ الجنابة وتطهّر وعظّم حرمات الله والشهر الحرام والمسجد الحرام، وأنهم ذكروا أَنَّ مَنْ عرف هَذَا بعينه وبحدّه وثبت فِي قلبه جاز لَهُ أَنْ يتهاون، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يجتهد فِي العمل. وزعموا أنهم إِذَا عرفوا ذَلِكَ الرجل فَقَدْ قبلت منهم هَذِهِ الحدود لوقتها وإِنْ لَمْ يعملوا بها.

وَأَنَّهُ بلغك أنهم يزعمون الفواحش الَّتِي نهى الله عنها الخمر والميسر والرِّبا والدم والميتة ولحم الخنزير هُوَ رجل (هُمْ رجال)، وذكروا

---

(١) فِي مختصر البصائر.

أنَّ ما حرَّم الله مِنْ نكاح الأمهات والبنات والعمّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت وما حرَّم عَلَى المؤمنين مِنْ النساء ممّا حرَّم الله إنَّما عنى بذلك نكاح نساء النَّبيّ صلى الله عليه وآله وما سوى ذَلِكَ مباح كُلَّهُ، وذكرت أنَّه بلغك أنهم يترادفون عَلَى المرأة الواحدة، ويشهدون بعضهم لبعض بالزور، ويزعمون أنَّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه فالظاهر ما يتناهون عَنْهُ ياخذون به مدافعة عنهم والباطن هُوَ الذي يطلبون وبه أمروا بزعمهم، وكتبت تذكر الذي عظم ذَلِكَ عليك، وكتبت تسألني عَنْ قولهم فِي ذَلِكَ أهو حلال أو حرام، وكتبت تسالني عَنْ تفسير ذَلِكَ وأنا أبيِّنه حَتّى لا تكون مِنْ ذَلِكَ فِي عمى ولا فِي شبهة.

تمييز الإمام بين الحق مِن كلامهم

والباطل وبيان أساس الانحراف:

ثمَّ أضاف عليه السلام: «وقدكتبت إليك فِي كتابي هَذَا تفسير ما سألت عَنْهُ فاحفظه كُلَّهُ كَمَا قَالَ الله فِي كتابه: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[1] وأصفه لك بحلاله وأنفي عنك حرامه، كَمَا وصفت ومعرّفك متى تعرفه إنْ شاء الله فلا تنكره إنْ شاء الله ولا قوة إلّا بالله والقوة لله جميعاً.

أخبرك أنَّهُ مَنْ كَانَ يدين بهذه الصِّفة الَّتِي كتبت تسألني عنها فَهُوَ عِنْدي مشرك بالله بيِّن الشكر لا شكَّ فيه، وأخبرك أنَّ هَذَا القول كَانَ مِنْ قوم

---

(١) سورة الحاقّة: الآية ١٢.

سمعوه ما لَمْ يعقلوه عَنْ أهله وَلَمْ يعطوا فَهُمْ ذَلِكَ وَلَمْ يعرفوا حدّ ما سمعوا فوضعوا حدود تلك الأشياء مقايسة برأيهم ومنتهى عقولهم، وَلَمْ يضعوها عَلَى حدود ما أمروا كذباً وافتراءاً عَلَى الله ورسوله وجرأةً عَلَى المعاصي، وكفى بِهَذَا لهم جهلاً. ولو أنهم وضعوها عَلَى حدودها الَّتِي حُدِّت لهم وقبلوها لَمْ يكن به بأس، ولكنَّهم حرَّفوها وتعدّوا [تعدّوا الحقّ][1] وكذّبوا وتهاونوا بأمر الله وطاعته، ولكنّي أخبرك أنَّ الله حدّها بحدودها لئلّا يتعدّى حدوده أحد. ولو كَانَ الأمر كَمَا ذكروا لعذر الناس بجهلهم ما لَمْ يعرفوا حدّ ما حدّ لهم، ولكان المقصِّر والمُتعدّي حدود الله معذوراً ولكن جعلها حدوداً محدودة لا يتعدّاها إلّا مشرك كافر، ثمَّ قَالَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾[2].

أَقُوْل: فبيَّنَعليه السلام أنَّ القول فِي أصله حقّ وأنَّهم قَدْ سمعوه مِنْ مصدر الحقّ فقولهعليه السلام: «**أصفه لك بحلاله**» أيّ بمعناه الصحيح والذي لا ينافي صفات المخلوق وشؤونه ولا حدود التشريع كَمَا أنَّ قوله: «**أنفي عنك حرامه**» أيّ تبيانهعليه السلام للمعنى الخاطئ لهذه الصِّفات والشؤون، كَمَا أنَّ قولهعليه السلام: «**ومعرّفك فلا تنكره**» أيّ أنَّ أصول ما يرويه هؤلاء هِيَ حقائق مرويّة عنهمعليهم السلام مِنْ أسرار المعارف ولكن أنكرها جمهور النَّاس لعدم وعيهم وعمق بصيرتهم بحقائق تأويل هَذِهِ المعاني؛ إلّا أنَّ

---

(١) فِي مختصر البصائر.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

الانحراف ناشيئ مِنْ سببين أو عَلَى نمطين:

الأوَّل: الفهم الخاطئ لدى عامَّة المُخالفين مِنْ ممارسات وسلوك جملة ممّن أخذ وعمل بهذه الأقوال.

وهذان النمطان هُمَا اللذان مرَّت الإشارة إلى وقوعهما بسبب إذاعة ونشر وإعلان رواة أسرار المعارف لهذه المرويّات، فَإِنَّ معانيها الثقيلة أو قَواعِد تشريعها ممّا تنفر مِنْهَا العقول والإفهام لغموضها وإبهامها عَلَيْهَا، هَذَا بلحاظ أُمُور المعارف الاعتقاديّة، أو تنفر الطِّباع المجبولة عَلَى الأعراف المعتادة لغرابة تلك التشريعات وغموض تخريج وجهها الشَّرعي لديها فتستوحش مِنْهَا وتستنكرها.

ثمَّ بيَّنعليه السلام نماذج عديدة لهذين النمطين، وأنَّ الإذاعة لمثل هَذِهِ المعارف وَالأُمُور وكشف تلك الأسرار العلمية وإفشائها ينجرّ إلى نشوء هَذِهِ الانحرافات، وَمِنْ ثمَّ يستحقّ المذيع والكاشف لها اللعن والبراءة وتكذيبه فيما تسبّب مِنْ إيصال مَعْنَى خاطئ منحرف فِي أذهان العوام وعامّة المخالفين، حَيْثُ ينجم مِنْ ذَلِكَ شيوع وانتشار تيّار ينتهج التحريف و التعدّي عَنْ الحدود الإلهيّة يتخيّل أنَّها حقائق الدِّين الخفيّة.

وَقَدْ عدّد المفضّل جملة مِنْ الأُمُور الملتبسة الَّتِي رآها فِي تيّار بَعْض الجماعات الَّتِي تنتمي إلى بَعْض رواة أسرار المعارف وَهِيَ جملة أُمُور:

* زعمهم أنَّ الدِّين إنَّما هُوَ معرفة الرجال وَأَنَّهُ إذَا عرفتهم فاعمل

ما شئت.

* أنهم يزعمون أنَّ الصَّلاة والزَّكاة وصوم شهر رمضان والحجّ والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام هُمْ رجال، وأنَّ الطهر والاغتسال عَنْ الجنابة هُوَ رجل، وكذا كُلّ فريضة افترض الله عَلَى عباده هُوَ رجل، وأنَّ مَنْ عرفهم فَقَدْ اكتفى بعلمه مِنْ غَيْر عمل أيّ إذَا عرفه بعينه وحدّه وثبت لَهُ فِي قلبه جاز لَهُ أنْ يتهاون.

وزعموا أنَّ الفواحش الَّتِي نهى الله عنها هُمْ رجال.

* وزعموا ما حرَّم الله مِنْ نكاح الأُمّهات والبنات والعمّات وغيرها مِنْ أصناف النساء إنَّما عنى بذلك نكاح نساء الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وما سوى ذَلِكَ مباح كُلَّهُ.

* أنَّهم يتردافون المرأة والواحدة.

* ويشهد بعضهم لبعض بالزور.

* يزعمون أنَّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه، فالظاهر يتناهون عَنْهُ ليدفعوا عَنْ أنفسهم طعن الآخرين والباطن هُوَ الذي يطالبون ويأمرون به.

ثمَّ أنَّهُ أردف المفضّل أنَّ هؤلاء رغم ما بلغه عنهم مِنْ هَذِهِ الامور فَإنَّهُ لَمْ ير بهم إلَّا طريقاً هدياً حسناً وورعاً وتخشّعاً، وَهَذَا الذي زاد فِي استغرابه وتعجّبه فِي شأنهم. ورغم كُلّ هَذَا الاستعجاب والاستنكار وتعاظمه عَلَيْهِ طلب مِنْ الإمام عليه السلام تفسير ذَلِكَ لَهُ، وَهُوَ عليه السلام لَمْ يرفض

وجود تفسير لذلك، رغم أنَّهم خلطوا معاني محرّفة مَعَ ما سمعوه مِنْ حقائق غامضة.

ثمَّ أخذﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ فِي توضيح واحد واحد مِنْ هَذِهِ الأُمُور.

نسبة القول بكفاية العقيدة

عن العمل إليهم وتفسير الإمام عليه السلام لها:

أمَّا المحور الأوَّل والثاني: فَقَالَﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ: «**فأخبرك بحقائقها إنَّ الله تبَارَكَ وَتَعَالَى اختار الإسلام لنفسه ديناً ورضي مِنْ خلقه ...**

وَقَدْ بسط الإمام الكلام فِي هذين المحورين مما يقرب مِنْ خمس صفحات.

ونلخِّص ما قالهﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ فِي تفسير هَذِهِ الأُمُور حَيْثُ إنَّهُﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ بسط البيان فِي ذَلِكَ لئلّا يقع الالتباس فِي دقائق هَذِهِ المعاني وغوامض هَذِهِ المعارف وملخّصه:

أنَّ الله تبَارَكَ وَتَعَالَى اختار الإسلام لنفسه ديناً ورضيه مِنْ خلقه، فَلَمْ يقبل مِنْ أحد إلَّا به، وبه بعث أنبياءه ورسله ونبيّه مُحَمَّدﺻﻠﻰﺍﻟﻠﻪﻋﻠﻴﻪﻭﺁﻟﻪ فأصل الدِّين [فأفضل الدِّين] معرفة الرسل وولايتهم وطاعتهم، وَهِيَ أصل الحلال الذي أحلَّه الله وفروع الحلال ما أحلّوه والمحرَّم ما حرّموه، فأمروا شيعتهم وأهل ولايتهم بإقامة الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة وصوم شهر رمضان وحجّ البيت

والعمرة وتعظيم حرمات الله والمشاعر والبيت الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام والطهور ومكارم الأخلاق ومحاسنها وجميع البرّ.

وعدوَّهم أصل الحرام المحرَّم والشرّ وأصل كُلّ شرّ، وَمِنْ عدوَّهم تفرّع فروع الشرّ والحرام كُلَّهُ، حَيْثُ استحلّوا كُلّ حرام مِنْ تكذيب الأنبياء وجحود الأوصياء وركوب الفواحش الزِّنا والسَّرقة وشرب الخمر والمسكر وأكل مال اليتيم والرِّبا والخِدعة وركوب الحرام كُلَّهَا وانتهاك المعاصي، فشيوع كُلّ هَذِهِ المحرّمات كأعراف وسنن سيئة فِي الأُمم والقرون سببها وأصلها رجال بثّوها وجذّروها فِي عادات النّاس، فَهُمْ أصل كُلّ حرام وولايتهم كعبادة وثن، فإنَّهم مجمع الرذائل ومنهم انتشرت فِي النَّاس، كالعدوى الَّتِي تصيب الأصحّاء ممّا هُوَ أصل المرض فَهُمْ منبع ومجسّمة كُلّ الرذائل والمحرّمات.

وفي الطرف المقابل الأنبياء والرُّسل والأوصياء هُمْ منبع الفضائل ومجسّمة الفضل، وَمِنْ روائحهم الطّيِّبة انتشر عبق الطيب فِي باقي النَّاس، فَهُمْ أصل الدِّين واليقين والإيمان، وَهُوَ الإمام المنصوب مِنْ الله للهدى، فَمَنْ عرفه عرف الله ودينه وَمَنْ أنكره أنكر الله ودينه وَمِنْ جهله جهل الله ودينه، ولا يعرف الله ودينه وحدوده وشرائعه بغيره. فَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ معرفة الرجال دين الله. فَكُلّ عبادة وعمل صالح يعرف بالنبي ولولا معرفته والإيمان به والتسليم لَهُ ما عُرِف ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَمْ يعرف شيئاً مِنْ هَذَا، وَهُوَ الذي دعا إلى كُلّ ذَلِكَ ودلَّ عَلَيْهِ، وعرّف البشر

وأمرهم به فأوجب الله للنبي عَلَى العباد الطاعة فلا يسعهم جهل مِنْ هُوَ فيما بينهم وبين الله، وَهُوَ الذي أتاهم بالدِّين. فكيف يَكُون الدِّين غيره؟ وكيف لا يَكُون الدِّين معرفة ذَلِكَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله؟ وَإنَّما ينكر الدِّين بإنكار ذَلِكَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله والتكذيب به، فعُرف الله تَبارَكَ وَتَعالَى بأنبيائه ورسوله وأوصيائهم وأطيع بطاعتهم وَهُمْ السبيل إليه والوجه الذي مِنْهُ يُؤتى إليه تَعَالَى كَما قَالَ تَعالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ۝٨٠﴾[1].

فالفرائض كُلَّهَا فريضة واحدة وَهِيَ طاعة هَذَا الرجل ومعرفته، فلا تغني شهادة أنْ لا إله إلَّا الله بترك شهادة أنَّ محمداً رسول الله، ولا يقبل الله مِنْ العباد العمل بالفرائض عَلَى حدودها إلَّا مَعَ معرفة مَنْ جاءهم به مِنْ عندهم ودعاهم إليه.

وَلَمْ يبعث الله نبياً قط يدعو إلى معرفة لَيْسَ معها طاعة فِي أمر ونهي، أمر بالبرّ والعدل والمكارم ومحاسن الأخلاق والأعمال، ونهي عَنْ الفحشاء ما ظهر مِنْهَا وما بطن.

وبيان هَذَا المقطع الأخير مِنْ كلامه أَنَّهُ إنَّما يقبل الله تَعَالَى بَقيَّة الطاعات مِنْ الصَّلاة وَالصَّوم والزَّكاة والحجّ والبرّ إذَا كَانَ طاعة لله تَعَالَى، ولا تكون طاعة لله إلَّا بامتثال أوامره المتعلّقة بذلك الفعل، بأنْ

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٠.

يَكُون إتيان الفعل خضوعاً وانقياداً لتلك الأوامر المتعلّقة بذلك الفعل وأوامره إنَّما وصلت إلينا عبر رسولهﷺ، فلا يمكن إطاعتها إلَّا بإطاعة رسوله. كَمَا أنَّ بنود طاعته تَعَالَى قَدْ فصَّلها فِي كتابه بأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم أيّ ضمن ثلاث فصول فلا تتمّ طاعته تَعَالَى إلَّا بطاعة رسوله وطاعة أُولي الأمر مِنْ أوصيائه مِنْ أهل بيته، مَعَ ما تَقَدَّمَ مِنْ أنَّ أوامر الله الَّتِي هِيَ عبارة عَنْ الفرائض فِي قبال سنن الْنَّبِيّ ومنهاج أوصيائه تلك الفرائض لَمْ تصل إلينا إلَّا عبر نبيّهﷺ.

فلا تتحقّق طاعة الله إلَّا بطاعة رسوله، لِإنَّهُ المؤدّي عَنْ الله فرائضه وأوامره، فَكُلّ أبواب العبادات والبرّ والإحسان هِيَ فِي المرتبة الأُولى طاعة لله ولرسوله، وفي المرتبة الثَّانية هِيَ إتيان للصَّلاة وَالصَّوم والحجّ والزَّكاة وَبقيَّة الفرائض والبرّ.

فَهَذِهِ الأعمال مِنْ حَيْثُ الصُّورة لها هَذِهِ الأسماء، وَمِنْ حَيْثُ اللُّبّ فَهِيَ طاعة لله ورسوله ولأولي الأمر مِنْ أوصيائه، فَهُنَاك صلاة ظاهرة وَهُنَاك لُبّ للصَّلاة وَهِيَ الطاعة، كَمَا ذكر ذَلِكَ الفُقهاء أنَّ روح العبادة النيَّة والنيَّة ليست إلَّا قصد إتيان الصَّلاة والزَّكاة وَالصَّوم والحجّ امتثالاً وطاعة لأمر الله وأمر رسوله وأمر أُولي الأمر، لِأنَّ تلك الأعمال عبارة عَنْ مجموعة مِنْ الفرائض وسنن الْنَّبِيّﷺ وسنن أوصيائهعليهم السلام فلا يمكن تحقّق عباديّة تلك العبادات إلَّا بقصد امتثال وطاعة أمر الله وأمر رسولهﷺ وأمر أوصيائهعليهم السلام. كَمَا لا يمكن طاعة الله ورسوله وأُولي

الأمر مِنْ أوصيائه إلَّا بإتيان الصَّلاة الظاهرة وَالصَّوم والحجّ والعمرة والزَّكاة، والاجتناب عَنْ جميع حُرمات الله، فـمَنْ زعم أَنَّهُ إذَا عرف الله ورسوله وأُولي الأمر مِنْ قبله اكتفى بغير طاعة فَقَدْ كذب وأشرك وَلَمْ يعرف وَلَمْ يطع.

وَإنَّما قِيلَ: اعرف واعمل ما شئت مِنْ الخير فَإنَّهُ لا يقبل عمل بغير معرفة، فإذا عرفت فاعمل لنفسك ما شئت مِنْ العمل قَلَّ أو كَثُر فَإنَّهُ مقبول. فـمَنْ صلّى وزكّى وحجّ واعتمر وفعل ذَلِكَ كُلَّهُ بغير معرفة مَنْ افترض الله عَلَيْهِ طاعته، لَمْ يُصَلِّ وَلَمْ يصم وَلَمْ يزكّ وَلَمْ يحجّ وَلَمْ يعتمر وَلَمْ يغتسل من الجنابة وَلَمْ يتطهّر وَلَمْ يُحرِّم لله حراماً وَلَمْ يحلّل لله حلالاً وإنْ ركع أو سجد وأخرج ماله، وَذَلِكَ لِإنَّهُ لَمْ يأتِ بما هُوَ العماد لذوات تلك العبادات وَهُوَ الطاعة لله ولرسوله ولأُولي الأمر مِنْ أوليائه.

وروى الصفّار بسنده عَنْ حفص المؤذّن، قَالَ: كتب أبو عبدالله عليه السلام إلى أبي الخطّاب: «**بلغني أَنَّكَ تزعم ان الخمر (الخمس) رجل، وأنَّ الزِّنا رَجُل، وأنَّ الصَّلاة رجلٌ، وأنَّ الصَّوم رَجلٌ وَلَيْسَ كَما تقول، نَحْنُ أصل الخير، وفروعه طاعة الله، وعدوِّنا أصل الشرّ وفروعه معصية الله، ثمَّ كتب كيف يُطاع مَنْ لا يُعْرَف؟ وكيف يُعْرَف مَنْ يُطاع**»[1].

يُستفاد مِنْ هَذِهِ الرِّواية وما قبلها قَاعِدَة مهيمنة عَلَى قَاعِدَة المثل

(١) بصائر الدرجات، للصفّار: ج٢، ص٥١٦، ح٢، ب٢١ فيه شرح أُمُور النَّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة فِي أنفسهم.

وبقيّة قَواعِد التفسير ألا وَهِيَ قَاعِدَة «**إنَّ الأئمةعليهم السلام حقائق الطاعات وأعداءهم حقائق المعاصي والفواحش**» يلاحظ أنَّ أصل بدء انتشار هَذِهِ القَاعِدَة قَدْ كَانَ مِنْ أبي الخطّاب، حَيْثُ أَنَّهُ قَدْ قام برواية ذَلِكَ عَنْ الإمام الصادقعليه السلام وَلَمْ تكن هَذِهِ الرُّواية قَدْ برزت إلى أحد مِنْ الرواة.

وأنَّ أبا الخطّاب وإنْ أساء فهمها وأخطأ فِي تأويلها إلَّا أَنَّهُ هُوَ الذي تصدَّر روايتها عَنْهُعليه السلام وَمِنْ ثَمَّ قام بَقيَّة الرواة بالمسائلة والاستفسار عَنْ ذَلِكَ، وَقَدْ جمع المجلسي فِي البحار[١] في هذا الباب سبعة عشر رواية[٢].

ومفاد هَذِهِ الرُّواية فِي صدد دفع توهّم أبي الخطّاب مِنْ أنَّ معالم الشرّ والفواحش إذَا كَانَت مثلاً لأئمة الشرِّ فيتوهّم أنَّ الظاهر غَيْر مُراد وَإنَّما المُرَاد هُوَ التأويل فَقَطْ المُمَثل لَهُ، وَهَذَا التوهّم باطل فِي ميزان تفسير الكلام وتفسير آيات الكتاب، فَإنَّ كون الظاهر مثلاً لما وراءه لا يعني عدم تعلّق الإرادة الجدّية بالظاهر وبالمَثَل، بَلْ إنَّما الإرادة الجدّيّة طبقاتٌ يَعْقِب بعضها بعضاً، ويتلو كُلّ مِنْهَا الآخر، وَهَذِهِ ضابطة بالغة الخطورة فِي توضيح قَاعِدَة المثل، فَإنَّ ما ذكرناه مِنْ هَذِهِ القَاعِدَة بجهاتها العديدة لا يعني بحال مِنْ الأحوال أنَّ المَثَل لَيْسَ بمراد جدّاً ظاهرُه وتنزيلُه، بَلْ هُوَ مُراد جدّاً وحقيقة، إلَّا أنَّ مراتب الحقيقة والإرادة الجدّيّة ذَاتَ

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٤، ٢٨٦ ـ ٣٠٤.

(٢) بحوث فِي مباني علم الرِّجال للشيخ السَّند: ج٣، ص٢٢٢، الغلو والفرق الباطنيّة.

طبقات، وَهَذَا ميزان فِي قَاعِدِة المثل بالغ الأهميّة.

كَمَا هُوَ الحال فِي قَاعِدِة الجري، فَإِنَّ جَرْي الآية مِنْ موردِ نزولها وتنزيلها إلى موارد أُخْرَى لا يعني أَنَّ مورد النزول والتنزيل لَيْسَ مُراداً جدّاً، بَلْ غايته جَرْي الآية والمعنى إلى موارد أُخر، وربما تكون الموارد الأُخر مرادة بنحو أهم وأبلغ خطورة إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لا يعني عدم إرادة مورد التنزيل الأقل أهميّة.

ونظير الرُّواية السابقة فِي دفع هَذَا التوهّم ما رواه فِي بصائر الدرجات أيضاً فِي الصحيح عَنْ داود بن فرقد، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السلام: **«لا تقولوا لِكُلِّ آية هَذِهِ رَجُلٌ وَهَذِهِ رجل، مِنْ القُرآن حلال، وَمِنْهُ حرام، وَمِنْهُ نبأ ما قبلكم، وحكم ما بينكم وخير ما بعدكم فهكذا هو»**[١].

ومفاد هذه الصحيحة عين ما تقدم فإنه وَقع الوَهْمُ بأنه إذا أريد من الآيات أئمة الهُدَى أو أئمة الشرِّ، أو أئمة الكفر والضلال، فإنه يُتوهّم عدم إرادة الظاهر من أحكام الحلال والحرام، ومن قصص ما مضى من الأمم ونبأ ما يأتي من الأُمم، وحكمُ فَصْلِ اختلاف الراهن الحاضر في الأمة، ومن ثم أَكَّدَ في رواية المُفَضَّل المتقدِّمة، على أن الدين ظاهر وباطنٌ فلا باطن بلا ظاهر ولا ظاهر بلا باطن، أي كلّاً منهما مُرادٌ في موطنه ومحلّه، وهذه قاعدة عظيمة كميزان مُهيمن على قواعد التفسير

---

(١) بصائر الدرجات: ج٢، ص٥١٦، ح٣/ ١٨٩٤.

وهو مفاد ما رواه في بصائر الدرجات عن الهيثم التميمي، قال: ـ قال أبو عبدالله عليه السلام: «**يا هيثم التميمي إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن، فلم ينفعهم شيءٌ وجاء قومٌ من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً ولا إيمان بظاهر إلا بباطن ولا بباطن إلا بظاهر**»(١).

فتحصل من جميع الروايات السّابقة ما يلي:

أوّلاً: إنَّ هَذِهِ الروايات بَعْدَمَا تقدّمت مِنْ عِدَّة جهات مِنْ ضَرْب الأمثال الحسنة لأهل البيت عليهم السلام فِي القُرآن والسيئة لأعدائهم، تشير الروايات إلى قَاعِدة فِي المثل يجعل مِنْ قَاعِدة المَثَل فِي القُرآن مقاربة لقاعِدة الجري بأنْ يَكُون كُلّ ما ذُكِر مِنْ معالم الدِّين وما هُوَ حَسَنٌ مَثَلٌ ضربه الله لأهل البيت عليهم السلام، وَكُلّ ما هُوَ مِنْ المحرمات والفواحش وعناوين السُّوء فَهُوَ مَثَلٌ لأعداء أهل البيت عليهم السلام، وَهَذَا يُعْطي أوسعية قَاعِدة المَثَل مِنْ التمثيل، كَمَا مَرَّت الإشارة مِنْ أوسعيّة موضوع قَاعِدة المثل والأمثال مِنْ التمثيل والتشبيه، وأنَّ جملة الحقائق المذكورة فِي القُرآن هِيَ أمثالٌ لحقائق أكبر مِنْهَا وأعظم.

ثانياً: كما تبيّن من الروايات وأمثالها من الروايات المُستفيضة تفسير نمط هذا اللسان في الروايات حيث أن بعض المُتكلّمين أو

---

(١) المصدر السابق: ج٥/ ١٨٩٦ ص٥١٨.

الرجاليين يُتوهّم منه أنه من وضع الغُلاة، أو من وضع الخطابيّة الذي توهّموا استباحة تَرْك أركان الشريعة والفروع بمُجرَّد الولاية، بينما المراد ما قَدَّمنا من أن لكل حقيقة تأويل في عالم الآيات الكبرى المخلوقة وكلمات الله التّامات، وأن الحقيقة الكبرى للحقائق هم أهل البيت عليهم السلام، وأما معالم الظلمة والظلام فهي كناية وإشارة لأعدائهم، كما أن كلامُه عليه السلام في رواية المفضّل بن عمر وافي بتوضيح ذلك.

فهرس الموضوعات